الوفاق الأمريكي السوفيتي
١٩٦٣ - ١٩٧٦

دكتور السيد أمين شلبى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨١

مقدمة

على مدى ربع قرن ، ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ظل الواقع الذى يسود الحياة الدولية هو العداء الأمريكى السوفيتى ، وتسلل هذا الواقع الى كل المشكلات الدولية الصغيرة والكبيرة ، وكان نتيجة ذلك ما عرف بالحرب الباردة التى شكلت التحدى الرئيسى للاستقرار والسلام الدولى لجيل بأكمله ٠

على أنه فى قلب هذه العملية ، بزغ أمام القوتين عصر جديد هو العصر النووى ، والذى فرضت أحكامه عليهما ضرورة السعى الى بناء اطار جديد من العلاقات يستهدف فى أساسه تفادى حدوث مواجهة ساخنة بينهما ، والتعاون من أجل حل أو على الأقل ادارة ما يثور من مشكلات دولية بطريقة سلمية ٠

وقد توارى مع هذا ، حدوث تغيرات واسعة المدى فى البيئة الدولية حيث انتهى عصر تفرد القوتين وسيطرتهما المطلقة عن حلفائهما ، كما تحقق بينهما التعادل فى اخطر وأدق علاقاتهما وهى القوى الاستراتيجية والنووية ، هذا فضلا عن تغيرات فى واقع واحتياجات مجتمعاتهما ٠

هذه التغيرات جاءت لكى تؤكد للقوتين الحاجة الى ادخال عناصر استقرار فى علاقاتهما ٠ وكانت أولى الخطوات العملية فى هذا الاتجاه توقيع معاهدة الحظر الجزئى للتجارب النووية عام ١٩٦٣ ، ثم معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ، ثم توالت خطواتهما فى هذا الاتجاه وبشكل خاص على أوائل السبعينيات وبدأ ما يمكن أن يعرف بعصر مؤتمرات القمة حيث عقدا أربع مؤتمرات ما بين عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ ، توصلا خلالها لعدد من الاتفاقيات والتعاقدات ومبادىء السلوك شملت أوجه علاقاتهما الدولية والثنائية وصاغت فى الواقع ما أصبح يعرف بظاهرة الوفاق أو الانفراج فى علاقات القوتين ٠

على أنه رغم ما توصلا اليه فى هذا الاطار ، الا أنه لم يعن تصفية مصادر الخلاف الأساسية بينهما ، وبالتالى لم يحل دون ظهور توترات بل ونكسات فى اتجـــاه علاقاتهما الجـديدة الأمر الذى أبرز المضمون الواقعى والحدود العملية لظاهرة الوفاق ٠

ويعالج كتابنا هذه الظاهرة منذ أن بدأت ملامحهـا بتوقيع معاهدة الحظر الجزئى للتجارب على أثر أزمة الصواريخ الكوبية ، والتأثير العميق الذى تركته فى سياسات ومفاهيم كلا القوتين ، ثم متابعة هذا الاتجـاه وبشكل خاص مع مجىء ادارة الرئيس نيكسون الى الحكم وشروعها فى بناء اطار جديد للعلاقة مع الاتحاد السوفيتى ، وهو ما توافق مع تراكم عدد من الاعتبارات الموضوعية سواء فى البيئة الدولية ، وعلاقات القوى . أو لدى الجانب السوفيتى ٠ واتخذنا لهذه الدراسة اطارا زمنيا يقع ما بين ١٩٦٣ ـ ١٩٧٦ ٠

وقد تتبعنا هـــذه الظاهرة فى مفاهيمها النظرية ، وفى تطبيقاتها العملية ، الأمر الذى أبان عن اختلاف فى النظر لدى كل جانب لما يعنيه بعلاقات الوفاق ٠ كما أنهينا هذه الدراســـة بما استخلصناه من نتائج وبتصورنا لاتجاه هذه الظاهرة وأبعادها ٠

وأود فى النهاية أن اتقدم بأعمق الشكر الى أستاذى الدكتور بطرس بطرس غالى الذى تبنى هذا العمل حين كان فى الأصل رسالة للدكتوراة ، كما أتقدم بالشكر الى الأستاذ الدكتور محمود خيرى عيسى ٠ كما أشكر السادة السفراء يحيى عبد القـادر والدكتور أحمـــد عثمان والدكتور عبد الهادى مخلوف على كل اهتمامهم وتشجيعهم ٠

وأجدنى حريصا على أن أشكر ـ من بعيد ـ أساتذتى فى جامعـــة آكسفورد بانجلترا ، وأمينات وأمناء مكتبات جامعة آكسفورد بانجلترا ، وبنفس القدر أمينات وأمناء المعهد النيجيرى للعلاقات الدولية فى لاجوس، كما لا يفوتنى أن أشكر الهيئة العامة للكتاب على تبنيها لهذا العمل ٠

واذا كان للأسرة والمناخ الذى توفره للباحث أثر معروف فى أى عمل علمى، فانى أتوجه بعميق الامتنان لشقيقى الأستاذ محمد أمين شلبى، ولزوجتى على روح الهدوء والسكينة الذى وفرته لى طوال مراحل اعـداد هذا العمل ٠

والله ولى التوفيق ؟

السيد امين شلبى

الباب الأول

بين المواجهة وبدايات الانفراج

الفصل الأول

عصر كنيدى وصعود زعامة خروشوف

بدأ الرئيس الأمريكى جون كنيدى عهده فى رئاسة الولايات المتحدة يناير سنة ١٩٦١ بمفاهيم وتصورات اختلفت بشكل واضح عن تلك التى انتهى بها عهده القصير - أكتوبر سنة ١٩٦٣ - ، وقد تعرضت مفاهيم الرئيس كنيدى لتجارب أنضجتها وذلك فيما يتعلق بأدوار السياسة الخارجية الأمريكية العالمية وعلى وجه التحديد بسياساتها وعلاقاتها مع القوة العالمية الأخرى وهى الاتحاد السوفيتى · وقد افتتح كنيدى عهده بتجربة غير مشجعة وهى ما عرف بحملة خليج الخنازير الفاشلة ضد حكومة فيديل كاسترو فى كوبا ، وتلى هذا اثارة الزعيم السوفيتى لأزمة جديدة حول برلين وهو ما ارتبط بلقائه مع خروشوف فى فينا ، وهو اللقاء الذى انتهى بشكل عاصف ، اما التجربة الحاسمة فكانت فى نشوء أزمة الصواريخ الكوبية التى تضمنت بالنسبة للقوتين نتائج بعيدة المدى ودروسا كانت من الخطورة والوقع بحيث وضعت القوتين وبشكل مباشر أمام حقائق العصر الذرى ومعنى نشوب حرب نووية بينهما ·

وقد تولى جون كنيدى رئاسة الولايات المتحدة ولديه رؤية خاصة عن بلاده ، حيث كان يعتقد ان الولايات المتحدة هى آخر وأفضل أمل للبشرية كما كان يتطلع لرخاء وسعادة كل شعوب العالم ويعتقد ان الولايات المتحدة لديها القدرة على أن تقدم القيادة اللازمة لتحقيق هذه الغايات · وقد أحاط كنيدى نفسه بأفضل العقول فى أمريكا وعين رجالا اعتقد أنهم يمتلكون العقول والأساليب الفنية التى ستمكن الادارة الجديدة من حل أى مشكلة (×) وكان كنيدى ومجموعة الرجال الذين أحاط

(×) من أمثال هؤلاء روبرت مكنمارا ودين راسك وولت روستو وماك جورج بندى وماكسويل تيلور وقد شرعوا جميعا فى مهمتهم مع كنيدى باقتناع ان العالم يمكن تطويعه =

نفسه بهم قد فقدوا صبرهم مع ايزنهاور وزعامتــه فلم يكن ايزنهاور فى رأيهم جسورا بما فيه الكفاية وكان يمثل المساومة والحلول الوسط وغير قادر على أن يحرك الأمة الى الأعمال العظيمة ، فقد تخلى ايزنهاور أساسا عن فكرة أنه يمكن أن تكون هناك حلول عسكرية لمشكلات الحرب الباردة ، أو أن أمريكا يمكنها ان تصيغ وتشكل مصير العالم ، وهكذا قبل حدودا على دور أمريكا • أما كنيدى ورجاله فهم يرفضون هذا فحيث كان ايزنهاور سلبيا فان فان كنيدى يمكن أن يكون ايجابيا وحيث كان ايزنهاور حذرا فسوف يكون كنيدى جريئا • وكان كنيدى ومعاونوه مهتمين بشكل خاص باستعادة مكانة وهيبــة الرئاسة التى اعتقدوا انهــا تأثرت فى عهــد ايزنهاور (١) •

وتؤخذ عبارة كنيدى الشهيرة التى ضمنها خطاب تنصيبه فى يناير ســـنة ١٩٦١ وقال فيها « لتعلم كل أمة ســواء أرادت لنا الخير أو الشر أننا سوف ندفع أى ثمن ونتحمل أى عبء ونلقى كل مشـــقة ونؤيد كل صديق ونعارض كل عدو لنضمن بقاء ونجاح الحرية » وتؤخذ هذه العبارة كتصوير للمفاهيم التى بدأ بها كنيدى ادارته وكتعبير عن احساس الثقة الزائد بالنفس (٢) •

وكان الرئيس الجديد يعتقد أن الولايات المتحدة لم تعمــل مافيــه الكفاية وتتصرف بشكل جيد فى الحرب الباردة وكان يقول « هل تصرفنا بالشكل الذى نستطيع أن نتصرف به * » وكانت اجابته خــلال حملته الانتخابية « بلا » مؤكدا انه اذا ما فشلت أمريكا فان الحرية سوف تفشل ، وكان يعتقد ان الحرية تتعرض « لأقصى هجوم تعرضت له » ، وانه لا يمكن انقاذها الا بالولايات المتحدة ، ومن هنا كان قوله « أعتقد انه قد حــان الوقت لأن تتحرك امريكا من جديد » • وكان كنيدى يريد أن تأخذ أمريكا المبادرة ، وهو ما جعل البعض يشك فى أن هذا أشبه بحديث دالاس عن

= وانهم يمكنهم أن يديروا ويسيطروا على الأحداث بشكل ذكى وعاقل ولذلك اتخذوا اتجاها متشــددا معتقدين أن لديهم الشــجاعة والعقول والتصــميم على مواجهة التحرك السوفيتى والتغلب عليه •

راجع

(Merli, frank Hilom, (eds) : « Makers of American diplomacy », p. 626.

(١) Ambrose, stephen, « Rize to globalizm, American foreign policy 1938-1970 », Penigiun Books, 1973, p. 626.

(٢) — Bartlote, C. and Leck, paul, « The Rise and fall of the pax Americana », London, 1974, p. 164.

التحرير وان كان كنيدى قد أدرك « ان حلا شاملا غير ممكن فى العصر الذرى » كما لم يـكن يتوقع ان يفوز بالنصر التقليـدى ٠٠ « فالواقـع العسكرى يعوق مثل هذا النصر » (١) ٠

وكان كنيدى يرى ازاء هذا الواقع ضرورة التمسك بالأمل الطويل الأجل ، وكان يقول « بدون ان تحدث حرب نووية فاننا نريد ان نتيح ما أسماه توماس جفرسون فرص الحرية وان نبشر بهـا فى المناطق التى تحكمها الشيوعية الآن » ٠ ولكن كيف ؟

كان يرى هذا جزئيـا بالانتظار ، وجزئيـا من خلال النموذج الذى تقدمه أمريكا ، ومن خلال حيويتها ، ومن هنـا طلب كنيدى من الشعب الأمريكى ان يتوقع « عملية طويلة وبطيئة من التطور نحو الاسـتقلال القومى والحرية وأبعاد الشيوعية » ٠٠ وكان العالم الثالث مفتاحه الى هذا اذ كان يعتقد « ان أرض المعركة الكبرى للدفاع عن الحرية وتوسيع رقعتها هو كل النصف الجنوبى من العالم وأراضى الشعوب الناهضة » ، وقد كان كنيدى مثله فى هذا مثل خصومه الشيوعيين يؤمن بحتمية انتصار نظامه على المدى الطويل كما لم يكن لديه جدول زمنى لتحقيق هذا النصر أو رغبة فى الاسراع به ٠ وللمفارقة جاءت تجربته وأزمته الأولى أيضا فى العالم الثالث وفى أمة من أممها الثورية ٠ ورغم ما كان يعلنه كنيدى عن اتجاها الى قبول التنوع فى العالم الا أنه لم يكن مستعدا « لأن يقبل نظاما شيوعيا على مشارف من خليج فلوريدا » وهو ما جعله يوافق على حملة خليـج الخنازير وغزو كوبا بواسطة اللاجئين الكوبيين (*) ٠

---

(١) — Ambrose, « Rise to globalism », op. cit., p. 274.

(×) اختلف مؤرخو جون كنيدى حول مدى مسئوليته عن هذه الحملة ، فمساعده الخاص وكاتب خطبه سورنسن يرى أنه من الانصاف القول بأن هذه العملية كانت قد خططت لها من قبل وكالة المخابرات المركزية قبل توليه الحكم وان ايزنهاور قد وافق عليها بل انه بعد فشل الحملة أنب نفسه كثيرا واعتقد ان مستشاريه قد أخطاوه النصيحة
(Barthlotte, C.J. «The Rise and Fall of Pax Americana), paul Elek, London, 1974 p. 147).

غير أن هناك رأيا آخر يعتقد ان كنيدى كان من أنصـار هـذه العملية خـلال حملته الانتخابية عام ١٩٦٠ ، وان هذا يتفق مع وجهـات نظره فى ان كاسترو قد خان الثورة الكوبية ، وأن الشعب الكوبى يئن تحت قهره ، وكان يعتقد أنه لابد من ايجاد بديل ثالث بين كاسترو رباتستا ، وأن الثورة المضادة بقيادة الكوبيين فى المنفى سـتكون القيـادة المتحررة التى سيلتف حولها الشعب الكوبى ولهـذا فانه لم تكن وكالة المخابرات هى التى دفعت بكنيدى الى خليج الخنازير وانما هى رؤياه الخاصة ٠
(Ambrose, Rise to globalism, op. cit., p. 267).

الحالة العسكرية فى عهد كنيدى :

وترتبط مفاهيم كنيدى السياسية عند توليه الرئاسة بتصوره للقوة العسكرية للولايات المتحدة وما يجب أن تكون عليه · وقد كان من أكثر مخاوف كنيدى أن يبدو ضعيفا · وشأنه شأن كل أنصار الحرب الباردة ظن أن الطريق الوحيد للتعامل مع السوفيت هو من موقع القوة ، ولكن بأى قدر من القوة ؟ كان هذا هو السؤال الكبير ، وكان الرجل الذى اختاره كنيدى للاجابة على هذا السؤال هو روبرت مكنمارا وزير الدفاع الذى اعتبر ان الاجابة على هذا السؤال هى فى الكفاية Sufficiency العسكرية للولايات المتحدة ، وكان تفسيره للكفاية يعنى التفوق العظيم Superiority وعلى هذا شرع فى أن يحقق لأمريكا هذا التفوق ، وقد شرح مكنمارا نفسه اتجاهه هذا فى خطاب له بعد ذلك فى عام ١٩٦٧ ، حيث ذكر أنه حين تولى منصبه كان السوفيت يملكون « ترسانة صغيرة جدا من الصواريخ عابرة القارات » ، ولكن كانت لديهم القدرة « على توسيع هذه الترسانة بشكل كبير جدا » ، غير أن الولايات المتحدة « لم يكن لديها الدليل على أن السوفيت يخططون عمليا لاستخدام هذه القدرة » ولذلك اتفق هو وكنيدى على أن الضمان ضد بناء عسكرى سوفيتى هو زيادة قوة أمريكا العسكرية بشكل كبير · وعلى هذا فبعد عامين من تولى منصبه رفع كنيدى ميزانية وزارة الدفاع بـ ٦٠ بليون دولار ، ومع تقدم حرب فيتنام سوف ترتفع بقدر أكثر وبشكل خاص فى القطاع المؤثر من الأسلحة وهو الصواريخ عابرة القارات حيث زاد كنيدى ومكنمارا القوة العسكرية الأمريكية خمس مرات ، فقد ورثوا من ايزنهاور ٢٠٠ صاروخ عابر للقارات بلغت عام ١٩٦٧ / ١٠٠٠ صاروخ (١) ·

وقد كانت البداية فى تفكير كنيدى فى هذا المجال مع اطلاق الاتحاد السوفيتى للقمر الصناعى والشروع فى انتاج الصواريخ عابرة القارات هو ما جعل كنيدى يحذر عام ١٩٥٨ من انه مع بداية الستينات فان « معدل الردع قد يتحرك الى صالح السوفيت بشكل كبير الأمر الذى قد يفتح لهم طريقا مختصرا للسيطرة على العالم » ولهذا حث ايزنهاور على اتخاذ خطوات » بطولية « لغلق فجوة الصواريخ مذكرا اياه « بتجربتنا مع

---

(١) ibid, pp. 277, 278.

القرارات غير المنطقية لهتلر » التى تجعلنا نتعلم الحاجة لأن نكون حذرين مع قادة النظم الشمولية » (١) ٠

ولكن فى الأسابيع الأولى من حكمه اكتشف هو ومكنمارا عدم وجود ما عرف بفجوة الصواريخ Missile Gap وانها كانت وهما ، وعلى هذا نسمت له السلطة منافذ الى المعلومات التى جاءت مناقضة لمعتقداته ٠٠ فحين تسلم كنيدى السلطة تبين ان لدى الولايات المتحدة مائة صاروخ عابر للقارات مقارنا ب ٥٠ لدى السوفيت وقرابة ١٧٠٠ قاذفة بعيدة المدى بينما كان لدى السوفيت ١٥٠ ، ولدى أمريكا ٩ صواريخ بولاريس تحملها ٥ غواصات نووية فى الوقت الذى لم يكن لدى السوفيت شىء من هذا النوع ٠

غير أن كنيدى وماكنمارا حرصا على أن يخفيا عن الشعب الأمريكى عدم وجود فجوة الصواريخ ، وفى خلال الشهور الستة الأولى بعث كنيدى بثلاث رسائل للكونجرس يطلب زيادة قدرها ٦ بليون دولار فى اتفاقات الدفاع يخصص جزء كبير منها للأسلحة الاستراتيجية ونتيجة لهذا ، وعند وفاة كنيدى ، كانت الولايات المتحدة قد حققت تفوقا ساحقا على الاتحاد السوفيتى فى الصواريخ عابرة القارات وصواريخ بولاريس وخلقت بذلك عدم توازن خطير فى سباق التسلح (٢) ٠

وكرد على هذه السياسة زاد السوفيت من صواريخهم عابرة القارات، وكما صور مكنمارا الموقف عام ١٩٦٧ فلم يكن لدى السوفيت النية فى الدخول فى سباق للتسلح وكانوا سيكتفون بقبول الوضع الراهن عام ١٩٦٠ والذى كانت أمريكا تحوز فيه على التفوق ولكن ليس بالدرجة التى تتيح لها أن تشن الضربة الاولى ، على أنه يبدو أن برنامج كنيدى ومكنمارا قد أقنع الروس بأن الولايات المتحدة انما تهدف فى الواقع الى الوصول الى قدرات تمكنها من الضربة الأولى وهو مالم يترك للسوفيت خيارا ، اذ اتجهوا الى زيادة قوتهم الصاروخية الأمر الذى أجبر بدوره الولايات المتحدة على أن تبدأ جولة جديدة (٣) (×) ٠

---

(١) Merli, « Makers of American Foreign Policy », op. cit., p. 623.

(٢) — ibid, p. 629.

(٣) Ambrose, « Rise to globalism », op. cit., p. 278

(×) أعاد مكنمارا عام ١٩٦٧ تقييم الموقف كما كان قائما عام ١٩٦١ فقال ان =

الى جانب هذه المواقف فيمـا يتعلق بالقوة العســكرية للولايات المتحدة ، ومباركة كنيدى لعمليـه غزو اللاجئين الكوبيين لكوبا بدعـم من الولايات المتحدة فقد خطا ما يمكن أن يعتبر أول خطوة عملية فى التورط العسكرى الأمريكى فى فيتنام ، ففى ٢٩ ابريل سنة ١٩٦١ ، وافق كنيدى على نصيحة مستشاره والت روستو بارســال جونســـون نائب رئيس الجمهورية الى سايجون وتبعه التفويض بارسال مائة خبير ومستشار أمريكى عسكرى متجاوزا بذلك الحدود التى سمحت بهـا اتفاقية جينيف لعام ١٩٥٤ ، وفى ١١ مايو سنة ١٩٦١ وافق على توصيات معدلة حول قوة خاصة لفيتنام تتضمن ارسال قوات خاصـــة وبدء عمليات من التغلغل والتخريب وحملات الكوماندوز ضد فيتنام الشمالية بل وهجمات واسعة من وقت لآخر ، وكان الهدف الرسمى كما تضمنته مذكرة الأمن القومى رقم ٥٢ هو « منع سيطرة الشيوعية على جنوب فيتنام » وجعل هذا البلد مجتمعا صـالحا وديموقراطيـــا ، وهكذا ربط كنيدى الولايات المتحدة بالاشتراك فى حرب أهلية باعتقاد ـ سيتبين خطؤه فيما بعد ـ أنها نضمن المصالح الأمريكية بشكل مباشر .

وقد تجاهل كنيدى فى هذا أصوات مثـل فولبرايت واتشيسون ، وكذلك لم يستمع لتحذير ديجول الذى تنبأ بأن أمريكا سوف تتورط فى هوة عسكرية وسياسية لاقرار لها . غير أن كنيدى كانت تسيطر عليـه حينئذ اعتقاداته بأن الشىء الوحيد الذى يفهمه الديكتاتوريون والعدوانيون هو القوة المتفوقة والشجاعة فى اســتخدامها ، وانه اذا كان قد فشـل أن يقف بحزم فى كوبا ولاوس فلابد ان يقف فى فيتنام (١) .

خروشوف وادارة كنيدى

من ناحية أخـرى ، كانت موســـكو قد رحبت بمجيىء كنيدى الى الحكم (×) ، فهى تذكر أنه قال يوما انه لو كان فى مكان ايزنهاور فانه

= الحقيقة ساطعة أنه لو كانت لدينا معلومات أكثر دقة حول تخطيط القوات السوفيتية عام ١٩١٦ فاننا ببساطه لم نكن سنحتاج لبناء ترسانة واسعة كالتى لدينا اليوم » .. (ibid, p. 279).

(١) Medli, « Makers of American diplomacy », op. cit., p. 632.

(×) يقول خروشوف فى مذكراته « رغم اننا حاولنا ان نتمسك بموقف الحيـاد فى الحملة الانتخابية بين كنيدى ونيكسون الا اننا نشعر أن ترشيح كنيدى هو فى صالحنا اكثر من نيكسون

كان سيعتذر عن حادث الطائرة (U2) (*) ، ولذلك هنأه خروشوف عند انتخابه معبرا عن الأمل فى انه خلال رئاسته ستعود العلاقات بين البلدين مرة أخرى إلى ما كانت عليه فى عهد روزفلت » ، كذلك فان موسكو رغم وعيها بما ورد فى حملات كنيدى الانتخابية ، فقد قدرت له دعوته فى خطاب تنصيبه الى بذل محاولات جديدة للتعاون بين القوتين الأعظم ، واشارته الى الدول الشيوعية لا « كأعداء » ، وانما « كخصوم » ، وقوله « وأخيرا لتلك الأمم التى تجعل من نفسها خصوما لنا فاننا لا نقدم وعدا بل مطلبا بأن يبدأ الجانبان من جديد السعى نحو السلام قبل أن تداهم الانسانية قوى التدمير التى أطلقها العلم بدمار متعمد أو عن طريق الصدفة ٠٠ ان أيا من القوتين لا تستطيع أن ترتاح من اتجاهنا الحالى ، فكلانا محمل بعبء الأسلحة الحديثة ، ولهذا دعونا نبدأ من جديد متذكرين ان المدنية ليست مظهرا من مظاهر الضعف ، وان الاخلاص يحتاج دائما الى ما يثبته ٠٠ فدعونا لا نتفاوض من باب الخوف ، ولكن دعونا أيضا لانخاف من أن نتفاوض » (١) ٠

وعلى أثر خطاب تنصيب كنيدى ، بدأ الاتحاد السوفيتى فى ابداء بعض اللفتات ، فقد أوقف حملته العنيفة التى كان قد بدأها بعد فشل مؤتمر قمة باريس ، وأعلن خروشوف سحبه لشكواه فى الأمم المتحدة حول حادث الطائرة (U2) ، وأفرج عن طاقم الطائرة الأمريكية ، الا أنه مع هذه اللفتات أثار فى خطابه فى ٦ يناير ١٩٦١ الوضع فى برلين وهدد بتوقيع معاهدة منفردة مع ألمانيا الشرقية (**) ٠ وفى ظل هذه الروح

(★) على أثر المناخ المشجع الذى أشاعه اجتماع كل من الرئيس الأمريكى ايزنهاور ، والزعيم السوفيتى خروشوف فى كامب دافيد بالولايات المتحدة فى سبتمبر ١٩٥٩ ، بدأ التحضير لانعقاد مؤتمر قمة من القوى الأربع ، وقد التقى زعماؤها بالفعل فى باريس فى ١٦ مايو ١٩٦٠ ، الا أن المؤتمر لم يقدر له الاستمرار حيث أعلن الاتحاد السوفيتى عن اسقاط طائرة تجسس أمريكية ، ورفض خروشوف الاشتراك فى المؤتمر الا بشروط رفضتها الولايات المتحدة ٠

(١) « from containment to coexistence » p. 74.

(★★) من العناصر الهامة فى الموقف السوفيتى فى هذه الفترة تقديم خروشوف للوضع الدولى ففى مؤتمر للأحزاب الشيوعية عام ١٩٦١ قال ان الامبريالية مازالت قوة لا يستهان بها ، ونبه الى الحروب المحلية الصغيرة وخطرها وامكانية نموها الى حرب صواريخ ومن ثم يجب مقاومتها ، كما تحدث عن معنى الحرب العالمية فقال انها ستكون حرب صواريخ وحربا نووية وأكثر الحروب تدميرا فى التاريخ انه فى مثل هذه الظروف فان الشعب العامل والطبقة العاملة هى التى ستعانى أكثر ٠

Rakove, «Arms and foreign policy in the Nuclear Age» Oxford University Press London, 1972, pp. 128. 133. 142.

التي اختلطت فيها الرغبة في المهادنه بالتهديد عبر خروشوف عن رغبته في الاجتماع بالرئيس الأمريكي الجديد ، وهو الاجتماع الذي تحدد له يوم من يونيو ١٩٦١ ، في مدينة فينا ٠ وكان من الواضح أن من أهداف هذا الاجتماع أن يقيس كل من الزعيمين الآخر ويضعه في الميزان ٠ وقد ناقشا عددا من القضايا الدولية ، وتجادلا حول مفهومهم للوضع الراهن حيث وضح اختلافهما حول مفهومه ٠ فعند كنيدي فان الوضع الراهن هو التوازن القائم للقوة الدولية وهو ما لا يعني انه يريد أن يجمد العالم على وضعه الاجتماعي ، وانما تأخذ التغيرات شكلا سلميا وبدون انتقال السلطة من كتلة الى أخرى ، أما خروشوف فان الواضع الراهن عنده يتمثل في ضرورة تقدم الثورة الشيوعية في العالم كله (×) ٠

واتصالا بذلك ناقش الزعيمان الوضع في كوبا حيث اعتبر كنيدي ان المشكلة ليست كما يظن السوفيت هو الموقف من التغيير الاجتماعي الذي لاتعارضه الولايات المتحدة ، ولكن المشكلة هي في تغيير ميزان القوى القائم (١) ٠ بعد مناقشة الوضع في كوبا تحول الزعيمان الى برلين ، وقال خروشوف ان المشكلة الالمانية لم يعد من الممكن التسامح معها ، وهدد ان لم يوافق الغرب على توقيع معاهدة مع ألمانيا الديمقراطية مما سينهي حالة الحرب ويلغي كل الالتزامات القائمة بما فيها حقوق الاحتلال والمؤسسات الادارية وحق المرور ، أما كنيدي فقد أكد لخروشوف رفضه لهذا الاتجاه ، وأنه مع اعترافه بأن الوضع في برلين غير مرض ٠ فان هذا ليس وقت قلب ميزان القوى العالمية ، وخلال اجتماعهما الأخير حث كنيدي خروشوف على عدم التصرف في برلين ، وقال خروشوف « انني أريد السلام ولكن اذا أردت الحرب فتلك مشكلتك ، ان قرار

(×) يقول خروشوف في مذكراته عن تقييمه هو وكنيدي للوضع الراهن « ان كنيدي ادرك الحاجة الى تفادي الصراع العسكري ، وشعر النا يجب ان نوقع اتفاقا رسميا نتمسك فيه بمبادىء التعايش السلمي ، ولكن ما كان يعنيه بذلك هو تجميد الظروف القائمة في كل الأقطار فيما يتعلق بنظمها الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا المفهوم كان غير مقبول كلية بالنسبة لي ٠ »

«Khrushchev Remember, The Last Testamest» op. cit., p. 495.

(١) — Schlesineger, «A Thousands days, J. Kennedy in the White House» op. cit., p. 363.

المعاهدة لا رجعة فيه » ، ورد كنيدى وهو يغــادر « سيكون شـــتاء قاسيا » (١) .

وقد عقب كنيدى على لقـائه مع خروشـوف بقوله « لقد كانا يومين حافلين بالجدية ، وقد تناقضت وجهـات نظرنا بشـكل حاد ، ولم يتحقق تقدم أكيد ، كما لم يحقق أحدنا كسبا على الآخر ، ولكن فتحت قنوات الاتصال بشكل أكمل ، واتفق الرجال الذين يعتمد عليهـم قرار الحرب والسلام ان يظلوا على اتصال » (٢) غير ان هذا لم يمنع كنيدى بمجرد عودته الى واشنطون أن يعلن التعبئة الجزئية ، ويدعم العسكرية الأمريكية فى غـرب أوربا بسبب تهديدات خروشـوف حـول برلين ، أما خروشوف فقد قيم نتيجة اجتماعه مع كنيدى بقوله « لقـد شـعرت بالأسف بشكل مضاعف ، فهذا الاجتماع لم يخلق ظروفا حسنة لتحسين علاقاتنا ، بل على العكس ، فقد زاد من خطورة الحرب » (٣) . وفى خطاب فى الاكاديمية العســكرية ، أعلن خرشـوف وقف أى تخفيضات فى القوات المسلحة وزيادة فى الميزانية العسكرية مقدار الثلث (٤) .

وقد أثار خروشوف بالفعل مشـكلة برلين من جـديد فى جنيف عام ١٩٦١ ، واقترح « ان القوات التى ترابط فى برلين يجب أن تكون من الدانمرك أو النرويـج ، أو بلجيكا أو هولنـدا ، وكذلك من بولنـدا وتشيكوسلوفاكيا ، وأن يكون تحت علم الأمم المتحدة » ، وهو العرض الذى رفضـته الولايات المتحـدة فى الحال ، ورد الاتحاد السـوفيتى بأنه سيضطر الى توقيع معاهدة سلام مع ألمانيا الشرقية وتسوية الوضع فى برلين بدون اشتراك القوى الكبرى » (٥) وازداد الأمر تعقيدا حين تدخل الاتحاد السوفيتى فى مواصلات غرب برلين ، وعاق الضـباط السوفيت وبوليس ألمانيا الشرقية فريقا من الجيش الأمريكى ، واعقب هذا حوادث تجاه الطائرات الأمريكية والفرنسـية ، الأمر الذى دفـع بوزير الدفاع الأمريكى ماكنمارا أن يطير الى برلين الغربية ، ويصرح أن الأزمة الحاليـة

(١) — Fontaine, Andre, A History of the Cold War. from the Korean War to the present» London, scker and Warberg, 1970, p. 416.

(٢) Sorenson Theodre «Kennedy», Harbers and Row, New York 1965, p. 581.

(٣) — Khruschchev Remembers, The Last Testament op. cit., p. 400.

(٤) — Bohlen, Charles, « Witness to History » New York, 1969, p. 182.

(٥) — Mchermy, James, Khrushchev and kennedy in Retrospect» The oben door press, California, 1977. p. 106.

أسوأ من أى أزمة أخرى منذ الحرب الكورية ، وقال « ان سياستنا هى استخدام أى أسلحة يحتاجها الموقف للمحافظة على مصالحنا الحيوية ، ومن الواضح تماما اننا نعتقد ان مواصلاتنا الى برلين هى مصلحة حيوية » (١) ٠

وخلال مداولات الجانب الأمريكى حول الموقف ، اتخذ كنيدى موقفا يتسم بالتصميم والمرونة ، وقال « اننا ندرك الاهتمام التاريخى حـــول وسط وشرق أوربا ، ونحن على استعداد لأن نفكر فى أى ترتيب أو معاهدة حول ألمانيا تتمشى مع السلام والحرية ، والمصالح المشروعة لكل الأمم ، اننا مصممون على السعى فى اجتماعات رسمية وغير رســـمية ، ولا نريد للاعتبارات العسكرية أن تسيطر على تفكير الشرق والغرب ، فى العصر النووى ، فان أى سوء تقدير من أحد الجانبين لنوايا الآخر قد يمطر هلاكا فى عدة ساعات أكثر مما شهدته كل حروب البشرية » (٢) ٠

وبعد فترة تؤثر فيها الوضع الدولى بأكمله ، وبعد ســـلسلة من المراسلات بين خروشوف وكنيدى ، أنهى خروشـــوف الموقف بشـــكل جذرى حين بنى فى ١٣ **اغسطس ١٩٦١ جدارا يفصل بين شطرى برلين** وقسم المدينة نهائيا ٠

---

(١) — Ibid, p. 115.

(٢) — Ibid, p. 115.

تطور المواجهة من برلين الى كوبا

ازمة الصواريخ الكوبية :

اذا كان التاريخ الذى بدأت فيه الحرب الباردة هو موضع جدل بين المؤرخين فليس ثمة نقاش حول التاريخ الذى اقتربت فيه هذه الحرب لأن تتحول الى حرب ساخنة ٠ ذلك كان فى ٢٢ أكتوبر سـنة ١٩٦٢ وهو التاريخ الذى كشف فيه عن وجود الصواريخ السوفيتية فى كوبا والأيام الستة التى تلته لحين اعلان خروشوف قراره بسحبها (١) ٠

فى ذلك اليوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٢ قال الرئيس الأمريكى فى اذاعة تليفزيونية « انه خلال الاسبوع الماضى فان شـهادة لا تخطىء قد أظهرت حقيقة أن سلسلة من مواقع الصواريخ يجرى الاعداد لها فى هذه الجزيرة ٠٠ وتشير مواصفات هذه الصواريخ الجديدة الى أنها صواريخ نووية متوسطة المدى قادرة على حمل رؤوس ذرية لمسافة أبعد من ١٠٠٠ ميل قادرة على ضرب وشنطون وقناة بنما ومدينة المكسيك أو اى مدن أخرى فى الجنوب الشرقى للولايات المتحدة وأمريـكا الوسـطى ومنطقة الكاريبى ، كما أن هناك مواقع اضافية لم تستكمل بعد تبدو أنهـا تعد لصواريخ قادرة على الانطلاق أبعد من ذلك مرتين وتقدر بهذا الشكل على ضرب معظم مدن نصف الكرة الغربى فى مدى يصل الى كندا والى بيرو ٠

« ان هذا التحويل السريع لكوبا الى قاعدة استراتيجية هامة بوجود

(١) Edmond, Robin, « Soviet Foreign Policy 1962-1973 » London, Oxford University Press, 1975, p. 1.

هذه الأسلحة ذات المدى البعيد وذات الطبيعة الهجومية الواضحة والدمار المفاجيء الشامل انما يشكل تهديدا حربيا للسلام والأمن لكل الأمريكيين وتحديا لتقاليد هذه الأمة وهذه القارة ولميثاق الامم المتحدة والتحذيرات العـامة من جانبنا للسوفيت كمـا أن هـذا العمل يتناقض مع التأكيدات المتكررة للمتحدثين السوفيت العلنية والخاصة (*) من ان البناء العسكرى فى كوبا سوف يبقى ذا طبيعة دفاعية وأن الاتحاد السوفيتى ليس له حاجة أو رغبة لاقامة صواريخ استراتيجية على أرض أى دولة أخرى (١) » .

ويحدد كنيدى أبعاد العمل السوفيتى بالنسبة للولايات المتحدة فيقول « .. ان هذا البناء السرى والسريع وغير العادى للصواريخ السوفيتية فى منطقة معروفة تماما بأن لها علاقة تاريخية بالولايات المتحدة وأمم نصف الكرة الغربى ، هذا القرار السرى لاقامة أسلحة استراتيجية للمرة الأولى خارج أراضى الاتحاد السوفيتى هو استفزاز متعمـد وتغيير لا مبرر له فى الوضع الراهن Status Auo والذى لا يمكن أن يكون مقبولا لهـذا البلد اذا كنا نريد لالتزاماتنا أن يوثق بها من صديق أو عدو .. »(٢) .

ثم عدد كنيدى الاجراءات التى قرر اتخاذها « كاجراءات أولية وحتى لاتخاطر بشكل غير ناجح أو غير ضرورى بحرب نووية عالمية .. » :

(×) فى رواية روبرت كنيدى عن أيام الأزمة قال انه فى مقابلاته مع السفير السوفيتى دوبرينين قبل اسابيع من الأزمة وحين عبر له عن قلق امريكا من المعدات العسكرية التى تصل الى كوبا قال السفير السوفيتى انه مكلف من خروشوف أن يؤكد للرئيس كنيدى انه لن تكون هناك صواريخ أرض أرض أو صواريخ هجومية فى كوبا وان خروشوف لن يفعل شيئا من شانه أن يفسد العلاقة بين البلدين ، ويضيف روبرت كنيدى انه كذلك خلال هذه الأسابيع من سبتمبر عاد أحد الرسميين فى السفارة السوفيتية فى واشنطون حاملا رسالة من خروشوف للرئيس كنيدى يقرر فيها أنه يريد من الرئيس أن يتأكد أنه تحت اية اعتبارات لن يرسل صواريخ أرض أرض الى كوبا .. وكذلك حين قابل الرئيس كنيدى وزير الخارجية السوفيتى جروميكو بعد اكتشاف الصواريخ وقبل الاعلان عن ذلك قال جروميكو ان المساعدة الوحيدة التى تقدم الى كوبا هى للزراعة وتطوير الأرض وحتى يمكن للناس أن يطعموا أنفسهم بالاضافة الى قدر صغير من الأسلحة الدفاعية وقال انه بالنظر الى كل ما ينشر فى الصحافة الأمريكية فانه يريد أن يؤكد أن الاتحاد السوفيتى لن يتورط فى ادخال الأسلحة الهجومية لكوبا .

Kennedy, Robert, «Thirteen days, A memcire of the Cuban Mis-siles Crisis», W.W. Uorth and Comp. New York, 1969, pp. 24, 27, 40.

(١) Ibid.

(٢) — Kissing's 1962, p. 19061.

أولا : لوقف هذا البناء الهجومى فان حصارا Blockade حازما قد بدأ على كل المعدات الهجومية التى تشحن الى كوبا وسوف تحول كل البواخر المتجهة الى كوبا من أى جنسية أو ميناء اذا ما وجدت أنها تحتوى على شحنات من الأسلحة الهجومية وسوف يمتد هذا الحصار اذا ما تطلب الأمر لأشكال أخرى من الشحنات ، ونحن لا نعنى ضرورات الحياة كما حاول السوفيت أن يفعلوا فى حصار برلين عام ١٩٤٨ ٠

ثانيا : الاستطلاع المستمر والدقيق على كوبا وبنائها العسكرى ، فاذا ما استمرت هذه الاستعدادات العسكرية فان عملا آخر سيكون له ما يبرره ٠

ثالثا : سيكون من سياسة الولايات المتحدة أن تعتبر أن أى صاروخ نووى موجه من كوبا الى أى أمة فى نصف الكرة الغربى كهجوم من الاتحاد السوفيتى على الولايات المتحدة يتطلب الرد الرادع الكامل على الاتحاد السوفيتى ٠

رابعا : كاحتياطى عسكرى ضرورى فقد دعيت قاعدة جوانتانامو أن تكون على أهبة الاستعداد وأجلينا أسر أفرادنا هناك وأصرت وحدات اضافية أن تكون على أهبة الاستعداد ٠

خامسا : دعوة الهيئة الاستشارية لمنظمة الوحدة الأمريكية الى اجتماع عاجل الليلة للنظر فى هذا التهديد لأمن نصف الكرة الغربى (×) ان ميثاق الأمم المتحدة يقر ترتيبات الأمن الاقليمية وقد وقفت أمم

(×) حرصت الولايات المتحدة قبل ان تعلن الحصار البحرى على كوبا ان تحصل على موافقة منظمة الوحدة الأمريكية على هذا الاجراء فقد اجتمع مجلس المنظمة فى اليوم التالى لخطاب الرئيس كنيدى فى واشنطون واستشهادا بمواد المعاهدة الأمريكية للمساعدة المتبادلة (معاهدة ريو) ٠٠ قررت ١٩ دولة امتناع ممثل الاورجواى حيث لم يستطع الاتصال بحكومته » ٠

(١) الدعوة الى ازالة كل الصواريخ والأسلحة الهجومية من كوبا ٠

(٢) التوصية بان تتخذ الدول الاعضاء كل الاجراءات فرادى وجماعة بما فى ذلك استخدام القوة بما يضمن عدم استمرار الحكومة الكوبية فى تلقى المواد العسكرية والامدادات من الاتحاد السوفيتى والذى يمكن أن يهدد السلام والأمن فى القارة ٠ وبعد هذا القرار مباشرة وقع الرئيس كنيدى اعلان الحصار لكى يسرى من الساعة العاشرة صباح يوم ٢٤ اكتوبر ٠

هذه القارة منذ وقت طويل ضد الوجود العسكرى للقوى الخارجية (×) كما أن حلفاءنا الآخرين فى العالم قد وضعوا موضع التأهب .

سادسا : الدعوة الى اجتماع طارىء لمجلس الأمن لاتخاذ اجراءات ضد هذا التهديد السوفيتى لسلام العالم وسوف يدعو القرار الذى ستقدمه الولايات المتحدة الى ازالة جميع الأسلحة الهجومية فى كوبا تحت اشراف الأمم المتحدة قبل أن يمكن رفع الحصار .

وقد أنهى الرئيس الأمريكى بيانه بدعوة الزعيم السوفيتى « أن ينضم الى جهد عالمى لانهاء سباق التسلح الخطير وتحويل تاريخ العالم » كما عبر عن استعداد الولايات المتحدة « لمناقشة اقتراحات جديدة لازاله التوترات على كلا الجانبين .. » (١) ..

وعلى الجانب السوفيتى فقد أعلنت وكالة تاس أن الحكومة السوفيتية استدعت كل من فى أجازات فى القوات المسلحة وأوقفت تسريح من أدى الخدمة فى مجالات الصواريخ والغواصات والوحدات المضادة للطائرات وذلك عقب اجتماع حضره وزير الدفاع الماريشال ماليونفسكى كما أعلن ان قيادة أركان قوات حلف وارسو قد تشاورت لوضع اجراءات لرفع « حالة التأهب » العسكرى لدول حلف وارسو .

وفى نفس الوقت اذاعت الحكومة السوفيتية بيانا يدين « الحصار الانتقامى على كوبا » كعمل من « أعمال القرصنة » وخرق للقانون الدولى واتهم الولايات المتحدة باتخاذ خطوة نحو اشعال حرب عالمية نووية . « ان الاتحاد السوفيتى قد نبه مرارا للتهديد الخطير لقضية السلام الذى تجلبه سياسة الولايات المتحدة تجاه كوبا .. ان بيان الرئيس الأمريكى يظهر أن الدوائر الامبريالية الأمريكية لن تتوقف عن شىء فى محاولتها خنق دولة ذات سيادة وعضو فى الأمم المتحدة » . ورد البيان على ما أعلنه الرئيس كنيدى « أنه اذا ما ألقيت قنبلة نووية واحدة على أراضى الولايات التحدة فانها سوف تضرب ضربة انتقامية ، هذا البيان يتسم بالنفاق لأن ـ الاتحاد السوفيتى قد أعلن مرارا أن أى قنبلة ذرية سوفيتية لن تقع لا على الولايات المتحدة ولا على أى دولة أخرى ان لم يقع منها أى

(×) يشير كنيدى فى هذا الى مبدأ مونرو والذى أعلنه الرئيس جيمس مونرو عام ١٩٣٢ ويقضى بأن الولايات المتحدة سوف تعتبر ان أى محاولة من جانب القوى الأوربية لمد نظامها لأى جزء من نصف الكرة الغربى خطرا على سلامتها وأمنها .

(١) Kissing's p. 19061.

عدوان ۰ ان الأسلحة النووية السوفيتية لن تستخدم أبدا لأغراض العدوان ولكن اذا ما بدأ المعتدون حربا فان الاتحاد السوفيتي سوف يضرب أكبر ضربة انتقامية ۰۰ » وأعاد البيان تأكيد أن المساعدة العسكرية السوفيتية لكوبا « انما تهدف فقط لدعم الامكانيات الدفاعية لكوبا ۰۰ « وتعرض البيان الى القواعد الأمريكية في العالم بما يوحى بالمقارنة بين الوجود السوفيتي في كوبا ووجود هذه القواعد في الدول الأجنبية » ان الاتحاد السوفيتي يؤيد انسحاب كل القوات من الأراضي الأجنبية ۰۰ فاذا كانت الولايات المتحدة تحاول ان تضمن السلام العالمي فانها يجب أن تقبل المقترحات السوفيتية وتسحب قواتها ومعداتها العسكرية وتغلق قواعدها العسكرية على الأراضي الأجنبية في عدة أجزاء من العالم » (١) ۰

وقد انتقلت الأزمة الى مجلس الأمن حيث عرض خطاب من ممثل كوبا فى الأمم المتحدة يطلب النظر فى « اجراء الحرب الذى اتخذته الولايات المتحدة منفردة باقامة حصار بحرى على كوبا » كما قدم فالارين زورين ممثل الاتحاد السوفيتي مشروع قرار يدعو الى « ادانة أعمال حكومة الولايات المتحدة فى كوبا التى انتهكت ميثاق الأمم المتحدة وزادت من خطر الحرب » ۰۰ ويدعو الى « ان توقف الولايات المتحدة قرارها بتفتيش سفن الدول الأخرى المبحرة الى كوبا » ۰ أما ادلاى ستيفنسون ممثل الولايات المتحدة فقد القى خطابا مطولا تعرض فيه لطبيعة الفلسفة الشيوعية التى تعارض « التنوع والتعدد فى المصير الانسانى » ولا تريد « عالما مفتوحا » تسوده الحرية والتسامح وانما « عالما موحدا ــ تسيطر عليه عقيدة واحدة » واستعرض ستيفنسون نتائج الحرب الباردة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والسلوك السوفيتي فى تركيا وايران وحرب كوريا كما تعرض لفترة ما بعد الستالينية وما اثارته من أمل احبطه « ما حدث للانتفاضة فى ألمانيا الشرقية عام ١٩٥٣ والثورة المجرية عام ١٩٥٦ » ۰۰ ثم تعرض للوضع فى كوبا واعتبر أن معارضة « الدول الأمريكية » لنظام كاسترو « لا لأنه نظام ثورى أو لأنه اشتراكى أو ديكتاتورى وانما لأنه ساعد وحرض على غزو القارة ، وانه أعطى الاتحاد السوفيتي رأس جسر ومنطقة ارتكاز فى نصف الكرة الغربى ودعا قوة خارجية عن القارة معادية للديمقراطية وتوسعية الى قلب العائلة الأمريكية ، وبهذا جعل نفسه شريكا فى المخطط الشيوعى للسيطرة على العالم ۰۰ » ورد المندوب الأمريكى على مقارنة البناء العسكرى السوفيتي

(١) Kissing's, p. 19062.

فى كوبا بالقواعد الأمريكية الخارجية بقوله « .. ان الصواريخ التى تساعد بلدا على الدفاع عن استقلاله والتى تترك المؤسسات السياسية للأقطار سليمة ، والتى لا تستهدف ان تخرب الوحـــدة الاقليمية أو الاستغلال السياسى للدول الأخرى ، والتى أقيمت بدون اخفاء أو خداع ، ان المساعدة بهذا الشكل وبهذه الأهداف انما تتسق مع مبادىء الأمم المتحدة .. » ، بل ودافع عن اقامة مواقع صواريخ فى أقطار الناتو بانها أنشئت « كرد على مواقع الصواريخ فى الاتحاد السوفيتى والموجهة الى أقطار الناتو وكانت هذه الصواريخ تستهدف ان تردع عملية توســـع كانت تتم بالفعل (١) .. » .

وقد وصــف المنــدوب الســوفيتى بيــان الممثل الأمريكى بانه « محاولة لتغطية الأعمال العدوانية الأمريكية ضد كوبا » وقال ان حقيقة الأمر أن الولايات المتحدة تقيم حصارا على الشواطىء الكوبية وتمارس خطوات استفزازية لم يسبق لها مثيل فى خرق القانون الدولى وتحدى الشعوب المحبة للسلام ، كما وصف الخطاب بانه « تكرار ممل للدعاية الأمريكية واختلاقاتها حول الطبيعة العدوانية للشيوعية وتشـــويه للسياسة السوفيتية الخارجية فى فترة ما بعد الحرب » وسخر زورين من « الصورة المثالية » التى رسمها ستيفنسون للعلاقات بين الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية ، وبعد أن أعلن أن الحكومة الســـوفيتية « لم ترسل ولا ترسل أى أسلحة هجومية الى كوبا » قال ان المساعدة السوفيتية لدعم دفاعات كوبا تطلبتها « أن جمهورية كوبا منــذ ميلادها تعرضت لتهديدات مستمرة واستفزازات من الولايات المتحدة » (٢) .

وهنا حدثت مواجهة بين المندوبين السوفيتى والأمريكى حين عرض المستر ستيفنسون صـــورا فوتوغرافية للصواريخ السوفيتية فى كوبا وطلب من المستر زورين أن يجيب بنعم أو لا عما اذا كانت هذه القواعد قائمة .. أما المندوب السوفيتى فقد رفض أن يجيب على هذا السؤال قائلا « انه ليس فى محكمة أمريكية وانت لست مدعيا عاما ولن أجيب على أسئلتك » ..

وكان يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة قد بعث برسالة الى كل من كنيدى وخروشوف يقول فيها « انه من الضرورى اعطاء وقت

(١) Kissing's p. 19065.

(٢) Kissing's p. 19065.

كاف لتمكين الأطراف المعنية من الاجتماع سويا بهدف حل الأزمة سلميا وتطبيع الموقف فى الكاريبى وهذا يتضمن من ناحية الوقف الارادى لكل شحنات الأسلحة الى كوبا وكذلك الوقت الارادى لاجراءات الحصـــار المتضمنة تفتيش السفن المتجهة الى كوبا ، وأعتقد أن مثل هذه الاجراءات سوف تسهل الموقف جدا وتعطى وقتا للأطراف المعنية للالتقاء والمناقشة بهدف ايجاد حل سلمى للمشكلة (١) ··

وقد أجاب كل من كنيدى وخروشـــوف على هذا النداء بلهجة ايجابية فذكر كنيدى فى رده « ·· ان السفير ستيفنسون مســـتعد لمناقشة ما ورد فى رسالتك من اجراء ترتيبات مرضــــــية فى الحال واستطيع ان أؤكد لك رغبتنا فى الوصول الى حل مرض وسلمى لهذه المسألة » · أما خروشوف فقال فى رده « انى أرحب بمبادرتك وأتفهم قلقك على الموقف فى الكاريبى حيث أن حكومة الاتحاد السوفيتى تنظر الى هـذا الموقف باعتباره خطيرا للغـــاية وتدعو الى التدخل الكامل عن طريق الأمم المتحدة · اننى اتفق مع اقتراحك الذى يتفق مع مصالح السلام » (٢) ··

ومع يوم ٢٦ أكتوبر بدأ الموقف يســـوء : ففى موسكو نشرت جريدة النجم الأحمر خطبة ألقاها الماريشال مالينوفسكى وزير الدفاع قال فيها ان القوات المسلحة السوفيتية « فى أقصى حالات الاستعداد ، وانه مع أول اشارة فان كل قوة قواتنا المسلحة يجب أن توجه الى العمل الفورى ضد العدو وضد مراكزه العسكرية الاستراتيجية والاقتصادية » · وفى واشنطون صدر عن البيت الأبيض بيان بأن العمل فى اقامة القواعد السوفيتية فى كوبا مستمر وبسرعة « ان هناك من الشواهد ما يثبت أن التقدم فى مواقع الصواريخ فى كوبا مستمر على نطـاق واســـع وأن النشاط فى هذه المواقع يتجه بوضوح للحصول على قدرة أداء كاملة وبأسرع وقت ممكن مما يعنى انه ليس هناك نية فى ازالة أو وقف العمل فى مواقع الصواريخ تلك » (٣) ·

على أنه فى هذا اليوم أيضا صدرت عن الاتحاد السوفيتى محاولة للاتصال مع المسئولين الأمريكيين على المستوى غير الرسمى ، فقـد

---

(١) — Kissing's p. 19066.

(٢) — Ibid, p. 19067.

(٣) — Kissing's p. 19067.

دعا الكسندر فومين المستشار بالسفارة السوفيتية فى واشنطون المراسل الدبلوماسى لشركة الاذاعة الأمريكية جون سكالى ، وكان فومين قد تعرف عليه ويعلم انه موثوق به لدى المستويات الحكومية الأمريكية ، وحين التقيا طلب فومين من سكالى أن يجس نبض أصدقائه الكبار في الخارجية الأمريكية حول حل ممكن للأزمة وكان الحل الذى اقترحه يقوم على انسحاب الصواريخ السوفيتية وتفتيش من الأمم المتحدة فى كوبا مقابل وعد أمريكي بعدم غزو الجزيرة ، كما اقترح فومين أن فى امكان السفير الأمريكى فى الأمم المتحدة مناقشة الأمر مع الممثل السوفيتى فى المنظمة الدولية .

فى نفس هذه الليلة بدأت رسالة طويلة من خروشوف الى كنيدى تصل الى الخارجية الأمريكية ، وقد صيغت هذه الرسالة على نفس مضمون مقترحات فومين ، اعترف فيها الرئيس السوفيتى بوجود الصواريخ فى كوبا ولكنه قال انها لن تستخدم أبدا فى مهاجمة الولايات المتحدة « اننا عقلاء بما فيه الكفاية ونفهم تماما أننا اذا هاجمناكم فسوف تردون بنفس الطريقة » وقال خروشوف انه أرسل الصواريخ الى كوبا للدفاع عنها وهكذا « فاذا ما أعطيت التأكيدات بأن رئيس الولايات المتحدة لن يشترك فى هجوم على كوبا ورفع عنها الحصارة فان مسألة ازالة أو تدمير مواقع الصواريخ فى كوبا سوف تكون مسألة مختلفة تماما » (١) ..

أما رسالة فومين فقد رفعها سكالى الى مستشارى الرئيس كنيدى وأخذه راسك الى البيت الأبيض حيث أمره كنيدى أن يعطي المسئول السوفيتى اجابة بالموافقة وصاغ راسك بنفسه الرد « ان لدى أسبابا للاعتقاد أن الحكومة الأمريكية ترى امكانيات حقيقية وتفترض أن ممثلى الحكومتين فى نيويورك يمكنهم بحث هذه المسألة مع يوثانت ومع بعضهم البعض ، وانطباعى عموما أن الوقت عاجل جدا » كما نوض سكالى أن يقول ان هذا البيان قد جاء من أعلى المستويات فى حكومة الولايات المتحدة (٢) » ..

وهكذا كان عرض فومين ورسالة خروتشوف أولى الحلقات فى سلسلة المساومات ..

---

(١) — Mchenry, « Khrushchev and kennedy in retrospect », op. cit., p. 136.

(٢) — Ibid, p. 137.

ويبدو أن الرد الذى تلقاه فومين قد شجع السوفيت على مزيد من المساومة وأن موقفا متشددا شيئا ما سوف يدفع الولايات المتحدة على قبول ما هو أقل ٠

ففى اليوم التالى ، ٢٧ أكتوبر بدأ خروتشـــوف سلسلة رسائله العلنية المتبادلة مع كنيدى ـ كانت الرسالة التى بعث بها يوم ٢٦ غير معلنة ولم تنشر ـ فقد كتب الى كنيدى يقول « لقد تلقيت بسرور كبير اجابتك على نداء يوثانت بان خطوات سوف تتخذ لتفادى الاحتكاك بين بواخرنا وبذلك نتجنب نتائج مميتة لا يمكن علاجها ٠ ان هذه الخطوة المتعلقة من جانبك تقوى اعتقادى أنك تظهر اهتماما بحماية السلام ٠٠ » ثم انتقل خروتشوف الى الاقتراح الأساسى الذى يريد نقله الى كنيدى « ٠٠ انك تريد أن تحمى بلدك وكل البلدان تريد نفس الشىء ٠ ونستطيع نحن فى الاتحاد السوفيتى أن نشير الى أعمالكم التى تحيطوننا بها بالقواعد العسكرية ، ان صواريخكم مقامة فى بريطانيا وايطاليا وتركيا وموجهة الينا ، انكم قلقون من كوبا لأنها تقع على ٩٠ ميلا من ساحل أمريكا ولكن تركيا مجـاورة لنا ٠ فهل تعتقد أن لك الحق فى أن تطلب الأمن لبلدك وازالة هذه الأسلحة التى تسميها هجومية ولا تعترف بمثل هذا الحق لنا ؟ ٠٠ ولهذا فاننى أطرح هذا الاقتراح ٠ اننا على استعداد لأن نزيل من كوبا الأسلحة التى تسميها هجومية وأن نقدم الى الأمم المتحدة وعدا بذلك وسوف يفعـــل ممثلك نفس الشىء بأن يعلن بأن الولايات المتحدة من جانبها تقدر القلق وعدم الارتيـــاح لدى الدولة السوفيتية وسوف تزيل أسلحتها المشابهة من تركيا ٠ وسوف نعلن أمام مجلس الأمن بان الاتحاد السوفيتى يعد باحترام حدود وســيادة تركيا وعدم التدخل فى شئونها الداخلية ولن نجعل من أراضينا رأس جسر للغزو ، وسوف نتحكم فى هؤلاء الذين يفكرون فى اعداد عدوان ضد تركيا سواء من أراضى الاتحاد السوفيتى أو من أراضى دول أخرى مجاورة لتركيا ٠ وسوف تفعل حكومة الولايات المتحـــدة نفس الشىء بالنسبة لكوبا ٠٠ » (١)

وربما يبدو هذا الاقتراح فى الواقع معقولا ومنصفا بالنسبة لأى مراقب ومحايد ، غير أن رد فعله كان على عكس هذا تماما فى الولايات المتحدة ٠ فقد نظر الى الاستجابة اليه على أنه يعنى بدء الدخول فى

(١) — Kennedy, Robert, «Thirteen days» op. cit., pp. 191; 102

مساومات مع الاتحاد السوفيتى على مواقع الولايات المتحدة العالمية ، وبدأ أكثر من هذا على أنه هدم للثقة فى الولايات المتحـــدة من جانب حلفائها ومن يعتمدون عليهـا فى الدفاع عنهم وعلى هـــذا لم يكن هـذا الاقتراح مقبولا من جانب الولايات المتحدة لا لقيمـــة القواعد التركية العسكرية أو الاستراتيجية (*) وانما للمغزى السياسى لسحبها (١) ٠٠

وكما أوحى خطاب خروتشوف بالمقارنة برسالته فى ٢٦ أكتوبر ـ باضطراب فى أوساط السوفيت حول أسلوب معالجة الأزمة كذلك نشأ خلاف بين المخططين فى الولايات المتحدة حول ما يجب اتباعه ٠ فقد اقترح البعض الكتابة الى خروتشوف لسؤاله توضيح رســالته واستقر الرأى على اقتراح روبرت كنيدى بالرد على رسالة خروتشوف بتاريخ ٢٦ أكتوبر وتجاهل رسالته التالية فى ٢٧ أكتوبر التى عرض فيها اقتراح انسحاب القواعد الأمريكية من تركيا (٢) ٠ وعلى هذا وجه كنيدى رسالة الى خروشوف صيغت باعتبارها ردا مباشرا على خطاب خروتشوف فى ٢٦ أكتوبر واقتراحه سحب الصواريخ الســـوفيتية مقابل وعد أمريكى بعـدم غزو كوبا « كما قرأت خطابك ، فان العناصر الأساسية لاقتراحك والتى تبدو بشـــكل عام مقبولة كما فهمتها هى كالآتى : ـ

١ ـ انك ستوافق على ازالة نظم الأسلحة فى كوبا تحت رقابة مناسبة من الأمم المتحدة واشرافها والتعهد بضـــمانات ملائمة بوقف ادخال مزيد من هذه الأسلحة الى كوبا ٠

٢ ـ ونحن من جانبنا سوف نوافق على : (أ) أن نزيل بسرعة اجراءات الحصـار المضروب حاليا (ب) اعطـاء تأكيدات ضـد أى غزو لكوبا ٠ فاذا أعطيت ممثليك تعليمات مماثلة فلن يكون هناك ما يحول دون أن نكمل هذه الترتيبات وان نعلنها للعـــالم خلال أيام ٠٠ » ٠٠

وذهب كنيدى الى تصور اجراءات أبعد اذا ما اتخـــذت هذه

(×) كان لدى كنيدى منذ فترة طويلة تحفظات حول قيمة صواريخ جوميتر فى تركيا وايطاليا وكانت بالفعل صـواريخ قديمة وكان لغواصـات بولاريس الامريكية فى حوض البحر المتوسط أن تقدم لتركيا حماية أكبر وكان قد طلب من وزارة ـ الخارجية أن تجرى مفاوضات لازالتها ثم توقفت هذه المفاوضات امام اصرار تركيا ٠

(١) Kissing's p. 1906

(٢) ennedy, Robert, «Thirteen days»

الخطوات فقال اذا ما كان خطـابك يعنى انك مستعد لأن تناقش وفاقا يتعلق بحلف وارسو والاطلنطى فاننا مستعدون لأن نناقش مع حلفائنا أى اقتراحات مفيدة ٠٠ (١)

وفى ٢٨ أكتوبر بدأت بوادر انفراج الأزمة من خلال الخطاب الذى اذاعه راديو موسكو موجها من خروتشوف الى كنيدى والذى صـيغ بشكل ودى « ٠٠ دعنى أعبر عن ابتهاجى وشكرى على الاحسـاس بالتناسب الذى أظهرته وبتقديرك للمسئولية التى تتحملها فى حماية السلام ٠ » ثم أعلن خروشوف « ان الحكومة السوفيتية قد أصدرت تعليماتها بوقف العمل فى مواقع الصواريخ بل وازالتها واعادتها الى الاتحاد السوفيتى ولكى نصفى بأكبر سرعة ممـكنة النزاع الذى يهدد السلام فان الحكومة السوفيتية بالاضافة الى تعليمات سـابقة بوقف العمل فى بناء قواعد الأسلحة قد أصدرت تعليمات جديدة بفك هذه الأسلحة التى وصفتها بالهجومية واعادتها الى الاتحاد السوفيتى ٠٠ » وبهذا لم يشر خروتشوف الى اقتراحه السابق فى ٢٧ أكتـوبر بان تسحب قواعد الصواريخ السوفيتية فى كوبا مقابل سـحب قواعد الصواريخ الأمريكية فى تركيا ٠ ثم تحدث خروتشوف عن الاجراء الذى ستلتزم به الولايات المتحدة تجاه كوبا بقوله « اننى أنظر باحترام وثقة الى البيان الذى صدر منك فى رسالتك المؤرخة فى ٢٧ أكتوبر بانه لن يكون هناك أى هجوم أو غزو لكوبا لا من جانب الولايات المتحدة أو من أى دولة أخرى من نصف الكرة الغربى ٠ وفى مثل هذا الوضع تكون الدوافع التى حـدت بنا الى تقديم مسـاعدات من هـذا النوع قد انتفت ٠٠ » (*) ٠

---

(١) Elie, Abel, « The Missiles of october, » pp. 183-184.

(*) فى هذا الخطاب ايضا كشف خروشوف عن حادث طائرة آخر وقع فوق الاتحاد السوفيتى « ٠٠ فى عام ١٩٦٠ اسقطت فوق الاتحاد السوفيتى طائرة التجسس U 2 والتى حطمت مؤتمر القمة ٠ فى هذا الوقت اتخذت الموقف الصحيح وأدانت هذا العمل الاجرامى من الادارة الأمريكية السابقة ولكن خلال عهدك وقع انتهاك آخر لحدودنا من طائرة طراز U2 فى منطقة شمالية وقد كتبت لك عندئذ وبررت هذا بسـوء الجو ٠٠ ولكن حادثا آخر خطير وقع اليوم حين توغلت طائرة استطلاع فوق حدود الاتحاد السوفيتى ، فهل تعتبر هذا استفزازا وفى وقت كهذا الذى تمر به حيث كل شىء وضـع موضـع الاستعداد المحرب اليس من الممكن أن طائرة امريكية كتلك قد تؤخذ على انها قاذفة نووية وقد تجرنا الى هوة مميتة ؟ ، انك بذلك تسـتطيع أن تتصور أى مسئولية تتحملها =

وهكذا انهى تبادل هذين الخطابين حالة التوتر التى خيمت على العالم لمدة ستة أيام .

من المهم بعد هذا الاستعراض لتطورات الأزمة وللوثائق التى تبودلت خلالها أن نشير الى أسلوب معالجة زعيمى القوتين للأزمة والذى تحكم فيه فى النهاية ، وبغض النظر عن تبادل الاتهامات والتهديدات ، ادراك واقعى لمدى ما يمكن أن تتطور اليه الأزمة اذا ما اتخذت منحى آخر .

فعلى الجانب الأمريكى كان من الواضح أن الرئيس كنيدى منذ بداية الأزمة انما يعمل على حصر الاختيار العسكرى (*) وتصور ماذا يمكن أن يلجأ اليه الجانب الآخر وما يحمله هذا من احتمالات صدام نووى بين القوتين . فعند مناقشة اجراء الحصار على كوبا نادى البعض بضرورة اتخاذ عمل عسكرى معتبرين أن الحصار لن يزيل الصواريخ أو حتى يوقف العمل فيها وكان أعضاء هيئة أركان الحرب بشكل اجماعى يؤيدون عملا عسكريا عاجلا . وحين سأل كنيدى عما سيكون عليه رد الفعل السوفيتى أجاب رئيس هيئة أركان القوات الجوية انه لن يكون هناك رد فعل سوفيتى ولكن كنيدى كان يشك فى ذلك وقال « انهم لن يدعوا الأمـور تمر دون أن يفعلوا شيئا فهم لا يستطيعون هذا .. فاذا لم يتخذوا عملا فى كوبا فبالتأكيد سوف يتخذونه فى برلين » (١) ..

وخلال اجتماعه مع زعماء الكونجرس الذين كان معظمهم حادا فى نقده وفى مطالبته ان يتخذ الرئيس قرارا أكثر قوة بهجوم عسكرى أو غزو واعتبارهم ان الحصار هو عمل ضعيف للغاية ، رد كنيدى انه لا يشعر أن عملا عسكريا كبيرا أمر مطلوب منذ البداية لأن من الممكن أن تسوى المشكلة بدون حرب مبيدة وأنه قرر الطريق الذى اختاره وهو

= وخاصة الآن ونحن نعيش فى مثل هذا الوقت القلق ، وأود منك أن تقيم هذا على وجه صحيح وان تتخذ الاجراءات السليمة لمنع هذا من أن يكون استثارة لاطلاق الحرب .
Kissing's. 1962. p. 19069.

(١)

(*) كان هذا هو نفس الأسلوب الذى اتبعه رؤساء أمريكيون سابقون تجاه عدد من الأزمات فعلى الرغم مما عرف به ترومان من تشدد تجاه الاتحاد السوفيتى ، الا أن ما يحسب له أنه منع تحول الحرب الكورية الى حرب أشمل باقالته ماكه آرثر الذى كان يضغط لاستخدام الأسلحة الذرية فى الحرب ، كذلك عمل الرئيس ايزنهاور .. (ضد نصائح القيادات العسكرية ـ على حصر الاختيار العسكرى فى أزمات مثل لبنان ـ يوليو ١٩٥٨ ـ وبرلين ـ نوفمبر ١٩٥٨ .

الحصار البحري ، ولكنه أضاف أنه ربما فى النهاية سيصبح العمـــل العسكرى ضروريا ومع هذا فان هذا الطريق يجب أن لا يؤخذ باستخفاف .. وقد ذكرهم كنيدى انه اذا ما بدأ الهجوم فان الخصم سوف يستجيب باطلاق الصواريخ التى يمكن أن تقتل عدة ملايين من الأمريكيين وهى مغامرة لا يستطيع الاقدام عليها حتى تستنفد نهـــائيا وبالكامل كافة الامكانيات الأخرى . (١)

وخلال الفترة التى وصلت فيهـا الأزمة قمتها وضاعفها اســقاط صاروخ أرض جو لطائرة استطلاع U2 وهى تقوم بمسح استطلاعى فوق كوبا ومات قائدها الميجور أندرسون .. عندئذ وضـح للكثيرين أنه يجب اتخاذ اجراء لحمـاية الطيران الأمريكى ، بل وبدا للبعض أن الاتحاد السوفيتى يستعد للمعركة وعند هذه النقطة ثار السؤال الحاسم حول كيفية أرسال طائرات استطلاع جديدة مالم تزل مواقع الصواريخ سـام .. ؟

وفى البداية كان هناك شبه اجماع أن على الولايات المتحدة أن تهاجم فى صباح اليوم التالى لتدمير مواقع سام ولكن الرئيس كنيدى أبدى تحفظات أساسية فقال « انها ليست الخطوة الأولى هى التى يجب أن تشغلنا ، وانما تصعيد كل جانب الى الخطوة الرابعة والخامسة ، وان كان لن يذهبا الى الخطوة السادسة لأنه لن يكون هناك أحد لكى يتخذها .. يجب أن نذكر أنفســـنا أننا نشرع فى طريق غاية فى الخطورة » (٢) . وطالب كنيدى باجراء تحقيق دقيق فيما اذا كانت طائرة الاستطلاع قد أسقطت ولم يقع لها حادث تصادم .

وكان الرئيس كنيدى يركز كل اهتمامه ومداولاته على عدم اهانة خروتشوف وعدم اشعار السوفيت بأن عليهم أن يصعدوا استجابتهم لان امنهم القومى أو مصالحهم القومية تلزمهم بذلك وكان هـذا وراء تردده فى أن توقف أو تفتش باخرة روسية ومعارضته الهجـــوم على مواقع الصواريخ ، ويعبر عن هذا قوله « انه إذا ما بقى فرد حى ليكتب تاريخ هذه الحرب فانه سيتفهم أننا بذلنا كل جهد لكى نصـــل الى سلام

---

(١) — Ibid, p. 54.

(٢) — Ibid, p. 98.

وكل جهد لكى نعطى خصمنا مكانا للحركة ولست مستعدا لأن أدفع الروس بوصة أبعد مما يجب » (١) ٠

أما الجانب السوفيتى فان الاجراء الذى اتخذه وحسم به الأزمة بازالته للقواعد وسحبه للصواريخ من كوبا قد أوضح عملا لا قولا مدى ادراك الاتحاد السوفيتى للمتضمنات البالغة الخطورة اذا ما أصر على ابقاء القواعد وعدم سحب الصواريخ وانها ليست أقل من مواجهة نووية بينه وبين الولايات المتحدة ، بالاضافة الى هذا فان رسائل خروتشوف الى كنيدى خلال الأزمة كانت تتضمن تصورا واضحا لمثل هذا المصير ٠ فقد ذكر فى الرسالة التى لم تذع وقتئذ يوم ٢٦ أكتوبر « اذا لم تكن قد فقدت السيطرة على النفس وتصورت بشكل معقول ما يمكن ان تؤدى اليه الأزمة فعندئذ علينا نحن وأنتم ألا نجذب نهايات الحبل الذى ربطتم به عقدة الحرب لأنه كلما جذب كلانا أكثر كلما أصبحت العقدة أكثر تعقيدا ٠ وقد تجىء اللحظة التى تستحكم فيها هذه العقدة بشكل يصعب على الذين عقدوها أن يحلوها ٠ ولست أنا الذى يفسر لك معنى هذا ، الا أنك نعلم تماما أية قوة رهيبة تمتلكها بلدانا ، ولهذا فاذا لم تكن هناك نية لجذب هذه العقدة أكثر من هذا وأن نقضى على العالم بكارثة حرب نووية ، فدعنا اذن نجد اجراءات فك هذه العقدة ٠ ونحن مستعدون لذلك ٠ » كما ذهب خروتشوف فى رسالته بتاريخ ٢٧ أكتوبر الى أبعد من نطاق الأزمة والى الحديث عن اجراءات « للوفاق بين حلف الناتو ووارسو ٠٠ » وعن الرغبة فى « تبادل وجهات النظر حول تحريم الأسلحة الذرية والنووية وعن نزع السلاح العام وحول مشكلات أخرى تتعلق بتخفيف التوتر الدولى ٠٠ » (١)

الدوافع السوفيتية فى اثارة الأزمة :

بعد انسحاب الصواريخ السوفيتية من كوبا تحول الاهتمام الى محاولة الاجابة عن ثلاثة أسئلة : ـ

أ ـ لماذا وضع خروتشوف هذه الأسلحة الاستراتيجية فى كوبا ٠٠ ؟

ب ـ ما الذى دفعه على الاعتقاد بأن الولايات المتحدة سوف تتسامح فى النهاية مع هذا الوضع ٠٠ ؟

---

(١) Ibid, p. 127.

(٢) — Kissing's, 1962, p. 19069.

ج ـ ولماذا سحبها بهذه السرعة ٠ ؟

بالنسبة للسؤال الأول فانه بالاضافة الى التفسير الذى تقدمه الوثائق والبيانات السوفيتية خلال الأزمة ـ مع أصرارها على انكار وصف الأسلحة الموجودة بأنها هجومية أو استراتيجية ـ من أن الهدف من اقامتها هو حماية كوبا وأن ذلك تم بناء على طلب حكومة كوبا وساستها وكرد على التهديدات الامريكية لها (١) ، بالاضافة الى هذا التفسير العام فقد قدم خروتشوف فيما بعد تفسيرا للدوافع التى جعلته يقدم على هذا الاجراء ٠ ففى مذكراته يروى خروتشوف بداية تفكيره فى اقامة الصواريخ فى كوبا فيقول « لقد شغلنى مصير كوبا والاحتفاظ بمكانة روسيا فى هذا الجزء من العالم ٠٠ وقد تساءلت عما يحدث لو فقدنا كوبا ، سيكون هذا ضربة مريعة للماركسية اللينينية وسوف يقلل من مركزنا فى العالم خاصة فى أمريكا اللاتينية ، فسوف ترفضنا أقطارها وستدعى أن الاتحاد السوفيتى مع كل قوته لم يستطع أن يفعل شيئا لكوبا ما عدا اصدار البيانات الفارغه والاحتجاج فى الامم المتحدة ، ولهذا كان علينا أن نفكر فى شىء آخر نواجه به أمريكا أكثر من الكلمات وان نقيم رادعا ملموسا وفعالا للتدخل الأمريكى فى الكاريبى ، ولكن ماذا على وجه التحديد ٠ ان الاجابة المنطقية كانت فى الصواريخ ٠٠ » (٢)

اما التفسيرات الأمريكية فهى تدور حول ان خروتشوف قد أراد بهذا الاجراء أن يغير ماديا وسياسيا من ميزان القوتين ٠ ويستبعد هذا التفسير الافتراضى أن اقامة الصواريخ السوفيتية فى كوبا كان عملا غير مقصود أو غير قائم على حسابات تستهدف فى المقام الأول استعادة توازن القوى فى المجال النووى بضربة خاطفة تزيد الثقة فى التهديدات النووية السوفيتية وتساعد على المساومة مع الولايات المتحدة فى مناطق أخرى من العالم (٣) ٠

وعند مناقشات الرئيس كنيدى مع معاونيه خلال الأزمة لم يكن يتأمل نحسب فى التصرف الذى ستتخذه الولايات المتحدة وانما كذلك فى الأسباب التى جعلت السوفيت يقدمون على هذا العمل والذى ابتعدوا

---

(١) « A study of soviet Foreign Policy » Progress Publishers, Moscow, 1975, p. 172.

(٢) — Khrushchev Remembers, op. cit., p. 493.

(٣) — Cran, Robert, « The Cuban Crisis : A Stratigic Analysis of American and soviet Policy » ORBIS, N. 4, 1963. p. 529.

به عن سلوكهم العادى . فى هـذا الشأن ظهر خلال هذه الاجتماعات عدد من التفسيرات والمفاهيم المتداخلة : ـ

الأول : ان خروتشوف ربما اعتقد أن الشعب الأمريكى لن يقبل التضحية بحرب نووية وأنه سيقارن بين صواريخ وقواعد كوبا وصواريخ أمريكا المجاورة للاتحاد السوفيتى ، وعلى هذا فسوف تبـدو أمريكا ضعيفة أمام العـالم وغير قادرة على التصرف مما سيشكك حلفاءها فى اعتمادهم عليها ويدفعهم الى الاتفاق مع السوفيت ، وبهذا يكون هذا التصرف احتبارا لقدرة أمريكا وارادتها .

ثانيا : اذا ما هجمت الولايات المتحدة على كوبا الضعيفة فسوف يقسم هذا معسكرها فى الامم المتحدة وأمريكا اللاتينية وفى هذا الوقت يحول خروتشوف قواه الى برلين (*) .

ثالثا : الدفاع عن كوبا .

الرابع : استخدام هـذا الاجراء كورقة للمساومة عليها فى تسوية الوضع فى برلين أو انسحاب القواعد الأمريكية وراء البحار .

الخامس : أن محاولة تعويض فجوة الصواريخ العابرة للقارات واقامة قواعد للصواريخ هو عمل مكلف جـــدا ، أما تزويد كوبا بالصواريخ ..

Meduim and Contenintal Range Ballestic Missiles,

فانه يمثل وسيلة سريعة وغير مكلفة لتعويض هذه الفجوة .

وقد اعتبر كنيدى ان الافتراض الثالث والخامس يمثلان دوافع محتملة وان كانت غير كافية مما جعله يميــل أكثر الى الافتــراض الأول (١) .

(*) تداخلت الازمة الكوبية مع الوضع فى برلين فى تحديد الحسـابات الأمريكية للدوافع السوفيتية فكما اعتقد السفير الأمريكى فى موسكو خلال الأزمة ـ فوى كوهلر ـ ان خروتشوف قد بدا فى رفع حرارة الوضع فى كوبا عام ١٩٦٢ كنوع من التهديد المضاد للولايات المتحدة فيما يتعلق بأزمة برلين ، وانه قد هرب الصواريخ الى كوبا كوســيلة لتغيير ميزان القوة بشكل كاف لاجبار الولايات المتحدة على قبول تسوية للمشكلة الألمانية .

(١) Ambrose, «Rise to globalism» op. cit., pp. 676, 678.

كما ذهب كنيدى بعد انتهاء الأزمة الى تأكيد هذا الافتراض ، ففى مقابلة تليفزيونية فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٦٢ قال ان السوفيت كانوا يخططون لكى يعلنوا للعالم أن لهم صواريخ قريبة من الولايات المتحدة وانهم لا ينوون اطلاقها لأنهم لو أرادوا الدخول فى صراع نووى لكانت لديهم صواريخهم فى الاتحاد السوفيتى . ولذلك اعتقد كنيـــدى ان ما أرادوه هو التغيير السياسى لميزان القوى ، وعلى هذا ، وفى ضوء هذا النظر ، فان التوازن السياسى هو ما كان يبدو فى خطر ، وهذا التوازن السـياسى هو مسألة مظاهر ومكانة . وكانت الآثار السـياسية وفقـا لهذا المفهوم لما سيبدو فى عيون العالم والنقاد الداخليين لادارة كنيدى هو تحد سوفيتى مر بلا عقاب ، وانه ان لم يكن السوفيت قد أجبروا على التراجع لكان هذا بداية لسياسة التهدئة وعلامة على ان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تقف فى وجه القوة السوفيتية حين تتحداها ، وأن هذا سيفتح الباب لتحديات فى المستقبل وربما حول برلين .

ويفسر هذا تجاهل اقتراح خروتشوف بسحب القواعد الأمريكية فى تركيا اذ كانت هذه القواعد ترتبط بمفهوم المكانة السياسية أكثر من ارتباطها بالأهمية العسكرية أو الاستراتيجية .. (١)

كذلك ينال الافتراض الخاص بان هدف السوفيت هو استعادة ميزان القوة الاستراتيجى بضربة سريعـة تزيد الثقـة فى التهديدات السوفيتية ومن ثم القدرة على المساومة مع الولايات المتحدة فى مناطق أخرى من العالم خاصة مع تزايد الشعور بالتفوق الاستراتيجى للولايات المتحدة (*) ، ينال هذا الافتراض تأييد عـدد من الدارسين (٢) . بل ان بعضهم يذهب الى اعتبار أن الأزمة فى أساسها كانت فى المحل الأول أزمة استراتيجية سببها المحاولة السوفيتية لتغيير التفوق الأمريكى فى

---

(١) Harwitz, David, « From Yalta to vietnam », Pelican Book, 1969, p. 379.

(×) حدد هنرى كيسنجر علاقات القوى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى عدد الاسلحة الاستراتيجية مع نهاية عام ١٩٦٢ وخلال الازمة الكوبية بان الولايات المتحدة كانت تتمتع بتفوق فى الصواريخ الاستراتيجية بنسبة ٥ : ١ وبتفوق فى القاذفات الاستراتيجية بنسبة ٣ : ١ وبتفوق بحرى كامل فى كل مكان وتعادل تقريبى على الأرض فى اوربا .

راجع :
«American destiny : The Global Contest Amrican foreign policy Relation 1976» edited by : Elaine Dam, New York University Press, 1978, p. 167.

(٢) Jordan, David, «world politics in our time», op. cit., pp. 153, 154.

الصواريخ الذرية ونظم الايصال (١) ، فقد كان الاندفاع الأمريكى لبناء نظم ايصال للصواريخ عابرة القارات (غواصات
Polaris, The Solid Fuel, hordened, site Mihuteman
قد اساء الى الوضع الاستراتيجى السوفيتى ، بالاضافة الى أن نشوء ما عرف بفجوة الصواريخ فى الولايات المتحدة والتخوف من أن يتمكن الاتحاد السوفيتى من التغلب على الولايات المتحدة فى القدرة على ايصال الأسلحة الذرية قد نتج عنه فى البداية اقامة صواريخ أمريكية متوسطة المدى فى انجلترا ، وايطاليا وتركيا كعمل مضاد لمواجهة البرنامج السوفيتى الكثيف للصواريخ المتوسطة المدى ، ودعم من هذا الاتجاه الأمريكى أزمة برلين عام ١٩٥٨ ، ومع عام ١٩٦١ فان موضوع فجوة الصواريخ ، بالاضافة الى تكثيف موسكو لأزمة برلين ، أدى بادارة كنيدى أن تزيد بشكل حاد من قوة الولايات المتحدة التقليدية والذرية وخاصة فى طاقتها على قوة الردع الثانية وأن توضح بشكل علنى هذا التفوق الأمريكى المستمر والمتزايد ، فى نفس الوقت كان الجيل الأول من الصواريخ السوفيتية بدأ يصبح باليا وأصبح السوفيت مهددين بزيادة جذرية فى التفوق الاستراتيجى الأمريكى وبتأثر صورتهم العالمية حول قوتهم العسكرية ومكانتهم السياسية ، وهكذا يأتى خروشوف مقتنعا بأن عملا جذريا أصبح ضروريا ، وكان هدفه الطويل الأجل هو أن يخفض ان لم يكن يعكس ان أمكن التفوق الأمريكى الاستراتيجى • ولتحقيق هذا فقد أعيد توجيه الموارد السوفيتية وصحب هذا فى سبتمبر سنة ١٩٦١ تجديد التجارب الذرية السوفيتية (*) والذى شعر بضرورتها من أجل انتاج رؤوس ذرية أخف وأن ينتقل بعد هذا الى الصواريخ الأخف والأرخص وقد اعتبر خروتشوف أن اقامة الصواريخ السوفيتية فى كوبا سيحقق الهدف السوفيتى القصير الأجل : فعندما سيتم تشغيلها بالكامل فانه سيصبح فى امكانها أن تدمر تماما قاذفات SAC وهكذا تخفض بشكل جذرى من القدرة الأمريكية على

(١) Griffith, William, «The Sino-Soviet Rift». The Mit Press, 1967, p. 8.

(*) فى ٣ اغسطس سنة ١٩٦١ أعلن خروشوف انه لم يعد ملتزما بالحظر الامريكى - السوفيتى على التجارب النووية باجرائه سلسلة من التجارب لتفجير سلاح ٥٨ - ميجاتون وبلغ قوته ٣٠٠٠ مرة أكثر من قوة القنبلة الى استعملت فى هيروشيما واكثر قوة عدة مرات من أى شىء طورته الولايات المتحدة ويبدو أن هذه القنبلة كانت ذات قيمة دعائية اكثر منها عسكرية باعتبار ان كلا الجانبين لديهما من القنابل اكثر مما يحتاجانها لتدمير اى مدينة فى العالم •

الضربة الثانية الانتقامية (١) ٠

وهكذا فان من يعطون أهمية أولية لرغبة خروتشوف فى سد هذه الفجوة الاستراتيجية ينتهون الى أن الاحباط الذى شعر به خروتشوف فى المجال النووى بالاضافة الى عدم قدرته على اخراج الغرب من برلين وعدم القدرة على مسايرة الولايات المتحدة فى الصواريخ عابرة القارات وما سببته الدعاية الصينية من ازعاج ، كل هذا جعل خروتشوف ينظر الى مكان آخر يحقق فيه نصرا يجذب به انظار العالم ويغير من الميزان الاستراتيجى ٠ وقد وجد هذا فى كوبا (٢) ٠

أما عن الحسابات السوفيتية قبل الأزمة فان تقديرها كان يدور حول التصورات الآتية : ـ

أ ـ ان فهم الاتحاد السوفيتى أو سوء فهمه لسياسة الولايات المتحدة تجاه كوبا كان عاملا رئيسيا فى قرار اقامة الصواريخ ، ويبدو ان محاولة الغزو الفاشلة فى خليج الخنازير ـ ٢٠ ابريل عام ١٩٦١ ، بالاضافة الى أنها أثبتت عمق العداء الأمريكى لكاسترو، قد أوحت أيضا للسوفيت أن تردد الولايات المتحـــدة فى الزج بقواتها مباشرة فى عمل عسكرى ضد كوبا كان أمرا ذا مغزى ، وأن الولايات المتحدة سوف تتسامح أيضا فى اقامة الصواريخ على الجزيرة أو على الأقل ستقاوم بوسائل لن تكون من بينها الحرب أو استخدام القوة ٠

ب ـ كذلك فان قبول الولايات المتحدة الواضح لتزايد الارتباط السوفيتى العسكرى بكوبا بعد خليج الخنازير ربما قوى من الاعتقاد لدى القادة السوفيت أن الولايات المتحدة لن تتجه الى التدخل العسكرى الا كاستجابة لاستخدام قواعد كوبا ضد احدى دول نصف الكرة الغربى (٣) ٠

جـ ـ ربما استنتج الســوفيت كذلك على أساس خبرتهم الماضية فى فهم عملية اتخاذ القرار الأمريكى أن قدرة الحكومة الأمريكية على تقييم الموقف ووضع وتنفيذ خطة للتعامل معه عليها قيــود كثيرة ـ وربما اعتمدوا على الظن ان الحكومة الأمريكية سيكون عليها ان تتشـــاور مع حلفائهــــا الاطلنطيين والذين يتوقع منهم ان

---

(١) Ibid, pp. 8-10.

(٢) Ambrose, «Rise to Globalism», op. cit., p. 284.

(٣) Horrman, (ed), « The Conduct of Soviet Foreign Policy », London, Butter worths, 1971, pp. 361, 362.

لا ينظروا الى الأمر نظـرة عاجلة على عـــكس الولايات المتحدة ، كذلك ربما توقعوا انه ستنشأ داخل منظمة الوحـدة الأمريكية معارضة تجاه أى اقتراح أمريكى لعمـــل عاجل مشترك يتطلب استخدام القوة العسكرية ٠

وهكذا فان القادة السوفيت ربما قدروا أن احتمال عمل منفرد وسريع من جانب الولايات المتحدة هو احتمال ضئيل ، بالاضافة الى هذا فان القادة السوفيت ربما اعتمدوا فى تقدير هذا الاحتمال بمواجهة الولايات المتحدة بأمر واقع ذى طبيعة تجعل اتخاذ اجراء منفرد وسريع لمواجهته انما يتطلب اطلاق العنف (١) ٠

٣ ـ اما عن الحسابات والتقديرات السوفيتية خلال الأزمة أو لماذا غير خروتشوف وبشكل سريع قراره وسحب الصواريخ فثمة عدد من التقديرات تدور حول ما يلى : ـ

أ ـ هناك التفسير السوفيتى لقرار سحب الصواريخ وانه تم بعد « ان حقق الاتحاد السوفيتى نجـاحا مرموقا بضــــمان وجود كوبا الاشتراكية وبدون أية حاجة لاطلاق طلقة واحدة » (٢) ٠٠

كما نجد هـذا التفسير فيما اعلنه خروتشـــوف فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٦٢ أمام مجلس السوفيت الأعلى من أن « الأزمة قد أثبتت انه من الممكن منع الغزو الذى هدد جمهورية كوبا من يوم لآخر ومنع صدام مسلح والتغلب على أزمة تهدد بحرب شاملة ٠٠ وقد تم هذا بعد أن وعدت الولايات المتحدة بشكل علنى أمام العـــالم أجمع أنها لن تهاجم جمهورية كوبا وأنها ســوف تكبح حلفاءها عن ذلك » (٣) ٠

ب ـ انه فى الوقت الذى كان من الواضح فيه ان القادة الســـوفيت يأملون فى مواجهة الولايات المتحدة بالأمر الواقع فى كوبا (مثـل اقامة حائط برلين) ـ فان الأمر قد تحول اذ أن وضع الصواريخ السوفيتية لم يكن قد اكتمل حين أقام كنيدى الحصار وطلب سحب الأسلحة السوفيتية الاستراتيجية ، وهذا يعنى ان الولايات

---

(١) — Ibid, p. 364.
(٢) — Kurushchev Remembers, op. cit, p. 504.
(٣) Current digest of Soviet Press, January, 1963, pp. 3-7.

المتحدة قد أصبح لديها حرية أكبر فى الاختيار والعمل أكثر مما قدر القادة السوفيت ٠

جـ ــ ان الولايات المتحدة بمعنى ما قد حولت الى الاتحاد السوفيتى العبء المباشر للقرار فيما يتعلق بالخطوة التالية واطلاق العنف ٠ وهكذا ترك قرار الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتى أمام ثلاث اختيارات ٠

(١) الرضوخ للحظر بالسماح لسفنهم ان تخضع للتفتيش ٠

(٢) تفادى مواجهة يجعل سفنهم تتفادى منطقة الحصار ٠

(٣) اثارة استعمال العنف بخرق الحصار ٠

د ــ نجاح الولايات المتحدة فى ضمان تأييد سريع واجماعى لاجراء الحظر من منظمة الوحدة الأمريكية ٠

هـ ــ القرار الأمريكى بمواجهة الاتحاد السوفيتى مباشرة وتجاهل كاسترو ٠

و ــ وأخيرا كان هناك عنصر السرعة والحسم والتصميم الواضح (*) الذى عالجت به الولايات المتحدة الأزمة ، ولم يبد هذا فحسب فى التطبيق السريع والناجح لقرار الحصار ، أو الضمان السريع لتعاون منظمة الوحدة الأمريكية وتأييد الناتو ، وانما فوق كل شىء للبناء العسكرى الأمريكى واجراءات التأهب التى اتخذتها القوات الاستراتيجية الأمريكية حول العالم ٠

ويبدو أن هذه الاعتبارات كانت وراء ما أعلنه خروتشوف فى خطابه أمام مجلس السوفيت الأعلى فى ١٢ ديسمبر أنه اضطر الى

(*) فى الوقت الذى كانت فيه رسالة كنيدى بتاريخ ٢٧ اكتوبر فى طريقها الى خروتشوف كان روبرت كنيدى يجتمع بالسفير السوفيتى دوبرينين ويؤكد له خطورة الموقف وأن رحلات الاستطلاع على كوبا سوف تستمر وانه اذا اطلق عليها النار فسوف يرد بالمثل ثم أبلغه انه يجب أن تتلقى التزاما فى الغد بأن قواعد الصواريخ سوف تزال وانه ان لم يزيلوها هم فسوف نزيلها نحن ولم أكن أوجه بهذا انذارا وانما أقرر حقيقة ٠

راجع : «khrushchev and Kennedy in retrospect» op. cit., p. 143.

ســحب القوات بعد ان تلقى معلومات تفيد أن الهجـــوم الأمريكى وشيك (١) ..

وبذلك تمثل أزمة الصواريخ الكوبية والأسلوب الذى عالجتها به القوتان نموذجا بارزا على التباين بين السلوك العلنى وبين السلوك الفعلى ، وهو الأمر الذى كان بالفعل على قوتين مثلهما بما يمكن أن تعنيه قراراتهما ان تراعياه . فالبيانات الأمريكية العامة خلال الأزمه كانت مليئة بالتصميم الا أن العمل الأمريكى المحـدد خلال لحظات حاسمة من الأزمة قد ترك ثغرات للاتحاد السوفيتى لكى يتصرف بشكل يحفظ له كرامته (٢) ، ويتيح له رغم التصميم الظاهر مسالك مفتوحة لكى يتراجع منها . كما ظلت الاجراءات الأمريكية مع شـــدتها محدودة لا تدفع بالخصم إلى موقف يائس وان كانت تقنعه بعمق الهوة التى يمكن أن يندفع اليها الجانبان اذا استمر التحدى الى مداه النهائى (٣) . وقد كانت هذه الثنائية المحسوبة فى السلوك هى نفس ما اتبعه الاتحاد السوفيتى (*) ، ففى الوقت الذى كان يحتج فيه على الولايات المتحدة ويؤكد التزامه بالدفاع عن كوبا فقد كانت تصرفاته العملية فى كـــل وقت تتيح المجال للانهاء العاجل للأزمة الأمر الذى يدفع الى القول أن أزمة الصواريخ الكوبية كانت منذ بدايتها تدار على مستويين : مستوى المناقشة العلنية العامة ومستوى المفاوضات على أعلى مستوى وكانت تمثل بالفعل حوارا نوويا لا يعرف لغته الا زعيما القوتين .

---

(١) — Hoffman, «The Conduct of Soviet foreign policy» op. cit., pp. 367-368.

(٢) — Lerche, Charles, «The cold war and after», Printice Hall, 1965, p. 112.

(٣) Pachter, Henry, «Collision Course, the Cuban missile Crisis and Coexistence» Fredrick Prager, New York, pp. 86-88.

(*) أسر خروشوف لأحد الدبلوماسيين الغربيين بما يحمل اطراءة لأسلوب الرئيس الامريكى فى معالجة الأزمة ويوحى بنفس الوقت فى التماثل فى النظر من الزعيمين الى ابعاد الأزمة .. « لو كنت أنا الـذى فى البيت الأبيض لكنت قد تصرفت كمـا تصرف كنيدى . »

الفصل الثانى

مابعد أزمة الصواريخ
الدروس والامكانيات التى فتحتها للوفاق

ما بعد أزمة الصواريخ :

هكذا كانت أزمة الصواريخ الكوبية حدا فاصلا فى تاريخ العلاقات بين القوتين لما بعد الحرب العالمية الثانية كما كانت أكثر أزمات هذه الفترة المحملة بامكـانية الانفجـار وقد استمدت الأزمة هـذه المكانة من أنها قد نقلت معنى الحرب والمواجهة النووية من مستوى التصور الذهنى المجرد الى الواقع والامكانية الملموسة وجعلت الاحساس حيـا بأن كل البشرية لها مصلحة مشتركة فى منع الحـرب النووية (١) وفى هذا الموقف بدت هذه المصلحة أعلى من المصالح المتوخاة ، وعلى هذا كانت أبلغ دروس الأزمة بخطورة سـياسة حافة الحرب ، ومن الآن فصاعدا سوف تعمل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على وضع قيود على خلافاتهم والعمل على الحد من التزاماتهم حتى يمكن الحد من استجابة ورد فعل كل منهما ٠

والواقع ان شخصين فقط فى العالم كانا تحت الضغط المطلق للقرار النووى هما خروتشوف وكنيدى ٠ وقد سجل خروتشوف رد فعله فى خطابه الشخصى الى كنيدى يوم الأحد ٢٨ أكتوبر وهو الخطاب الذى أنهى الأزمة وتضمن قرار سحب الصواريخ السوفيتية ، كذلك قدم خروتشوف تصوره وتقييمه للأزمة ونتائجها فى خطابه فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٦٢ امام مجلس السوفيت الأعلى ، فقد تساءل خروتشوف عمن انتصر فى هـذه الأزمة واجاب « هنـا يمكن القول ان العقل هو الذى انتصر وأن قضية السلام وأمن الأمم هى التى فازت ٠ ان الجانبين قد أظهرا أسلوبا مرضيا واعتبرا بالحقيقة القائلة بأنه ما لم تتخذ اجراءات

(١) «A study of Soviet Foreign Policy,» progress publishers moscow 1975, p. 171.

تساعد على التغلب على التطور الخطير للأحداث ، فان حربا عالمية ثالثة يمكن أن تشتعل ، ونتيجة للتنازلات المتبادلة والحلول الوســط تم التوصل الى تعـــاون جعل من الممكن ازالة التوتر الخطير وتطبيع الموقف . » (١)

الى جانب هذا التقدير العام فقد خرج السوفيت بعدة دروس من الأزمة ، فقد تعلموا ان قادتهم السياسيين قدروا بشكل سليم فرص التحكم فى اخطار تصعيد الأزمات بحيث تمكنوا من سحب الصواريخ بدون مواجهة مع الولايات المتحدة ، كذلك تعلم السوفيت كيف يمكنهم ان يخطئوا بشكل خطير فى تقدير رد الفعل المحتمل لاجراءات مثــل التى اتخذوها فى كوبا وذات أثر حيــوى على منطقــة حيــوية بالنسبة للأمن الأمريكى (٢) (*) .

أما المعنى البارز الذى أبرزته أزمة الصــواريخ بالنسبة للاتحاد السوفيتى فقد كان يتعلق بتقديراته عن قواه الاستراتيجية فى علاقاتها بالقوى الاستراتيجية للولايات المتحدة ، فقد كان خروشوف وقبل الأزمة مباشرة يدعى التعادل ، ان لم يكن التفوق النووى على الولايات المتحدة، فقد ذكر فى خطاب له فى ١٧ مارس ١٩٦٢ « .. ان لدى الاتحـــاد السوفيتى كل ما لدى الامبرياليين من أسلحة حديثة وبكميات كافية ،

---

(١) — Current digest of Soviet Press, January, 16, 1963, pp. 3, 7.

(٢) — Elanor Losing J. Robert Crave (eds). «Detente, Cold War Stratigies in transition», George Town University, fredreick, Prager.

(*) يعتقد بعض الدارسين لدور المخابرات فى أزمة كوبا انه اذا كان ثمة فشــل حقيقى فى المخابرات فقد كان الفشل الذى ارتكبه جهاز المخابرات السوفيتى فى أن يقدر بالشكل الصحيح رد الفعل الأمريكى للتحرك السوفيتى ، ومن ناحية أخرى فان هناك خطأ تقدير امريكى فى قياس مدى استعداد السوفيت لادخال صواريخ — فى كوبا وقد نشأ هذا عن الفشل فى تقدير أهمية تزايد درجة التركيز على الاعتبارات السياسية اكثر من العســكرية فى التفكير السوفيتى فيما يتعلق بدور الاســلحة النووية فى العصر الحديث .

Klous knon, « Fothers in National Entelligence estimates, the case of the Cuban Missiles» world politics, April, 1964, p. 469.

يؤيد هــذا الرأى ما ورد فى روايــة روبرت كنــدى عن الأزمة من أنه فى عــدد من المناســبات طلب الرئيس كنيدى تقدير جهاز المخابرات عن معانى البناء العســكرى السوفيتى فى كوبا بالنســبة للولايات المتحدة ، وكانت الاجابة أن الروس لن يقيموا أسلحة هجومية فى كوبا ولن يجعلوا منها قاعدة استراتيجية .

بل انه فى الحقيقة فان لدينا وسائل الايصال الأفضل للأسلحة النووية متمثلة فى صواريخنا عابرة القارات القوية » (١) ٠٠ ووفقا لهذا التقدير كان الاجراء السوفيتى فى كوبا أول محاولة اراد بها خروشوف أن يختبر هـذا التقدير وأن يخرج الاتحاد السوفيتى من نطـاقه كقوة قارية Continental power الى قوة عالمية (٢) global power

وقد كانت نتيجة هذه المحاولة وما أثبتته من عدم احتكام الاتحاد السوفيتى على عناصر التعادل النووى مع الولايات المتحدة هو الشاغل الرئيسى للقيادة التى ستخلف خروشوف وتركيزها على تحقيق هذا التعادل (٣) ٠

أما بالنسبة للرئيس الأمريكى فان مشاعره قد تعرضت لتغيرات كيفية بعد تجربة كوبا وأصبح يؤمن بأن العالم الذى تتحدى فيه أمة أمة أخرى بأسلحة نووية لم يعد عالما خاليا من أى معقولية فحسب بل عالما غير محتمل وغير ممكن (٤) ٠

كما بات يعتقد ان خريف عام ١٩٦٢ ان لم يكن نقطة تحول فقد كان على الأقل « مرحلة الذروة ٠٠ ورغم ان آثار التجربة قد لا يمكن تصورها بشكل كامل الآن فان مؤرخى المستقبل حين سينظرون الى الخلف والى عام ١٩٦٢ فربما سيسجلون هذا العام باعتباره الوقت الذى بدأ فيه التيار فى التحول » (٥) ٠ كمـا وصف الواقع المشترك الذى أوضحت الأزمة أنه يجمع بينه وبين خروتشوف بالقول « ان خروتشوف وانا فى نفس القارب بمعنى ان كلينا لديه نفس القـدرة النووية وان كلينا يريد حماية مجتمعاتنا ٠٠ » وكان يعتقد ان الأثر الحقيقى لأزمة الصواريخ هى أنها ساعدت على توضيح الوضع فى الولايات المتحدة حول عقم الاعتقاد فى نصر نووى كامل كما أوضحت الامـكانيات الخلاقة للاتفاق وكان أكبر مثل على تقدير كنيدى لاثر أزمة الصواريخ بعد أزمة كوبا الأولى قوله للصحفيين : « ان ضبط النفس لدينا ليس بلا حدود »،

---

(١) Jordan, David, « World Politics in our time », op. cit, p. 154.

(٢) Schwartz, Morton « The motive forces of soviet foreign policy » University of Denver, 1971, p. 11.

(٣) Edmonds, « Soviet Foreign Policy.. », op. cit., p. 4.

(٤) — Schlesinger « A thousand days » op. cit., p. 893.

(٥) — Sorenson : « Kennedy », op. cit., p. 719.

أما بعد أزمة الصواريخ فحين سئل عن هذا التصريح أجاب « آمـل ألا تكون هناك نهاية لضبط النفس لدينا أو الاحساس بالمسئولية (١) ٠٠

وقد أصبح كنيدى فى الشهور الأخيرة من حياته مشـــــغولا هو ومستشاروه فى الشروع فى طريق جديد للأمة الأمريكية ٠ وفى سلسلة من الخطب والأعمال مع بداية يونيو ١٩٦٣ حيث تطلع لأن يفتح طريقا مبشرا بالمستقبل مع استمرار وعيه بالمشكلات القديمة ووصف طبيعة هذا العمل بقوله « اننـا نعيش فى عصر من الاعتماد المتبـادل والاستقلال وكذلك القومية ، واليوم ليست هناك مشكلات ألمانية خالصة أو مشكلات أمريكية أو حتى أوربية خالصة ٠ ان هناك مشكلات عالمية » (٢) ٠

وفى خطابه الذى ألقاه فى الجامعة الأمريكية فى يونيو سنة ١٩٦٣ أطلق كنيدى ما يمكن أن يعتبر الآن أول بيان علنى حول مفهوم الاعتماد المتبادل كما تضمن دعوة للأمريكيين أن يفكروا فى اطار جديد للمناقشة بينهم وبين السوفيت فى ضوء ظروف العصر النووى « انه فى العصر النووى قد أصبح السلام هو الغاية الضرورية العقلية للرجال العقلاء وقد قيل انه من العبث أن نحلم بالسلام حتى يتخذ الاتحاد السوفيتى اتجاها أكثر تنورا وانى آمل أن يفعلوا هذا ولكنى أعتقد أننا نستطيع مساعدتهم » وأضاف عبارة من شأنها أن تقلب كل وجهة النظر الأمريكى فى الحرب الباردة « ولكن أيضا أعتقد أننا يجب أن نعيد النظر فى اتجاهنا كأفراد وكأمة ، لأن اتجاهنا مهم مثل اتجاههم » ، وكما تحدث خروتشوف فى مؤتمر الحزب العشرين عن « عدم حتمية الحرب » مناقضا مفاهيم ثابتة فى الفكر الماركسى اللينينى ، كذلك تحدى كنيدى مفهوم العديد من الامريكيين « الذين ينظرون الى السلام كشىء غير ممكن ويعتبرون ان الحرب أمر لا يمكن تجنبه وحتمى ٠ ونحن فى حاجة لأن نرفض هذا النظر لمشكلاتنا التى هى من صنع الانسان ، ولهذا فمن الممكن أن تحل بواسطة الانسان ٠ غير انه اعتبر أنه ليس صحيحا أن نفترض أن الســـــلام سوف ينهى كل الخلافات والصراعات » فالأمر لا يتطلب أن يحب الانسان جاره وانما يتطلب أن يعيشا معا فى تسامح متبادل « ويعلمنا التاريخ ان العداء بين الأمم لا يدوم الى الأبد » فتيار

---

(١) — Ibid, p. 727.

(٢) Rock, vincent « the strategy of Inter dependence », New York, Cherles scribers, Sons, 1964.

الزمن والأحداث سوف يأتى بتغيرات مدهشة فى العلاقات بين الأمم » ٠ كما اعتبر أن تجربة تاريخية وحربا كريهة تجمع الروس والأمريكان « فليست هناك أمة فى تاريخ المعارك عانت أكثر من الاتحاد السوفيتى خلال الحرب العالمية الثانية » ٠ فاذا ما حدثت الحرب مرة أخرى « فان كل ما بناه الجانبان سوف يدمر فى الأربع والعشرين ساعة الأولى » ومع هذا « فان كلا منا يقع أسير دائرة مفرغة وخطيرة يفرخ فيها الشك على أحد الجانبين شكا على الجانب الآخر وتجلب الأسلحة الجديدة أسلحة مضادة » (١) ٠

وقد لقى خطاب كنيدى هذا استجابة واضحة لدى السوفيت ووصفه خروتشوف « بانه أعظم خطاب لرئيس أمريكى منذ روزفلت » (٢) ٠ وكان بهذا المعنى من العوامل التى هيأت الى الخطوة الأساسية التى اتخذت نحو التفاوض حول معاهدة الحظر الجزئى للتجارب الذرية وتوقيعها ٠

معاهدة الحظر الجزئى للتجارب النووية :

منذ تولى كنيدى الرئاسة كانت من أولى اهتماماته عقد معاهدة لحظر التجارب الذرية كخطوة أولى نحو نزع السلاح ٠ أنه بدأ ينظر الى الأمر من زاوية أوسع حيث اعتبر أنه « فى سباق التسلح المتصاعد فان أمن أى أمة من الأمم يمكن أن يتناقص رغم تسلحها ، كما كان يعتبر أن أمن الولايات المتحدة خلال العقدين التاليين للحرب العالمية الثانية مثالا على ذلك ، فالفشل فى الوصول الى اتفاق حول نزع السلاح فى المفاوضات التى بدأت منذ عام ١٩٥٥ كان من نتيجته ان أطلق الاتحاد السوفيتى صاروخه العابر للقارات وأصبحت الولايات المتحدة فجأة معرضة لسلاح لم يكن ضده دفاع ، وبنفس الطريقة فان عدم موافقة الولايات المتحدة على الموافقة على وقف التجارب الذرية عام ١٩٥٦ — ١٩٥٨ نتج عنه تطوير الروس لرؤوس هيدروجينية لصواريخهم العابرة للقارات ٠ وهكذا زادت امكانية التدمير ضد الولايات المتحدة (٣) ٠

---

(١) — Schlesinger, « A thousand days », op. cit., pp. 901-902.

(٢) — Merli, «Makers of American diplomacy op. cit., p. 644.

(٣) Horwitz, David « From Yalta to Vietnam », pelikan Book, 1969, p. 392.

والواقع أن المفاوضات حول تلك المعاهدة كانت قد بدأت منذ عدة سنوات قبل أن يتولى الرئيس كنيدى وتوقفت هــذه المفاوضات عام ١٩٦٣ وذلك حول عدد مرات التفتيش على الموقع In site Inspection

وفى ٢٤ أبريل سنة ١٩٦٣ قدم السفيران الأمريكى والبريطانى نداء من الرئيس كنيدى ورئيس الوزراء ماكميلان من أجل بذل جهد جديد للوصول الى اتفاق ، وفى مؤتمر صحفى فى ٨ مايو عبر كنيدى عن عدم تفاؤله وعن مخاوفه من بدء جولة جديدة من التجارب وقال « اننا ان لم نتفق هذا العام فاعتقد أن المارد سوف يخرج من القمقم ولن نستطيع اعادته أبدا واننى شخصيا يسيطر على الشعور انه مع عام ١٩٧٠ ان لم تنجح فربما ستكون هناك عشر قوى نووية بدلا من أربع وانى أعتبر هذا أكبر خطر ممكن » (١) .

وفى ٣١ مايو قدم سفراء أمريكا وبريطانيا نداء جديدا الى رئيس الوزراء السوفيتى وبعد هذا النداء بأسبوع وافق خروتشوف على اجراء محادثات على مستوى عال فى موسكو . وقد تضمن خطاب كنيدى فى الجامعة الأمريكية فى ١٠ يونيو الاعلان عن المفاوضات المقبلة وقرر أن الولايات المتحدة لن تجرى تجارب على الفضاء طالما أن دولا أخرى تمتنع عن هذا ، وقد استجاب خروتشوف لذلك حيث أعلن فى خطاب له فى شرق برلين فى ٢ يوليو أنه بينما تفضل حكومته حظرا على كل التجارب فان هذا يبدو الآن غير ممكن نظرا لموقف القوى الغربية ، وكان يقصد بهذا موقفها من التفتيش على الموقع للكشف عن التجارب تحت الأرض ولهذا فان الحكومة السوفيتية مستعدة لتوقيع اتفاق لحظر التجارب النووية فى الجو والفضاء الخارجى وتحت الماء (٢) ..

غير ان الموقف السوفيتى مع استعداده لتوقيع اتفاق الحظر ربط هذا بأن توقع فى الوقت نفسه معاهدة عدم اعتداء بين حلفى وارسو والاطلنطى

وقد افتتح خروتشوف المحادثات فى موسكو يوم ١٥ يوليو (*)

---

(١) Sorenson, « Kennedy » op. cit., p. 738.

(٢) — Mchenry, « Khrushchev and kennedy in retrospect » op. cit., p. 165.

(*) قال خروشوف خلال المحادثات أنه من أجل عدم اضاعة الوقت فانه يجب أن يقول ان الحكومة السوفيتية لن توافق على التفتيش على الموقع حتى مرتين أو ثلاث كما =

ورأس وزير الخارجية جروميكو الجانب السوفيتي بينما رأس افريل هاريمان الجانب الأمريكي . ورغم انه كان متفقا على تجاوز مسألة التجارب تحت الأرض فان جروميكو لم يتخل عن جهوده لعقد معـــاهدة عدم اعتداء بين الحلفين الا يوم ٢٤ يوليو . وفي مساء ٢٥ يوليو وقع بروتوكول حظر التجارب بالأحرف الأولى (١) .

وفي ٣ أغسطس وصل وزير الخارجية الامريكي دين راسك الى موسكو للتوقيع الرســـمي على المعاهدة وكان بهذا أول وزير خارجية أمريكي يزور موســـكو خلال ١٦ عاما وعند التوقيع قال راسك ان حكوماتنا قد اتخـــذت اليوم ما يجب ان تامل فيه البشرية أن يكون الخطوة الاولى على طريق عالم آمن وسلمى » ..

وعقب توقيع المعاهدة بالاحرف الاولى خاطب كنيدي الشـــعب الامريكي بقوله « انى اتحدث اليكم اليوم بروح الامل .. فمنذ تقدم الاسلحة النووية وكل البشرية تناضل للهرب من الاحتمال المظلم للتدمير الشامل على الارض .. وبالامس كسر شعاع من الامل هذا الظلام .. ان المعاهدة ليست نهاية المطاف ولكنها خطوة أولى هامة .. خطوة نحو السلام ونحو العقل وبعيدا عن الحرب .. ان هذه المعاهدة من أجلنا جميعا وعلى وجه أخص من أجل أطفالنا واحفادنا وهؤلاء ليس لهم لوبي (جماعة ضغط) هنا في واشنطون وعلى قول المثل الصيني القديم ان رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة ودعونا نخطو هذه الخطوة » (٢) ..

وفي ٢٩ يوليو سنة ١٩٦٣ عقب خروتشوف على المعاهدة بقوله « اننا نعتبر هذا بداية طيبة . ان الوصول الى اتفاقية لمنع التجارب الذرية انما يظهر أن المشاكل الدولية يمكن أن تحل على أسس مقبولة للطرفين اذا توفرت الرغبة والجهد لدى الدول المعنية واذا توفرت الارادة الطيبة لدى القوى الكبرى .. ان هذه الخطوة سوف تساهم في التخفيف

= اقترح من قبل واعتبر أن التفتيش على الموقع أصبح أسلوبا عنيفا وأنه لا مجال للجدل حوله وعلى هذا فان الاتحاد السوفيتي مستعد لان يتفق على حظر محدود في الجو والفضاء الخارجي وتحت الماء .

(١) Mcshernv, «Khrushchev and kennedy» op. cit., p. 166.

(٢) Sorenson, «Kenedy», op. cit., p. 737.

العام للتوتر الدولى ، ومن ثم الى قيام موقف ملائم لحل المشـــكلات الدولية التى طال انتظارها » (١) ٠

كذلك عقب الرئيس كنيدى فى خطـــابه امام الامم المتحدة فى سبتمبر سنة ١٩٦٣ على الخطوات التى اتخذت نحو التعاون السلمى بقوله « اذا ما فشلت هذه الوقفة فى الحرب الباردة وأدت الى تجدد هذه الحرب وليس الى انهائها فان اتهام ذريتنا ســوف يشير بأصابعه الينا جميعا » ٠

وبوجه عام فان البعض يرى أن معاهدة حظر التجارب قد أدت وظيفة هامة فى ابراز حقيقة ان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة تجمعهما علاقة من الخصومة المحدودة ٠
Limited Adversary relation

وانه فى بعض جوانب مواجهتهما فان أمن كل جانب يتداخل فى أمن الآخر ، وانه من الممكن أن تكون هناك بعض الاجراءات التى يشعر معها البلدان انها تخدم مصالحهما المتبادلة فى البقاء (٢) ٠

وفى الوقت نفسه فانه بالاضافة الى الانجاز الرئيسى بتوقيع معاهدة الحظر وبانشاء الخط الساخن (*) ، كانت تجرى تحركات أخرى تقوى الأمل فى الوفاق بطريقة أو بأخرى (**) مثل الاتفاق على الاســـتطلاع

---

(١) — Dallin, Alaxander, (ed) « Soviet Politics since Stalin », London Prentice Hall, 1968, p. 134.

(٢)

(★) كان الخط الساخن Hot Line الذى أنشىء عقب أزمة الصواريخ = ـ بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والذى يمر عبر هلســـنكى واســـتكهولم ولندن ، ذا اهمية أساسية لمواجهة اللحظات الحرجة فى اتصالات البلدين وكان انشاء مثل هذا الخط تجرى مناقشته منذ شهور كنيدى الاولى فى السلطة وبدت أهميته القصوى خلال الأزمة الكوبية حيث كان الآمر يتطلب عدة ساعات لتصل رسائل كنيدى وخروشوف بما فيها رقت الترجمة وحل الشفرة والتقديم الدبلوماسى العادى ٠

(★★) على الرغم من أن اقتراح الاتحاد السوفيتى بعقد معاهدة بين حلفى وارسو والأطلنطى قد اســتبعدت فى محادثات معاهدة حظر التجارب فان الاتفاق على المعاهدة قد شجع خروتشوف أن يثير الاقتراح من جديد مع وزير الخارجية الأمريكى حين سافر الى موسكو لتوقيع المعاهدة وشرح له خروتشوف وجهة نظره من أن معاهدة عدم الاعتداء هى مثل المياه المعدنية لا تتضمن مكاسب أو خسائر وان كانت ذات تأثير منعش ومقو فى حد ذاته وأجاب دين راسك أن مثل هذه المعاهدة يجب أن تتحقق فى نهاية الطريق وليس فى بدايته ٠

راجع : Schlesinger, «A Thousand days» op. cit., p. 918.

الجوى المتبادل من أقمار الفضاء ٠٠ كذلك أبدى السوفيت تفهما أكبر حين عدل جروميكو فى الأمم المتحدة من البرنامج السوفيتى الاول لنزع السلاح العام الشامل واقترح بدلا منه ان تحتفظ أمريكا وروسيا بعدد محدود من الصواريخ والرؤوس على أراضيها حتى نهاية مرحلة نزع السلاح ٠ ومن ناحية أخرى تمت صفقة القمح الأمريكى للاتحاد السوفيتى واعتبرت « خطوة مبشرة أخرى بأن عالما آكثر سلاما هو أمر ممكن ومفيد لنا جميعا » (*) ٠

وفى نفس الشهر وفى الامم المتحدة وبحماس وتأييد من القوتين اتخذ قرار يدعو كل الدول الى الامتناع عن أن تضع فى محيط الأرض أى أشياء تحمل أسلحة نووية أو أى أنواع اخرى من الأسلحة ذات التدمير الشامل ٠

وكما قدر بحق يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة والذى عاصر من خـــلال المنظمة الدولية وتابع أحداث الأزمة منذ تأزمها حتى انفراجها فان أزمة الصواريخ الكوبية وتجاوزها انما كانت ايذانا بفجر الوفاق وفى هذا كان الخطاب المشترك الذى وجهه اليه كل من ادلاى ستيفنسون ممثل الولايات المتحدة فى المنظمة الدولية وفاسيلى كوزنتسوف نائب

(★) فى ٩ أكتوبر ١٩٦٣ أعلن الرئيس كنيدى أنه وافق على بيع ما قيمته ٢٥٠ مليون دولار قمح الى الاتحاد السوفيتى وأن هذا سيتم من خلال القنوات التجارية الخاصة وبالسعر العالمى سواء بالدفع الفورى أو القروض القصيرة الأجل وأن هذه الصفقة ستكون فقط لاستعمال الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا وهكذا استبعد كنيدى امكانية بيعها لكوبا والصين الشيوعية ٠

وقال مدافعا عن الصفقة « انها لن تقلل من قدرتنا على التصدير للدول الأجنبية أو تحد من مخزوننا الى درجة خطيرة أو الى مستوى غير مرغوب فيه وســوف تشـــجع المزارعين الأمريكيين والاقتصاد الأمريكى أن يشترك فى المكاسب التى تجنيها أقطار أخرى منذ عدة سنوات من مبيعات القمح والدقيق والسلع الزراعية الاخرى للكتلة الشيوعية ، ففى الأسابيع الأخيرة وافقت استراليا ودول الناتو على أن تبيع ما بين ١٠ ــ ١٥ مليون طن قمح الى دول هذه الكتلة بما فيها مئات آلاف من الأطنان من دقيق القمح الذى قد يكون جزء منه من القمح الذى صدرناه الى المانيا الغربية ٠ اننا سنكون حمقى بالتأكيد لو منعنا بيع قمحنا لكى تشتريه دول أخرى منا ثم تبيعه دقيقا الى الشيوعيين » ٠ وقد وصل بالفعل يوم ٢١ اكتوبر وفد سوفيتى الى واشنطون للتفاوض حول صفقة القمح الأمريكى وفى ٨ نوفمبر أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن « تفاهما حول هذه المسألة قد تم الوصول اليه مع الوفد السوفيتى » ٠

Kissing's... 1963, p. 19733.

وزير الخارجية السوفيتى فى ٧ يناير ١٩٦٣ · دليلا على ذلك · وقد تضمن الخطاب المشترك قول ممثلى الدولتين بعد شكر يوثانت على جهوده ومساعدة حكومتيهما فى انهاء الأزمة « ·· رغم انه لم يكن من الممكن لحكومتنا حل جميع المشكلات التى ثارت ارتباطا بهذه الأزمة الا أنهما مقتنعتان أنه بالنظر الى درجة التفاهم التى تم التوصل اليها بينهما فى تسوية الأزمة ومدى التقدم فى تنفيذ هذا التفاهم فانه لم يعد من الضرورى أن يشغل موضوعها اهتمام مجلس الأمن ·· »

ويستطرد الخطاب معربا عما يمكن أن تفتحه تسوية الأزمة من تعاون أشمل بين القوتين « ان حكومتى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يعبران عن الأمل بأن الأعمال التى اتخذت لتفادى التهديد بالحرب فى هذه الأزمة سوف تؤدى نحو تسوية خلافات أخرى بينهما وتحقيق مزيد من خفض التوترات التى قد تصيب المدنية من التهديد بالحرب » (١) ··

غير أنه رغم هذا التطور وهذه الاجراءات الايجابية ، فانها لم تحقق وفاقا حقيقيا ، ذلك انه فى النهاية فان الفجوة الفلسفية التى تفصل القوتين ، كنظامين اجتماعيين متناقضين ويمثلان أهدافا أيديولوجية متعارضة ، ظلت واقعا لا يمكن عبوره بمجرد اتفاقات فنية كتلك التى تم التوصل اليها · فالصورة التى رسمتها هذه الاتفاقيات هى صورة صالحة فقط ولدرجة معينة ، وانها وان كانت قد عكست قلقا مشتركا الا أنها لم تعكس قيما مشتركة · فقد ظل النظام السوفيتى على قيمه فى الأخذبعقيدة واحدة تدعى أنها معصومة من الخطأ وتتبنى تحليلا واحدا للتاريخ وتأخذ بنظام الحزب الواحد · وقد عبر عن ذلك خروتشوف ، وخاصة فى عام ١٩٦٣ ، وهو العام الذى شهد هذا التطور وبالذات وهو فى قمة الاشتراك فى هذه الجهود نحو الوفاق بقوله ان الهدوء فى الخارج لا يعنى عدم الانضباط فى الداخل وأكد للمثقفين السوفيت أنه ، « ضد التعايش السلمى فى المجال الايديلوجى » وهو بهذا كان يريد أن يبين انه ايا كانت ـ ظروف الوفاق فان الجدل الأيديلوجى بين النظامين يجب أن يستمر بل ويتزايد فى ظل ظروف الوفاق » وأن أى فرد يؤيد فكرة التعايش السلمى فى الأيديلوجية هو انما ينتقل موضوعيا الى موقع العداء للشيوعية » · أما كنيدى فرغم

---

(١) U Thant «View from the UN. The MeMoirs of u Thant». Daubleday and Comp. Garden city, New York, 1978, pp. 193-194.

أنه دعا الى تجربة « كل طريق للسلام » فانه قد حذر من الاسراف فى الآمال والأوهام « ان خروتشوف نفسه قد قال انه ليس هناك تعايش فى مجال الايديولوجية ٠٠ ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى سيظل لهما مفاهيمهما المختلفة تماما عن العالم وحريته ومستقبله وطالما استمرت هذه الخلافات الاساسية والمفاهيم فان ثمة حدودا لامكانيات الاتفاق » (١) ٠

على أن ما يمكن قوله بثقة أن المحصلة النهائية لهذه المرحلة هو تبلور ووضوح الادراك لوضع تتمتع فيه كلتا القوتين بالردع المتبادل وأن كلا من الجانبين لا يستطيع فرض ارادته على الآخر ، وانه قد نشأ عن هذا مرحلة من السكون والتوقف أو هدنة غير مصدق عليها ٠ وقد خلق هذا الموقف بالتالى سياسة مشتركة لمرحلة جديدة حرجة ودقيقة وهى الحرص على توازن القوى النووية الذى يقيم بدوره ، أو بمعنى أدق يفرض ، هدنة فى الحرب الباردة ٠ على أن هذا الموقف – فى مضامينه الأوسع – ونتيجة لطبيعته المحدودة وذات الطابع التجريبى ، لم يكن يعنى أن الصراعات الرئيسية للحرب الباردة قد حلت أو أن الطريق قد مهد وأعد لأى تقدم درامى نحو هذا الحل ، ولكن ما كان يشير اليه هذا الوضع حقا هو أن هذه الصراعات قد دخلت مرحلة جديدة وان كانت أقل خطورة ٠

وهذه المرحلة الحرجة التى بلغتها علاقات القوتين وتجعلنا نتمعن فى طبيعتها والقوى التى حددتها ٠ والواقع أنه اذا ما اريد استعمال عبارة تعبر عن الوصف الدقيق لوضع علاقات القوتين كما وصلت اليه فى منتصف الستينات فان هذه العبارة هى Stalmate ، فالولايات المتحدة لم تكسب ولم تخسر وهو نفس ما يمكن أن يقال عن الاتحاد السوفيتى ، فقد كسبت أمريكا القليل كما خسرت القليل وكذلك السوفيت ٠ فاذا ما سألنا عن السبب فى هذا الوضع لوجدنا أن هذا يرجع الى أن المشكلة الأساسية لعصرنا الآن لم تعد هى الحرب الباردة ولكن ثورة التكنولوجيا العسكرية والتى جعلت الممارسات التقليدية

---

(٢) Schlesinger, « A thousand days » op. cit., p .920.

للسياسات الدولية خاضعة للقوى التى خلقتها الأسلحة النووية وجعلت القوتين تعيشان فى ظل ما أسماه تشرشـــل بتوازن الرعب النووى والمأزق الذى أصبحت تمثله العلاقة بين القوة والسياسـه الخارجية فى العصر النووى فى ظل هـذا التوازن هو أن أية قوة نووية لا تستطيع أن تجازف بالحرب مع قوة نووية أخرى (١) .

---

(١) Rakove, « Arms and Foreign policy in the nuclear age », op. cit., p. 142-143.

الباب الثانى

رحيل كنيدى وتولى قيادة جديدة
فى الاتحاد السوفيتى

في أكتوبر عام ١٩٦٣ غاب الرئيس جون كنيدى عن مسرح الأحداث فى بلاده والعالم · وأحدث موته المفاجىء والمبكر صدمة لدى الرأى العام العالمى ولم تكن هذه الصدمة فى الاتحاد السوفيتى بأقل منها فى أى مكان فى العالم · وقد تلقى كنيدى من الكتاب والمعلقين السوفيت تقديرا أكثر مما تلقاه رئيس أمريكى منذ عهد روزفلت « فقد أثبت جون كنيدى خلال فترة قصيرة من الزمن أنه رجل دولة من طراز عظيم ·· وكان كنيدى يمتلك أفقا سياسيا واسعا وقدرة على تقدير الحقائق الواقعة ، وقد ظهر هذا فى المقام الأول فى تقديره للقوة التدميرية للأسلحة النووية والنتائج المحتملة للحرب الجديدة » ومن الواضح ان هذه التحية كانت أساسا نتيجة لسلوك كنيدى خلال أزمة الصواريخ ، الا أن هذا لم يمنع من التنبيه الى القوى الأخرى المؤثرة فى السياسة الخارجية الأمريكية « ان السياسة الخارجية لكنيدى لا نستطيع أن نصفها بأنها معادية للشيوعية أو أنها واقعية فكلا الاتجاهين متداخلان وفى نفس الوقت تقريبا ، وهذا يرجع الى أن السياسة الخارجية الأمريكية كانت متأثرة بالفترة الضحلة لركود الحرب الباردة ومعاداة الشيوعية فى الوقت الذى كان واضحا فيه ضرورة تغيير مجرى السياسة الخارجية ·· أما الاتجاه الواقعى فقد بدأ أخيرا يأخذ مكانا محترما ومتزايدا فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة · وبدت هذه الواقعية بشكل كامل فى فترة تصفية الأزمة الكوبية وان كان هذا لا يعنى على الاطلاق ان معاداة الشيوعية قد ألقى بها فى سلة المهملات » (١) ·

---

(١) Kulskiv, « The Soviet union in World Affairs 1964-72 » Syracuse University Press, 1973, p. 88.

كما انه « في خطبه ورسائله كان دائما يترك الباب مفتوحا للمفاوضات حول المشكلات الدولية المتنازع عليها ، وكان هذا واضحا على وجه أخص فى خطبته فى الجامعة الأمريكية بواشنطون في ١٠ يوليو سنة ١٩٦٣ ، فقد دعا الى وقف الحرب الباردة والسعى نحو طرق لنزع السلاح وكان كنيدى يقنع الناس أنه من الضرورى اعادة النظر فى حالة العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وان كلا البلدين يحمل عبئا ثقيلا فى النفقات العسكرية وسوف يكونان الأهداف الأولى والرئيسية لحرب نووية مدمرة ، وقد اعترف كنيدى أن وجهات النظر المختلفة القائمة يمكن ويجب أن تحل بالوسائل السلمية وبالتعايش السلمى » ثم قوم الكاتب السوفيتى فى النهاية عهد كنيدى بأن « سياسة ادارة كنيدى تمثل نوعا من التوازن بين قوتين سياسيتين متعارضتين كما كانت واقعة تحت ضغط قوى من كلا الاتجاهين ومن هنا ــ كما بدا فى مشروعه حول القوة النووية المتعددة الأطراف للناتو .. NATO Multilateral Nuclear Force. بدت سياسته فى بعض الأحيان مهتزة ومتذبذبة » (١) .

كذلك تحدث عنه خروتشوف بتقدير كبير « انى أذكر دائما الرئيس الراحل باحترام عميق لأنه ــ فى التحليل الأخير ــ أظهر رحابة فى التفكير وصمم على تفادى الحرب ولم يدع نفسه فريسة الخوف كما لم يصبح شريرا ولم يبالغ فى قوة أمريكا وأتاح لنفسه الخروج من الأزمة وأظهر حكمة حقيقية وبدا كرجل دولة حين أدار ظهره للقوى اليمينية فى الولايات المتحدة التى حاولت أن تدفعه الى اتخاذ اجراء حربى ضد كوبا ... » (٢) كما عبر خروتشوف عن حزنه لوفاته « ان موته كان خسارة كبيرة فبغض النظر عن شبابه كان رجل دولة حقيقيا ، وأعتقد أنه اذا كان كنيدى قد عاش فان العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا كانت ستكون أفضل بكثير مما هى الآن (٣) .

ويمكننا أن ننظر فى رأى خروتشوف هذا بشىء من الثقة ، ذلك أنه فى أخريات أيام كنيدى بات من الواضح أن قضية السلام واهتمامه بترتيب العلاقات السوفيتية الأمريكية كان يطفو ويتزايد فى خطبه وبياناته ، ففى نهاية عام ١٩٦٣ وفى جولة فى الغرب الأمريكى اجتذب كنيدى استجابة

(١) — Ibid.

(٢) — « Khrushchev Remembers, » op. cit., p. 500.

(٣) — Ibid, p. 505.

كبيرة حين تحدث عن جهوده لانهاء الحرب الباردة وحين تحدث عن رغبته فى تقليل فرص المواجهة العسكرية بين هاتين القوتين النوويتين اللتين تمتلكان القدرة معا على قتل ٣٠٠ مليون انسان فى يوم واحد ٠٠ » كما عبر عن أمله فى أن يقوم عالم فى المستقبل « يكون فيه مجال للتنوع فى النظم الاقتصادية والعقائد السياسية والديانات يوحده احترام للآخرين وألولاء للنظام العالمى » (١) ٠

والواقع ان كنيدي قد اثبت بهذه الكلمات أنه قد تعرض واختبر خلال الألف يوم التى قضاها فى الحكم لتغيرات رئيسية فى النظرة ، خاصة اذا راعينا أنه قد تولى الرئاسة مؤمنا بشكل أساسى فى عالم ذى بعدين تتمكن فيه القوة الأمريكية الساحقة والاستعداد لاستخدامها من حل كل المشكلات ، ولكن من الواضح أن خبرة الحكم قد علمته أن الأمور الدولية ليست أمرا بسيطا ، أو انه يمكن التأثير فيها بسهولة وأن العالم الذى تحدى فيه رجال العصابات فى غابات الهند الصينية بنجاح سلطة وتكنولوجيا أعظم أمة على الأرض وحيث يمكن للقوة المنافسة أن تخاطر بحرب نووية بوضع صواريخ على عتبات الولايات المتحدة ، هذا العالم اقتحم عالم كنيدى القديم وعلمه أن هناك بعدا ثالثا للشئون الدولية ٠

وهكذا كانت مأساة كنيدى في الواقع هي انه لم تتح له الفرصة لكى يضع خبرته التى تعلمها بصعوبة موضع التنفيذ (٢) ٠

وسوف يخلف كنيدى نائبه فى الرئاسة ليندون جونسون الذى سينتخب لفترة رئاسة جديدة تنتهى عام ١٩٦٩ ، ويحدث خلال ذلك وعقب وفاة جون كنيدى بعام واحد تغير فى القيادة السوفيتية بسقوط خروتشوف وتولى قيادة سوفيتية جديدة بزعامة مشتركة بين كل من ليونيد برجينيف والكسى كوسيجن وبودجورنى ٠ وخلال هذه المرحلة من حكم جونسون فى الولايات المتحدة والقيادة السوفيتية الجديدة فى الاتحاد السوفيتى ستشهد علاقات القوتين عددا من التجارب الصعبة سيكون من أبرزها تصعيد الولايات المتحدة للحرب في فيتنام وعمق تورطها فيها والتدخل العسكرى السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا ومع نهاية حكم جونسون تقريبا فى الولايات المتحدة

(١) — Merli, « Makers of American diplomacy » op. cit., p. 646.

(٢) Ibid, p. 647.

سيكون الاتحاد السوفيتي قد حقق لنفسه بالفعل مكانه Superpower (*) وذلك بالمعنى العسكرى والاستراتيجي نتيجة تركيز القيادة الجديدة فيه على تطوير وتدعيم قدراتها النووية الاستراتيجية وهو الوضع الذى سيتيح أن يبدأ أول تفكير واتصال عملي حول اجراء محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية التى ستدور حول أدق وأعقد جوانب العلاقة بين القوتين .
كما سيكون من أبرز ما ستشهده حقبة الستينات هو انتهاء المنطق الذى ساد حتى بدايات الحقبة وهو المنطق الذى تتحكم فيه القوتان وبروز منطق آخر تتعدد فيه الأقطاب والقوى سياسيا وان كان سيظل الى حد كبير ثنائيا بالمعنى العسكرى والاستراتيجى .

(*) كان اول من استخدام عبارة Superpower هو الكاتب William Fox وحدد معناها بانها « القوة العظمى التى يمكن ان تحرك قواها على اى مسرح استراتيجى . وهو الوضع الذى يميزها عن قوة كبرى أخرى تنحصر مصالحها ونفوذها فى مسرح منطقة واحدة » .

Edmonds, « Soviet Foreign Policy », op. cit., p. 5.

المبحث الأول

القيادة السوفيتية الجديدة وخصائصها

مع خريف عام ١٩٦٤ كانت شعوب العالم قد بدأت تشعر أن ضغوط الحرب الباردة أخذت تخف وأن القوتين تسيران نحو ايجاد حلول معقولة وسلمية للمشكلات التى تختلف عليها وأن النظام السوفيتى بدأ يخفف من ضغطه فى الداخل وتشدده فى الخارج . وسواء كان هذا خطأ أم صوابا فان هذه التطورات قد ارتبطت فى أذهان الناس بحكم خروتشوف .

غير أنه فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٤ أعلن فجـأة أن خروتشوف قد اعتزل وأسندت مناصبه العليا لرجال يعلم العالم عنهم كثيرا : ليونيد برجينيف أصبح سكرتيرا أول للحزب والذى كان دائما لصيقا بالزعيم الذى سقط ، والكسى كوسيجن الذى عمل فى أعلى مناصب الدولة لمدة عشرين عاما أصبح رئيسا للوزراء (١) .

والواقع ان عهد خروتشوف وخاصة السنوات ٥٥ ـ ١٩٦٠ قد مثل ما يمكن اعتباره بدون أدنى شك أكثر الظروف ملاءمة منـذ العشرينات لتحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وللتلطيف من الوضع الذى كان يعتبر فى ذلك الوقت أنه يتطور لكى يصـبح منافسة خطيرة ومكلفة وغير مقبولة بشـكل عام فى تطور القوى المسـلحة ونظم التسليح . وقد يكون لخروتشوف فى نظر القوة الخصم لبلاده سقطاته مثل مباهاته الدائمـة بقوة روسـيا وعنفه من وقت لآخر وانشغاله بالمكانة السوفيتية وجهده لتأكيدها الا أنه كان انسانيا بشكل كبير حتى فى علاقته تلك مع خصمه الايديلوجى (٢) .

(١) — Qon Ouest, Robert, « Russia After Stalin » Prager, 1963. p. 3.

(٢) — Kennan, George « The U.S. and the Soviet Union, 1917-1976 » Foreign Affairs, July 1976, 8884.

ولئن كان ستالين هو الذى حول الاتحاد السوفيتى الى قوة عظمى ، فانه قد تحول فى عهد خروتشوف الى قوة عالمية Global Power تتحدى الولايات المتحدة وتؤكد حقها فى التأثير فى التطورات فى أى جزء من العالم · وفى هذا اتجه خروتشوف الى كسر القوقعة الأيديولوجية التى احتوت الدبلوماسية السوفيتية وشرع فى استراتيجية عالمية · (١) غير أنه يجب ملاحظة أنه اذا كان خروتشوف قد نجح فى تحويل الاتحاد السوفيتى الى قوة عالمية فقد فعل هذا على حساب اضعاف السيطرة السوفيتية على مجالها الخاص معاديا أقوى حليف للاتحاد السوفيتى وهو الصين ، كما بالغ فى توريط القوة السوفيتية وزيادة أخطار الحرب النووية باختباره المستمر لنقاط الضعف فى جبهة الغرب لاجبار الولايات المتحدة على تسوية المشكلات الرئيسية وفقا للشروط السوفيتية وكانت هذه بالتحديد هى الاتجاهات والعلاقات التى ورثها القادة السوفيت الجدد حين عزلوا خروتشوف (٢) ·

على أنه من الواضح أن موقف خروتشوف حول العلاقات السوفيتية ، وبشكل خاص بعد مواجهة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ ، كان هو سياسة عش ودع غيرك يعيش وكان يلخصها فى الأغلب بقوله : ان التاريخ قد فرض على شعبينا مسئولية كبرى من أجل مصير العالم ·· ان مصالحنا لا تصطدم بشكل مباشر فى أى مكان لا اقليميا ولا اقتصاديا (*) ·· »

والواقع أن سياسة خروتشوف تلك قد ساعدها أن كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كان مستعدا فيما عدا المشكلة

---

(١) — Dlalin, Alexander, (ed.) « Soviet Politics since Stalin », London,

(٢) — Ibid, p. 135.

(★) أكد هذا المعنى كتاب صدر فى موسكو عن معهد العلاقات الدولية الاقتصادية التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية بعنوان « القوى الموجهة للسياسة الخارجية فى الولايات المتحدة » ، تضمن هذا الكتاب ثناء على « الرجال العقلاء » الذى حددهم بجونسون وكنيدى وايزنهاور وكان هذا يعنى بالنسبة للأخير انه قد غفرت له حادثة طائرة التجسس « كما تحدث الكتاب عن «رابطة المصالح الوطنية» التى تقوم بين القوتين الكبيرتين وذهب الى أبعد مما ذهب اليه خروتشوف حيث « انه فى الوقت الحاضر ليس هناك خلافات أو صراعات اقليمية أو اقتصادية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فمصالحها الوطنية لا تتصادم عالميا أو اقليميا · »

Weeks, Albert, « The other side of coexistence, an analysis of Russian Foreign Policy » Publishing Corporation, New York, 1970, p. 214-216.

الألمانية لقبول الوضع الراهن فى أوربا سياسيا واقليميا ، فلا الولايات المتحدة ولا الاتحاد السوفيتى كان له مطلب مباشر تجاه الآخر يعيق التوافق وكانت العقبات الرئيسية تنبع من الخلافات الأيديولوجية والميل الموروث لدى القوتين للنظر الى كل منهما بالشك باعتبارهما خصمين طبيعيين • ومع هذا فانه اذا كانت الصفوة الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى مازالت تعتبر الولايات المتحدة هى زعيمة التحالف الايديولوجى والعسكرى المعادى والقوة العالمية الخصم فى الشئون الدولية فان هذه الأمور انما تخضع للمساومة وامكانيات التوافق • وقد جاءت معاهدة حظر التجارب النووية لكى تصور الاتحاد السوفيتى لا كقوة ثورية عالمية وانما كدولة ناضجة أشبعت أهدافها القومية الى حد بعيد وصحب هذا أو بسبب هذا تآكل فى أهدافها الأيولوجية ، وهكذا أعتبر ان توقيع الاتحاد السوفيتى على المعاهدة انما يعكس رضاء موسكو النسبى عن وضعها كالقوة الثانية لنقوتين العالميتين •

ومن هنا كان اعتقاد خروشوف أنه ليست ثمة مشكلة فى العلاقات الدولية يمكن أن تقاوم فرض حل سوفيتى أمريكى ، وأن مثل هذه السيطرة المشتركة سوف تضمن عدم التدخل الأمريكى فى مناطق حيوية للاتحاد السوفيتى وعدم التدخل السوفيتى فى المناطق الحيوية الأمريكية (١) •

كانت هذه المفاهيم تأخذ طريقها ولكن وسط ظروف داخلية فى الاتحاد السوفيتى ووسط ترقب ونقاش داخل المؤسسات العسكرية والاقتصادية والزراعيه والحزبية وبين المثقفين لخطوط سياسات خروشوف فى الداخل والخارج • على انه أيا كانت العوامل الداخلية التى تضافرت على اسقاط خروشوف (٢) فان ما يعنينا من هذه العوامل ذات التأثير على امكانيات الاتحاد السوفيتى العسكرية والاستراتيجية وارتباطها بأمنه القومى ثم بعلاقة ذلك بالقوة الأخرى المنافسة ، هى تلك المناقشات التى جرت فى الشهور الأخيرة من عهد خروشوف حين اختلف مع عدد من زملائه المتشددين وخاصة مع بعض الماريشالات والجنرالات •• فى هذا الشأن كان خروشوف يعتقد أن القوة العسكرية السوفيتية « هى فى الوقت الحالى على مستوى مرض » وقد ظهرت مضامين هذا الاتجاه فى

---

(١) Dallin, « Soviet Politics since stalin, » op. cit., p. 141.

(٢) Deutcher, « Russia, China, and West », Apelican Book, 1969, pp. 293, 294.

المؤتمر الذي دعا اليه خروشوف في سبتمبر ١٩٦٤ للسكرتيرين الأول للحزب في الأقاليم متخطيا بذلك زملاءه في رئاسة الحزب ولجنته المركزية وقد لخص جوهر هذا الاجتماع ، الذى كان خروشوف هو المتحدث الرئيسى فيه ، تقرير نشر بعد ذلك بعدة أيام في الصحافة السوفيتية وكانت أهم فقراته أنه « فى فترة خطط السنوات الخمس وفى فترة ما بعد الحرب كان تركيزنا الأساسى على تطور الصناعة الثقيلة كأساس للتطور وعلى تدعيم قدراتنا الدفاعية ، والآن وقد أصبحت لدينا صناعة قوية وحين بلغ دفاعنا مستوى مرض فان الحزب يجب أن يضع هدفا أكثر سرعة فى التقدم لفروع الصناعة التى تتيح سلعا استهلاكية » (١) ٠

وكان هذا الرأى يتعارض بوضوح مع رأى العسكريين الذين كانوا قد أصبحوا قوة أكبر مما كان خروشوف يتوقع ، وقد ظهرت آراؤهم فى مقالات « النجم الأحمر » مجلة وزارة الدفاع السوفيتية « والفكر العسكرى » كما انعكست بوضوح فى كتاب سكولوفسكى « الاستراتيجية العسكرية » الذى ظهر عام ١٩٦٢ وأعيد طبعه عام ١٩٦٣ ٠ وقد ركز الكتاب على نقطتين توضحان أن الحروب المحليــة المحدودة لا تتضمن بالضرورة امكانية تحولها الى حرب شاملة أو أن تستعمل فيها الأسلحة الاستراتيجية ، فمن الممكن أن تدار حرب محليــة بالأســلحة التقليدية وحدها ، وقد عادت أفكار سوكولفسكى تتجــدد من جديد فى صيف عام ١٩٦٤ وتضمنت : ـ

١ ـ ان القوات السوفيتية المسلحة ليست على مستوى مرض ٠

٢ ـ ان الاتحــاد السوفيتى يجب أن يطــور استراتيجية عصرية للاستجابة المرنة Up-to-date flexible strategy. والتى ســتتطلب نفقات واسعة فى كل فروع القوات المسلحة بما فيها الأسطول ٠

٣ ـ ان حروب التحرير الوطنى لا تدخل بالتأكيــد فى مفهــوم التعايش السلمى ٠

٤ ـ ان الحروب المحلية لا تستلزم بالضرورة أن تتحول الى حرب شاملة (*) ٠

---

(١) Weeks, « The other side of co-existence » op. cit., p. 175.

(*) انعكس مفهوم خروشوف للحرب المحدودة وامكان اتساعها الى حرب شاملة على ثلاث مواقف كان الأول فى فيتنام حيث أظهر الاتحاد السوفيتى فى عهد خروشوف =

على ان البيانات التى صدرت عن القيادة الجديدة بعد خروشوف لم توحي باحتمال تسوىء العلاقات مع الولايات المتحدة ، وكان من الواضح ان القيادة الجديدة لم تتخل عن مبدأ التعايش السلمى مع الولايات المتحدة كما لم يبد أنها تفكر فى مجالات توتر جديدة أو حروب محلية أخرى على غرار كوريا ، على العكس ، فقد كان من الملفت للنظر أن يكون أول تحرك من جانب القيادة السوفيتية الجديدة هو التأكيد العلنى والمتعمد للولايات المتحدة للالتزام السوفيتى المستمر بالتعايش السلمى ، والتحسين المستمر للعلاقات مع الولايات المتحدة » (١) ٠

وفى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٦٤ وزعت رسائل بشكل واسع على عدد من العواصم الأوربية من خلال السفارات السوفيتية فى هذه البلدان بما فيها واشنطون وكان جوهر هذه الرسائل أن الاتحاد السوفيتى سوف يواصل سياسة التعايش السلمى وجهوده من أجل تخفيف التوتر (٢) ٠

ومع هذا فانه من الممكن أن نتبين عددا من الاختلافات بين كل من القيادتين وهى اختلافات يتعلق بعضها بمضمون أو بمعنى أدق بدرجات التركيز ويتعلق بعضها بالأسلوب وطابع السياسة ٠ فمن مواطن الخلاف الحقيقية بين قيادة خروشوف وتلك التى خلفته هى الاستراتيجية العسكرية ، وقد لمسنا كيف كان خروشوف يعتقد فى أخريات أيامه أن

= ترددا واضحا فى أن يزج به فى حرب محلية فى شرق آسيا ، كما انعكس هذا أيضا وخاصة فى أواخر عهده على موقفه من المشكلة الألمانية حيث بدا واضحا استعداده لأن يتخذ خطوات جذرية مى ربيع عم ١٩٤٦ حيث كان الوفاق الأمريكي السوفيتى فى مده الواسع وحيث اقترح المستشار الالمانى ايرهارد أن يجتمع بخروشوف اجتماعا ثنائيا وبدا خروشوف مستعدا لمثل هذا الاجتماع ٠ أما المظهر الثالث لحذر خروشوف فيما يتعلق بالنزاعات المحلية فقد ظهر فى عدم استجابته لمطالب كوريا الشمالية لمزيد من المساعدة وخاصة فى التسليح ، وكان فى رأي موسكو أن النظام فى بيونج يانج له من العناصر المشتركة مع هوشى منه فى فيتنام وانه بالاضافة الى صورة عبادة الفرد التى طورها كيم ايل سونج عن نفسه فانه يمكن أن يندفع الى محاولة توحيد كوريا بالقوة الأمر الذى لا يوافق عليه الاتحاد السوفيتى ٠ وكان نتيجة هذا الموقف وخاصة بعد زيارة وفد عسكرى كورى فى نوفمبر سنة ١٩٦٢ ورفض موسكو لطلباته أن تحركت بيونج يانج الى علاقات أوثق مع بكين ، ومع عام ١٩٦٤ كانت صحافتها تتحدث عن الامبريالية الأمريكية والتحريفية السوفيتية كما تتحدث تماما جريدة الشعب الصينية فى بكين ٠
(ibid, pp. 182-183).

(١) Lerche, charles, « The Gold war and After », Prentice Hall, N. Y. 1965, p. 136.

(٢) Weeks, « The other side of Coexistence » op. cit., p. 207.

القوة العسكرية السوفيتية قد وصلت الى المستوى المعقول الذى يمكنها من ردع الولايات المتحدة واثنائها عن الدخول فى مواجهة مع الاتحاد السوفيتى ، وانه استخلص من هذا ضرورة اعادة توجيه الموارد وتوجيه اهتمام أكبر للسلع وفروع الصناعات الخفيفة والاستهلاكية ، ويلاحظ البعض (١) أنه اذا كانت هذه النقطة هى الحاسمة فى اسقاط مالينكوف حين دعا الى نفس هذا الخط فى السياسة وتفضيل مجموعة الصناعات الخفيفة (ب) على المجموعة الاولى (أ) للصناعات الثقيلة ، كذلك فان الخلاف حول الاستراتيجية والبناء العسكرى وخاصة بعد تجربة الصواريخ الكوبية كان حاسما في اسقاط خروشوف (*) •

وقد تزعم هذا الاتجاه فى مواجهة موقف خروشوف فى أيامه الأخيرة كما ذكرنا مجموعة من الماريشالات والجنرالات السوفيت مثل شيمنكو • .

---

(١) (ibid, p. 217).

(★) تتعدد الآراء كذلك حوء هذا الاتجاه فيؤيده البعض ويعتبر أن الأزمة الكوبية التى انتهت بانسحاب السوفيت كانت هى التى أدت الى التخلص من خروشوف الذى تسبب فى هذا الجهد المجهض ، وكذلك لمواجهة الوقائع المهينة للموقف السوفيتى ، وأن القادة السوفيت الآخرين قد أدركوا أنه اذا كان الاتحاد السوفيتى يريد أن يقف كقوة أعظم فان عليه اللحاق بأمريكا فى القوة النووية ، وأن يوسع كذلك من قاعدته الصناعية ويدفع اقتصاده الى مستوى جديد من الكفاءة •

Hall, George, « Diplomacy for a Crowded world, An American foreign policy », little Brown and comp. Boston, 1976, p. 90.

= غير ان ثمة رأيا آخر يعتقد أن عملية بناء القدرات الاستراتيجية السوفيتية التى ستبلغها بعد أزمة الصواريخ ومع نهاية الستينات قد بدأت لاخلال خروشوف فحسب وانما منذ عهد ستالين حين وضع الأسس الاولى لقوة روسيا الذرية وانتاجه للقنبلتين الذرية والهيدروجينية وبدأ المنافسة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة ، وان استعراض الاجراءات السوفيتية فى بناء قواتها الاستراتيجية خلال الفترة التى سبقت أزمة كوبا توحى ان المنافسة الاستراتيجية الحادة مع الولايات المتحدة كانت شيئا أكبر من أن يكون نتاج أزمة كوبا فقط ، وانها وان كانت حقا تجربة هامة عملت كمفاعل لتصميم السوفيت على اللحاق استراتيجيا بالولايات المتحدة ، « ان ما حدث لن يتكرر أبدا » الا أنها لم تكن بداية عملية المنافسة ، كما أنها لهذا السبب لم تضع الشروط للمنافسة فى الستينات اما ما كان له وقع أكثر على حجم وتكوين البناء الاستراتيجى السوفيتى فهو اغلاق الاتحاد السوفيتى لما يسمى فجوة الصواريخ وهى عملية كانت تجرى بوضوح قبل أزمة كوبا •

London, Kurt (ed.), «The Soviet Impact on World Politics» Haint Home Books, New York, 1974, pp. 243-244.

وكان رأيه يعتمد على أن الصواريخ العابرة للقارات ربما كانت بالغة الأهمية الا ان القوى الارضية والجوية والبحرية والعمليات المشتركة لكل أنواع القوات لا تقل أهمية فى تحقيق النصر الكامل فى الحرب الحديثة ، وعلى هذا اعتبر شيمنكو أن ما تحتاجه القوات المسلحة السوفيتية الآن هو مؤسسة عسكرية عريضة القاعدة بأكثر مما لدى الاتحاد السوفيتي الآن ، وزيادة على هذا ، فانه فيما يتعلق بالجدل حول الحرب الطويلة والقصيرة فلم يكن هناك شك فى أن حربا كبيرة مقبلة لن تنتهى سريعا بل ستكون حربا طويلة وستتضمن استعمال عدة أشكال من الأسلحة(١) ٠ وقد شارك شيمنكو هذه الآراء عدد من القادة العسكريين والكتاب والمحللين الذين كانوا قد عارضوا استراتيجية خروشوف قبل سقوطه وعادوا فأكدوا مواقفهم خلال الشهور الأولى من الحكم الجديد ، ويرمز على هؤلاء ما قاله وزير الدفاع الماريشال ماليوفسكى فى الخطاب الذى ألقاه بمناسبة عيد الثورة البولشفية فى ٧ نوفمبر ١٩٦٤ حيث ذكر « أنه ليس أقل من التعادل فى اعداد الصواريخ العابرة للقارات ICBMS ما سيضمن أمن الاتحاد السوفيتى ٠٠ ان السوفيت يجب أن يستمروا فى العمل نحو التفوق فى هذا المجال وغيره من المجالات الاستراتيجية حتى يكون لها ميزة على الامبرياليين ٠ ان الحرب العالمية الثالثة ليست بأى حال غير محتملة وفوق هذه فان السوفيت يمكن ان يفوزوا فيها اذا ما كان الامبرياليون حمقى ليشنوها ، وزيادة على ذلك ، فان الانتصار الشيوعى فى مثل هذه الحرب سوف يسرع بنهاية الرأسمالية العالمية » (٢) ٠

وقد أوضح خطاب ماليوفسكى أن الخط الرسمى الذى تبناه خروشوف فى عامه الأخير قد تغير بخروجه ، وكان التغيير على نفس الخطوط التى عبر عنها الماريشالات والجنرالات السابقين ٠ وحين نلخص هذه المناقشات التى جرت بعد خروج خروشوف فى الصحافة العسكرية فانه يمكن استخلاص المواقف الجديدة الآتية والتى برز بعضها بشكل علنى والآخر بشكل خفى :

١ ـ ان توترات وأخطارا جديدة قد تزايدت ٠

٢ ـ أن المعسكر الرأسمالى يمكن أن يشن حربا محلية وقد لا تتصاعد بالضرورة الى حرب كبرى والتى ان اشتركت فيها أى قوة شيوعية

---

(١) Weeks, Albert, « The Troubled Detente » New York University press, 1976, p. 121.

(٢) Ibid, p. 121, 122.

الى جانب القوة المعارضة للامبريالية فانهـــا ستكون حربا عادلة ومشروعة للتحرر القومي ٠

٣ ـ اذا ما اشتعلت حرب عالمية واسـعة سـواء استخدم فيها أسـلوب الهجوم المفاجىء أم لم يسـتخدم فى البـداية فان الحرب لن تـكون حربا قصيرة ولكنها ستمر بعدة مراحـل تستخدم فيها عدة أشكال من الأسلحة ٠

٤ ـ ان استراتيجية لا يتحقق فيها للاتحاد السوفيتى على الأقل التعادل Parity فى الصواريخ العابرة للقـــارات هى استراتيجية غير مأمونة وعلى هذا فان الاتحاد السوفيتى يجب أن يستمر فى العمل نحو التفوق ٠ Supriority فى الأوجه الاستراتيجية الأخرى على الامبرياليين ٠

٥ ـ ان حربا ثالثة أمر غير مستبعد (١) ٠

وقد تبنت القيادة السوفيتية الجديدة بعد خروشـوف هـذا الموقف تقريبا وبشكل خاص مادعت اليه من تحقيق التعادل على الأقل مع الولايات المتحدة فيما يتعلق بالأسلحة الاستراتيجية والصواريخ عابرة القارات ٠

وهكذا فانه من الممكن أن نعتبر أنه فى ظل خروشوف قبل الاتحاد السوفيتى مفهوم الردع النووى وحـــاول أن يحصل على مزايا سياسية ضخمة من تجـاربه المبكرة للصواريخ العابرة للقارات وهو الوضع الذى أثار كما سبق أن أشرنا فى الولايات المتحدة ما عرف « بفجوة الصواريخ »، وما أدت اليه نتيجة الصدى الذى تركته وجهود ادارة كنيدى فى معالجتها حتى بعد أن ثبت عدم صحتها ـ من تخلف الاتحاد السوفيتى فى سباق التسلح الاستراتيجى أكثر من ذى قبل ٠ واذا كان الاتحـــاد السوفيتى قد اتجه بعد هذا بسنوات ، ومازال خروشوف فى الحكم ، الى زيادة معدل انتاجه من الصواريخ العابرة للقارات والتقدم نحو تطوير اقامة نوع من الصواريخ المضادة للصواريخ ، فان هـذه القرارات قد استمرت فى عهد خلفاء خروشوف الذين ذهبوا الى أبعد من هذا وشرعوا فى مستوى عال من البحث العسكرى مواز تقريبـا للولايات المتحدة وفى نفس الوقت غيرت القيـــادة الجـديدة قرارات سابقة كانت ستخفض القوات السوفيتية التقليدية وأعطت اهتماما أكبر للقوة الضاربة لهذه القوات كرد على زيادة

---

(١) Weeks, « The other side of Coexistence », op. cit., pp. 217-219.

القدرات الامريكية المحليــة الضــاربة كما بدت فى فيتنام خــلال تكثيف الحرب فيها ، وارتفعت كذلك الميزانية العســكرية السوفيتية بشــكل ثابت منذ نهاية عام ١٩٦٥ (١) ٠

وحين بدأت أعداد الصواريخ العابرة للقارات المخطط لها من قبل فى الظهــور وكذلك ما نتج عن البحث والتطوير الجديــد مثــل صــاروخ Orbital missile بدأ السؤال يثور فى الولايات المتحدة حول ما اذا كان هدف الاتحاد السوفيتى هو مجرد أن يلحق بالولايات المتحدة أو أنه اعتزم أن يحقق تفوقا حاسما فى الأسلحة الاستراتيجية واســتخدام هذا التفوق لتحقيق أهداف سياسيه ؟ كما بدأ وزير الدفاع الأمريكى ميلفين ليرد يحذر من حصول السوفيت على التعادل فى عدد الصــواريخ العابرة للقارات وقال انه فى الوقت الحاضر ــ ٢٤ ابريل سنة ١٩٦٩ ــ فان لدى الولايات المتحدة ١٠٥٤ صاروخا طويل المدى ولدى الاتحــاد السوفيتى ١٠٠٠ ، ووفقا لتقرير معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن « سبتمبر ١٩٦٩ » ، فان السوفيت قد وصلوا تقريبــا الى التعادل حيث أصبحوا يملكون ١٠٥٠ صاروخا عابرا للقارات (٢) ٠

كذلك كان الأســطول والبحــرية السوفيتية من عنــاصر البنــاء والاستراتيجية العسكرية التى أعطت لهــا القيادة الجديدة تركيزا أكبر أو ربما تبنت نحوها اتجــاها جديدا ، فلم يكن خروشــوف يميــل الى الاستراتيجية البحرية وكان يفضل عليها تحدى التفوق العسكرى الأمريكى بزيادة قوة الصواريخ ، الا أن التحول عن هــذه السياسة جاء بعد أزمة الصواريخ الكوبية حيث بدا واضحا بعدها أن الاتحاد السوفيتى لايستطيع أن يدعى لنفسه مكانة القوة الأعظم بدون أســطول بحــرى قادر على أن يتواجد عالميا وهكذا تأيدت حجج الماريشال جورشكوف الذى اســتخدم الى جانب الاعتبارات العســكرية والاستراتيجية التى تستند الى ضرورة انهاء الوضع الآمن الذى أعطــاه المحيط الأطلنطى للولايات المتحدة لمئات السنين ، استخدم أيضا حججا أيدلوجية لاقناع القادة السوفيت بأن القوة البحرية يمكن أن تفتح امكانيات للقــوة وللتكامل الاقتصــادى للدول الاشــتراكية وأن تعلى من مكانة الدولة السوفيتية (*) ٠ ومن الواضح

(١) Agenda For the Nation : the Brookings Institution, 1986, p. 381.

(٢) The New York Times, April 26, 1969.

(*) يعتمد فى تقييم التحول فى النظر والتركيز الذى أعطاه الاتحاد السوفيتى للقوة البحرية فى أواخر الستينات وأوائل السبعينات على سلسلة من المقالات التى بدأ =

ان القيادة السوفيتية وخاصــة بعد خروشوف قد أذنت لجورشكوف بأن ينفذ خططه فى اقامة قوة بحرية تجارى الأسطول الأمريكى ، ويبدو أن هذه الخطط قد تحققت • ففى شهادة لأحد رجال البحرية الأمريكية أمام مجلس الشـــيوخ فى فبراير ســنة ١٩٧٧ ، قال : « ان فارق التفوق البحرى الأمريكى على الاتحاد السوفيتى قد أصـــبح ضعيفا » (١) على أنه يجب أن نلاحظ أنه :

الى جانب النواحى العسكرية والاستراتيجية ، فان من المواطن التى بان فيها أوجه اختلاف بين سياسات خروشوف وســياسات خلفـائه هو الموقف من فيتنام • وبدأت بوادر هذا التغيير فى لهجة التأييد السوفيتى لفيتنام فى البيانات السوفيتية وفى الصحافة ، وفى أول مؤتمـر للحزب تعقده القيــادة الجديدة وهو المؤتمـر الثالث والعشرين ــ مارس ســنة ١٩٦٦ ــ ، سيطر الموقف فى فيتنام والدور الأمريكى فيه على تحديد علاقة

= فى نشرها عام ١٩٧٢ الماريشال جورشكوف قائد الأسطول السوفيتى لمدى ١٨ عاما وظهرت هذه المقالات تحت عنوان الأساطير البحرية فى الحرب والسـلام • وتتركز أفكار جورشكوف على العناصر الأساسية الآتية : ــ

١ ــ انه بالنظر للأهمية المتزايدة للمحيطات كساحة للصراع العســكرى المحتمل للميزات العسكرية الخاصة للبحرية فان أهمية الأسطول البحرى فى زمن الحرب تتزايد ، الا أن هذا لا يعنى اعطاء القوة البحرية مكانا متميزا خاصا فى القوات المسلحة •

٢ ــ رغم ادخال الأسلحة النووية وتقدم الوفاق فان القوات المسلحة لم تفقد أهميتها التاريخية كأداة لسياسة الدولة سواء فى زمن الحرب أو السلم •

٣ ــ باعتبار الأهمية الاقتصادية ومن ثم السياسية المتزايدة ، للمحيطات والخصائص المتميزة للبحرية فان فائدة وأهمية البحرية فى زمن السـلم تتزايد ، مما يعطيها مركزا فريدا بالمقارنة بالفروع الأخرى للقوات المسلحة كأداة للسياسة الخارجية •

٤ ــ ان هذه الحقائق قد تغاضى عنها القادة القياصرة وحين لم يدركوا أهميتها ومن ثم أهملوا البحرية فان روسيا قد فقدت الحروب أو خسرت مكاسب الحروب التى كسبتها وكانت دائما غير قادرة على تنفيذ سياساتها فى زمن السلم ، ومن ناحية أخرى فانهم حين قدروا ودعموا البحرية فان أهداف الدولة فى الحرب والسلم قدتحققت •

٥ ــ ان القيادة السوفيتية ــ على نقيض أسلافها ــ قد أدركت أهمية القوة البحرية ، الا أنه بسبب الضغوط الاقتصادية التكنولوجية التى سادت خلال الحرب الأهلية والحرب العالمية الثانية ، فان الاتحاد السوفيتى لم يكتسب القوة البحرية الفعالة التى يمتلكها الآن الا فى وقت حديث نسبيا •

(١) Mccgwire, Michel and others (eds.), « Soviet Naval Policy, Objectives and Constraints », Prager Publishers, New York, 1975, pp. 551, 553.

(٢) — Newsweek, February 2nd, 1977.

الاتحاد السوفيتي بالولايات المتحدة ، فقد قرر برجينيف « ان الامبريالية الأمريكية تزداد خطورة وأن هذا يتضح من تصعيد الحرب فى فيتنام والتدخل الأمريكي فى الدومينيكان انه يمثل هذه المشروعات الحمقاء واستغلال القوة بوسائل جديدة وأكثر حقارة انما تكشف الامبريالية الأمريكية عن وجهها الحقيقى ، ان علاقتنا بالولايات المتحدة قد ساءت نتيجة العدوان الأمريكي فى فيتنام وبعض أوجه النشاط العدوان الآخر للامبريالية الأمريكية وان الخطر فى هذا يكمن فى الدوائر الحاكمة للولايات المتحدة » (١) ٠

على ان سياسة القيادة الجديدة تجاه فيتنام كانت أكثر تعقيدا مما توحى به البيانات العلنية ٠ فقد كان التورط الأمريكى فى فيتنام بالنسبة لها حربا ضد حليف للاتحاد السوفيتي يفترض فى الاتحاد السوفيتى أن يساعده ، ولكن على أن تدار هذه المساعدة وتقدم بالطريقة التى لا تدمر امكانية بناء اطار جديد للعلاقات الأمريكية السوفيتية ٠ وعلى هذا فان القادة السوفيت الجدد اتجهوا الى صياغة سياسة جديدة تجمع بين دعم فيتنام وبين الابقاء على هذه الامكانية ٠ كما نظرت قيادة برجينيف الى أن زيادة دعمها لهانوى فضلا عن انه سيكون ردا على اتهامات الصين للاتحاد السوفيتي بأنه يتخلى عن الشيوعية الآسيوية فان هذا الدعم سوف يكسب الاتحاد السوفيتى قوة ضغط اضافية على هانوى لكى تتحرك نحو مائدة المفاوضات » (*) ٠

---

(١) Wecks, «The Troubled Detente,» op. cit., p. 121.

(★) حين بدأت الولايات المتحدة فى قصف فيتنام الشمالية بدا التحرك السوفيتى وفقا للخطوط السابقة فى البداية أمرا شكليا بالنسبة لهانوى بل وفى نظر عدد من الأحزاب الشيوعية التى لامت الاتحاد السوفيتى لعدم تدخله بشكل أكثر حسما ٠ على انه حين وسعت الولايات المتحدة تدريجيا منطقة وكثافة الهجمات الجوية فان الفيتناميين الشماليين تلقوا فرصا دفاعية وسيكلوجية للتكيف معها ، وجعل نظام الصواريخ المضادة للطائرات الهجمات الأمريكية ـ عالية الثمن بالنسبة للأمريكيين ٠ وهكذا حين أصبح من الواضح أن القصف الأمريكى لم يجعل الفيتناميين الشماليين يركعون وحين اتضحت أكثر النتائج الداخلية والخارجية لهذه الحرب التى لا نهاية لها بالنسبة للولايات المتحدة ، فان السياسة السوفيتية تجاه فيتنام بدأت تؤثر فى معظم القادة الشيوعيين كسياسة صحيحة وعادلة وكمزيج من الصرامة والاعتدال معا ٠

(Ulam, « The Rivals, America and Russia since world war II » Aviking Compars Book, 1972, pp. 361, 364.

على انه يمكن القول بوجه عام في وصف وضع قيادة برجينيف حتى عام ١٩٦٨ انها كانت منقسمة ومترددة حول اتجاهاتهـا السياسيه الخارجية ٠ فعلى المستوى العالمي كان طموحها يقابل بالصد من الولايات المتحدة ، وفي النطاق الشيوعي الدولي كانت تواجه التحدى من جانب الصين ، والنظم الحليفة لها في شرق أوربا تتفكك وتستجيب لاتجـاهات الاغراء وخاصة من سياسة بناء الجسور التى شرع فيها ايرهارد وجونسون، وبدت الولايات المتحدة وكأنها تستغل سياسة التعايش السلمى التى بدأ خروشوف معها خطواتها الأولى فى دعم مراكزها الدولية وفى ضرب القوى الحليفة أو الصديقة للاتحاد السوفيتى ، فقـد صـعدت الولايـات المتحدة عام ١٩٦٥ بشكل شامل الحرب فى فيتنام ضد حليف للاتحاد السوفيتى ، واستعملت القوة فى الدومينيكان لمنع قيام نظام ثورى ، ولم ينشـأ هذا الشعور فى موسكو فقط بل فى عواصم مثل بلجراد والقاهرة وخاصـة بعد حـرب ١٩٦٧ ٠ وهكذا بدا التدخـل فى الدومنيكان ، والاطاحة بسوكارنو فى أندونسيا ، وجولارت فى البرازيل ، واسقاط نكروما فى غانا ، والاطاحة ببن بللا فى الجزائر ، وتولى العسـكريين السلطة فى اليونان ، وأخـيرا الهجوم الاسرائيـلى على مصر عام ١٩٦٧ ، بدا كل ذلك للكثيرين فى موسـكو كجزء من خطة أمريكيـة شاملة ، واشـتكى جمال عبد الناصر علانية فى القاهرة من أن العقبة الرئيسية أمام السلام والتقدم هو غياب أى قوة تستطيع ان تردع أو تحصر الولايات المتحدة (١) ٠

غير أن موسكو ما لبثت أن بدأت تستعيد الثقة فى ذاتها ٠ فالنتيجة الناجحة لغزو تشيكوسلوفاكيا كان لها وقـع مؤثر على قادة الاتحـاد السوفيتى ٠ ومنذ هذا الوقت بدوا أكثر حسما وأكثر ثقة فى النفس وفى صحة أحكامهم وتدعم النظام بشـكل كبير وكذلك وضـع برجينيف بين قيـادته (٢) ٠

ومنذ عام ١٩٦٨ اتجهت تقديرات القوة الى أن تركز على ثلاثة عناصر أساسية ٠ فقبل كل شىء ، وضع فى الاعتبار نمو القدرات الاستراتيجية والتقليدية السوفيتية التى بلغت بالقوة العسكرية السوفيتية الى ما يشبه التعامل مع الولايات المتحدة ، وأكثر من هذا ، فقد تشجعت بما لمسته من انخفاض نسبى فى القوة الاستراتيجية للولايات المتحدة كنتيجة للضغوط

---

(١) Jones, Alan, (ed.) « U.S. Foreign Policy in a changing world », David Mckoy Comp. New York, 1973, pp. 84-85.

(٢) — Ibid, p. 86.

التى فرضتها الولايات المتحدة على التوســـع الكمى للتسلح من جهـــة ، ولتكاليف حرب فيتنام من جهة أخرى ، فضلا عما لاحظته القيادة السوفيتية من ضعف فى الارادة ، والثقة الأمريكية والغليـان الداخـــلى الناتج عن الصراع العنصرى والاستقطاب الاجتماعى والأيديولوجى الناتج عن ذلك . نتيجة لكل هذه العوامل حدث احياء ملحوظ للارادة السوفيتية وتوســع فى القدرات السوفينية (١) .

وعلى المستوى الداخلى أخذت السياسة السوفيتية تتجه بشكل أكثر نحو الدوائر الداخلية حيث تبلور عدد من المجموعات والفئات والشخصيات فى مجموعتين : الأولى التى تركز على الأمن والانتاج ، والمجموعة الثانية التى تركز على الاســـتهلاك والزراعة والخدمات العـــامة . وقد اتخـذت كل من المجموعتين موقفا متعارضـــا فيما يتعلق بتوزيع الاســـتثمارات والموارد والنفقات ، وهى المواقف التى أثرت فيها تصوراتهم المتباينة ، كذلك حول تزايد التوترات الدوليـــة أو احتمالات الوفاق وتخفيف التوتر الدولى . وبشكل عام اتجهت قيادة برجينيف وكوسيجين الى انتهاج طريق وسط بين المجموعتين وان كانت مجموعة العسكريين ورجال الصناعة الثقيلة قد اكتسبت نفوذا أكبر ربما كمحاولة من القيادة السوفيتية أن توحى أن الوفاق اذا تحقق لن يضر بمصـــــالح العســـــكرية والصـــناعة الثقيلة السوفيتية (٢) .

وبشكل عام فان قيـــادة برجينيف وكوســيجين قد اتصفت بالحذر والروح العملية والانشغال الكبير بمشـــكلات الجبهـــة السوفيتية والكتلة الاشتراكية ـ وهى لم تتطلع لا الى مواجهـــة شاملة مع الولايات المتحدة ولا الى وفاق كامل معها وانما عملت على ان تستفيد من الفرص التى تراها أينما نشأ تدهور فى النفوذ الأمريكى واتساع فى الخلافات داخل المعسكر الغربى ، كما وجهت جهدا كبيرا لتحسين الدعائم الاقتصادية والعسكرية للقوة كمـــا بدا أن قراراتهـــا تتخذ بشكل جماعى وتستجيب الى ضغوط القوى العسكرية والأيديولوجية داخـــل الحـــزب . وقد تفادت هذه القيادة الطابع الذى تميزت به سياسة خروشوف التى تراوحت ما بين المواقف الحادة وبين روح الوفاق أما قيادة برجينيف فقد تحركت ببطء وفى أرض وسط وتبنت حلولا وسطى بين الضغوط المتصارعة (٣) .

---

(١) Ibid, p. 99.

(٢) — Ibid, pp. 93, 94.

(٣) — Agenda For the Nation, op. cit., p. 380.

على أن التعارض بين الأسلوب الحذر والممارس لضبط النفس الذى تميزت به قيادة برجينيف وبين أسلوب المفاخرة والتهديد ـ الذى لا تتوفر امكانياته ـ لقيادة خروشوف ، هذا التعارض يجب أن لا يخفى عـددا من عناصر الاستمرار المشتركة فى خط السياسة الخارجيــة ؛ فالسـياسة الخارجية لكل من العهدين تشتركان فى نقطة انطلاق واحدة ســعيا وراء هدف مشترك وان كانا قد اختلفا فى الأساليب والاستراتيجيات (١) ٠

ومن المهم كذلك فى تقييم السياسة الخارجية لعهد برجينيف النظر اليها من منظار عشرين عاما من الجهود غير المكتملة لطرح الميراث الستالينى فى السياسة السوفيتية ، من هذه الزاوية تصـــبح سـياسة برجينيف الخارجية تتويجا لعملية بدأها خروشوف ولم يستطع مواصلتها (٢) ٠

---

(١) — Dallin, « Soviet Politics since Stalin. » op. cit., p. 148.

(٢) — Mccgwire, « Soviet Naval Policy, objectives and Constraints », op. cit. p. 4.

المبحث الثانى

ادارة جونسون

استمر المناخ الذى ساد عقب تصفية أزمة الصواريخ الكوبية ، وتوقيع معاهدة الحظر الجزئى للتجارب النووية ، حتى بعد وفاة الرئيس كنيدى ومجىء جونسون الى الحكم ، وقد انعكس ذلك فى سلسلة من الاتفاقيات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى شملت عددا من أوجه علاقتهما الثنائية ·

فقد وقعت فى موسكو فى ١ يونيو سنة ١٩٦٤ اتفاقية قنصلية وكانت أول اتفاقية قنصلية توقع بين البلدين (*) ، وقد دعت هذه الاتفاقية الى بدء المفاوضات لاعادة اقامة قنصليات فى البلدين وكان مفهوما أن الولايات المتحدة سوف تطلب فتح قنصليات لها فى ليننجراد وأوديسا ، وأن الاتحاد السوفيتى سيطلب فتح قنصليات له فى شيكاغو وسان فرانسسكو ونيويورك (١) ·

كما وقع البلدان فى جنيف فى ٦ يونيو ١٩٦٤ اتفاقا تضمن برنامجا لمراقبة الظروف الجوية والاشتراك فى نفقات اتصال مباشر لتبادل المعلومات الجوية عن طريق أقمار تطلقها البلدان ·

---

(١) Kissing's Contemporary Archive, 1964. p. 20268.

(★) على الرغم من أن البلدين لم يعقدا من قبل اتفاقية قنصلية الا أنهما تبادلا القنصليات وفقا لاتفاق روزفلت وليتفيفوف عام ١٩٣٣ والذى أقيمت بموجبه العلاقات الدبلوماسية بين البلدين · وبموجب هذا الاتفاق افتتحت الولايات المتحدة قنصليات لها فى لينجراد رفلاديفستوك ، وافتتح الاتحاد السوفيتى قنصليات له فى نيويورك وسان فرانسسكو ، الا أن تدهور العلاقات بين البلدين عقب الحرب الثانية أدى الى اغلاقهما عام ١٩٤٨ ·

كما اتفق على تبادل المعلومات حول بيولوجيا الفضاء واجراء سلسلة من الدراسات حول مشاكل السفر الى الفضاء الخارجي ٠

ووقعت كذلك موسكو فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٦٤ اتفاقية حول التبادل العلمى والفنى والثقافى لمدة عامين ــ وكانت الاتفاقية الرابعة فى هذا المجال قد وقعت عام ١٩٥٨ ــ وتنص على تبادل الطلاب والمدرسين والوسائل الثقافية والأفلام والمعارض ٠٠ الخ ٠٠ وتبادل الزيارات بين وفود الاخصائيين ٠ كما وقعت فى ١٩ مايو اتفاقية تعليمية تنص على تبادل الزيارات بين أعضاء أكاديمية العلوم فى كل من البلدين ٠

وقد كشف الرئيس جونسون فى ٢٨ يونيو سنة ١٩٦٤ أن الاخصائيين الأمريكيين والسوفييت سوف يلتقون فى واشنطون فى شهر يوليو لدراسة امكانية وضع برامج تعاونية لأساليب تحلية ماء البحر بمساعدة الطاقة النووية وأن اللقاء على وجه التحديد سيكون له ثلاثة أهداف : مناقشة المشكلة العامة لتحلية ماء البحر ، واستعراض أوجه النشاط الحالية ، وخطط البلدين ومجالات التعاون ٠ كما عبر الرئيس جونسون عن الأمل فى أن تؤدى المناقشات الى تعاون فعال لما قد يتطور الى نشاط هام جدا ذى أهمية اقتصادية كبيرة لعدد من مناطق العالم ٠ وكان الرسميون فى البيت الأبيض قد صرحوا بأن المبادرة لهذه المناقشات قد جاءت من الاتحاد السوفيتى وأنه لأكثر من عامين والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يستكشفون امكانية توسيع نطاق التعاون العلمى والثقافى لكى يتضمن تحلية ماء البحر (١) ٠

على أن تصور جونسون لعلاقات الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتى انما يعكسه على وجه الدقة الخطاب الذى القاه فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٦٦ اذ قال « حقيقة أن الأسلحة النووية قد ردعت الحرب وساعدت على وقف انتشار الشيوعية فى مناطق العالم وحقيقة انها سمحت لأصدقائنا باعادة بناء أمنهم فى حرية ، الا ان السلام الذى يرتدى تاجا نوويا هو سلام غير مستقر ولا يجب أن نرضى عن موقف يمكن أن يعرض العالم للفناء فى لحظة رعب أو جنون أو غضب كما أنى لا أستطيع أن أتناسى أنه سواء عن طريق التصميم أو الصدفة فان حوالى ٣٠٠ مليون نسمة سوف يقتلون فى تبادل نووى واسع النطاق بين الشرق والغرب ، ولذلك فاننا ندرك أن صميم اهتمامنا للسنوات القادمة يجب أن يكون

---

(١) Kissing's Archive, 1964, p. 20168.

علاقتنا بالاتحـــاد السوفيتي ، فكل منا يمتلك قوة لا يمكن تجنبها ، ومسئولياتنا أمام العالم أثقل من أية مسئولية تحتملها أو احتملتها دولتان فى أى وقت فى التاريخ ، ومصالحنا المشتركة تتطلب من كل منا أن يمارس هذه المسئولية بكل حكمة فى السـنوات القادمة » • واستمر جونسون في تصـوره للخطوات القادمة « ولهذا فان هدفنا الملح هو : أن نبحث عن أى منطقة ممكنة للاتفاق يمكن أن تزيد الأمل فى التعاون بين الولايات المتحدة والاتحاد السـوفيتي حتى ولو كان ذلك البحث بسيطا أو بطيئا • وكشف جونسون عن أنه منذ أصبح رئيسا للولايات المتحدة « كان أول عمل قمت به تقريبا أن أخبرت خروشوف أننا فى الولايات المتحدة نعتزم أن نخفض من انتاج المواد الانشطارية وأننا نأمل أن يفعل السوفييت نفس الشيء ، وأعتقد أن السوفييت يشاطروننا الرغبة الحقيقية فى توسيع منطقة الاتفاق • ونحن نتفاوض فى هذا الصيف مع السوفييت حول معاهدة تحصر نشاط الأجرام السماوية فى الأهداف السلمية وقد حققت المفاوضـات قدرا كبيرا من التقدم كما اننا نتطلع الى معاهدة لمنع انتشار الأسلحة النووية » (١) •

وقد تعرض جونسون فى هذا الخطاب للوضع فى جنوب شرق آسـيا وللدور الأمريكى هنـاك وعبر عن أمله فى أن لا يعيق هـذا من التفاهم السوفيتى الأمريكى : « فى جنوب شرق آسيا تجارب الولايات المتحدة اليوم لكى تمنع الفيتناميين الشماليين من الاستيلاء على جنوب فيتنام بالقوة ، ولا يجب أن يحول هذا الصراع دون أن نجد مسـالك جديدة للتعامل مع بعضنا البعض • ان هدفنا فى جنوب فيتنام محـلى ومحدود وهو محاولة لحماية استقلال جنوب فيتنام بتزويد شـعبها بالفرصة لكى يقرر لنفسه الى أين يتجه وماذا سيكون • وهذه الأهداف لا تهدد المصالح الحيوية للاتحاد السوفيتى أو اقليم أى من أصدقائها •• فمن مسئولية كل منا اذن أن نمنع صـعابا معينة من أن تصبـح أدوات لأخطار أكبر ••• » وأضاف جونسون « ان الثقة ليست حماقة حين يكون كل منا قويا • وان كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى أقوياء حقا » • ثم تساءل عن الخطوة العملية فى هذا الاتجاه « أعتقد فى وجوب أن ندرك أنه فى الوقت الذى تقسمنا فيه المبادىء والقيم المختلفة فانها

---

(١) Schlesinger, Arther, «The Dinamics of World Power. A documentary History of U.S. Foreign Policy», 1973, vol. Z, Chelsea House Publishers, New York, 1973, pp. 786, 787.

يجب أن لاتمنعنا عن الأعمال الرشيدة المشتركة ٠٠» واستخلص جونسون « أن عقيدة ولغة الحرب الباردة كانت كافية لجيل واحد ٠٠ غير أن هذا لا يعنى أننا أصبحنا أحبابا أو أن علينا أن نتوقف عن المنافسة الا أنه يعني أن كلا منا عليه أن يعمل ويتطلع الى اليوم الذى لا ترفع فيه أمة السيف على أمة أخرى » (١) ٠

ولم يصدر رد فعل رسمي في الاتحاد السوفيتى على هذا النداء الا أن افتتاحية البرافدا فى أول سبتمبر ١٩٦٦ قالت ان تصريحات جونسون قد تكون لها فائدة محددة ان لم تكن قد اختلطت بالأقوال المعتادة المعادية للسوفيت وللفيتناميين والشيوعيين ٠ وقالت ان جونسون فضل أن يمر بصمت على المشاكل الجوهرية المبدئية التى تفصل الولايات المتحدة عن الاتحاد السوفيتى وعلى وجه التحديد نظرية التدخل المسلح من جانب الولايات المتحدة فى أى مكان فى العالم وحيث تعتقد أن مثل هذا التدخل يتفق مع مصالحها « (٢) ٠

كذلك تناول جونسون فى رسالته عن حالة الاتحاد ـ ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ ـ بالتقييم حالة العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى « ان علاقتنا بالاتحاد السوفيتى وشرق أوربا فى حالة انتقال ٠ لقد تفادينا كلا من تصرفات ولغة الحرب الباردة ٠ وحين اختلفنا مع الاتحاد السوفيتى حاولنا أن نختلف بهدوء ٠ ان هدفنا ليس استمرار الحرب الباردة ولكن انهاؤها » (٣) ٠

ثم استعرض جونسون سلسلة من الاتفاقيات التى كانت قد عقدت مؤخرا بين البلدين : » لقد وقعنا فى الأمم المتحدة على اتفاقية لاستخدام الفضاء الخارجى (*) ٠ واتفقنا على افتتاح خطوط طيران مباشرة مع الاتحاد السوفيتى (★) ، وأزيلت أكثر من ٤٠٠ مادة غير استراتيجية من القيود على التصدير للاتحاد السوفيتى والدول الشرقية ٠٠ » ٠

---

(١) — Kissing's Archive, 1966, p. 21694.

(٢) — Ibid.

(٣) Kissing's Archive, 1967, p. 2826.

(★) وقعت فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٦ أول اتفاقية ثنائية تحكم استكشاف الفضاء الخارجى ٠

(★★) فى ٤ يونيو سنة ١٩٦٦ وقعت في واشنطون اتفاقية لانشاء خطوط طيران مباشرة بين نيويورك وموسكو وحضر توقيعها وزير الطيران السوفيتى وكانت المعاهدة قد وقعت بالأحرف الأولى فى أغسطس سنة ١٩٦١ الا أنها أجلت خلال ادارة كنيدى بسبب السياسة =

وفي ١٧ أكتوبر سنة ١٩٦٦ كان جونسون قد عبر عن الحاجة الى دفع العلاقات بين الشرق والغرب ، وفيما يتعلق بالاتحاد أعلن الاجراءات الآتيـــة :

١ ـ ازالة فئات من المواد غير الاستراتيجية » من قائمة السـلع الأمريكية المحظورة ٠

٢ ـ تمويل بنك الاستيراد والتصدير الأمريكي لمشروع ســيارات فيات الذى يبنى فى الاتحاد السوفيتى ٠

٣ ـ التخفيف من قواعد سفر الأمريكيين الى الأقطار الشيوعية (١)٠

ومن الخطوات الأســاسية التى اتخذت وتعتبر استمرارا للخطوات الوئيدة السابقة هو الاجتماع الذى تم في جلاسبورو بالولايات المتحدة بين الرئيس جونسون ورئيس الوزراء السوفيتى كوسيجين ، وهــو الاجتماع الذى مهد لخطوة أوســع فى مجــال تقييد التسلح والتى تمثلت فى توقيع اتفاقية عدم انتشار الأسلحة النووية ٠

فبينما كان رئيس الوزراء السوفيتى يشــــهد جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الطارئة الخاصة حول الشرق الأوسط فى يونيو ســنة ١٩٦٧ ، عقد اجتماعين مع الرئيس جونسون فى ٢٣ ، ٢٥ يونيو فى جلاسبورو ٠ ففى يوم ٢٢ يونيو أعلن السكرتير الصحفى للبيت الأبيض أن الرئيس جونسون قد دعـا المستر كوسيجين للاجتماع به في مقره بجلاسبورو ٠ وقد بدأ الاجتماع الأول يوم ٢٣ يونيو حيث لم يكن هناك جدول أعمال معين كما لم يصدر عند نهايته أية بيانات ، واستمرت المحادثات فى هذا الاجتماع الأول أربع ساعات قضيا نصفها منفردين حيث لم يحضر معهما الا مترجماهما ٠ وكان من مســـتشارى الرئيس جونسون دين راسك وزير الخارجية ومكنمارا وزير الدفاع

= السوفيتية فى بناء حائط برلين ثم أجل توقيعها مرة أخرى عام ١٩٦٣ بسبب الخلاف السوفيتى الأمريكى حول ترتيبات الأمن بالنسبة للأجانب ٠ وقد تجدد الاهتمام الأمريكى بتوقيع الاتفاقية بعد عقد اتفاق سوفيتى كندى لاقامة خطوط طيران مباشرة بين موسكو ومونتريال ، وكذلك بعد خطاب لجونسون أعلن فيه أن السلام لن يتحقق بشكل درامى من اتفاق واحد أو من عبارة واحدة أو لقاء واحد ولكنه سيتقدم من كسب صغير وربما غير محسوس بعد آخر والذى يبدو فيه أن لا مكانة ولا كبرياء لأى قوة كبرى أكثر أهمية من مصير العالم ٠

(١) — Ibid, p. 21, 672.
(Kissing's, 1966, p. 21729I).

ووالت روستو وماك جورج باندى ، وصحب كوسيجين أندريه جروميكو وزيرا الخارجية ودوبرينين السفير السوفيتى فى واشنطون • وعند نهاية الاجتماع الاول ظهر الرئيس جونسون وكوسيجين يدا فى يد يبتسمان ، ووصف جونسون الاجتماع بأنه كان « مرضيا جدا ومفيدا جدا » وقال ان وجهات النظر قد تبودلت حول عدد من المسائل بما فيها الشرق الأوسط وفيتنام وعقد معاهدة لعدم انتشار الأسلحة النووية وانه سوف يستأنف محادثاته مع المستر كوسيجين بعد يومين وسيواصل وزيرا الخارجية اجتماعاتهما فى نيويورك • أما المستر كوسيجين الذى عبر عن تقديره الخاص للاجتماع فقد ذكر أنه ليس لديه ما يضيفه الى ما قاله الرئيس جونسون فى بيانه الذى أعد « بشكل صحيح جدا » (١) •

أما الاجتماع الثانى فقد عقد يوم ٢٥ يونيو حيث قضى الرئيسان معظمه على انفراد مع مترجميهما فقط • وعقب الاجتماع الذى دام ٤ ساعات و ٤٧ دقيقة قال الرئيس جونسون مرة أخرى بأنه كان « طيبا جدا ومفيدا جدا » وأضاف أنه والمستر كوسيجين قررا أن يظلا على « اتصال وثيق » من خلال معاونيهما وكذلك مباشرة ، أما كوسيجين فقال انه قضى والرئيس جونسون ١٠ ساعات ناقشا خلالها المشكلات الدولية واستعرضا بشكل عام حالة العلاقات الثنائية الأمريكية السوفيتية ، وان هذه الاجتماعات قد أمدت الحكومتين بفرصة مفيدة لفحص مواقفهما حول المشكلات موضع المناقشة كما حيا كوسيجين الصداقة بين الشعبين السوفيتى والأمريكى •

وفى بيان مختصر للرئيس جونسون بعد عودته الى واشنطون أكد أنه والمستر كوسيجين لهما وجهات نظر مختلفة حول الشرق الأوسط وفيتنام، ومع هذا ، فان هذه الخلافات بعيدة عن أن تكون اختلافات كلية حول الشرق الأوسط لأنهما على الأقل على اتفاق على ان لكل دولة الحق فى العيش • وحول فيتنام قال جونسون انه بينما من الواضح أن منطقة الاتفاق صغيرة فانه قد رحب بهذه الفرصة لكى يوضح أن الولايات المتحدة سوف تتمشى مع بل وستسبق أى خطوة من أجل السلام •

أما كوسيجين فقد عقد مؤتمرا صحفيا بعد عودته الى نيويورك أعلن فيه أن الخطوة الأولى نحو اعادة السلام فى الشرق الأوسط هى انسحاب اسرائيل لما قبل خطوط ٥ يونيو وان كان لم يتوصل الى اتفاق مع المستر

(١) Kissing's Archive, 1967, p. 22180.

جونسون حول انسحاب القوات الاسرائيلية اذ أن الرئيس يعتقد أنه من الضروری النظر فی كل المشاكل المتعلقة بالشرق الأوسط بينما يعتقد هو (كوسيجين) ، أنه يجب أولا وقبل كل شیء أن يكون هنـــاك انسحاب اسرائيلي وأنه بعد هذا الانسحاب فقط يمكن النظر فی هذه المسائل مثل الحد من شحنات الأسلحة للشرق الأوسط وحرية الملاحة فی خليج العقبة وقناة السويس • كما أكد كوسيجين أنه لم يتم التوصـــل فی جلاسبورو الى اتفاق حول فيتنام وأنه ما زالت هناك « خلافات عميقة » حول هذه المسألة وأضاف أن الجانب السوفيتی أكد أن تسوية مشكلة فيتنام ممكنة فقط بشرط وقف قصف أراضی جمهورية فيتنام الديموقراطية وانسحاب القوات الأمريكية من جنوب فيتنام » (١) •

على انه بالرغم من أن الاجتماع لم يحقق تقدما هاما نحو حل مشكلات الشرق الأوسط وفيتنام فان الجانب الايجابی كان فی مجرد تحققه على هذا المستوى وفی وسط أزمتين خطيرتين ترتبط احدى القوتين بشكل مباشر فی احداهما وترتبط القوتان بالأخرى من خلال اصدقائهما وحلفائهما ، كما أنه رغم عدم توصلهما الى حلول أساسية لهاتين الأزمتين فانهما فی رأينا قد توصلا الى تفاهم ضمنی يدور حول مدى تأثير هاتين الأزمتين وربمـــا غيرهما فی علاقات البلدين الشاملة والنهائية ، وأن هذا التفاهم قد تضمن خطا رئيسيا مفاده أن قيام هاتين الأزمتين ، ورغم استمرار اختلاف التصور بين القوتين حول أسس تسويتهما الا أن ذلك :

(أ) يجب ألا يؤدی بالبلدين الى الاصطدام العسكری أو المواجهـــة المباشرة •

(ب) ألا يحول دون مواصلة اتجاههما الذی بدأه بمعاهدة الحظـــر الجزئی للتجارب الذرية نحو تنظيم وتقييد التسلح وخاصـــة فی المجال النووی •

ولعل أهم ما يدلل على ذلك أن من القضايا الرئيسية التی شغلت اجتماع جلاسبورو والتی تحقق حولها اتفاق الجانبين هو ضرورة الوصول الى اتفاق لمنع انتشار الأسلحة النووية •

(١) —Ibid, p. 22180.

عقب انتهاء اجتماع جلاسبورو عبر رئيس الوزراء السوفيتي بأن الجانب الايجابي للاجتماع هو « اعادة تأكيد الجانبين مع اعتقادهما في أهمية الاسراع بتحقيق تفاهم بشأن عقد اتفاقية دولية حول عدم انتشار الأسلحة النووية » (١) ٠

كما أنه خلال المناقشات قدم وزير الدفاع الأمريكي مكنمارا تحليلا بليغا مدعما بالأرقام حول سباق التسلح للتصاعد ، وكان لهذا العرض انطباع عنيف على الحاضرين الرسميين الأمريكيين والسوفيت ٠ وبالفعل فان المباحثات حول التوصل الى معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية قد نشطت بعد اجتماع جلاسبورو ٠ وفي ٢٤ أغسطس سنة ١٩٦٧ قدم الوفدان الامريكي والسوفيتي مشروعا للمعاهدة للجنة الثمانية عشر لنزع السلاح وتنص المادة الأولى من المعاهدة على « أن تتعهد كل دولة نووية طرف في هذه المعاهدة أن لا تنقل لأى طرف آخر مواد نووية متفجرة وأن لاتساعد بشكل مباشر أو غير مباشر أو تشجع دولة غير نووية على أن تنتج أو تحصل على أسلحة نووية أو مواد نووية متفجرة أخرى ٠٠ » كما نصت على « تعهد الدول الأطراف في المعاهدة بالعمل على الدخول في مفاوضات للتوصل الى وضع ترتيبات فعالة تساعد على ايقاف سباق التسلح النووي في أقرب فرصة ممكنة وللتباحث حول معاهدة خاصة بالنزع الكامل للأسلحة تحت رقابة دولية فعالة » (٢) ٠

وقد تم بالفعل التوقيع على المعاهدة في أول يوليو سنة ١٩٦٨ ، وان كان مفعولها قد بدأ في السريان اعتبارا من مارس سنة ١٩٧٠ ٠ واعتبر توقيع المعاهدة من أبرز النتائج الايجابية التي تحققت في مجال الرقابة على التسلح منذ بزوغ العصر النووي ٠ وقد عقب رئيس الوزراء كوسيجين على توقيعها بقوله « ان المعاهدة خطوة هامة نحو تخليص البشرية من التهديد النووي باعتبار أنها تمنع المزيد من انتشار الأسلحة النووية وتخفض بهذا الشكل من خطر اشتعال حرب نووية ٠ وهي كذلك دليل مقنع على أن الدول قادرة على ايجاد حلول مقبولة وبشكل متبادل للمشكلات الدولية المتنازع عليها » (٣) ٠

(١) Ibid.

(٢) — Schles inger, « The dinamics of World Power » op. cit., pp. 775-776.

(٣) — Dallin, « Soviet Politics Since Stalin », op. cit., p. 95.

ويعتقد البعض أن معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية انما تتجاوز فى أهميتها وفى دلالتها على علاقات القوتين الأعظم معاهدة الحظر الجزئى للتجارب ، ويرون أن معاهدة الحظر ثلاثيـــة الأطراف بينما معاهدة عدم الانتشار ذات طابع سوفيتى أمريكى أكثر من المعاهدة الأولى وأن المفاوضات الطويلة التى أدت الى توقيعها دارت فى نطاق مؤتمر جينيف وهو المؤتمر الذى تترأسه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ولان الشروط التى تمكن الأقطار الأخرى من الانضمام الى معاهدة عدم انتشار الأسلحة النوويه هي فى الواقع الضمانات المشتركة التى تقدمهـــا الحكومتان السوفيتيه والأمريكية (١) كما ان التنازل الوحيـــد كدولة مالكة للأسلحة النووية للدول التى لا تملكها هى ما تضمنته المعاهدة من أن الاستقرار العالمى سيضمنه ويحافظ عليه استمرار السيطرة الأمريكية السوفيتية فى هذا المجـــال (٢) ٠

بدايات محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية :

من الأمور التى كان معترفا بهـــا عالميا أن وقف سباق التســـلح وتصفية أى دافع للاقدام على الضربة الأولى بالأسلحة النووية انما يمثل الأولوية الأولى فى العلاقات السوفيتية الأمريكية ٠

وقد امتد هذا الاعتراف الى ادارة جونســـون ورجالها والتى بدأ فى عهدها التفكير الجاد وبدر عنها عدد من التلميحات ثم الاقتراحات المحددة لعقد اتفاقية للحد من الأسلحة الاستراتيجية ٠ ففى ٢١ يناير سنة ١٩٦٤ وفى رسالة موجهة الى المؤتمر الثامن والثمانين للجنة نزع السلاح والتى كانت تعقد أول دوراتها بعد الوصول الى معاهدة حظر التجارب النووية اقترح الرئيس جونسون أن تستكشف كل من موسكو وواشنطون اجراء « تجميد يمكن التحقق فيه من عدد ومواصفات المركبـــات الاستراتيجية النووية الهجومية والدفاعية » (٣) ٠ وفى نوفمبر ســـنة ١٩٦٦ اجتمع جونسون مع معاونيه فى تكساس وصدرت عن هذه الاجتماعات تلميحات أكثر نحو محادثات الحد من الأســـلحة الاستراتيجية ٠ وقد دعا الى هذا

---

(١) — Edmonds, « Soviet Foreign Policy » op. cit., p. 78.

(٢) Northedge, F.S. (ed), «The Foreign Policy of the Powers», Faber and Faber, London, 1968, p. 63.

(٣) Maison Willrich and J.B. Rhinelaxer, « SALT, The Moscow Agreements and Beyond, » The free press, New York, Collin, Macmillan, London, 1974, p. 72.

الاجتماع ما توصلت اليه المخابرات الأمريكية من ان الاتحاد السوفيتي بدأ يوزع حول موسكو نظاما مضادا للصواريخ (١) ٠

وفي رسالته عن حالة الاتحاد في ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ ـ تحدث جونسون عن تطور علاقات التسلح بين البلدين فقال « ان الاتحاد السوفيتي قد زاد خلال العام الماضي قدراته من الصواريخ البعيدة المدى ٠ وان مسئوليتي الأولى هي أن أؤكد لشعبنا أن أمة أخرى لن تجد من الحكمة أن تشن حربا نووية علينا ، وكذلك فان علاقة هامة في مجال تقييد ونزع السلاح هي في صالحنا ٠ لن من واجبنا أن نخفف من سباق التسلح بيننا في كل من الأسلحة التقليدية والنووية وان أى اضاعة جديدة للموارد لن تمثل مكسبا لأى من الطرفين » (٢) ٠

كذلك كان وزير الدفاع الأمريكي روبرت مكنمارا من الشخصيات الأساسية الأمريكية في ادارة جونسون الذين شغلهم تطور قدرات التسلح الذرى والاستراتيجي للقوتين وأدركوا ضرورة تقييد سباق التسلح في هذا المجال الخطير ومنذ عام ١٩٦٢ بدأ يهتم بذلك أكثر من اهتمامه بأن تظل الولايات المتحدة في المقدمة من هذا السباق ، ذلك أنه كان قد اقتنع بأن الولايات المتحدة أصبحت تمتلك قوة استراتيجية (*) أوسع مما هو ضروري لردع الاتحاد السوفيتي ، ومنذ ذلك الحين أصبح مكنمارا من المتحمسين الى الحاجة الى تقييد ما أسماه « بالاندفاع المجنون لسباق التسلح » (٣) ٠

وفي خطاب شامل ألقاه مكنمارا في سان فرانسسكو في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٦٧ عرض تقييما واقعيا لعلاقات القوى الاستراتيجية بين كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، وفي تحليل شامل

---

(١) — Ibid.

(٢) — Kissing's Archive, 1967-1968, p. 21826.

(*) تعرف القوة الاستراتيجية بأنها تلك التي لديها القدرة على ايصال أسلحة نووية ضد أهداف على أراضي عدو محتمل ، وكذلك القوة الدفاعية المصممة للدفاع ضد مثل هذا الهجوم ٠ وبالنسبة للقوة الأعظم فان مثل هذه القوة تعتبر بشكل عام أنها تتضمن تلك الأسلحة الهجومية التي لديها القدرات القارية مثل القاذفات الطويلة المدى والصواريخ العابرة للقارات والغواصات كما تتضمن البناء الدفاعي والعمل المضاد لهذه القوات ٠

راجع : (SALT, The Moscow Agreements and Beyond, op. cit., p. 66).

(٣) — Williams, Appelman, «The Tragedy of American Diplomacy, A delta Book, 1962, p. 296.

لهذه العلاقات وللسياسة الدفاعية النووية بوجه عام حدد وزير الدفاع هذه النقاط :

١ - انه في الوقت الذى يمتلك فيه كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة « قوة ضاربة ثانية .Second Strike Capability ضد أحدهما الآخر الا أن أيهما لا تمتلك القدرة على « الضربة الأولى » .

٢ - على الرغم من أن الولايات المتحدة لديها تفوقا نوويا أساسيا Substantial Superiority على الاتحاد السوفيتى بنسبة ما لا يقل عن ٣ أو ٤ الى ١ فان هذا فى حد ذاته ذا أهمية محدودة .

وقد فصل مكنمارا هذه النقاط بتعريفه للقدرة على الضربة الأولى بأنهــا قدرة أمة على الهجوم على أمة أخــرى بالقوى النووية أولا وأن هذا يعنى التصفية التامة للقوى الانتقامية للبلد الذى تعرض للهجــوم وقدرته على الضربة الثانية . وتساءل مكنمارا عن موقف الاتحــاد السوفيتى النووى بقوله « هل يملك الاتحاد السوفيتى اليوم ترســانة نوويه قوية ، وأجاب بأنه يملك ، ثم تساءل عما اذا كان يملك القدرة على الضربة الأولى ضد الولايات المتحدة ، وأجاب بالنفى وعما اذا كان يستطيع أن يحصل على هذه القدرة فى المستقبل وأجاب أيضا بالنفى « لأننا مصممون على أن نظــل على يقظــة تامة بحيث لن نسمح بأن تكون لدى الاتحاد الســوفيتى القدرة على الضربة الأولى ولا حتى أن يكون ذلك احتمالا بعيدا » كما أجاب مكنمارا بالنفى عن نفس الوضــع بالنسبة للولايات المتحدة حيث أنها لا تمتلك القدرة على الضربة الأولى بالنسبة للاتحــاد السوفيتى ولم يكن هذا « لأن الولايات المتحــدة أهملت قوتها النووية وانما لنفس السبب الذى لا يمتلك فيه الاتحاد السوفيتى هذه القدرة تجاهنا » وأضاف « أنه بطبيعة الحال لم يكن من الممكن للولايات المتحدة منع الاتحاد السوفيتى من الحصول على « القدرة عــلى الضربة الثانية » والتى حددها بأنها القدرة على « امتصاص هجوم نووى مفاجىء والاستمرار فى الحيــاة بقوة كافيــة لانزال خســارة غير محتملة على المعتدى » وان كان هذا فيما أضاف كان ممكنا بضربة شاملة مجهضة على الاتحاد السوفيتى خلال الخمسينات ، واستخلص مكنمارا من هذا « أن الحقيقة الصارخة هى أنه لا الاتحاد السوفيتى ولا الولايات المتحدة تستطيع أن تهاجم الأخرى دون أن تدمر انتقاما كما ان أحدا لن يستطيع الحصول على الضربة الأولى فى المستقبل » (١) .

(١) Kissing's Archive, 1967, p. 22325. —

ثم انتقــل مكنمارا الى نقطة امتـــلاك الولايات المتحدة تفوقا على الاتحاد السوفيتي ، فرغم قوله أنه « باستخدام المقيـاس الواقعى لعدد الرؤوس الذرية المتاحة القادرة على أن تستخدم بشكل دقيق وبفعالية ضد الأهداف المناسبة على الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتى فانى أستطيع أن أقـول ان الولايات المتحدة حاليا تمتلك تفوقا على الاتحـــاد السوفيتى بنسبة من ٣ و ٤ الى ١ ٠٠ » الاانه استطرد الى ما سيتطور لكى يكون الفلسفة والمفهوم الموجه فيما بعد لنظر الكثيرين الى علاقات القوتين الاستراتيجية وجدوى الاســتمرار فى السباق حولها « ٠٠ انه فى الأسلحة الاستراتيجية النووية فان سباق التسلح يتضمن سخرية خاصة ، فعلى خلاف أى عصر فى التاريخ العسكرى ، فان التفوق العددى الجوهرى اليوم لا يترجم بشكل فعال الى تحكم سياسى أو ميزة دبلوماسية فبينما تمثل القوة النووية امكانية غير محدودة للتدمير ، فانها قد ثبتت أنها ذات أهداف دبلوماسية محدودة ، ويتمثل وضعها الفريد فى حقيقة أنها سلاح ذو قوة شاملة ، وفى نفس الوقت سلاح غير مناسب » ٠٠ وطبق مكنمارا هذا المفهوم على عدد من المواقف السياسية بالنســـبة للسياسة الأمريكية فقال « ٠٠ حقيقة أن الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة يستطيعان تدمير أحدهما الآخر ـ بغض النظر عمن يضرب أولا ٠ الا أن ذلك يضيق من نطـــاق العدوان الســـوفيتى الذى نستطيع أن نردعه بشــكل فعال ٠ وحتى مع احتكارنا النووى فى أوائل فترة ما بعد الحرب فاننا لم نستطع أن نردع الضغط السوفيتى ضـــد برلين أو تأييدهم العدوان ضد كوريا ٠ واليوم فان تفوقنا النووى لا يستطيع أن يردع كل أشكال التأييد السوفيتى للثورة الشيوعية ضد جنوب شرقى آســيا ٠٠ » وذهب مكنمارا الى تحديد أكثر بقوله « اننا لا نريد سباقا للتسلح النووى مع الاتحـــاد السوفيتى لأن ظاهرة الفعـــل ورد الفعل تجعل من الحماقة والعقم أن نفعل ذلك » وانتهى الى القـــول » دعونى أؤكد أن قرارنا بالبدء فى التوزيع المحدود للصواريخ المضادة A B M لا يعنى بحال أننا نشعر ان اتفاقا مع الاتحاد السوفيتى حول تحديد الأســلحة الاستراتيجية النووية والهجومية والدفاعية هـو أقل الحاحا ، واذا كانت الحرب العامة فى الماضى عملا أحمق فانهـــا لم تعد الآن مجرد حماقة وانما عمل انتحارى كذلك » (١) ٠

فى هذا الشأن كانت آمال مكنمارا كبيرة فى أن يتمكن خـــلال

(١) — Kissing's Archive, 1967 I, p. 22326.

اجتماع جلاسبورو من اقناع السوفيت بتحديد موعد لبدء محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، وهو ما لم يستجب اليه السوفيت (*) ذلك أنه حتى ذلك الوقت لم يكن السوفييت على استعداد للدخول فى مناقشات جادة قبل أن يحققوا تعادلا فى التسلح الاستراتيجى ، أو ما يقرب منه مع الولايات المتحدة يمكنهم من التحدث معها من موقع القوة (١) .. غير أنه مع ربيع عام ١٩٦٨ بدأ السوفييت للمرة الأولى يردون بشكل أكثر ايجابية على الطلب الأمريكى ببدء محادثات الحد من الأسلحة الإستراتيجية ، ففى يونيو سنة ١٩٦٨ ألقى وزير الخارجية السوفيتى أندريه جروميكو خطابا فى موسكو ألمح فيه الى أن ثمة جدلا يجرى فى القيادة السوفيتية حول الدعوة الى محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، وفى هذا الخطاب هاجم جروميكو « هؤلاء الذين يحاولون أن يقولوا لنا ان نزع السلاح هو من قبيل الأوهام » وقال جروميكو ان موسكو مستعدة لتبادل الآراء حول « التقييد المتبادل ثم الخفض » لكل من الأسلحة الدفاعية والهجومية بما فيها الأسلحة المضادة للصواريخ » (٢) .. كما بدا أن العسكريين السوفييت أصبحوا أقل معارضة وأن الساسة المدنيين أكثر تفهما للمشكلات المتضمنة ، غير أن السبب الحقيقى وراء هذا التحول هو أن السوفييت أصبحوا أكثر ثقة بقيام علاقة من التعادل النووى مع الولايات المتحدة (٣) وأنه فى هذه

(★) فى اجتماع جلاسبورو ظهر اختلاف فى أولويات الاهتمام ، فكان اهتمام جونسون الأساسى هو محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، الا أنه كلما أثار هذا الموضوع ، حول كوسيجين النقاش الى الشرق الأوسط ، وكما عبر جونسون « فى كل مرة اتعرض للصواريخ ، يتحدث كوسيجين عن العرب والاسرائيليين » ، وحين يشمل الحديث الشرق الأوسط تزداد الخلاف والنقاش « .. فحين ذكر كوسيجين — مهددا — انه أن لم تنسحب اسرائيل الى خطوط الهدنة الأصلية فان العرب سوف يحاربون بالسلاح ، فان لم يجدوه سيحاربون بأيديهم ، وحينئذ قلت بهدوء : دعنا نفهم أحدنا الآخر . اذا نشبت الحرب نأمل أن لا تكون حربا كبيرو ، وانهم اذا حاربوا سوف يحاربون بقبضاتهم ولبس بالمدافع ، وآمل أن تبغى بلدينا خارج انفجار الشرق الأوسط لأنه اذا ما اشتركنا فيه سيكون امرا بالغ الخطورة » : راجع

Holl broad, Garztem, « Superpower and International Conflict » p. 93.

(١) — Williams, « The Tragedy of American Diplomacy », op. cit., p. 294.

(٢) — « SALT, The Moscow Agreements and Beyond », op. cit., p. 21.

(٣) — Williams, « The Tragedy of American Diplomacy », op. cit., p. 297.

الحالة ليس ثمة ضرر من تبادل وجهات النظر حول هذه المشكلة المعقدة ولكي يعطوا قرارهم هذا معنى خاصا أعلن في ١٩ أغسطس عن موافقة موسكو وواشنطون على زيارة الرئيس جونسون لموسكو في شـــــهر سبتمبر حيث يمكن الشروع في محادثات السولت ·

غير أنه في اليوم التالى ــ ٢٠ أغسطس سنة ١٩٦٨ ــ حــــدث التدخل السوفيتى في تشيكوسلوفاكيا · وكان واضحا أنه من أولويات الاتحاد السوفيتي فان اعادة الأوضاع التقليدية في تشيكوسلوفاكيا الموالية بشكل مطلق للاتحاد السوفيتى انما يتقدم على ضروريات تقييد التسلح باعتبار أن تشيكوسلوفاكيا هى جـــزء أســـاسى من الدفاع السوفيتى في العمق الأوربى (١) ·

ونعتقد أن قبول موسكو للدخول في محادثات السولت ودعوتها الرئيس الأمريكى لزيارة الاتحاد السوفيتى في الوقت الذى تعد فيه لتدخلها في تشيكوسلوفاكيا قد قصد به ابلاغ الولايات المتحدة أن الاجراء العسكرى الذى أقدمت عليه في تشيكوسلوفاكيا يجب أن يفصل عن عملية تنظيم العلاقات السوفيتية الأمريكية وخاصة في مجال خطير مثل قواهما الاستراتيجية ، وأن الاجراء الســوفيتى في تشيكوسلوفاكيا انما هو لتأمين المصالح الحيوية المباشرة للاتحـــاد السوفيتى ولتأكيد وضع كان قائما لا لاقامة وضع جديد أو تغيير في الوضع القائم · ويبدو أن هذا هو ما تفهمته في النهاية الولايات المتحدة رغم الضـــجة والغضب المعنـــوى الذى ثار في الولايات المتحدة ، وعاق الزيارة المرتقبة للرئيس جونسون للاتحاد السوفيتى ·

وكانت ادارة جونسون قبل هذه التطورات قد أعدت ورقة عن مبادىء وأهداف مناقشات تحديد الأسلحة الاستراتيجية تلخصت في الآتى : :

١ ــ تحديد ثم خفض كل من الأسلحة الدفاعية والهجومية ·

٢ ــ الابقاء على مستوى مستقر ومتبادل من الردع ·

٣ ــ اثبات الرغبة السوفيتية والأمريكية في تحديد الأسلحة ·

٤ ــ تقديم تأكيد متبادل ان الأمن المتساوى Equal Security

(١) « SALT, The Moscow Agreements... », op cit., p. 22. —

بين البلدين ستحافظ عليه زيادة تفهم المشـــكلات الاستراتيجيه المشتركة ·

وقد أجاب السوفييت على هذه الورقة فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٦٨ أى بعد أحداث تشيكوسلوفاكيا مقترحين أربعة مبادىء رئيسية لتوجيه المحادثات المقبلة للحد من الأسلحة :

١ ـ اقامة رادع استراتيجى سوفيتى أمريكى مستقر ·

٢ ـ الحاجة الى دعم الثقة فى الجهد الأمريكى السوفيتى لمنـــع أعمال من دول أخرى قد تؤدى الى خلق عدم استقرار ·

٣ ـ تأكيدات متبادلة بأن الأمن(١) المتساوى بين البلدين سوف يحافظ عليه ووجوب تفادى التوترات وحالة عدم اليقين وسباق التسلح غير المقيد ·

٤ ـ زيادة التفاهم الأمريكى السوفيتى باقامة عملية مستمرة من المناقشة للمشكلات التى تنشأ من الوضع الاستراتيجى لكى تشمل كلا من الأسلحة الدفاعية والهجومية ·

وقد بدت هـــذه المبادىء معقولة للولايات المتحدة وأوحت بأن السوفييت يعنون شيئا جادا · وقد حاول الرئيس جونسون فى شهر نوفمبر أن يحيى زيارته لموسكو وذلك بالاتفاق مـع الرئيس المنتخب ريتشارد نيكسون وتبودل عدد من أوراق تقدير الموقف التى أظهرت أن كلا الجانبين السوفيتى والأمريكى كانا على اتفـاق حـــول الأمـــور الأساسية · غير أنه بحلول ديسمبر كان السوفييت قد أصبحوا غير مهتمين بالحديث الى رئيس على وشك أن يرحل ومن ناحية أخـــرى لم يكن الرئيس الجديد يريد أن يرتبط بشىء من خلال سلفه دون أن يدرس بعناية المقترحات الأمريكية والوضع بوجه عام بنفسه ·

وهكذا انتهت تجربة الاتحاد السوفيتى والعلاقات الســـوفيتية الأمريكية مع رئيس أمريكى آخـر هو ليندون جونســون ، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٩ ، وقد لقى جونسون تقديرا وحكما تتفاوت مع فترات ولايتـه · ففى خلال الفترة الأولى من حكمه والسابقة على تصاعد الارتباط الأمريكى

---

(١) — William, « The Tragedy of American diplomacy », op. cit., p. 299.

فى حرب فيتنام قال فيه أحد الكتاب السوفييت « ان المرء يجب أن يكون عادلا بالنسبة لجونسون باعتباره سياسيا مجربا وحذرا جدا ومعتدلا (١) .

ومن الواضح أن هذا التقييم قد اقترن بعدد من التصرفات من جانب جونسون مثل بيعه القمح للاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٤ ، وبعدد الاتفاقيات التى وقعها مع السوفييت . أما خلال الفترة الثانية من حكمه فقد انخفض قدره فى نظر التقييم السوفيتى بسبب تصعيده للحرب فى فيتنام فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٦٦ وفى الخطاب الذى خصصه لعلاقات الولايات المتحدة الدولية ، حاول الرئيس جونسون أن يفصل الحرب فى فيتنام عن عدد من المشكلات الدولية الهامة وأن يثبت أن الولايات المتحدة معنية بخفض التوتر فى أوربا وتحدث عن تحسن العلاقات بين الشرق والغرب كما وقعت الحكومة الأمريكية عددا من الاتفاقيات التى تمس العلاقات الثنائية مع الاتحاد السوفيتى ، ومع هذا فان الخبرة الفعلية قد أثبتت أن الولايات المتحدة ، لا تنوى أن تأخذ الخطوة الرئيسية نحو تطبيع الموقف الدولى وتحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ووقف العدوان فى فيتنام » (٢) .

وبذلك يمكن القول أن صورة جونسون لدى السوفييت لم تكن مماثلة للصورة التى تكونت عن سلفه كنيدى وخاصة فى أخريات أيامه . ففى الوقت الذى نظر فيه الى كينيدى كممثل للقوى المتعقلة فى الدوائر الحاكمة الأمريكية فان جونسون لم يكن ينظر اليه على هذه الصورة ، وان كان النظر اليه ظل مختلطا بين من يضعونه فى مصاف المتعقلين وبين من يضعونه فى معسكر دعاة الحرب ، بينما اعتبر آخرون أنه يحاول ارضاء المعسكرين . وفى مايو سنة ١٩٦٥ بعد أن تورطت ادارته بشكل أعمق فى فيتنام اتهمه برجينيف بأنه خان الرأى العام الأمريكى بتخليه عن دعوته الانتخابية والتى أدار على أساسها هذه الحملة « تحت شعار الولاء للسلام والاخلاص لتقاليد فرانكلين روزفلت » ، وقالت البرافدا « ان الناخبين الأمريكيين لوعيهم بالكارثة التى يمكن أن تعنيها الحرب بالنسبة للولايات المتحدة فى ظروف عالم اليوم وضعوا ثقتهم فى جونسون الذى دعا فى خطبه الانتخابية الى

---

(١) — Kulski, W.W, «The Soviet union's in world Affairs, p. 89.

(٢) — Ibid.

الســـلام ٠٠ » وفى الشهر التالى اتهم كوسيجين صراحـة « الحــكومة الأمريكية بأنها تتبع فى الحقيقة الخط السياسى الذى كان يدعو اليه جولد ووتر وقت الانتخابات والتى نبذها الشعب الأمريكى ٠ فهى تنفذ سياسات عدوانية تجاه الأقطار الاشتراكية وضـــد الدول التى حررت نفسها من السيطرة الاستعمارية وضـــد حركة الشـــعوب الثورية » (١) ٠

(١) Ibid.

الفصل الثانى

بروز عصر تعدد الأقطاب

انتهاء القطبية الثنائية وبروز عصر تعدد الأقطاب :

كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ثنائية الأقطاب Bi—Polar أساسا حيث كانت القوتان الأعظم : الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة شأنهما شأن بركانين كبيرين وسط تلال قفراء متناثرة . وكانت أوربا الغربية ضعيفة ومنهكة اقتصاديا ومعرضة عسكريا ـ صوابا أو خطأ ـ للخطر السوفيتى ، كما كانت اليابان فى نفس الوضع ، أما الصين فكانت مازالت تغلى بالحرب الأهلية ، فضلا عن انهاك قرون من الضعف والتعرض للغزو الأجنبى ، كذلك كانت أفريقيا وأمريكا اللاتينية وباقى آسيا معتمدة اقتصاديا وسياسيا على القوى الكبرى (١) . على أن أهم ما ميز هذه الفترة هو أن النظام السياسى الدولى قد بدا جامدا الى حد ملحوظ وكانت فيه الشئون الدولية تدور حول محور واحد هو الصراع السوفيتى الأمريكى ، وطالما أن أى تقدم لم يتحقق فى هذا المجال ، فان شيئا جوهريا لم يكن يتحقق فى العالم بشكل عام (٢) .

ولم يقتصر هذا الوضع على الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة بل سادت واستمرت حتى نهاية الخمسينات وبداية الستينات حيث بدا المنطق الحديدى للعالم الذى يتحكم فيه القطبان أمرا لا يمكن مناقشته . وازاء الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قد تبدو بلدان مثل الصين أو الهند أو البرازيل وهى تمتلك مساحات شاسعة ولكن قدراتها الصناعية ربما تتطلب حقبا للوصول الى ما وصلت اليه بعض القوى الأوربية المتوسطة ، بل ان امبراطورية سابقة مثل بريطانيا

(١) — Griffich, « Sino-Soviet Rift », op. cit., p. 4.

(٢) — Lerche, « The Cold War and After », op. cit., p. 123.

أصبحت بشكل متزايد مجرد ذكرى أكثر منها قوة سياسية أما العملاقان روسيا وأمريكا فســـوف يسيطران على العالم لفترة طويلة اذ تعدت قدراتهم النووية أى منافس بحيث لا تبدو فى الأفق أى قوة نووية أخرى ذات بال (١) ٠

وهكذا فانه من خلال قوتهما النووية الساحقة وقدرتهما الاقتصادية والصناعية فان القوتين الكبيرتين أصبحت لديهما قـوة ثنائية قائدة فى العالم وكان مركزهما المتقارب فى الأسلحة والتكنولوجيا قد أعطاهما التملك الوحيد للقوى ذات التدمير الشـــامل الأمر الذى جعـــل منهما العناصر الحاســـمة للمصير البشرى ، وفى الوقت نفســـه كانت قدرتهما الاقتصادية والصناعية قد جعلت الآخرين معتمدين عليهما فى المساعدة الاقتصادية والعسكرية التى يحتاجونها لاقامة مجتمعات متقدمة وعصرية وهكذا أصبح الاستقرار الدولى يعتمد الى درجة كبيرة على القوتين (٢) ٠

غير أنه مع عام ١٩٦٢ كان كل هذا قد تغير فقد تعدت أوربا فى رخائها الاقتصادى ولية نعمتها الولايات المتحدة وبدأت اليابان فى البروز لا كقوة اقتصـــادية ذاتية فحسب بل وكامكانية تنافســية قريبة ، كما طالبت آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية وحصلت على صـــوت فى شئون العالم ربما أكبر مما تؤهلها له قوتها المادية ٠ غير أنه بالتأكيد كان أعظم تحول فى هذه الحقبة ـ وربما فى عصرنا ـ هو تحـــول الصين من الضعف والفقر والمهانة والعجز الى عملاق جديد والى أن تكون أكبر قوة عسكرية فى آسيا وأكثر الدول سكانا فى العالم (٣) ٠

وقد اعتبر خبراء العلاقات الدولية بشكل عام أن العـــالم الذى كانت تتحكم فيه القوتان الأعظم بشكل مطلق كان عالما يحتوى عـــلى امكانيات الخطر والحرب نتيجة لحالة المواجهة المستمرة وجها لوجه والاستجابات المتبادلة بين القوتين ، بحيث أنه اذا ذهبت احداهما فى الضغط الى مدى بعيد وكانت الأخـــرى غير مستعدة لتقديم التنازلات الضرورية ، فان مثل هـــذا الموقف كان يمكن ان يولد المواجهـــة التى ربما حدثت نتيجة للصدفة أو سوء التقدير ٠ وبذلك كان الميزان

---

(١) — Shurman, « The Logic of World Power », op. cit.,

(٢) — Flies, Peter, « International Relations in the Bipolar world », Random House, pp. 3-4.

(٣) Griffith, « Sino-Soviet Rift », op. cit., pp. 4-5.

الثنائى ميزانا جامدا تلازمه أزمات دائمة يمكن أن تتفجر فى شكل حروب (*) • ولهذا فان هؤلاء الخبراء يعتبرون أن تعدد القوى السياسية العلمية أكثر ملاءمة وضمانا للأمن الدولى واعتبروا انه كلما تعدد توزيع القوة فى المجتمع الدولى ، ازدادت فرص ضبط النفس ومن ثم قلت احتمالات التوترات المحتملة (١) •

وبشكل عام ، فانه فى الجيل الذى أعقب الحروب العالمية الثانية فان الدبلوماسية قد عملت فى بيئة تسيطر عليها كلية ثنائية الاقطاب ونظامين من التحالفات يتميز كل منهما بالتماسك الداخلى • وقد تميزت هذه البيئة أساسا بأن كلا من الخصمين لم يكن مستعدا لقبول شرعية الآخر ، ومن ثم قبول شرعية النظام الدولى ككل ، الأمر الذى يثير التساؤل حول مدى تقبل كل من القوتين لنظام تتعدد فيه القوى السياسية الدولية ومدى امكانية تكيف كل منهما مع مثل هذا النظام ؟ ثمة رأى بأن الاتحاد السوفيتى يستطيع التلاؤم مع هذا الوضع أكثر من الولايات المتحدة بسبب اعتبارات تتعلق بنظامه وسرعته فى التكيف الا أن ثمة تحفظا على ذلك من زاوية الفلسفة السياسية السوفيتية ، التى يمكن أن تضع قيودا على قدرة السوفييت على قبول شرعية النظام الدولى المتعدد القوى بتركيزها على الممارسة المنفردة للسلطة ومركزية ادارتها وعزوفها عن العلاقات السياسية التى لا تستطيع أن تسيطر عليها كلية ، على العكس من هذا ، فان الولايات المتحدة قد تكون أفضل فى عالم متعدد القوى ، لأن قادتها هم نتاج نظام سياسى يملى عليهم التعامل فى كل خطوة ، مع قوى داخلية ذاتية ، فهى اذن معتادة على

(*) يعتقد الدكتور هنرى كسينجر أن التعدد السياسى الدولى لا يعنى بالضرورة ضمان الاستقرار ذلك أنه اذا كانت عناصر التشدد التى كان يحتويها النظام الثنائى فان القدرة على التحكم قد قلت كذلك (الفصل الذى كتبه كسينجر تحت عنوان
« Central Issue in American Foreign Policy » Agenda for the Nation, op. cit., p. 588 : 2.

كما يذكر البعض الخدمات التى قدمها نظام ثنائية الأقطاب فى الفترة التى ساد فيها من ثبات وتبسيط للسياسة الدولية مكنت القوتين من التعامل مع بعض الأحداث المتلاحقة بل ويذهب هذا الرأى الى أن الفترة المعاصرة فى السياسة الدولية مليئة بالأخطار أكثر مما كان الحال عليه فى أحلك أيام الحرب الباردة •

Lerche, The Cold War and After, op. cit., pp. 128-29.
Spanier, « American Foreign Policy Since World War II », Nelson, 4th edition, p. 252.
— Ibid. (١)

التعدد فى الداخل مما يؤهلها للتعايش مع التعدد فى الشئون الدولية بشكل أكثر من الاتحاد السوفيتى (١) ٠

غير أن انتهاء عصر القوى الأعظم سياسيا لم يكن يعنى انتهاؤه عسكريا ٠ فمازال الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة يمتلكان أكثر من ٩٠٪ من وسائل الايصال الاستراتيجى والصواريخ والطائرات ، كما أن القوتين مازالتا تنفقان ثلثى ما ينفق على التسلح فى العالم ، وما هو أكثر أهمية فانهما ينفقان أكثر من ٨٥٪ من الانفاق العالمى على البحوث العسكرية وتطورها ، (حوالى ١٥ بليون دولار فى العام مقارنا بأربعة بليون دولار تنفق على البحوث الطبية) ، فى الوقت الذى تنفق فيه بريطانيا وفرنسا وألمانيا مجتمعين ١٠٪ وينفق بقية العالم ٥٪ ٠ وعلى هذا فانه اذا ما ثار موقف ما يتضمن استخدام القوة الاستراتيجية أو التهديد باستخدامها فان واشنطون وموسكو هما اللتان ستكونان مراكز القرارات الحاسمة (٢) ٠٠ وكما عبر هنرى كيسنجر فانه فى السنوات القادمة فان أكثر التحديات صعوبة للسياسة الأمريكية سيكون فلسفيا وهو أن تطور مفهوما للنظام فى عالم متعدد الأقطاب سياسيا ولكنه ثنائى عسكريا (٣) ٠

الانقسامات داخل المعسكرين :

لم يقتصر الأمر بالنسبة للقوتين الأعظم على انتهاء عصر تفردهما السلطة وبروز مراكز سياسية دولية جديدة ، بل واجههما أيضا – نتيجة لذلك – حدوث انقسامات بل وتصدعات داخل كل كتلة . ولذلك لم ينته فحسب عصر القوى الأعظم بل انتهى كذلك العصر الذى كان يتميز فيه كل تحالف بالتماسك والوحدة وتمتع كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بالقول النهائى على كل أعضاء تحالفه ..

فبالنسبة للاتحاد السوفيتى ، وبعد تأكد وتأصل نزاعه مع الصين وبروز النزعات القومية والذاتية بين باقى أعضاء تحالفه – فانه لم يعد من الممكن الحديث عن كتلة شيوعية متماسكة ، وعن موسكو كمركز قيادى واشعاعى سياسى وأيديولوجى لهذه الحركة ٠ ولم يعد أمام

(١) — Agenda for the Nation, op. cit., p. 191.
(٢) — Buschan, Alstair, « The End of the Postwar Era, » p. 83.
(٣) — Agenda for the Nation, op. cit., p. 602.

الاتحاد السوفيتى خيار فى أن يستبدل بعلاقاته بأعضاء تحالفه التى اتسمت بالسيطرة عقب انتهاء الحرب وتكوين النظم الاشتراكية فيها ، اطارا جديدا يجمع بين الشكل السابق وبين الاستجابة لنمو الشعور القومى وظهور تعارض المصالح والضغوط الداخلية من أجل مستوى أفضل من المعيشة والحريات الشخصية .

وعلى الجانب الامريكى برزت رغبة حلفائه الغربيين فى الانفصال او بمعنى ادق فى التخفيف من ارتباطهم الوثيق مع الولايات المتحدة رغم الانتماءات الأيديولوجية والتصميم المشترك على وقف التوسع الشيوعى . ومن المفارقات فان المساعدة الامريكية لحلفائها الغربيين كانت هى التى مكنت الأقطار الأوربية من أن تصبح أكثر استقلالا ، وأعطت دوافع جديدة للاتجاهات الانفصالية . وكانت فرنسا هى أبرز النماذج الأوربية على اتباع سياسات خاصة بها ، فقد بدأت فى تطوير قوة ذرية ذاتية ، وصوتت ضد اشتراك بريطانيا فى السوق الأوربية المشتركة بحجة صيانة الطابع الأوربى الخالص للسوق وحمايته من التأثيرات الامريكية ، كما ابدت اتجاهات للصداقة مع الاتحاد السوفيتى ، وتبادل التجارة مع كوبا ، واعترفت بالصين الشعبية ، ثم كانت اهم خطوات تأكيد الاستقلال الفرنسى انسحاب القوات الفرنسية من منظمة الاطلنطى وطلب تصفية القواعد العسكرية الامريكية ورئاسة الحلف من الأراضى الفرنسية (١) .

وفيما يلى تفصيل لجوانب الانقسامات التى ظهرت فى كل من المعسكرين الامريكى والسوفيتى :

---

(١) Fliéss, « International Relations in the Bipolar world », op. cit., pp. 109-111.

الخــلافات والســياسات الجديدة داخل المعسكرالامريكى

حينما استعادت الأمم الأوربية قوتها الاقتصادية وثقتها السياسية واتجهت بشكل أكثر نحو التكامل الاقتصادى والوحدة السياســية ، كادت أن تتحول بذلك الى قوة عالمية ثالثة ، وبدأ أعضــاؤها يتشككون فى السلطة الأمريكية وحقها فى التحــدث باســمهم وباسم التحــالف كله . وحين تشكلت منظمة شمال الاطلنطى ، لم يكن لأوربا حول فى معظم الأحوال ، وكان عدم التوازن داخــل التحــالف الذى نتج عن اعتماد أوربا الكامل على الولايات المتحدة فى دفاعهــا هو الذى وضــع واشنطون فى المرتبة الاولى داخل التحالف واوربا فى مكانة ثانوية ، وترتب على هذا ان كان صوت واشنطون هو صــوت التحــالف وكانت هى التى تقرر السياسات الدفاعية والخارجية لاوربا . وربما اتجهت واشــنطون فى بعض المواقف الى أن تضــع فى الاعتبــار اعتراضات حلفــائها ، وكيفت سياساتها مع رغبــاتهم ، ورغم هــذا ، فقد استمر صوتها هو الصوت الحاسم . فاذا كانت فرنســا قد اعترضت على اعادة تسليح المــانيا فان هذا لم يجد الا فى تأخير ذلك لا منعه . واذا كانت فرنسا وبريطانيا قد دافعتا عما اعتبرتاه مصالحهما الحيوية فىالسويس ولم توافق الولايات المتحدة على هذا ، فقد كان عليهما فى النهاية أن ينسحبا فى مهانة ، واذا ما اعترضت فرنسا والمانيا الغربيــة على أن يتفاوض الغرب حول برلين أو انتقدتا بعض المقترحات التى كانت تقدم للسوفيت ، فان هذه الانتقادات كانت تقابل بالتجاهل وكانت القرارات النهائية تتخذ فى واشنطون فى ضوء ما تعتبره مصالح الغربالحيوية . غير أنه حالما استعادت أوربا قوتها بل وتجاوزت ما كان لها قبل الحرب،

فانها بدأت تنظر الى نفسها كشريك لأمريكا وطالبت أن تشارك بشكل كامل فى تقرير سياسات الناتو وقراراته الاستراتيجية (١) .

الى جانب دافع المساواة ، فان الأوربيين أيضا كانوا مدفوعين فى مطالبتهم بأن يكون لهم رأى فى تشكيل السياسة بدافع الخوف (*) . فبعد أن أصبحت الولايات المتحدة أكثر تعرضا للخطر فقد كان عليهم أن يسألوا أنفسهم ما اذا كان سيمكنهم دائما الاعتماد ولو لعشرة أو عشرين عاما مقبلة على الولايات المتحدة فى حمايتها لهم ضد التحديات السوفيتية ، وبدءوا يشعرون انه بدون امتلاكهم للأسلحة الذرية فسوف يستمرون فى الاعتماد كلية على القوة الامريكية فيما يتعلق بأكثر مظاهر وجودهم اهمية وهو الأمن القومى .

وما كان يقلق الغرب أيضا فيما يتعلق بأمنه هو الاعتماد بأن الولايات المتحدة بدورها العالمى الجديد قد تزج به فى حرب شاملة تنتج عن مواجهة (مثل تلك التى حدثت حول كوبا) ، أو من تصاعد صراع محدود مثل فيتنام ، وفى الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة تشعر بالغضب لافتقارها لتعاطف حلفائها مع مغامراتها وتورطاتها الأمر الذى عمق خيبة الأمل الامريكية الموجودة فعلا بسبب عدم مشاركة الأوربيين بنصيب أكبر فى دفاعهم .

وقد دارت الثورة الأوربية ضد السيطرة الأمريكية وبشكل رمزى حول مسألة الأسلحة النووية ، ففى الحقل الذى كانت الولايات المتحدة مصرة على عدم التنازل عن مكانها المتميز وسيطرتها السياسية التى يؤهلها لها تملكها المنفرد للأسلحة النووية ، ولذلك أصرت الولايات المتحدة على أن يكون لها القول الأول فى تقرير السياسات داخل تحالفها ، وحين أصبحت قدرتها الدفاعية محل

---

(١) Spainer, « American Foreign Policy since World War II », op. cit., pp. 228-241.

(★) من المفارقات أن يرتبط دافع الخوف لدى الاوربيين بحالة من الاحساس بتضاؤل خطر التهديد السوفيتى . وقد نما عندهم هذا الاحساس بسبب بروز النزاع السوفيتى الصينى من ناحية والاعتقاد بأن السوفيت ، لمواجهه خصومهم الصينيين ، سوف يحولون تواهم الى حدودهم معهم ، وانهم لن يعودوا قادرين على المواجهة على جبهتين ، ومن ناحية أخرى ، بسبب تزايد الشعور بأن اتجاه الاتحاد السوفيتى انما يتحول بفعل عوامل كثيرة داخلية وخارجية من قوة معنية بانتصار الشيوعية فى العالم الى أمة مهتمة بتدعيم مكاسبها الاقليمية لما بعد الحرب .

التساؤل كان رد فعلها كمن جرح كبرياؤه واخـذت المسالة كما لو كانت تمس الشرف الامريكى . ومن ناحية أخرى خشيت الولايات المتحدة من انتشار الأسـلحة النووية التى قد تزيد من فرص الحوادث والخطـأ فى التقدير والضغط على زناد الحرب النووية ، ولهذا اصبحت مسالة « اكثر من اصبع واحـد على الزناد » مما يهدد التحـالف الأوربى الامريكى بل واصبح تماسك التحالف مهددا بالتفكك تحت ضغط هذا السؤال : كيف يمكن الحفـاظ على التحـالف فى العصر الذرى حين تثير كل أزمة كبيرة خطر أن يتصرف عضو ما بشـكل قد يثير كارثة نووية حول مشكلة قد يراها الأعضاء الآخرون لا تسـاوى هذا الثمن الباهظ . مثل هـذا الاحتمال هو الذى كان يجعل واشنطون مصرة على الاحتفاظ باحتكارها النووى وسيطرتها السياسية على التحـالف . وقد ظنت أنه سيساعدها على ذلك تأييدها طلب انضمام بريطانيا الى أوربا الجديدة وكانت تأمل أن عضـويتها تلك سوف تعنى أن دولة أوربا التى بعثت من جديد ستكون صديقة حميمة وستكون بمثابة المتحدث باسم وجهة النظر الأمريكية مما يقيم بالتالى علاقة أكثر تناسـقا بين اوربا وامريكا . وقد حصلت بريطانيا بمساعدة الولايات المتحدة على قوتها الرادعة الخاصة على عكس فرنسا التى واجهت معارضة شديدة من الولايات المتحدة . وكانت دوافع بريطانيا الى تطوير قوتهـا الرادعة الوطنية هى نفس دواعى فرنسا أى كانت أساسا من أجل أن تكسب المكانة والأمن ثم صوتا يصغى اليه فى واشنطون .

والواقع ان العلاقة الخاصة التى كانت تربط بريطانيا النـووية بامريكا النووية هى التى دفعت فرنسا أن تحذو حذو بريطانيا واوصلت الناتو مع نهاية الستينات الى نقطة الأزمة الكبيرة (١) ، والتى أصرت معها فرنسا على أن يتغير طابع العلاقة السياسية بين الولايات المتحدة وحلفائها ، بل وذهب ديجول الى ان يجعل من نفسه المتحدث باسم أوربا القارية ، وعلى الرغم من أن الخلافات الفرنسية الامريكية انما ترتد فى نهاية الأمر الى ما يمكن أن يسمى بالقومية الأوربية الوليدة، فان شخصية ديجول وفكره وخبرته التاريخية التى هى جزء من خبرة فرنسا والخبرة الأوربية قد لعبت دورا أساسيا فى هذه الخلافات . والواقع أن الديجولية فى جذورها العميقة قد نمت من ثلاثة عوامل رئيسية :

---

(١) — Ibid.

(أ) خبرة فرنسا فى القرن العشرين التى لم تكن تجربة سارة حيث تعرضت للغزو مرتين وتعرضت لكوارث كثيرة ولم تشهد الا انتصارات أقل ، وحتى الفترة التى بدت فيها على شىء من السيطرة فى الشئون الأوربية وهى فترة العشرينات لم تكن الا فترة انتقالية أدت الى متاعب أسوأ كما بدات بعد هذا فى فيتنام والجزائر .

(ب) تناول الولايات المتحدة لأزمة السويس عام ١٩٥٦ .

(ج) قلق فرنسا خلال الخمسينات والستينات من رغبة الولايات المتحدة الواضحة فى اتباع سياسة خارجية تعتبر فى جزء هام منها ــ وهى السياسات الذرية والدفاعية ــ معارضا للمصالح الفرنسية الوطنية (١) .

وكان ديجول يعتقد أن ميزان القوى القائم غير طبيعى لأنه يتضمن استقطاب العالم وخلق كيانات سياسية تابعة الأمر الذى يتناقض مع مصالح الأمم كما أنه يخلق وضعا خطرا ومزعزعا حيث تقف جميع الأمم الصغيرة والكبيرة باستمرار على حافة الحرب وهو أيضا وضع غير سليم اذ يعطى كلا من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة كل الحرية فى التصرف والاستقلال فى اتخاذ القرارات وتقرير مصيرها ومصير العالم ولهذا فان التصرفات الامريكية والسوفيتية هى تعبير عن القوة القومية بشكل أو بآخر ، فاذا سمح لهم بالتصرف الحر فربما دخلا فى صراع مسلح ، واذا توصلا الى اتفاق مؤقت فانه سيكون من أجل سيطرة مشتركة على العالم ، وكلا الاحتمالين سيكون فى غير صالح الدول الأخرى بما فيها طبعا فرنسا وغرب أوربا ككل ، ولا يمكن تجنب هذا كله الا بخلق توازن للقوى يتماسك ويتسق مع الوقائع النامية فى العالم والتى لابد أن يلعب فيها التطور السياسى والاقتصادى لأوربا دورا متزايدا (٢) .

امتدادا وتطبيقا لتقييم ديجول هذا لعلاقات القوى فى العالم ومتضمناتها بالنسبة لأوربا وفرنسا ، وما يرتبط بذلك من تصوره

(١) Hartman, « The New Age in American Foreign Policy », Macmillan, London, 1970, pp. 251, 252.

(٢) Macridis, Roy, (ed.), « Foreign Policy in World Politics » 5th edition, Prentce Hall, Englewood cliffs », New Jersy, 1 1976, pp. 92-93.

الفلسفي والتاريخي عن دور فرنسا ومكانتها (*) على المستوى السياسي والعسكري ، فان فرنسا يجب أن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها ووفقا لشروطها ، ومن هنا يجب أن تكون لها اسلحتها النووية الخاصة لردع اى هجوم من جانب اى جهة وليس فقط من جانب الاتحاد السوفيتي . وما هو مواز في الأهمية فان فرنسا يجب أن تكون قادرة على ان تملك بعض السيطرة على مصيرها الخاص في حالة ما اذا تورطت الولايات المتحدة في حرب غير أوربية يمكن أن تؤدى الى حرب نووية ، وكانت ازمة كوبا نموذجا على ذلك . وهكذا اعتبر ديجول انه طالما أن القوات الامريكية ظلت على ارض فرنسية فان فرنسا يمكن ان تصبح رهينة التورط الامريكي مع الاتحاد السوفيتي خارج أوربا. وبناء على ذلك سحب ديجول في ١٠ يونيو سنة ١٩٦٣ الوحدات البحرية الفرنسية من الناتو . وفي فبراير سنة ١٩٦٤ غادر ضباط الأركان البحريين الفرنسيين قيادة الناتو ، وخلال عام ١٩٦٤ امتنعت القوات البحرية الفرنسية عن الاشتراك في تدريبات الناتو البحرية ، وأخيرا وفي ثلاث مذكرات منفصلة في ١١ مارس سنة ١٩٦٦ ، ٢٩ مارس ، ٢٢ ابريل سنة ١٩٦٦ أبلغت فرنسا قرارها بسحب قواتها من الناتو في يوليو سنة ١٩٦٦ ، كما طالبت بانسحاب كل القوات الأمريكية والأفراد العسكريين من فرنسا في ١١ ابريل سنة ١٩٦٧ . وقد فسرت المذكرات الفرنسية هذه القرارات بالقول « لقد حدث تغير في طبيعة التهديدات التي تواجه العالم الغربي والتي أدت الى عقد معاهدة حلف شمال الأطلنطي . فلم تعد هذه التهديدات وشيكة أو خطرة كما

(★) مما لا شك فيه أنه يقف وراء موقف ديجول من الولايات المتحدة والوضع المستقل الذي أراده لفرنسا ولكل التحالف الأطلنطي تقديره لدور فرنسا ومكانتها وهو ما عبر عنه في مذكراته التي كتب فيها « .. انه خلال حياتي كلها كنت افكر في فرنسا بطريقة ما . كنت أتصورها كالأميرة في الرؤى الخيالية .. تكرس نفسها لدور استثنائي ، ان القدر قد خلقها للنجاح الكامل أو لسوء الحظ البالغ . وفرنسا لا تكون هي نفسها الا حين تصبح في مركز الصدارة وباختصار ففرنسا لا تستطيع أن تكون فرنسا بدون العظمة » .. وعلى هذا فان فرنسا عنده :

لا تقبل سيطرة أحد الا سيطرتها ولا يمكن أن تنضم الى مجموعة لا تكون فيها مساوية لأعظم أعضائها ، وهي لا تتكامل ولا تذيب نفسها في منظمة أشمل لا يكون لها فيها حق الاعتراض ومن هنا فان التحالف الأطلنطي قد يكون شيئا معقولا ولكن منظمة متكاملة للأطلنطي تحت قيادة غير قيادة ديجول هي أمر غير مقبول ، كذلك فان اتحادا فدراليا تتخلى في ظله فرنسا عن ارادتها للأغلبية أمر غير متصور » .
Lutty, Herbert, « De Gaulle, Pose and Policy », op. cit., p. 357.

كانت ، وزيادة على ذلك فان الأقطار الأوربية قد استعادت قوتها الاقتصادية وبذلك استعادت وسائل العمل وبوجه خاص فان فرنسا تزود نفسها بالأسلحة الذرية وثالثا فان تغير ميزان القوى النووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والذى أنهى احتكار الولايات المتحدة فى هذا المجال قد غير الأوضاع العامة للدفاع الغربى ، واخيرا فثمة حقيقة هى أن أوربا لم تعد مركز الأزمة العالمية اذ أن هذا المركز قد انتقل الى مكان آخر خاصة فى آسيا .. » (١) .

كما عقب ديجول على غضبة أمريكا من قراراته تلك بقوله « ان تأكيدنا لقدرتنا على الحكم والعمل فيما يتعلق بكل المشكلات لا يرضى فى بعض الأحيان دولة قد تظن ان قوتها تعطيها مسئولية عليا وعالمية .. ولكن من يدرى فان الفائدة التى قد تحصل عليها هذهالدولة الصديقة فى أن تجد فرنسا تقف على قدميها انما تزيد عما تشعر به الآن من غضب » (٢) .

وكان ديجول قد شرح مفهومه حول التحالف الاطلنطى للرئيس كنيدى خلال لقائهما فى باريس فى ١ يونيو سنة ١٩٦١ ، وقال ديجول ان الناتو يعنى تحالف ومنظمة ، ولا يعارض أحد فى الحاجة الى التحالف ، ولكن المنظمة فى شكلها الحالى قد تعدت زمانها ، فقد كان جوهرها هو الدفاع عن أوربا بالاسلحة النووية الامريكية ، وكان سبب ذلك هو ضعف الدول الاوربية الغربية ولكن العالم قد تغير ، فواشنطون لم تعد تملك احتكارها النووى وهو ما قلل من قدرة السيف النووى الامريكى ، وزيادة على هذا فان لامريكا ارتباطاتها فى كل انحاء العالم . وفى أوربا فان أحياء الكبرياء القومى وخاصة فى فرنسا يعنى ان الدفاع المتكامل تحت القيادة الامريكية لم يعد مقبولا ، واعتبر ديجول ان غياب عنصر الدفاع الوطنى انما يضعف التحالف لان الدوافع القومية وحدها هى التى تضمن تأييد الشعب الكامل وخاصة فى حرب طويلة ، ورغم ان فرنسا لن تفعل شيئا لتفكيك منظمة الأطلنطى فان كنيدى يجب أن يدرك أن فرنسا تنشد منظمة مختلفة للمستقبل كما ان الأمن الأوربى يجب أن يضمن بالاوربيين

---

(١) Georgy, Andrew and others (eds), « Problems in International Relations » 3 edition, Prentice Hall, London, 1970, pp. 201, 202.

(٢) — Ibid.

انفسـهم وليس بدون الولايات المتحـدة وانما ليس بالولايات المتحدة فقط (١) » .

على انه أيا كان نجاح ديجول أو فشله فى تقديم القيادة والقوة لأوربا ، فان الثـابت ان الخط الرئيسى فى تصرفات وأعمال ديجـول كان هو رغبته وجهوده أن يرى كلا من القوات الامريكية والسوفيتية وقد انسحبت بصورة أو بأخرى من أوربا ، وقد لخص ديجول هـذا فى مؤتمره الصحفى الأخير فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٦٨ بقوله « منـذ عام ١٩٥٨ فاننا معشر الفرنسيين لم نتوقف عن العمل من أجل وضع نهاية لنظام التكتلات ، فقد انسحبنا ببطء من المنظمة العسكرية للناتو التى تخضع الأوربيين للامريكيين وفى نفس الوقت أعدنا علاقاتنا مع بلدان شرق اوربا ، وقبل كل شىء مع روسيا .. لقد حاولنا أن يفهم الشعب الروسى العظيم أن كل أوربا تتوقع منه شيئا افضـل من أن يغلقوا ويكبلوا الدول التابعة لهم فى نطاق من الشمولية الساحقة (٢) » .

يتوازى مع ذلك اعتقاد ديجول انه طالما بقى النـاتو كمـا هـو واستمرت المواجهة السوفيتية الامريكية فى قلب أوربا فلن يكون أى تخفيف لسيطرة السوفيت فى شرق أوربا ، وربما كان هـذا ما دفع ديجول الى ان يبدأ فى اقامة جسور من الاتصالات مع روسيا ودول شرق أوربا وبدأ يركز على الروابط الثقـافية والاقتصـادية وتبـادل الزيارات بين عدد من قادة شرق أوربا وفرنسا ورفضت فرنسـا أن تنظر فى أى ترتيب يمكن أن يجعل للألمان قولا فى الأسلحة النووية . وهكذا فانه فى ظل ديجول كانت فرنسا بالفعل تعود الى الترتيبات التى كانت قائمـة قبل الحرب الثانيـة والتى تعتبر ان ـ التفاهم مع الاتحـاد السوفيتى هو امر لا غنى عنه للحفاظ على السلام فى أوربا وربما كان هذا وراء زيارة ديجول للاتحاد السوفيتى فى صيف عام ١٩٦٦ وزيارة رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجين لباريس بعـد ذلك بستة شهور .

سياسات جديدة فى المانيا الغربية :

قام التحالف الذى شكل الحكومة الائتلافية فى المانيا الغربـية مع نهاية سنة ١٩٦٦ باعادة النظر فى عدد من المفاهيم وذلك اثر المازق

(١) — Schles inger, « A thoousand days », op. cit., p. 353.

(٢) — Mercredis, « Foreign Policy in world Politics » op. cit., pp. 96-97.

الذى وجدت المانيا الغربية نفسها ازاءه بعد تطور مفهوم الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على اثر الأزمة الكوبية والذى رأت فيه شكلا غير محدد وغامض ولم تعرف له هدفا معينا واعتبرته فى هذا الوقت لا شىء أكثر من « تجاهل الأزمات أو الاكتفاء بالمصالح المشتركة الضيقة (١) » .. غير انه بعد مجىء حكومة الائتلاف تلك بدات تعيد النظر فى مفهوم الوفاق هذا . فاذا كان الاعتقاد الذى ساد السياسة الالمانية قد اعتبر ان اعادة توحيد المانيا هو حجر الزاوية فى الوفاق فانها الآن قد غيرت من الأولويات على أساس ان لا تحمل سياسة الوفاق فى أوربا شروطا مسبقة وبدأ الادراك يتعمق بأن مشكلة المانيا لا يمكن أن تحل فى مناخ الحرب الباردة .

أما نقطة الانفصال الثانية عن السياسات القديمة فقد كان فى التخلى وبهدوء عن نظرية هالشتين وان كانت مهتمة بعدم دحضها تماما .. فقد عدل المبدأ الذى كان يحول دون اقامة علاقات دبلوماسية مع الدول غير الاتحاد السوفيتى ـ التى تقيم علاقات مع ألمانيا الديموقراطية ، وعلى هذا سمحت بقيام علاقات مع أقطار حلف وارسو ، أما النظرية فسوف يظل محتفظا بها مع الدول غير الشيوعية، وان كان هذا لن يعنى بالضرورة الانتقام الشامل بقطع تلقائى للعلاقات. وهكذا أقامت حكومة بون علاقات دبلوماسية مع رومانيا فى أوائل عام ١٩٦٧ وبدأت فى جس نبض تشيكوسلوفاكيا والمجر وبلغاريا(٢) .

وقد ساعد على هذا الاتجاه فى السياسة الالمانية ان الاتحاد السوفيتى نفسه كان مهتما بأن يحسن من صورته بعد احداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، ومن ناحية أخرى فان الادارة الجديدة فى الولايات المتحدة بدت متحمسة لتحقيق بعض التقدم مع موسكو ولهذا اعتبرت ان التوتر فى مناطق أخرى مثل برلين سوف يؤثر فى الوفاق . يضاف الى هذا بداية تقارب الصين والولايات المتحدة بحيث بدأ الاتحاد السوفيتى يستشعر بدايات تقارب أمريكى صينى جعله بالتالى يزيد من اهتمامه بدعم علاقاته مع الولايات المتحدة .

غير ان تطور السياسات الالمانية العالمية كانت هى العنصر المشترك الأساسى والحاسم ، وبلغ هذا التطور مداه فى أعقاب

---

(١) — Ibid, p. 13.

(٢) — Ibid, p. 143.

انتخابات سبتمبر سنة ١٩٦٩ حيث تولى الحزب الديموقراطى الاشتراكى الحكم للمرة الأولى منذ جمهورية فيمار . وما هو موضع الأهمية هو أن السياسة الجديدة كانت من المسائل الهامة والأساسية التى دار حولها الجدل الانتخابى ومن هنا اعتبرت نتيجة الانتخابات كتصديق اجماعى على هذه السياسة وتفويضا للحكومة الجديدة باتباعها ووضعها موضع التنفيذ العملى (١) .

وقد أثبتت سياسة الـ Ostpolitik انها المصدر الذى انطلقت منه التطورات التى تلت لا فى علاقات المانيا الغربية بأقطار أوربا الشرقية والمانيا الديموقراطية وبطبيعة الحال بالاتحاد السوفيتى ، بل وكذلك فى علاقات الشرق والغرب بوجه عام .

وعلى الرغم من ان هذه السياسة ترتبط بشكل مباشر بمجيء المستشار الألمانى ويلى براندت الى الحكم عام ١٩٦٩ الا ان أصولها ترجع الى ما قبل هذا حين هز التقارب الفرنسى السوفيتى وانسحاب فرنسا من الناتو المانيا الاتحادية بعمق ، كما أشعرها تورط الولايات المتحدة المتزايد فى فيتنام بالعزلة مما دفع حكومة التحالف التى جاءت الى الحكم الى البدء فى ان تتخلى تدريجيا عن السياسات الجامدة المولية للغرب وسياسات اديناور المعادية للسوفيت (٢) .. غير أن ما فعله براندت هو انه طور هذا المفهوم ووضعه فى اطار متكامل ومتماسك ، ففى خطابه الافتتاحى امام البرلمان فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٩ عرض براندت مناقشة الخلافات الأساسية على أسس من المساواة التى قد تؤدى الى عقد اتفاق مع المانيا الشرقية ، ففى الوقت الذى أقر فيه بوجود دولتين المانيتين ، فقد أصر على أن حكومته لن تقبل ابدا دولة أجنبية فى المانيا الديموقراطية كأمة أجنبية وطور موضوع اقامة دولتين المانيتين فى اطار أمة واحدة وان علاقة خاصة يجب أن تصاغ لتطويع هذا الوضع الغير عادى . كما عرض براندت التفاوض لعقد معاهدات عدم استعمال القوة مع دول شرق أوربا بما فيها المانيا الديموقراطية . كذلك قامت الحكومة الجديدة بخطوات ايجابية أخرى على أثر تجدد الدعوة السوفيتية لعقد مؤتمر الأمن الأوربى ، وهى الدعوة التى صدرت عن اجتماع وزراء خارجية حلف

---

(١) — Ibid, pp. 144-145.

(٢) — Ball, George, « Diplomacy for a Croweded world », op. cit., p .109.

وارسو فى ٣١ اكتوبر وايدت بون هذه الدعوة اكثر من اى عاصمة اوربية اخرى حتى لو تبين ان المانيا الديمقراطية سوف تشترك كدولة كاملة السياده وفى خطوة اخرى اعلن براندت ان برن لن تعارض بعد فى اعتراض دولة ثالثة بألمانيا الديموقراطية (١) .

وهكذا فانه منذ خريف عام ١٩٦٩ بدأت بون تقيم اتصالاتها مع موسكو على أساس سياسة Ostpolitik ، وكان الهدف العام من هذه السياسة هو أن تقيم بون نفس الدرجة من الصلة مع الشرق والتى تتمتع بها غيرها من الدول معتقدة ان المشكلات الفردية يمكن معالجتها بشكل ناجح على اساس ثنائى اذا توفر الجو الصالح . وبالفعل نشأت اتصالات بين كل من وزير الخارجية السوفيتى وبين ايجور بار Bahr الذى عينته حكومة بون لكى يتولى هذه الاتصالات مع جروميكو ثم تولى التفاوض بعد هذا عن المانيا الغربية والتر شيل وزير خارجيتها مسترشدا بالأسس الآتية :

(أ) ان العلاقات السوفيتية الألمانية يجب أن تقوم على اساس نبذ استعمال القوة وعلى نموذج علاقات ألمانيا الفيدرالية مع القوى الغربية الثلاث .

(ب) ان حكومة بون تفترض ان محادثات القوى الأربع حول برلين سوف تضمن العلاقة الوثيقة لغرب برلين مع حكومة بون وكذلك الاتصالات المنتظمة الى برلين .

(جـ) ان الاتفاقيات المقترحة مع الاتحاد السوفيتى وبولندا والمانيا الشرقية وربما مع غيرها من دول حلف وارسو يجب أن تساهم فى الوفاق وان ينظر اليها كوحدة واحدة (٢) .

ومن ناحية أخرى كان براندت حريصا على ان يكرر قبل بدأ المفاوضات النهائية ان التصديق على الاتفاقية يعتمد على التقدم الذى يحدث فى محادثات برلين .. وقد وقعت بالفعل فى ١٢ اغسطس سنة ١٩٧٠ الاتفاقية بين المانيا والاتحاد السوفيتى ونصت على » :

١ ـ ان جمهورية المانيا الاتحادية والاتحاد السوفيتى تعتبران انه من الأهداف العامة لسياستهما صيانة السلام العالمى والوصول الى

---

(١) — Whetter, Lawerence, «Germany's Ospolitik», Oxford university Press, 1971, pp. 116, 117.

(٢) — Ibid, pp. 136-137.

الوفاق . وهما يؤكدان سعيهما نحو تطبيع الموقف فى أوربا وتطوير العلاقات السليمة بين جميع الدول الأوربية وهما يقومان بذلك انطلاقا من الوضع الفعلى القائم فى المنطقة .

٢ - ووفقا للاهداف والمبادىء السابقة ، فان جمهورية ألمانيا الاتحادية والاتحاد السوفيتى يشتركان فى الاقتناع بأن السلام يمكن فقط أن يتحقق فى أوربا اذا لم يمس أحد الحدود القائمة ولذلك :

(أ) فهما يتعهدان باحترام ، وبلا تحفظ ، التكامل الاقليمى لكل دول أوربا فى نطاق حدودها الراهنة .

(ب) وهما يعلنان انه ليس لهما مطالب اقليمية ضد أى أحد أو انهما سيطالبان بذلك فى المستقبل .

(جـ) وسوف يعتبران اليوم ، وفى المستقبل ، ان حدود كل أوربا لا يمكن انتهاكها ، وبالوضع الذى كانت عليه يوم توقيع الاتفاقية الحالية بما فى هذا خط الادونيسن الذى يشكل الحدود الغربية لجمهورية بولندا والحدود بين ألمانيا الغربية وبين جمهورية ألمانيا الديموقراطية (١) .

وقد حرصت حكومة بون ان تؤكد فى مذكرات الى حكومات القوى الغربية الثلاث الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، ان الاتفاقية بين ألمانيا الغربية والاتحاد السوفيتى لن تؤثر فى حقوق القوى الأربع ولا ترتبط بها الأمر الذى أيده اعلان صدر عن وزير الخارجية السوفيتى . ومن ناحية أخرى وجهت الحكومة الامريكية مذكرة فى ١١ اغسطس سنة ١٩٧٠ الى حكومة ألمانيا الفيدرالية تؤكد فهمها للاتفاقية التى ستعقدها مع الاتحاد السوفيتى « ان حكومة الولايات المتحدة تعتبر ايضا ان حقوق ومسئوليات القوى الأربع فيما يتعلق ببرلين وألمانيا ككل والتى قررتها نتائج الحرب الثانية والتى انعكست فى اتفاقية لندن فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٤ والاعلان الرباعى فى ٥ يونيو سنة ١٩٤٥ والاتفاقيات التى عقدت خلال وبعد الحرب لا يمكن أن تتاثر باتفاقية ثنائية بين جمهورية ألمانيا الاتحادية واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية فى ذلك المعاهدة الحالية » (٢) .

---

(١) — Kissing's Archive, 1970, pp. 24143, 24144.

(٢) Whetter, Lawerence, «Germany's ostpolitik» op. cit., pp. 225, 226.

وقد عكست مذكرة الولايات المتحدة تلك تخوفها من هـــذه المعاهدة التى اعتبرت انها تمثل انتصارا للاتحاد السوفيتى باعتبـــار انها قننت الأوضاع الاقليمية التى نتجت عن الحرب الثانية . وكذلك من احتمـــال أن تـؤدى سياســــة Ostpolitik بوجه عام الى التأثير على وحدة الناتو بتشجيع الدول الأوربية على السلوك المستقل عن واشنطون فى علاقتها بموسكو وهو ما ســوف يؤدى بالتــالى الى تقليل سلطة واشنطون فى مفاوضاتها مع موسكو . وقد عكست رسالة حالة العالم التى ألقاها نيكسون عام ١٩٧٢ هذا التخوف بقوله : « ان بعضا من حلفائنا انما يتبعون الوفاق فى صلات ثنائية مع الشرق ولكنه من الواضح ان معظم المسائل الثنائية هى جزء من نسيج أوســع من مشــاكل الأمن الأوربى . ان الاتحــاد الســوفيتى يجب أن لا يعطى الفرصة لكى يقدم وفاقا انتقائيا بتطويره لعلاقات مع بعض الأمم دون البعض الآخر . وهــكذا فان وحــدة الغرب يجب أن تكون هى حجر الزاوية فى اتباعنا للوفاق . اننــا وحلفاءنا علينــا مسئولية أن نتشاور بعمق كاف لضمان أن تكمل جهودنا بعضنا البعض وان تكون أولوياتنا وأهدافنا العريضة هى فى جوهرها أهداف واحدة (١) »

وقد فسر أحـــد المحللين الألمان التحفظ الامريكى بقـــوله ان السياسة الشرقية لحكومة بون قد قامت بها تلك الحكومة وليست الولايات المتحدة ، وحين تواجه قوة عالمية نتائج تتعدى ســيطرتها ، فانها لابد أن يتملكها القلق ، ويضيف انه كان يجب توقع ان احــدا لا ينشد انفتاحا عادلا على الشرق دون أن يخلق الشكوك ، ومن هنــا فان القرار الامريكى بالابقاء على وجود القــوات الامريكيــة فى أوربا يمــكن أيضا أن يفسر كخطوة احتيــاطية وليس فقط ضــد الاتحــاد السوفيتى (٢) .

غير ان ما انقذ هذه المعاهدة وسياسة الـ Ostpolitik بوجه عام من أن تكون فى صالح جانب واحد فقط هو جعلها الاتفاق الرباعى حول المرور الى برلين — الذى عقد بالفعل بعد هذا فى سبتمبر ســنة ١٩٧١ — شرطا أوليا للتصديق على المعاهدة السوفيتية الالمانية وهــو ما تم فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٧٢ .

---

(١) — Nikson, Ritchard, «The u.s. Foreign Policy in the 705 the emerging Structure 1972, p. 51.

(٢) — Lawerence whetten, « Appraising the ostpolitik, » ORBIS, Fall 1971 N 3, p. 836.

والواقع ان بهذا الشكل فان المانيا الاتحادية قد قدمت ما يمكن أن يكون ازالة ولو مؤقتة – لأحد مناطق النزاع بين موسكو وواشنطون وخلقت بذلك ثقة كافية لتشجيع الرئيس الامريكى الجديد على السير قدما فى دبلوماسية القمة (١) ..

(١) Ball, « Diplomacy for a Crowded world », op. cit., pp. 19-110.

المبحث الثـــانى

الانقسامات داخل المعســـكر السوفيتى

أ ـ النزاع السوفيتي الصينى :

كانت الصين الشيوعية هى أول دول الكتلة السوفيتية ، التى تجاور الاتحاد السوفيتى ، التى قامت بخطوة جريئة فى اتجاه الاستقلال السياسى والدبلوماسى عن النطاق السوفيتى فيما بعد ستالين ٠ لقــد انفصم تيتو عن الكومنفورم عام ١٩٤٨ واخذ طريقا مستقلا من هذا الوقت حتى الآن صانعا بذلك أول الشقوق فى صفوف الكتلة السوفيتية ٠ الا أن ثمة فروقا أساسية بين وضـــع الصين ويوغوســـلافيا جغرافيا وسياسيا وبشريا ٠٠ فيوغوسلافيا دولة صغيرة شبه صناعية يبلغ سكانها ٢٠ مليونا ، وهو أقل من عشر سكان الاتحاد الســـوفيتى ، ومجموع انتاجها القومى أقل من ٢٠ ٪ من الناتج القومى السوفيتى ٠ ورغم أنها تملك أفضـــل جيوش أوربا تدريبا ودافعا وطنيـــا فان يوغسلافيا بهذه المعـــايير لا تمثل أى خطر على الاتحاد الســـوفيتى بل انهـــا لا تقع على حدوده ، أما بالنسبة للصين الشـــيوعية فان الأمر يختلف ، فرغم أن اقتصـــادها ليس قويا لا من حيث الفعل ولا الامكانية مثل الاقتصـــاد السوفيتى ، الا أنها بلد كبير يبلغ سكانها ثلاث مرات ســـكان الاتحاد السوفيتى ، ورغم ان الجيش الصينى غير مزود بتسليح مماثل لجاره فى الشمال ، وان كان على مستوى جيد من التدريب ، الا أنه يمتلك قوة بشرية تبلغ ٣ ملايين كما ان لديه احتياطيا مؤهلا لحمل الســـلاح يبلغ ١٥٠ مليـــون يضاف الى هذا حقيقة ان الصين تشترك فى حدود طولها ٤٥٩٢ ميلا مع الاتحاد السوفيتى وتشهر سلاحا ايديلوجيا موجها الى الاتحاد السوفيتى الذى أصبح بالنسبة لها يمثل « الامبرياليةالاشتراكية » ٠ ولعل ما يضيف الى هذه الأعتبارات ويوضح خطورة الانشقاق الصينى السوفيتى هو منازعة الاتحاد السوفيتى فى ٦٠٠٠٠٠ ميل مربع من الاراضى تقع داخل الحدود السوفيتية ، وقد اثبتت حوادث الحـــدود

عام ١٩٦٩ ان حرب الورق الصينية السوفيتية يمكن أن تشتعل وتتحول الى حرب ضارية (١) ٠

ويدفع استعراض العلاقات الروسية مع الصين خلال عهدى روسيا القيصرية والصين الامبراطورية ثم على أثر استقرار نظام الحكم الجديد فى روسيا بعد الثورة البلشفية ، يدفع على الاعتقاد بأن ثمة خلفية تاريخية للنزاع بين البلدين ٠ فقد ظلت قصة العلاقات الروسية مع الصين عبر القرن ١٩ وحتى عام ١٩١٧ هى قصة الضغط المستمر أحيانا بقوة السلاح وفى الأغلب بالتغلغل الاقتصادى والمؤامرة فى مناطق الحدود فى منشوريا ومنغوليا وسينيكنانج ، وقد قاوم الصينيون هذا الضغط بأفضل ما يستطيعون بنقل السكان الى المناطق المهددة ثم بالوسائل الدبلوماسية وأحيانا بالقوة (٢) ٠

وقد كان التأثير المباشر لمجىء الحكم البلشفى فى روسيا هو الخفض الحاد لأثر روسيا فى الشرق الأقصى ، وتشجيع الجهود الصينية لاستعادة السيطرة على مناطق الحدود ، الا انه مع عام ١٩٢٥ كانت الحكومة السوفيتية قد استعادت كل المواقع التى كانت لروسيا الامبراطورية فى الشرق الأقصى حتى عام ١٩٢٩ حينما اتخذت الصين بقيادة شاينج كاى شيك خطوات لخفض السيطرة الروسية على سكك حديد الصين الشرقية لم تتردد السلطات السوفيتية فى غزو منشوريا واعادة تأكيد موقفها الاحتكارى ٠ وخلال الثلاثينات استغلت السلطة السوفيتية الضعف الداخلى فى سينكنباج للتغلغل فى ادارة هذه المنطقة كما قد أعيد تأكيد الاشراف السوفيتى فى منغوليا الخارجية عام ١٩٢٤ ولم تتأثر بشكل جدى منذ هذا الوقت ٠

وقد اتبع ستالين منذ البداية سياسة تأييد حكومة موحدة مركزية قوية صينية طالما انها كانت صديقة لروسيا ، وكان يعتبر ان قيام صين ضعيفة سوف يغرى بالتدخل فى الشرق الأقصى من جانب القوى الخارجية واعتبر ستالين ان مصالح روسيا هى تأييد القوى الداخلية فى الصين التى تبدو انها تمتلك أفضل الفرص لتأسيس ادارة مستقرة،

(١) — Weeks, « The Otherside of Coexistence », op. cit., pp. 243-244.

(٢) — Floyed, David, « Mao Against Khruschv » Allmail Press, 1964, pp. 3-5.

وكان هذا يعنى فى التطبيق التأييد السوفيتى للكومنتاج بقيادة صن بات صن ثم بعد هذا بقيادة شاينج كاى شيك (١) ٠

والواقع ان فحص سلوك ستالين تجاه الشيوعيين الصينيين خلال حربهم مع شانج كاى شيك انما يتناقض مع الافتراض القائل بان هدفه الاول كان هو الانتشار العالمى للشيوعية ، ذلك انه خلال نضال الحياة أو الموت الذى كان الشيوعيون الصينيون يمارسونه ضد شاينج كاى شيك ٠

فان ستالين لم يرفع أصبعا لمساعدتهم بل انه احتفظ بعلاقات طيبة مع الكومنتاج ، ولم تتغير هذه السياسة بعد أن تدعم موقف الشيوعيين الصينيين وتزايد نفوذهم عام ١٩٤٥ ، وقد وصف ستالين موقفه لوفد يوغسلافى زار موسكو عام ١٩٤٨ « بعد الحرب دعونا الرفاق الصينيين للحضور الى موسكو وناقشنا الموقف فى الصين وقلنا لهم صراحة أننا نعتبر ان تطور انتفاضتهم فى الصين ليس له أى مستقبل ونصحناهم ان يتوصلوا الى اتفاق مع شاينج كاى شيك والاشتراك فى حكومته وحل جيشهم (٢) ٠

وبالاضافة الى عدم اقتناع ستالين بوجه عام بعدم قدرة الشيوعيين المحليين ، فان اتجاهه العام أيضا هو عدم تأييد أى حركة شيوعية مالم يكن متأكدا وبشكل مطلق من قدرته على السيطرة عليها ، وهكذا فانه بالنسبة للشيوعيين الصينيين الذين اتبعوا طريقا متميزا حتى وهم بعد خارج السلطة فان توقعاته كانت ضئيلة من ان هؤلاء الاشتراكيين الزراعيين الذين تمثل شيوعيتهم نوعا غريبا من الشيوعية تقوم على الفلاحين أكثر من عمال المدن سوف يتبعون قيادته حين يمتلكون السلطة (٣) ٠

وهكذا يمكن القول ان ستالين قد فوجىء بالانتصار الشيوعى فى الصين ، وتحقق لماوتس تونج التفوق فى التقدير والحكم على ستالين، واستطاع فى ١ مايو ١٩٤٩ ان يعلن عن قيام جمهورية الصين الشعبية كأول قوة شيوعية فى الشرق الاقصى واقام أسس جديدة قوية ومستقرة

---

(١) — Ibid, p. 5-6.

(٢) — Hall, « The Cold war as history », London, 1971, p. 11.

(٣) — Hartman, « The new age of American foreign policy », op. cit., p. 188.

وحكومة مركزية كان على ستالين وخلفائه أن يحترموها لأسباب سياسية ٠

وايا كان رأى ماو فى معاملة موسكو للصين ولثورته خلال فترة نضالها ، فان حقيقة بسيطة كانت ماثلة أمامه وهى أن روسيا هى المصدر الوحيد الممكن للمعونة المالية والاقتصادية التى يجب أن تحصل عليها الصين اذا ما اراد النظام الجديد أن يدعم من مركزه ، ولهذا كان طبيعيا انه بعد شهرين من اعلان جمهورية الصين الشعبية أن يسافر ماو الى موسكو وان يعقد معاهدة للصداقة والتحالف والمساعدة المتبادلة لمدة ثلاثين عاما ووقعت المعاهدة فى ١٤ فبراير سنة ١٩٥٠ ٠ وقد تعرضت المعاهدة لنقاط الخلاف التقليدية والتاريخية بين روسيا والصين حول مناطق بورت ارثر ودرين وسينكيناج ومنغوليا الخارجية كما قدم الاتحاد السوفيتى قرضا بـ ٣٠٠ مليون دولار بفائدة قدرها ١٪ على مدى خمس سنوات كما تضمنت الجوانب الاقتصادية والثقافية ايفاد آلاف المهندسين والفنيين والعلماء والأساتذة والمدرسين السوفيت الى الصين كما قدم ٢٥٠٠ خبير فى المجال العسكرى ٠

غير انه فى الوقت الذى توفى فيه ستالين والذى توافق مع بدء تنفيذ خطة السنوات الخمس الصينية الأولى لم يكن الا لقليل من المساعدة التى وعدت بها ـ الصين عام ١٩٥٠ قد وصلتها ، وخلال ثلاث شهور من وفاة ستالين وعد السوفيت ـ بتولى تصميم وبناء ٩١ مشروعا صناعيا بالاضافة الى الخمسين مشروعا التى تعهدوا باقامتها وفقا لمعاهدة عام ١٩٥٠ ، كذلك أضيف ١٥ مشروعا صناعيا آخر فى أكتوبر عام ١٩٥٤ وكانت ضمن الاتفاقيات التى تمت خلال حضور وفد سوفيتى بقيادة خروشوف لحضور احتفالات العيد الخامس للثورة الصينية ومنحت هذه الاتفاقيات قرضا اضافيا بـ ٢٥٠ مليون روبل وحل الشركات الصينية السوفيتية المشتركة وتعهد صريح بان القوات السوفيتية سوف تغادر بورت ارثر ودارين فى ١٤ مايو سنة ١٩٥٥ ٠ وهكذا وبعد عامين من وفاة ستالين حدث بين روسيا والصين حزبا وحكومة تحولا حادا فى صالح الصين ، فقد تدعم مركزها ومكانتها داخل المعسكر الاشتراكى وبدأت تتلقى المساعدة المادية التى تستطيع ان تضيف بها قوة اقتصادية وسياسية للنفوذ السياسى التى حققته فعلا ٠ وقد بدا هذا النفوذ فى حضور الصين لمؤتمر الهند الصينية عام ١٩٥٤ جنبا الى جنب مع الولايات المتحدة وفى زيارة شواين لاى للهند فى نوفبر سنة ١٩٥٤ ،

وتأكيد ان آسيا للآسيويين وان العصر الذى كانت فيه القوى الأجنبية تستطيع أن تقرر فيه مصير آسيا قد انتهى الى الأبد ٠

غير ان نقطة التحول فى علاقات الصين بالاتحاد السوفيتى وبذور النزاع ـ الأيديولوجى ـ يمكن أن نجدها فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ١٤ ـ ٢٥ فبراير ١٩٥٦ ٠ فقد كشفت الوثائق الصينية فيما بعد انهم منذ البداية كان لهم تحفظاتهم حول المسائل التى عالجها خروشوف وان المؤتمر كان له جوانبه الايجابية والسلبية ، كما ناقش مقالا نشر فى جريدة الشعب الصينية فى ٥ أبريل سنة ١٩٥٦ ادانة عبادة الشخصية واعتبر ان ستالين « كان له قراراته الخاطئة حول عدة مسائل هامة والتى أدت الى نتائج خطيرة كما انه قد قدم عدة نصائح خاطئة عن الحركة الشيوعية الدولية وبشكل خاص اتخذ قرارا خاطئا حول مسألة يوغسلافيا » الا أن الحكم عليه فى النهاية كان متوازيا فاعتبر المقال انه « من الخطأ الظن أن ستالين كان مخطئا فى كل شىء » (١)

والواقع ان التحفظات التى أوردها الصينيون على ادانة خروشوف لستالين لم تكن راجعة الى اعتزاز من جانبهم بستالين ، وانما جاء اعتراضهم أساسا لأن خروشوف قد أعلن سياسة تصفية الستالينية بالنسبة لكل المعسكر دون أن يهتم حتى بالتشاور معهم(٢) ٠ وربما كان هذا هو مفتاح الخلاف حول السلطة والمكانة داخل المعسكر الأمر الذى سيشكل جوهر الصراع الصينى السوفيتى ٠ ويبدو أن القادة الصينيين قد شعروا بالنظر الى حجم بلادهم ومساهمتهم الطويلة فى قضية الشيوعية العالمية واقامة الشيوعية فى بلادهم ثم لاسهامات ماو الشخصية الأيديولوجية ، انهم جديرون بتجربة خاصة بهم سواء فى الداخل أو فى الشئون الخارجية ولم يجدوا أى مبرر لاعتراضات سوفيتية على ذلك ٠ أما بالنسبة للسوفيت فانهم لم يكونوا ليتقبلوا هذا بدون أن تتعرض مكانتهم للاهتزاز حيث ظلت موسكو هى روما الشيوعية فضلا عن أنه

---

(١) — Whence the difference, People's daily, febroury 27. 1963 Floyed, « Mao against Khrushchev op. cit., p. 378.

(٢) — Floyed « Mao against Khurshchey, » op. cit., pp. 36-37.

(٣) — Spanier, «American Foreign Policy since World War II» op. cit., p. 248.

اذا ما ادعت الشيوعية انها تمثل الحقيقة فيجب أن لا يكون هنـــاك الا تفسير صحيح واحد لها ، ولهذا فانه يجب أن لا يكون هناك الا مركز واحد للتفسير وتطبيق النظرية • وكانت أول اشارة الى التفسير الصينى الأيديولوجى الخاص هو تفسيرهم لما حدث فى المجر عام ١٩٥٦ ونظريتهم فى التناقضات الأساسية والتناقضات غير المعادية • ورغم ان السوفيت كانوا ممتنين لتأييد الصين لهم فى هــذه الأزمة الا انهم من غير شــك لم يكونوا مرتاحين أن تكون الصــين هى صاحبة التفســير الأيديولوجى الذى عالج هذه الأزمة ، كما يرتبط بهذه الحملة التى اثارها ماو تحت شعار دع مائة زهرة تتفتح ودع مائة زهرة تتنافس حيث بدت هذه الآراء الصينية لا تنطبق على الاتحاد السوفيتى (١) •

ومع نهاية عام ١٩٥٨ اتخذ التحدى الصينى للقيادة الســـوفيتية شكلا مختلفا تماما وتركز حول مفهوم « الكوميونات الشعبية » والتى قدمها الصينيون وكأنهم اكتشفوا طريقــا مختصرا للشـــيوعية وتحقيق الوفرة للمجتمع ومن خلالها أطلق الثناء على ماو كمساهم أصيل فى الفكر الماركسى ، وهو ما كان يمثل تحـــديا خطيرا للاولوية الروسية فى المعسكر وهى الأولوية التى ترجع فى نظر الصـــــين الى مجرد الصدفة التاريخية Accident of history وليس لتفوق فى الفكر أو المعرفة ــ أما السوفيت فقد أعلن خروشوف ان ليس ثمة قفزا فوق مراحل التقدم من الرأسمالية الى الشيوعية وان العملية هى حتما طويلة وتدريجية • وقد رفض خروشوف بعد ذلك فكرة الكوميونات بشكل حاسم وقال ان الذين يتبنونها ليس لديهم فكرة حقيقية عما هى الشيوعية وكيف تبنى (٢) •

وخلال الفترة التى كانت تتشكل فيها عناصر النزاع الســـوفيتى الصينى حدثت ثلاثة تطورات محددة كان لها أثر مباشر فى إذكاء هــذا النزاع وهى : الخلاف حول تزويد الاتحاد السوفيتى للصين بالاسلحة والمعرفة الذرية ــ موقف السوفيت من ضرب الصـــــين لجزر ماتسو وكيموى ــ ثم الموقف السوفيتى من نزاع الحدود الصينى الهندى ــ فى هذه الاحداث الثلاث كان البارز فيها شعور الصـــــين بتخلى الاتحاد السوفيتى عنها •

---

(١) Mackintoch, «Strategy and Tactics in Soviet Foreign Policy», op. cit., pp. 245-246.

(٢) — Floyed, «Man Against Khrushchev», op. cit., p. 65.

فمع عام ١٩٥٧ كانت القيادة الصينية مستعدة لتاكيد التحالف مع الاتحاد السوفيتي على ان يتضمن هذا التحالف المساعدة الروسيه في اعطاء الصين قدرة نووية مستقلة · فاذا كانت بريطانيا تملك قنبله هيدروجينية باعتبارها حليفة الولايات المتحدة وبمساعدتها فلماذا لا تمتلك الصين كذلك · على هذا الاساس جرت مفاوضات بين الصين والاتحاد السوفيتي في صيف عام ١٩٥٧ حول موضوع المساعدة النووية وانتهت هذه المفاوضات بالاتفاقية السرية حول المشاركة النووية في ١٥ أكتوبر عام ١٩٥٧ · أما على الجانب الروسى فلا بد أن هذا الموضوع كان موضع جدل ونقاش حاد بين القادة السوفيت وخاصه العسكريين منهم · فاذا كانت الولايات المتحدة قد شرعت في احاطة روسيا والصين بطوق من الصواريخ متوسطة المدى IRMS فلماذا لا تعطى روسيا حقا للصين القدرة النووية ؟ وليس من شك أيضا ان القادة العسكريين السوفيت قد تمسكوا بانه لا يجب اعطاء الصين أيه قدرات نووية مالم تمارس موسكو الاشراف الكامل أو على الأقل ان يكون لها صوت حاسم في هذا البرنامج ·

غير انه مع عام ١٩٥٨ كان خروشوف قد تأثر بالفعل باخطار التسلح الذرى وكثف جهوده لوفاق مع الولايات المتحدة كما ان تحول الصين لاتجاه يسارى متطرف في الداخل والخارج زاد من تصميمها ضد مثل هذا الوفاق الأمريكي السوفيتي وللحصول على قدرتها الذرية الخاصة، ومن ناحية أخرى فان تصميم الولايات المتحدة على الدفاع عن فرموزا والجزر الساحلية جعل خروشوف يرفض مساعدة الصين عسكريا ضد الامريكيين وبهذا أصبحت المسألة الذرية هامة بشكل متزايد لكل من موسكو وبكين (١) ·

غير ان العنصر الحاسم في رجوع الاتحاد السوفيتي عن تزويد الصين بالاسلحة الذرية (*) كان مرتبطا بشكل وثيق بمسألة اكتساب

---

(١) Griffith, « Sino-Soviet Rift » op. cit., p. 12.

(★) لم يكن قد أعلن بشكل علنى عن اتفاقية المشاركة النووية بين الصين والاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٧ ولم يكشف عنها الا حين أعلن الصينيين في بيان رسمى في ١٥ اغسطس سنة ١٩٦٣ في ٢٠ يونيو سنة ٥٩ وحين لم يكن هناك بعد أى اشارة الى معاهدة وقف التجارب الذرية مزقت الحكومة السوفيتية بشكل منفرد الاتفاق حول التكنولوجيا الجديدة للدفاع الوطنى التى عقدت بين الصين والحكومة السوفيتية في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٥٧ ورفضت تزويد الصين بعينه من القنبلة الذرية والمعلومات الفنية =

المانيا الغربية للاسلحة النووية من الولايات المتحدة ففى بيان اصدرته الحكومة السوفيتية فى ٣ أغسطس عام ١٩٦٣ قالت « .. ان التسلح النووى لالمانيا الغربية يجب أن لا يسمح به بأى شكل لان تقديم هذه الأسلحة لدولة تقوم سياستها الخارجية على الانتقام وتعديل الحدود فى أوربا سوف يزيد حتما من خطر حرب عالمية جديدة » (١) .

وعلى ذلك كان القادة السوفيت ينظرون الى امتلاك ألمانيا الغربية للاسلحة النووية كأخطر تهديد للامن القومى الروسى خاصة وان الروس يسيطر عليهم ما يسمونه بخطر الانتقامية الالمانية ويقصدون بها العناصر التى يمكن ان تجىء يوما الى السلطة وتحاول فرض وحدة بالقوة على المانيا واستعادة الاراضى المفقودة فى الاودرنيس ، فاذا ما حدث هذا وكانت المانيا الغربية تمتلك الاسلحة النووية فانها سوف تشكل قوة تدفع الناتو أكثر فأكثر الى اليمين وسوف تصبح المانيا الغربية وقوتها الاقتصادية القوة المسيطرة فى غرب أوربا بحيث تبدو انجلترا وفرنسا الى جانبها كالأقزام .

وهكذا كان المنطق السوفيتى انه اذا ما قدمت أسلحة نووية الى الصين أو ساعدتها على ذلك فان هذا لن يعنى الا تشجيعا للضغوط الامريكية على اعطاء نفس الأسلحة لالمانيا ، وأنه اذا كانت الصين المسلحة هى حليفة روسيا الرئيسة فلماذا لا تحل ألمانيا القوية محل بريطانيا كالحليف الرئيسى لأمريكا فى غرب أوربا (٢) .

أما موقف الاتحاد السوفيتى من ضرب الصين لجزر ماتسو وكيموى فقد ارتبط حدوثه أو جاء على اثر الانجازات العالمية التى حققها السوفيت فى خريف عام ١٩٥٧ من اطلاق السبوتنيك والصواريخ العابرة للقارات وهى التى اعتبرتها الصين « قمم غير مسبوقة أحدثت تحولا فى الموقف الدولى » وكان لهذا التضخيم الصينى للقوة السوفيتية أثره الهام على العلاقات السوفيتية الصينية فى الأعوام التالية . (٣)

= المتعلقة بانتاجها وكان هذا كهدية يقدمها الزعيم السوفيتى الى الولايات المتحدة حين زارها فى سبتمبر من نفس العام » . راجع :

راجع : (Shrumann « The logic of world power » op. cit., p. 303.)

(١) Ibid, p. 308.

(٢) — Ibid. p. 309. 310.

(٣) — Mackintoch, « Strategy and Tactics of soviet foreign policy », op, cit.. p. 248.

وكان أول اختبار أو مجال لاختبار هذه القــوة هو أزمة جزر كيموى وماتسو فى سبتمبر ١٩٥٨ والتى بدأ الصينيون بضربها .

وثمة تفسيرين لدوافع الصينيين الى هذا ، يقول أحدهما بانه كان يقصد الى خلق جو من التعبئة يخدم سياسة بناء الكوميونات، وان هذا قد ارتبط بالاعلان عن تجنيد ٩٥ مليون كميليشيا والعمل فى الحقـل الانتاجى ، أما الدافع الثانى فربما كان متــــأثرا بالاعتقاد بان القوة العسكرية السوفيتية هى من الضخامة بحيث يمكن للمعسكر الشيوعى أن يقوم بمخاطرة لم تكن ممكنة من قبل عام ١٩٥٧ (١) .

غير انه حين شرعت الصين فى ضرب الجزر أصدر السوفيت بيانا اتسم بالحذر الشديد ، وبعد أسبوع من الضرب وبعد ان كان شواين لاى قد خفف من توتر الموقف باشارته للاستعداد للمحادثات وفى الوقت الذى كان ثمة خطر ضئيل فى أن تهاجم الصين ، حذر خروشوف بالقول بان الهجوم على الصين سيكون هجوما على الاتحاد السوفيتى . وبذلك ألقت الأزمة قدرا من الضوء حول حالة العلاقات بين موســكو وبكين واشارت الى الافتقار الكامل للتنسيق بين خططهم فى الشئون الدولية وكذلك الى الافتقار الواضح الى أى ارتباطات عسكرية واضــحة بين الحكومتين وجذبت النظر الى تردد الروس فى ربط أنفسهم - بالمعنى العسكرى - لتأييد آمال الشيوعيين الصينيين . وبدا واضحا أن الصين قد اتخذت قرار ضرب الجزر بتعمد لكى تفرض على الســـوفيت قرار التعاون النووى بين القوتين . فاذا كان هذا حقا ، فقد كانت عملية غير ناجحة من جانب الصينيين انسحبوا بعدها بسرعة حين تحققوا من عدم التأييد السوفيتى ، وفى المرة الثانية التى شرعوا فيها فى مغامرة عسكرية (الحدود الصينية الهندية) فقد فعلوا هذا بدون أى اعتماد على التأييد السوفيتى (٢) .

ففى صيف وخريف عام ١٩٥٩ تسببت الصين فى مضايقة كبرى للسوفيت بتحركاتها العسكرية على الحدود الهنـــدية حيث رغبوا فى احتلال منطقتين تدعيهما الهند . وقد اصـــدرت وكالة تاس بيانا فى أغسطس سنة ١٩٥٩ يقول ان الاتحاد السوفيتى له علاقات صداقة مع

(١) — Ibid. p. 251.

(٢) Floged, « Mao against Khrushchev » op. cit., p. 73.

كلا البلدين وان أى محاولة لاستغلال حوادث الحدود بهدف اشـــعال الحرب الباردة يجب أن تدان بكل قوة (١) .

وبعد تطور النزاع السوفيتى ، سيكشف الصينيون عن رأيهم فى هذا الموقف من جانب الاتحاد السوفيتى فقد ذكرت مقالة لجريدة الشعب الصينية عام ١٩٦٣ » . « لقد كانت هذه أول حادثة فى التاريخ ان دولة اشتراكية بدلا من ان تدين الاستفزازات المسلحة من جانب الرجعيين فى دولة رأسمالية تدين دولة اشتراكية شقيقة تعرضت لهـذه الاستفزازات المسلحة » (٢) .

توضح الحالات الثلاث السابقة ، والتى دفعت الصينيين الى مراجعة علاقتهم بالاتحاد السوفيتى ، توضح ان الاتجاه السوفيتى كان محـكوما بالرغبة فى حصر الظروف التى يمكن ان تؤدى إلى تعريض العلاقة النووية والاستراتيجية مع الولايات المتحدة الى مزيد من عدم الاستقرار خاصة وانه حين وقعت التطورات الثلاثة السابقة لم تكن قد اتخذت بعد أى خطوة جادة فى اتجاه تقنين واستقرار هذه العلاقة .

لذلك فانه بتزايد وثبات هذا الخطر فى السياسة السوفيتية والذى أخذ صورة خطوات عملية فى اتجاه وفاق مع الولايات المتحدة ، فان ذلك قد انعكس بشكل مباشر على العلاقة التى أرست فيها التطورات السابقة بالفعل بذور الشقاق والتوتر وأخذت شـكل الخلاف والمواجهة الكلامية والأيديولوجية العلمية وكان مركز هـذه المواجهـة والخلاف هو قضيه الحرب والسلام .

وقد بدأت هذه القضـية تثار بشـكل واضـح ومحدد عقب زيارة خروشوف للولايات المتحدة ثم توجهـه فى اليوم التـالى ــ ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٩ لزيارة بكين . ورغم واجهة المعاملة الودية التى قوبل بها الا أنه يبدو ان المحادثات كانت بعيدة عن ذلك وهو ماجعل خروشوف فى خطابه العلنى فى حفل تكريمه يوجه تحذيرا الى الصينيين والى الحجج التى كانوا يسوقونها فى المحادثات . فبعد ان آكد قوة العالم الشيوعى مقارنة بالعالم الرأسمالى قال « الا أن هذا لايعنى بالتأكيد انه طالما اننا أقوياء فانه يجب أن نختبر مدى استقرار العالم الرأسمالى بالقوة ، فسيكون هذا من قبيل الخطـأ ، فالشعوب لن تفهم أبدا ولن تؤيد هؤلاء الذين يتصرفون بهذا

---

(١) Hall, « The Cold War as history » op. cit., p. 118.

(٢) Floyed, « Mao Against Khrushchev » op. cit., p. 73.

الشكل ، وحتى مثل هذا النظام النبيل والتقدمي كالاشتراكية لايمكن ان يفرض بقوة السلاح » (١) وقد علقت بعد ذلك الوثائق الصينية على هذه الفقرة بالقول « بعد محادثات كامب دافيد فان رؤوس بعض الرفاق قد دارت وأصبحوا أكثر فأكثر سيئى المزاج فى هجومهم العلنى على السياسة الداخلية والخارجية للحزب الشيوعى الصينى » (٢) .

وقد بلور الصينيون موقفهم من قضية الحرب والسلام فى المقال الذى نشرته جريدة Red Flag فى ١٦ ابريل سنة ١٩٦٠ « فى الذكرى المئوية لميلاد لينين وذلك تحت عنوان Long live Leninism فقد ذكر المقال ـ بما يتناقض مع المفهوم السوفيتي : ـ « اننا نعتقد فى الصحة المطلقة للتفكير اللينينى : ان الحرب هى النتاج الحتمى للنظم المستغلة وان منبع الحروب الحديثة هى النظام الرأسمالى . وحتى ينتهى عصر الامبريالية فان الحرب من نوع أو آخر سوف تقع دائما فربما كانت حربا بين الامبرياليين لتقسيم العالم أو حربا بين العدوانيين الامبرياليين والأمم المستبعدة أو حربا أهلية بين الثورة والثورة المضادة أو حربا تهاجم فيها البلدان الرأسمالية البلدان الاشتراكية التى تضطر للدفاع عن نفسها .. » (٣) .

أما الاتحاد السوفيتي فقد رد على هذا المنطق الصينى بمقال نشرته مجلة الكوميونيست عام ١٩٦٠ بالقول « ان حربا عالمية تستخدم فيها أسلحة ذرية لن تميز المقدمة والمؤخرة ، وسوف تؤدى الى الدمار الكامل للمراكز الرئيسية للمدنية وفناء كل الامم وسوف تتسبب فى كارثة لايمكن تقديرها للبشرية كلها . ان المجنون وحده هو الذى يرغب فى مثل هذه الكارثة ، وانه لمن الواضح لذلك ان حربا نووية حديثة لن تكون فى حد ذاتها بأى حال عنصرا يسرع بالثورة أو يقرب من انتصار الاشتراكية ، على النقيض فانها سوف ترجع بالبشرية الى الوراء وسوف تجمد الى عشرات السنين قضية بناء الاشتراكية والحركة الثورية العالمية (*) .

---

(١) — Ibid, p. 75.

(٢) — Whence the difference, op. cit.,

(٣) Floyed « Mao against Khrushchev : 2 op. cit., p. 269

(*) فى الوقت الذى كانت فيه هذه الخلافات السياسية والايديلوجية تتضح على السطح فان العلاقات العملية بين موسكو وبكين أخذت تحولا حادا نحو الأسوأ فى منتصف عام ١٩٦٠ . وكانت العلامة الواضحة والمرئية لهذا التدهور قد بدت فيما بدا يتردد =

كذلك فسر الاتحـاد السوفيتي مواقف الصين من قضية الحرب والسلام لا على انها مجرد مواقف تمليها الاعتبارات الايديلوجية وانما فهموا منها أهدافا ومرامي سياسية أوسع حيث اعتبروا ان القادة الصينيين يريدون اذكاء الصراع العسكرى بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة واصطداما بينهما لكي يجلسوا هم «على جبل يشاهدون حرب النمور» (١).

وقد انعكس هذا الخلاف في موقف البلدين حينما ثارت أزمة الصواريخ الكوبية وعندما وقعت الولايات المتحدة والاتحـاد السوفيتي معاهدة الحظر الجزئي للتجارب الذرية .

فعندما ثارت الأزمة الكوبية خففت في بدايتها النزاع السوفيتي الصيني حيث أيد الصينيون بقوة خطوات خروشوف الا أنه حين بدأ خروشوف يبدى رغبة في حل الموقف سلميا بدأت الخطوط الايديلوجية والدعائية السوفينية والصينية تأخذ اتجاها عكسيا : فقد بدأت موسكو تؤكد الضرورة الملحة في تفادى حربا نووية وأكدت بكين عدوانية الامبريالية الأمريكية والأولوية المطلقة لتأييد كاسترو والنضال الثورى على الخوف من الحرب . وعندما سحب السوفيت الصواريخ بدأت هذه الخلافات تزداد سوءا واتهمت بكين خروشوف بصنع ميونيخ أخرى على حساب استغلال كوبا والحركة الشيوعية والثورية العالمية (٢) .

وقد حاول القادة السوفيت الذين خلفوا خروشوف رأب الخلاف مع الصين وهى المحاولة التى ظلت قرابة عام عقب اقصاء خروشوف . ويبدو أن نقطة بدايتهم كانت هى الاعتقاد ان الخلاف الصينى السوفيتى قد اشتعل نتيجة لخلاف شخصى بين ماو وخروشوف ، وعلى هذا لم يكن ممكنا اصلاحه وهما أو احدهما فى السلطة ، ومن هنا جاءت محاولات الاستكشاف التى قام بها برجينيف وكوسيجين للتأكد مما اذا كانت بكين مستعدة لايجاد

= عن انسحاب أعداد كبيرة من الخبراء السوفيت وسفرهم الى موسكو فى شهرى يوليو واغسطس ، ورغم ان الرسميين الصينيين قد حاولوا أن يهونوا من الأمر ، وأن يوحوا بان الصين تستطيع أن تستمر بدون هذه المساعدة ، فقد وصفت الصين فيما بعد هذا التطور بالقول بعد اجتماع بوخارست لم يضيع بعض الرفاق الذين هاجموا الحزب الشيوعى الصينى وقتا فى اتخاذ اجراءات خطيرة لممارسة ضغوط اقتصادية وسياسية بل والتمزيق بشكل خائن ومنفرد اتفاقات وعقود وقوعها مع قطر شقيق
(Whence the difference, op. cit.).

(١) — Dallin, « Soviet Politics since Stalin », op. cit., p. 147.

(٢) — Griffith, «Sino — Soviet Rift» op. cit., p. 60-61.

صيغة لحل النزاع ، ولكن وفقا لرواية موسكو بعد هذا واستعراضها لجهودها لرأب الصدع فان الاتحاد السوفيتي « ومنذ مؤتمر الحزب في أكتوبر ١٩٦٦ ، فان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي قد فعلت كل شيء ممكن لتطويع العلاقات مع الحزب الشيوعي الصيني وضمان وحدة العمل في النضال ضد العدو المشترك رغم الخلافات القائمة في وجهات النظر » (١) ٠

أما الصينيون فانهم لم يجدوا اختلافا بين خروشوف والقادة الجدد. « فمنذ سقوط خروشوف نصحنا القادة الجدد للحزب الشيوعي السوفيتي في عدد من المناسبات للقيام ببداية جديدة وقد فعلنا كل شيء ممكن ولكنهم لم يظهروا أي بادرة للتكفير ٠ ومنذ مجيئها للحكم فان القيادة الجديدة قد ذهبت بعيدا وبشكل أعمق في طريق التحريفية والتعصب القومي لمفهوم القوة الكبرى ٠ ومنذ اللحظة التي أتوا فيها الى السلطة أعلنوا انهم سوف يواصلون الخط التحريفي العام لخروشوف وللمؤتمرين العشرين والثاني والعشرين وقالوا في وجوهنا ان ليس ثمة خيط من خلاف بين خروشوف وبينهم حول مسألة الحركة الشيوعية العالمية أو العلاقات مع الصين » (٢) ٠

وقد اتخذ النزاع السوفيتي الصيني شكلا خطيرا حين تحول من الحرب الكلامية والجدل الأيديولوجي الى اصطدام ونزاع مسلح على الحدود عام ١٩٦٩ ٠ والواقع ان المرة الأولى التي أشار فيها الصينيون الى نزاعهم على الحدود مع الاتحاد السوفيتي كان في مارس سنة ١٩٦٣ وبشكل غير مباشر الا أن الاتهامات المباشرة ـ والعلنية ، لم تظهر الا في سبتمبر سنة ١٩٦٣ وان كانت هذه المسالة كانت من عوامل الاثارة مع بداية عام ١٩٥٨ ثم أصبحت موضع متاعب خطيرة مع عام ١٩٦٠ ، ولم يكن هذا بالوضع الغريب باعتبار الخلفية التاريخية الطويلة للخلافات السوفيتية الصينية حول الحدود وهو ما كان يجعل من الغرابة عدم اثارة هذا الموضوع في نطاق النزاع الحالي ٠

وهكذا وخاصة بعد بلوغ نزاع الحدود مرحلة الصدام العسكري لم تعد علاقة الصين والاتحاد السوفيتي مجرد علاقة خلاف مثل تلك التي قامت بين فرنسا ديجول والولايات المتحدة أو حتى مجرد عداء نظري

(١) Dallin, Alexander, « Soviet Foreign Politics since Stalin », op. cit., p. 151.

(٢) — Ibid, p. 153.

وانما اتخذت شكل المواجهة العسكرية وأصبح هناك الآن ٤٥ فرقة سوفيتية وأكثر من ٢٠٠٠ قاذفة قنابل ومقاتلة فى الشرق الأقصى أما الصين التى كان أكثر تركيزها العسكرى خلال الخمسينات والستينات على الأجزاء الجنوبية والساحلية من الصين للوقاية من الغزو الأمريكى أصبح عليها ان تعيد توزيع قواتها الكبيرة ، وان كانت أقل تسليحا على طول خطوطها الشمالية والغربية ، وتبنى الصين رادعا نوويا منذ ان فجرت قنبلتها الذرية الأولى عام ١٩٦٤ ، كما أن لديها عددا صغيرا من الصواريخ ذات النطاق الذى يمكن ان يطول موسكو ٠ على انه بالتقدم المستمر فى دقة الصواريخ التى تجرى فى أسلحة القوى الأعظم يمكن ان يمحى هذا الذى تبنيه الصين بضربة أولى من جانب الاتحاد السوفيتى ، وعلى هذا فمن المحتمل ان تظل الصين استراتيجيا أكثر القوى تعرضا للخطر ، ولكن حتى يجيىء الوقت الذى قد يحل بعد عشرة أو خمسة عشر عاما الذى تستطيع فيه الصين ان تستخدم الغواصات النووية ، ومع هذا فانها تحاول أن تبنى وتحسن وضع قوتها الرادعة ببنائها لمجمعات ضخمة للوقاية من الغارات الجوية فى معظم مدنها (١) ٠

ويثير هذا الجانب العسكرى فى الخلاف السوفيتى الصينى فى الواقع ما يمكن ان يسمى « بسباق التسلح » بين البلدين والذى اصبحت الدلائل عليه اكثر بعد اشتباكات الحدود عام ١٩٦٩ ، فمع وصول الفرق السوفيتية على الحدود مع الصين من ١٥ فرقة عام ١٩٦٨ الى ٤٤ فرقة عام ١٩٧١ ، فان هذه الفرق قد دعمت بشكل جيد بالطائرات والمعدات الآلية ونظم الايصال النووية ، أما على الجانب الصينى ، فان السياسة العسكرية للصين فى مواجهة الحشود السوفيتية على الحدود قد حركت قواتها بعيدا من الجنوب والشرق نحو الاتحاد السوفيتى ، ومركزت هذه القوات فى العمق ، غير ان حدوث الغزو السوفيتى لتشيكوسلوفاكيا دفع الصين الى تكثيف استعداداتها العسكرية وبدا أن أكبر خوف من هجوم سوفيتى كان ما بين ٦٩ – ١٩٧٠ ودفعتهم أن يضيفوا ١٠ فرق مشاة جديدة فى ٧١ – ١٩٧٢ وبدأوا ببطء تحديث قواتهم الجوية والبحرية الصغيرة نسبيا وفى الأسلحة النووية طورت الصين قوة صغيرة قادرة على ضرب أجزاء أساسية من الاتحاد السوفيتى ويقال ان الاتحاد السوفيتى قد وضع طائرات نووية ووحدات

---

(١) Buchan, Alstair, « Change without war, The shifting structure of world Peace, « The BBC Lectures, 1973, and 69.

صاروخية موجهة نحو الصين الشعبية كما ان الصين بعد تفجيرها الذرى الأول عام ١٩٦٤ واصلت سلسلة منتظمة من الاختبارات بلغت ١٤ عام ١٩٧٢ وربما أصبح لديها مع هذا العام ١٥٠ سلاحا نوويا ، كما وزعوا قوة صواريخ MRBM بمدى ٦٠٠ ــ ١٠٠٠ ميل وكذلك عدد صغير من IRBM بنطاق يتراوح مابين ٣٥٠٠ ــ ١٥٠٠ والأخير يمكن أن يصل الى ما أبعد من الأول وربما الى موسكو وكذلك الى اليابان وتايوان . وليس معروفا الى اى مدى أعيد توجيه القوات النووية السوفيتية نحو الصين ، وقد تردد بالغرب شائعات ان السوفيت قد بحثوا ضربا نوويا للصين عام ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ وان كان هذا لم يتأكد ، ولكن مايمكن افتراضه بالنظر الى التوتر السوفيتى الصينى ونمو قدرة القوى الصينية أن جزءا من القوات النووية السوفيتية قد وضع فى هذا الاتجاه على ان اعتبار القوة الذرية الصينية كرادع للاتحاد السوفيتى يبقى امرا مفتوحا للنقاش لسبب واحد هو ان احدا غير متأكد من مدى الخسائر التى يمكن اعتبارها مقبولة للقادة السوفيت ، ويبدو انه من غير المحتمل ان وجودها له نفوذ كبير على المستويات السوفيتية الاستراتيجية الهجومية رغم انه قد يكون لها تأثير على التخطيط السوفيتى للصواريخ المضادة (١) .

ازاء كل هذا لم يعد من الممكن الاعتقاد ان الصراع بين روسيا والصين هو خلاف حول تفسير النظرية السياسية ، او عدم اتفاق حول بعض الجوانب الخاصة للسياسة ، فالتطورات والوقائع التى دار حولها وتطور الصراع تثبت انه نزاع بين شعبين وامتين فخورتين حول مكانهما فى العالم ، وانه بهذا امتد واكتسب نطاقا واسعا من الحدة والمرارة عبر السنوات العشر الأخيرة . وباعتبار ان هذا النزاع قد نشأ وامتد خلال حكم خرشوف فى روسيا وماو فى الصين فقد صور النزاع على انه بين شخصيتين ونمطين من الرجال ، غير انه من الخطأ اعتبار ان هذا النزاع كنتيجة لهذا الجانب فقط (*) وان كان

---

(١) Jennings, Richard, « U.S. Soviet Arms Competition 1945-1972 » George Town University. pp. 268, 274-275.

(*) يقول خروشوف فى مذكراته ربما ردا على اتهام البعض له من أنه تسبب فى اشعال النزاع مع الصين انه اذا كان ستالين قد عاش لكان النزاع مع الصين قد نشب فجأة ولكان قد أخذ صورة القطع التام للعلاقات ويضيف انه فى المرة الاولى التى التقى =

بنفس القدر من الخطأ تجاهل هـذا العنصر فى الصراع خاصـة وان الزعيمان انما يحكمان فى نظـامين شموليين يلعب عنصر القيـادة فيه دورا رئيسيا فى توجيه الأحداث عنه فى نظام ديموقراطى . وعلى هذا يمكن القـول ان تصالحا صينيا سـوفيتيا يبدو أمرا غير محتمـل . فبغض النظر عن المسـائل الايديولوجيـة فان هاتين القوتين سـتظل تفرقهمـا : خـلافات القـوة والموقع الجغـرافى والتقييم المختلف للمشكلات الدولية والصراع الواضح بين قوة ذات مصالح عالمية وقوة مصالحها اساسا مصالح اقليمية .

ويحمل النزاع السوفيتى الصينى من بعض وجوهه عناصر شبيهة بعلاقة الولايات المتحدة بحلفائها الغربيين وبشكل خاص حول امتـلاك القوة النووية .

فقد نظرت الولايات المتحـدة والاتحاد السـوفيتى الى امتلاك القدرة النووية باعتبارها من العناصر التى تجعلها يدعيان مكانة ووضعا خاصا فى نطاق معسكريهما . فهذه الخاصـية المادية المتعلقة بالقوة هى التى تجعل كلا منهما يطالب بأن يعترف له حلفاؤه بمكانة ومسئولية خاصة فى ادارة شئون المعسكر ، ولا يهم بعد هذا ان يطلق على موسكو

= فيها بماو قال لرفاقه أن ماو لن يتسامح مع اى حزب شيوعى آخر يكون باى شكل اكبر منه سلطة داخل الحركة الشيوعية العالمية .

(Khrushchev Remmbers, op. cit., p. 462).

(★) على الرغم من هذا فان بعض الباحثين يحذرون بانه سيكون من الخطأ الجسيم استنتاج أن السوفيت ينظرون الى الولايات المتحدة والصين باعتبار أنهما ينتميان الى نفس الفئة من أعداء السوفيت فوفقا للنظرية السياسية السوفيتية والتى مازالت تقرر الاتجاه العام لتفكير القادة السوفيت فان فكرة تقارب أيديلوجى واجتماعى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يعتبر لعنة بينما ان الصين وسلوكها الحالى لا يعتبر معيقا لتقارب صينى سوفيتى فى مستقبل ما ويسترشد هذا الرأى بما عبر عنه أحد المصادر الرسمية السوفينية بالقول : « أن أى بلد لا يمكن طرده من الاشتراكية على أساس بعض الخلافات الايديلوجية أو السياسية فالخلافات حول بعض المسائل اذا لم تؤد الى محاولة اعادة العلاقات الاجتماعية البرجوازية أو اقامة تحالف مع القوى الامبريالية ضد الأقطار الاشتراكية لا يضع أى دولة اشتراكية خارج النظام الاشتراكى العالمى » .

ويستخلص هذا الرأى من ذلك أنه طالما بقيت الصين اشتراكية ولم تتحالف مع الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتى فان موقفها المعادى للسوفيت سـوف ينظر اليه فى موسكو بشكل مختلف نوعيا عن « الامبريالية الأمريكية » حتى ولو بدت الآن أنها تمثل خطرا أعظم الاتحاد السوفيتى .

(Petrow, Validimire, «U.S. Soviet Datente, Past and Future;» Amrican Institute fcr Public Research, Washington, 1975 p. 46).

انهـا مركز أو طليعة الحركة والعـالم الشيوعى ولكن ما هو اهم هو أن يعترف حلفاؤها بانه حول عدد من القضايا وفى أوقات معينـه فان السوفيت هم الذين يجب ان يتخذوا القرارات بأنفسهم وبدون التشاور مع حلفائهم ، كما أصبحت كلتا القوتين تجد انه من المخاطرة ان تسمح بأن يوجد عدد من الاصابع فوق الزناد .

وهكذا فان واشنطون مثلها مثل موسـكو قد تعودت على ان تكون هى صاحبة القول النهـائى داخل معسكرها لا يشاركها أو تسمح بان يشاركها عضو اخر مهما ادى امتلاكه لعناصر تؤهلـه لان يكون له قول حاسم فى اتجاهات وسياسات المعسكر .

غير انه اذا كان ثمـة وجه للتشابه بين الخلافات داخـل كل من المعسكرين فان هناك أيضا وجها للخلاف ، فعلى خلاف الفرنسيين والامريكيين فان الصينيين والسوفيت قد أقاموا خـلافهم على اسس أيديولوجية وبسبب هذا فان الصراع قد اكتسب معـانى سيئة بالنسبة للمعسكر الشيوعى وأصبح من المفارقة أن نفس الأيديولوجية التى تجمع بين هذا المعسكر هى التى تفرقه بل وجعلت الخلافات التى فرقت بين روسيا والصين لاتقارن فى مداها وحدتها بالخلاف بين فرنسا والولايات المتحدة (١) .

كذلك يتضمن الخلاف بين كل من الولايات المتحدة وفرنسا عددا من عناصر التشابه معالنزاع السوفيتى الصينى على المستوىالحضارى والفلسفى . ففى كلتـا الحالتين فان الجانب الضعيف وهو الصـين وفرنسـا ينتمى الى تاريخ وحضـارة عريقة ولها تقاليـد فى الحرب والدبلوماسية تجعلهما ينظران الى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كنجوم صاعدة تعوض افتقارها للحضـارة بالاعتماد الكبير على قوتهم وثروتهم وتفوقهم التكنولوجى ، وكما ترى فرنسا نفسها كالحاملة الحقيقية لقيم الحضارة الغربية وليست الولايات المتحدة ؛ كذلك ترى الصـين انها أكثر جدارة من الاتحاد السوفيتى على حمـل لواء الشيوعية داخل المعسكر الشيوعى . ومن هنا فان كلا من الصـين وفرنسا ترى أنها أكثر تأهلا لتقدير استراتيجيات وأهداف معسكريهما ورفض القيادة الامريكية والسوفيتية وقد قوى من هذا الاتجاه شخصية ديجول وماوتس تونج اللذين تجمعهما تشابهات قوية من حيث ثقـافة كل منهما القوية واحساسه العميق بالتاريخ والرسالة (٢) .

(١) — Brzezinski, « Political Power, USA USSR », op. cit., p. 404.

(٢) — Ibid, pp. 388, 390.

بعض التشققات فى علاقة دول أوربا الشرقية بالاتحاد السوفيتى :

من المفارقات أن أكثر عوامل اضعاف سلطة الاتحاد السوفيتى بين أقطار دول أوربا الشرقية والاسباب التى حركت العناصر الكامنة للتوترات كانت هى محاولات خروشوف فى تدعيم شرعية السلطة السوفيتية فى هذه الأقطار واتباع سياسات تقوم على اطار جديد من العلاقة تعتمد على عنصر الارادة والاجماع والمشاركة أكثر من الاعتماد على الضغوط والقسر كما كان قائما فى عهد ستالين • فقد اعتبر خروشوف ان استمرار هذا الشكل من العلاقة سوف يؤثر على السلطة المعنوية للحزب الشيوعى السوفيتى والمكانة السوفيتية داخل هذه الأقطار •

غير ان من المتضمنات الأساسية والتى لم يكن مفر منها ان ادانة خروشوف للستالينية فى المؤتمر العشرين قد مست بالتالى دور الحزب السوفيتى والمكانة التى ظل يتمتع بها حتى الآن باعتباره السلطة التى تمتلك التفسير الأصيل والمجرب للماركسية اللينية، وباعتبار ان الحزب السوفيتى كان هو أداة ستالين فى تنفيذ سياساته وان معظم القادة السوفيت الحاليين كانوا من مساعدى ستالين والمطبقين والمتبنين لسياساته •

وقد كانت أولى خطوات خروشوف – حتى قبل المؤتمر العشرين فى تخفيف التوترات مع دول أوربا الشرقية هو اتجاهه الى اصلاح الجسور مع يوغوسلافيا التى أدت اتجاهاتها الذاتية والاستقلالية تجاه شئونها الداخلية والخارجية الى اعتبار « ان قيادة الحزب الشيوعى اليوغوسلافى قد اتبعت أخيرا خطا غير صحيح حول المسائل الأساسية الداخلية والخارجية وهو ما يمثل ابتعادا عن الماركسية اللينية •• » (١) وذلك كما ورد فى قرار الكومنفورم فى ٢٨ يونيو سنة ١٩٤٨ وطردت من أجله من المكتب • فقد زار خروشوف يوغوسلافيا فى ٢٦ مايو سنة ١٩٥٥ وقال خلال زيارته « اننا نأسف باخلاص لما حدث ونرفض بحزم الأمور التى وقعت خلال هذه الفترة • واننا نتفهم الدور الاستفزازى الذى لعبه فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا أعداء الشعب من أمثال بريا وآخرين الذين أميط اللثام عنهم •• » (٢) وقد انتهت هذه الزيارة باقرار

---

(١) — Goldwin, Robester, (ed), «Readings in Russian Foreign Policy», Oxford University Press, 1959, p. 589.

(٢) — Ibid, p. 518.

من الاتحاد السوفيتى « بان الاختلاف فى النظم الاجتماعية والاختلاف فى أشكال التقدم الاشتراكى هو فقط من اختصاص الدول المعنية » كما أدان «كل عدوان وكل محاولات اخضاع الاقطار الأخرى للسيطرة الاقتصادية السياسية والاقتصادية وأقر « بان سياسة الأحلاف العسكرية تزيد من التوتر الدولى وتفسد الثقة بين الامم وتزيد من خطر الحرب » (١) .

غير ان آثار هذا الاتجاه قد ظهرت بشكل حاد وأحدثت شقوقا فى علاقات الاتحاد السوفيتى بدول أوربا الشرقية حينما حدثت الانتفاضتان الشعبيتان فى كل من بولندا والمجر فى أواخر عام ١٩٥٦ . وقد احتويت الانتفاضة البولندية منذ بدايتها حين سمح الاتحاد السوفيتى باختفاء القادة الستالينيين الذين لا شعبية لهم من أمثال راكوسى وأتت الى الحكم شخصية معروفة باتجاهاتها القومية وهو جومولكا والذى تعرض للسجن أيام ستالين لنزعاته القومية .

أما فى المجر فقد اكتسب الوضع شكلا متطرفا بسبب الأبعاد التى ذهب اليها امرى ناجى الذى جاء الى الحكم كاستجابة لرغبة شعبية وبعد ازاحة القادة القدامى من أمثال راكوسى — فى فصل سياسات المجر عن أسس لا يمكن للاتحاد السوفيتى ان يتسامح معها سواء فى أوضاع المجر الداخلية أو ارتباطاته الخارجية : فقد أعلن — ناجى ان المجر لن تأخذ بنظام الحزب الواحد وكان هذا يعنى فى التفسير السوفيتى خلخلة سلطة الحزب الشيوعى المجرى ورفض فكرة ديكتاتورية البروليتاريا وفتح الطريق الى اعادة النظام الرأسمالى وللقوى المعادية للاتحاد السوفيتى ، أما ما كان أكثر حسما فهو اعلانه عن اعتزام المجر الانفصال عن حلف وارسو وهو فى الاعتبار السوفيتى الدعامة العسكرية والسياسية لنظام التحالف الاشتراكى . وقد أدى ذلك الى تدخل الاتحاد السوفيتى عسكريا والاطاحة بناجى وكبت الثورة وأتت الى الحكم شخصية أكثر واقعية هى جونس كادار الذى سيتبنى سياسات تعطى المجر قدرا من حرية الأداء الداخلى فى اطار التزامه بسياسة الولاء التام للاتحاد السوفيتى فى الحقل الخارجى .

وهكذا كان الفارق بين القبول السوفيتى لجومولكا فى بولندا عام ١٩٥٦ ورفضه لناجى فى المجر هو ان جومولكا بالحس الواقعى الذى اكتسبه وتعدى به الرومانتيكية البولندية قد قبل الابقاء على الولاء البولندى

---

(١) Ibid, p. 519.

لموسكو فى الوقت الذى قبلت فيه موسكو الاستقلال البولندى المحدود ، أما ناجى فقد اتجه الى فصم كل علاقة فى الداخل والخارج مع الاتحاد السوفيتى .

وتبدو اهمية هذه الأحداث اذا ما نظرنا اليها بمنظار اليوم وفى حقبة السبعينات هو فى حدوثها فى ذروة أيام الحرب الباردة وقمة الاستقطاب الدولى بين القوتين ثم فى منطقة أكد موقف الولايات المتحدة انها تقع فى صميم منطقة النفوذ والمصالح السوفيتية ، أما ما هو أكثر دلالة فهو عدم نجاح الاتحاد السوفيتى فى ان يضفى شكلا شرعيا فى علاقاته باعضاء تحالفه يمكن من أن تستمر موسكو كمركز التوجيه السياسى والأيديولوجى وتحصل فيه فى نفس الوقت على الولاء الارادى والقبول الاجماعى من أقطار التحالف لهذا الشكل من العلاقة .

الموقف الرومانى :

على ان أكثر التحديات التى واجهها الاتحاد السوفيتى من بين صفوف دول أوربا الشرقية وبعد تطويعه للموقف فى كل من بولندا والمجر قد جاءت من الاتجاهات الاستقلالية التى بدأت رومانيا تفصح عنها فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات فى علاقاتها بالاتحاد السوفيتى وفى تحديد مدى ارتباطاتها بمؤسسات التحالف الاشتراكى .

وتبدو خطورة هذا الموقف الرومانى اذا ما نظرنا اليه من زاوية السياسة السوفيتية ومحاولتها المتطورة لتحقيق مزيد من الدمج الاقتصادى والعسكرى والسياسى لدى حلف وارسو من خلال مؤسسات التحالف الاقتصادى والعسكرى : منظمة الكوميكون
Council for Mutual Economic Aid (CMEA)
وحلف وارسو Warsaw Treaty واللجنة الاستشارية السياسية Political Consultative Committee.

فى هذا النطاق أبدت رومانيا معارضة وتعويقا لسياسات الاتحاد السوفيتى فرفضت اتجاهات التكامل الاقتصادى بين دول الكوميكون كذلك موقفها من الاتجاهات السوفيتية نحو تخصص عسكرى أكبر والمشاركة فى الأعباء المالية داخل حلف وارسو .

ففيما يتعلق بالموقف من الكوميكون فقد تبلور الموقف السوفيتى فيما عبر عنه خروشوف حين جدد الدعوة الى قيام جهاز موحد للتخطيط

داخل المنظمة يربط وينسق بشكل اوثق بين اقتصاديات دولهاعلى اساس من التخصص وتقسيم العمل ، فقد قال امام اجتماع للجنة المركزية للحزب الشيوعى « أن ممثلى دول الكوميكون سوف يلتقون فى المستقبل القريب على مستوى القمة لاتخاذ خطوة أكثر الى الأمام على طريق تطوير التعاون الاقتصادى . اننا يجب ان نتخذ خطوات أكثر جرأة لانشاء جهاز موحد للتخطيط لجميع بلدان الكوميكون » (١) .

على ان الاجتماعات التى تلت هذا التصريح شهدت مقاومة رومانيا لهذا ـ الاتجاه ويقدم ما يعرف بـ « اعلان الاستقلال » الذى اذاعته فى عام ١٩٦٤ ببيان من اللجنة المركزية لحزب العمال الرومانى ما يوضح صراع المصالح العميق القائم فى الكوميكون ، فقد ذكر البيان « ان حزبنا يعلن أن نقل بعض وظائف الادارة الاقتصادية من اختصاص الدولة المختصة الى أجهزة أعلى لا يتمشى مع المبادىء التى تميز العلاقات بين الدول الاشتراكية .. ان سيادة الدولة الاشتراكية تتطلب ان يكون فى يدها كل أدوات ادارة الحياة الاقتصادية والاجتماعية وان نقل هذه الأدوات الى اختصاص سلطة أعلى من سلطة الدولة سوف يحول مفهوم السيادة الى فكرة لا معنى لها .. » ويتعرض البيان لتناقض قيام جهاز موحد مع تنوع الظروف والخصائص لكل دولة اشتراكية « اذا ما أخذنا فى الاعتبار تنوع ظروف البناء الاشتراكى فانه لايمكن ان يكون هناك انماط موحدة ولا يستطيع أحد أن يقرر ما هو الصحيح وما هو الخطأ للأقطار أو الأحزاب الأخرى » ثم يذهب البيان أبعد من هذا الى تحديد الأسس التى يجب ان تقوم عليها علاقات الأقطار الاشتراكية وينفى فكرة ان يكون لحزب سلطة على الآخر باشارة واضحة الى الحزب السوفيتى « انه من حق كل حزب ماركسى لينينى و حق السيادة لكل دولة اشتراكية ان يطور وان يختار أشكال ووسائل البناء الاشتراكى ، انه ليس هناك ولا يمكن ان يكون حزب » أب « أو الحزب » الأبن « أو أحزاب متفوقة أو احزاب «خاضعة» «ولكن هناك العائلة الكبيرة للأحزاب الشيوعية والعمالية والتى لها حقوق متساوية » (٢) .

أما الموقف الرومانى من حلف وارسو فانه يعد امتدادا لموقفه من

---

(١) Remington, Robin, « The warsaw Pact » the MIT Press, Cambridge, London, 1971, p. 71.

(٢) — Brown, Seymon, « New Forces in world Polities, » Brookings institution, 1974, p. 58.

الكوميكون ، غير ان رومانيا فيما يتعلق بتحديد علاقتها بالحلف اتخذت اسلوب المناورة والحذر لادراكها ما يعنيه الحلف بالنسبة للاستراتيجية السوفيتية ـ وقد بدأت رومانيا بالمطالبة بانسحاب القوات السوفيتيه من الأراضى الرومانية وهو ما أعلن عنه فى اجتماع اللجنة السياسية الاستشارية لحلف وارسو فى مايو سنة ١٩٥٨ وكان هذا عاملا حاسما فى دور رومانيا فى الحلف ، ذلك ان انسحاب القوات السوفيتية لم يسهل فحسب المناورات الرومانية تجاه الحلف وانما ألقت ظروف الانسحاب ضوءا على استخدام رومانيا بشكل غير مباشر لنفوذها السياسى داخل المعسكر الاشتراكى(١) .. وفى الوقت الذى كان يؤكد فيه برجينيف فى مارس ١٩٦٦ على انه « فى حقل التعاون العسكرى وفى وجه الأعمال العدوانية المكثفة للقوى العدوانية بزعامة الولايات المتحدة فان عملية زيادة تدعيم علاقاتنا بالأقطار الاشتراكية وزيادة دعم وتحسين جهاز حلف وارسو يجب ان تستمر .. وقد أصبح ضروريا لن تقدم العلاقة الوثيقة لأعضاء الحلف قوة منيعة فى الدفاع عن النظام الاشتراكى .. » ورد شاوشيسكو فى مايو سنة ١٩٦٦ فى الأحتفال بالذكرى الخامسة والأربعين للحزب الشيوعى الرومانى « .. ان الاحلاف العسكرية ووجود قواعد عسكرية وقوات على أراضى دول أخرى هى أحد الحواجز فى طريق التعاون بين الشعوب كما لا يتفق مع الاستقلال والسيادة الوطنية للشعوب والعلاقات الطبيعية بين الدول . ان عددا متزايدا من الرأى العام ومن الدول يظهرون ميلا يكتسب فى الآونة الأخيرة أساسا أكثر وأكثر لتصفية الاحلاف العسكرية» (٢) وفى اجتماع الأحزاب الشيوعية والعمالية فى بوخارست فى يوليو سنة ١٩٦٦ بدا تصميم رومانيا على التأثير على طبيعة حلف وارسو أكثر علانية من ذى قبل ، وقد جعل هذا راديو موسكو فى اليوم التالى للاجتماع يذيع تعليقا يحذر فيه من تعريض مصالح المجموعة الاشتراكية للخطر نتيجة لاتباع سياسات قومية وتعصبية (٣) .

على ان هذا السلوك الرومانى تجاه حلف وارسو لم يتعد حدود المناورة لتأكيد اتجاهاتها الاستقلالية داخل الحلف ، ذلك ان رومانيا تعلم انه من الصعب عليها فيما يتعلق بحلف وارسو بالذات أن تذهب الى أكثر من هذا ولذلك عادت ، وبعد غيبة لمدة ثلاث سنوات ، للاشتراك فى

(١) — Remington, « The warsaw Pact », pp. 84, 85. op. cit.,

(٢) — Ibid, pp. 84-85.

(٣) —Ibid, p. 87.

مناورات الحلف التى جرت فى المجر وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٧ ، وفى الوقت الذى كانت نجرى فيه المناورات تحدث شاوشيسكو الى اجتماع حزبى حول فضائل ازالة كل من حلف الاطلنطى وحلف وارسو وان كان قد أكد بشكل متحفظ انه مادام حلف وارسو قائما فان رومانيـا سوف تستمر فى التدريبات المشتركة للقوات المسلحة للدول الأعضاء طالما ان هذه التدريبات تقوم « على أساس من المبادىء التى تحـكم العلاقات بين الأقطار الاشتراكية وعلى حقيقة ان كل بلد وكل جيش يجب ان يكون منظما على أحسن وجه وقومى من كل وجهات النظر ولديه القيادة القادرة على ان تلبى أى نداء » (١) •

بالاضافة الى هذين الموقفين من جانب رومانيـا تجاه كل من منظمة الكوميـكون ومنظمة حلف وارسـو والتى أرادت أن تؤكـد من خلالهما استقلاليتها ، الا ان ثمة قضايا اخرى وان بدت فرعية مقارنة بالموقفين السابقين ، فان الموقف الرومانى فيها بانفصاله عن الاتجاه الاجماعى لبقية المجموعة الاشتراكيه قد أعطى مضمونا عمليا أكثر لاتجاهاتها الاستقلالية ، بل ربما كان أكثر تأثيرا على المستوى الدولى • ونعنى بهذه المواقف على وجه التحديد : موقفها من النزاع السوفيتى الصينى ومن السياسة تجاه المانيـا الغربيـة ومن أزمة الشرق الأوسـط عام ١٩٦٧ ومن الأزمة التشيكوسلوفاكية عام ١٩٦٨ ثم منذ توقيع معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية •

ويرتبط موقف رومانيا من النزاع السوفيتى الصينى بموقفها العام من الأسس التى يجب ان تحـكم العلاقات داخل الحركة الشيوعية الدولية وهو الموقف الذى تبلور فى الأسس الآتية :

(أ) انها ترفض وصاية حزب على آخر •

(ب) ان لكل حزب الحق فى أن يحـدد خطه ويضـع أسلوبه فى العمل وفقا للظروف الموضوعية المجتمعة .

(ج) استنكار امكانية قيادة الحركة الشيوعية الدوليـة من مركز واحـد (١) •

---

(١) — Ibid, p. 92.

(٢) Floyed, David, « Rumaina, Russia's dissident Ally, », Prager Publishers, New York, London, 1965, pp. 112-116.

وقد كان من الطبيعي ان ينعكس هذا الموقف على اتجـاه رومانيا من المشكلة الرئيسية داخل الحركة وهى النزاع السوفيتى الصينى ، فى هذا الشأن وقفت رومانيا خلال جميع مراحل النزاع موقفا وسطا ولم تستجب لمحاولات الاتحاد السوفيتى لادانة الصين كما لم تستجب لمحاولات الصين اتخاذ رومانيا منبرا لمهاجمة الاتحاد السوفيتى ۰ ولا يتأتى موقف رومانيا هذا من رضائها عن سياسات الصين فهى أبعد ما تكون عن هذه السياسات وخاصة فى ما يتعلق منها بقضايا الحرب والسلام وانما من رغبتها فى تأكيد سياستها الاستقلالية ، فهى حين ترفض الاشتراك فى أى مؤتمـر لادانة الصين أو تعلق اشتراكها على ادانتها انما تهدف الى ان لا تقرر سابقة ربما تطبق عليها فى المستقبل ۰

كذلك يعتبر تطوير رومانيا لعلاقاتها مع ألمانيا الغربية فى وقت مبكر مؤشرا قويا على سياساتها المتميزة والمستقلة وغير المتطابقة مع الموقف السوفيتى ، ففى الوقت الذى كانت الأقطار الاشتراكية الأخرى تشترط فيـــه اقامة علاقات بينهـا وبين بون على اعتراف الأخيرة بالأوضــاع والحدود التى نتجت عن الحرب الثـــانية تخطت رومانيا هــذا الشرط وشرعت منذ عام ١٩٦٦ فى سلسلة من الاتفاقات والعلاقات القنصلية والتجارية والاقتصــادية توجت فى ٣٠ ينـاير عام ١٩٦٧ بزيارة وزير خارجية رومانيا لألمانيا الغربية زيارة رسمية واتفق خلال الزيارة على اقامة علاقات دبلوماســية كاملة وبذلك أصبحت رومانيــا أول بلد اشتراكى بعد الاتحاد السوفيتى تقيم علاقات دبلوماسية مع حكومة بون وصدر عن الحكومتين بيان مشترك يقرر أن هذه الخطــوات ستساعد السلام وتسهم فى التفاهم الاوربى وتخفف من حدة التوتر الدولى ۰

وحول أزمة الشرق الأوسط التى ثارت عقب حرب عام ١٩٦٧ كانت رومانيا هى الدولة الوحيدة بين بلدان أوربا الشرقية التى لم تقطع علاقاتها مع اسرائيل بعد عدوانها على الدول العربية وعندما خطب مورو رئيس وزير رومانيــا فى الأمم المتحدة فى ٢٣ يونيو ســـنة ١٩٦٧ طالب العـــرب والاسرائيليين « ۰۰ ان يسووا خلافاتهم بالمفاوضات المباشرة » ۰ وخطب شاوشيسكو أمام الجمعية الوطنية الرومانية فى يوليو سنة ١٩٦٧ فقال « ۰۰ اننا نود باخلاص ان نقول لأصدقائنا العرب أننا لانفهم ولانشارك موقف الدوائر التى تتحدث عن تصفية اسرائيل ۰۰ » (١) ۰

---

(١) راجع : تطور علاقة الاتحاد السوفيتى ببلدان أوربا الشرقية منذ الحرب العالمية الثانية » ، معهد الدراسات الدبلوماسية ۰ وزارة الخارجية القاهرة ۰ ١٩٦٩ ص ٤٤ ــ ٤٥

وبناء على هذا التقييم تمايز موقف رومانيا خلال المؤتمرات التى عقدتها البلدان الاشتراكية لبحث أزمة الشرق الأوسط وللاعراب عن مساندتها للدول العربية فلم توقع رومانيا على بيان مؤتمر القمة التى عقدته الأحزاب الاشتراكية فى موسكو فى ٩ يونيو سنة ١٩٦٧ وطالبت فيه بسحب اسرائيل لقواتها الى ما قبل حدود ٥ يونيو كما لم تحضر رومانيا الاجتماع الذى عقده فى بودابست رؤساء حكومات دول أوربا الشرقية لمناقشة أحداث الشرق الأوسط وفى ٤ سبتمبر سنة ١٩٦٧ أجتمع فى بلجراد نواب رؤساء وزراء الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية لمناقشة المعونة الاقتصادية للبلدان العربية التى عانت من الخسارة فى الحرب الأخيرة مع اسرائيل « وفى البيان الذى صدر عن هذا الاجتماع لم يأت ذكر لاسرائيل وقيل انه فى هذا المؤتمر رفضت رومانيا ان تدين اسرائيل بالعدوان وانها اشترط تحضور هذا المؤتمر ان تكون فقط لمناقشة المساعدات الاقتصادية (١) .

وفى الأزمة التشيكوسلوفاكية امتنعت رومانيا عن حضور معظم الاجتماعات التى عقدت لبحث الأزمة على أساس معارضتها التقليدية للاجتماعات التى تعقد لبحث الشئون الداخلية لأقطار اشتراكية أخرى كما زار شاوشيسكو براج فى ١٠ اغسطس ووقع معاهدة للتعاون والصداقة والمساعدة المتبادلة تركزت على مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية الأمر الذى أثار تخوف موسكو من قيام Communist little Entente ضدها (٢) .

على ان موقف رومانيا فى اتباع جانب الحذر عاد فظهر عقب الغزو السوفيتى لتشيكوسلوفاكيا ، فعلى الرغم من ان رومانيا رفضت الاعتراف ان حلف وارسو انما يقدم أساسا دستوريا للتدخل وان الحلف انما قام فقط للدفاع ضد العدوان الخارجى على أعضائه (٣) .. الا انها أصبحت أقل انتقادا بشكل علنى لعملية التدخل وظهرت استعدادا لعقد مؤتمر عالمى للأحزاب الاشتراكية ، كما حضر وزير الدفاع الرومانى مؤتمرا لوزراء دفاع حلف وارسو وقدمت تأكيدات للوفاء بالتزاماتها العسكرية وفقا للمعاهدة كما اشتركت قواتها مع قوات بلغاريا والاتحاد السوفيتى

---

(١) نفس المرجع : ص ٤٥

(٢) — Remington, «The warsaw Pact», op. cit., p. 96

(٣) — Mackintoch, Malcolm, « The evolution of the warsaw Pact», Adel Phi papers, ils, London, No. 58, June 1969. p. 16.

وتدريبات مشتركة فى مارس سنة١٩٦٩(١) على انه مع هذه التراجعات التكتيكية ظل شاوشيسكو يعارض بشدة ما عرف بنظرية برجنيف فى السيادة المحدودة للأقطار الاشتراكية واعتبرها متعارضة مع المبادىء الاشتراكية التى تحكم علاقات الدول الاشتراكية وعودة للأساليب القديمة المعارضة لمصالح كل حزب وللحركة الدولية ككل .

على انه فى تقييم العلاقات السوفيتية الرومانية بوجه عام فى ضوء هذه المواقف نجد انها تتميز وخاصة من جانب رومانيا بالاستجابة المرنة وبشكل خاص حين تتأزم المواقف وبمعرفة للحدود التى قد تضع الاتحاد السوفيتى فى موقف لايستطيع ان يتسامح فيه . اما الاتحاد السوفيتى فان الحرج الذى يلاقيه ازاء مواقف رومانيا الاستقلالية ينشأ منعدم قدرته على كبت هذه المواقف باللجوء الى القوة المسلحة ذلك ان هذا سوف يعتبر دليلا عمليا وقبولا لعجزه الكامل على التعامل الا بالاساليب والوسائل القهرية بالاضافة الى ان سياسات رومانيا فى النهاية لا تمثل تهديدا مباشرا لأمن ومصالح الاتحاد السوفيتى الحيوية ، هذا فضلا عن ان القيادة الرومانية فى الوقت الذى تتبع فيه سياسات خارجية مستقلة فانها من أكثر النظم الاشتراكية تطبيقا للماركسية فى الشئون الداخلية الأمر الذى يغرى باحتمال قيام قيادة رومانية يوما ما تصحح مسار السياسة الخارجية لرومانيا فى خط مواز للسياسة السوفيتية .

الأزمة التشيكية :

من الصعب ان نتناول القلاقل والهزات التى تعرضت لها علاقات الاتحاد السوفيتى لدول أوربا الشرقية دون ان نشير الى الأزمة التشيكوسلوفاكية (يناير — اغسطس ١٩٦٨) (★) .

(١) — Remington, « The warsaw Pact ». op, cit., p. 110.

(★) فى ٥ يناير سنة ١٩٦٨ انتخبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى الكسندردوبشيك سكرتيرا أول للحزب خلفا لانطوين نوفتنى الذى شغل هذا المنصب منذ عام ١٩٥٧ ، وقد بدأ هذا الاجراء فى حينة بداية سلسلة من التغيرات والتطورات . وقد حرص دوبتشيك أن يؤكد تجاوبه مع منطلبات التغيير فاكد أن ماحدث هو بداية لحركة ديموقراطية تستهدف « أن تستعيد الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا وجهها الانسانى » وأكد أن مجتمع بلاده قد نضج وأصبح مهيئا ومستعدا لأن يتطور الى مجتمع ديموقراطى واشتراكى حقيقى . وفى ٢٢ مارس سنة ١٩٦٨ أعلن نوفتنى اعتزاله لمنصب رئاسة الجمهورية « بعد دراسة واقية تنبع من الموقف الحالى فى البلاد ويهدف مساعدة التطور الاشتراكى للمجتمع » =

فعلى الرغم من انقضاء الأزمة وتصفية نظـــام دوبتشيك واستمرار تدعيم السلطة الجديدة ــ حـــكومة هوزاك ــ التى ضمنت استمرار علاقة الولاء المطـلق التى ربطت شيكوسلوفاكيـــا بالاتحـــاد السوفيتى فى السياسات الداخلية والخارجية ، فان أهمية التعرض للازمة فى نطـاق دراستنا تأتى من عدة زوايا : أولها ــ ان لم يكن أهمها ــ هو وجه التشابه الذى أثـير بين السـلوك السوفيتى ازاءها وبين موقف الولايات المتحدة وتدخلهـا العسكرى فى جمهـورية الدومينيكان عام ١٩٦٥ ٠ ويعتبر من يبرزون هذا التشابه ان وضع الدومينيكان كان يمثل بالنسبة للولايات المتحدة تهديدا أقل مما كان يمثله تطور الوضع فى براج بالنسبة للاتحاد السوفيتى ــ ومع هذا فان الولايات المتحدة قدرت عندئذ ان الخطر المحتمل يبرر الثمن الذى سيدفع ، اما المعنى الأهم من هذا التشابه فهو استعداد النظامين الايديلوجيين المتنافسين السوفيتى والأمريكى للتصرف بشـكل أكثر قوة عند الخوف من خسارة جزء من الوضع الراهن أكثر من تصرفهم

= وقد أثارت هذه التطورات فى تشيكوسلوفاكيا ذات الأهمية الاســتراتيجية الخاصة للاتحاد السوفيتى بوقوعها فى قلب أوربا الشرقية وبحدود مشتركة مع المانيا الشرقية والغربية والاتحاد السوفيتى وبولندا والمجر مخاوف موسكو بل وبعض عواصـــم الكتلة الاشتراكية وبدأت سلسلة من الاجتماعات على مستويات مختلفة بدأت بمؤتمر ودسون فى ٢٣ مارس ١٩٦٨ الذى ضم سكرتيرى الأحزاب ورؤساء الحكومات فى بلدان أوربا الشرقية عدا رومانيا ٠ واجتماع سيرنا على الحدود التشيكية بين رئاسة اللجنة المركزية للحزبين التشيكى والسوفيتى ومؤتمر براتسلافا فى ٣ اغسطس سنة ١٩٦٨ ضم كل دول حلف وارسو حيث أمكن التوصل الى خطة جماعية وتحديد مسئوليات كل قطر بالنسبة لأمن الأسرة الاشتراكية وتأكيد الارتباطات والتحالفات بين اعضائها (راجع : « فى الأزمة التشيكوسلوفاكية » : معهد الدراسات الدبلوماسية ص ٢١ ــ ٣٤ القاهرة ٠ ١٩٦٩) غير أن الموقف فى تشيكوســلوفاكيا ظل يتطور على نفس الخطوط التى أثارت قلق دول حلف وارسو وخاصة بعد صدور ما عرف ببرنامج العمل والى ما أحاط به من بروز «الطريق التشيكوسلوفاكى الى الاشتراكية » ٠ الأمر الذى اعتبره الاتحاد السوفيتى وحلفاؤه مبررا لتدخلهم عسكريا بالعملية التى جرت فى ٢٠ ــ ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٨ ، وخولت وكالة تاس السوفيتية أن تعلن « أن الوحدات المسلحة السوفيتية جنبا الى جنب مع الوحدات المســلحة لجمهوريات بلغاريا والمجر وبولندا والمانيــا الديموقراطية قد دخلت أراضى تشيكوسلوفاكيا فى ٢١ أغسطس وسوف تنسحب فورا بمجرد أن تتأكد من زوال التهديد للمكاسب الاشتراكية فى شيكوسلوفاكيا والتهديد لأمن مجموعة البلاد الاشتراكية وبمجرد أن تجد السلطات الشرعية أن وجود هذه الوحدات المسلحة لم يعد ضروريا » (مجلة السياسة الدولية ، القاهرة وثائق الأزمة التشيكوسلوفاكية ٠ أعداد أكتوبر ١٩٦٨ يناير سنة ١٩٦٩) ٠

لحماية مكسب جديد (١) • أما الزاوية الثانية فهى دلالتها على ضعف طابع العلاقة التى تربط الاتحاد السوفيتى بأقطار التحالف الذى يشكل جزءا أساسيا من وضع الاتحاد السوفيتى الدولى وما يمثله هذا من احتواء الأوضاع الداخلية فى هذه الأقطار على العوامل التى يمكن ان تتطور الى اوضاع تدفع السوفيت الى استجابات عنيفة وتثير فيهم الاحساس بعدم الأمن فى أكثر المناطق أهمية لأمنهم القومى •

كذلك من أهمية هذا الحدث هو دلالته على مدى الروابط والتأثير المتبادل بين تطور الأوضاع الداخلية فى بلد من أقطار أوربا الشرقية وما تتعرض له نظمه التقليدية من ضغوط داخلية من أجل أوضاع أكثر تطورا واستجابة للقوى القومية فيها وبين بقية أقطار المجموعة بما فيها الاتحاد السوفيتى نفسه •

لذلك فقد كان أهم ما شغل القادة السوفيت عند بحثهم كيفية مواجهة التطورات فى براج هو مدى ما سيطلقه نظام دوبتشيك لكس قوى ليبرالية على بقية النظم فى شرق أوربا ، وهو نفس القلق الذى انتاب قادة هذه النظم بحيث كان والتر أو لبرخيت رئيس الدولة فى ألمانيا الديموقراطية مثلا من أكثر القادة ضغطا لاتخاذ اجراء حازم ضد التطورات فى براج تخوفا مما قد ما تسببه لنظامه (٢) • كذلك كان الحال مع جومولكا فى بولندا الذى يقال أن أحداث تشيكوسلوفاكيا والأسلوب الذى عولجت به قد اخر تنحيته عن القيادة حتى عام ١٩٧٠ (٣) •

وقد ذكرت أحداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ والاجراء العسكرى السوفيتى ازاءها والتبريرات والحججالتى قدمتها موسكو لهذا الاجراء والرفض الأمريكى العلنى لهذه الحجج ـ رغم قبولها لها فى الأمر الواقع ـ ذكرت بالعمل المماثل الذى قامت به الولايات المتحدة عام ١٩٦٥ حيث أرسلت قواتها الى جمهورية الدومينيكان لمنع تحول النظام فيها الى اليسار وبرزت اجراءها فى ذلك الحين بنفس الحجج الجيوبولتكية والتى رفضها الاتحاد السوفيتى حينئذ بادانتها •

(١) — O-good, Robert, «America and the world, from Truman to vietnam», The John Hopkings press, 1970, p. 121.

(٢) Laquer, walter, « Europe Since Hitler » p. 435. Penguin Books, 1972,

(٣) Bromke, Adum, «Beyond the Gamulka Era», Foreign Affairs, April, April, 1971, p. 484.

فحين حدث التدخل الأمريكي فى الدومينيكان وقف ممثل الاتحاد السوفيتى فى الأمم المتحدة يقول أنه « ليس هناك ما يبرر غزوا لأراضى دولة مستقلة من جانب الولايات المتحدة وقواتها وهو ما يعتبر خرقا فاضحا للمعايير الأولية للقانون الدولى» ورفض المندوب السوفيتى الحجة الأمريكية فى تبرير التدخل من انه حدث وفقا لمبادىء النظام بين الدول الأمريكية Inter American system ومنظمة الوحدة الأمريكية ووصف التبرير الأمريكى انه يرقى الى « ان حق تقرير مصير جمهورية الدومنيكان انما يرتكز جزئيا على ارادة شعب هذا البلد وجزئيا على ارادة جيرانه « ومثل هذا القول لا يتفق مع التزامات الولايات المتحدة وفقا لميثاق الأمم المتحدة .. ان مسألة التنظيم الداخلى للنظام انما هو من صميم الشئون الداخلية لشعب الدومنيكان وحده » وأضاف « ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تتصرف فى الولايات المتحدة كما لو كانت فى نطاقها الخاص وكما لو كان الامر يتعلق بالباما او المسيسبى » (١) .

غير انه بعد ثلاث سنوات وفى حالة التدخل السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا تغيرت المواقف ، وفى هذه المرة كان الاتحاد السوفيتى هو الذى أكد لنفسه حقا اقليميا خاصا فى التدخل فى الشئون الداخلية لدولة مستقلة بل واعتبر ان الحكومة التشيكية مسئولة « ليس فقط أمام شعبها وانما أيضا أمام كل الأقطار الاشتراكية » وان تشيكوسلوفاكيا باحتلالها موكزا جيوبولتكيا حاسما فى أوربا وميزان القوى فيها فان « أى أضعاف فى أى حلقات النظام العالمى للاشتراكية يؤثر بشكل مباشر على كل الأقطار الاشتراكية والتى لا تستطيع ان تقف بلا مبالاة ازاء هذا » (٢) .

أما الجانب الامريكى فقد تصرف بشكل لايتماسك مع الحجج التى قدمها فى أزمة الدومينكان ورفض بشكل مطلق اعتبار ان مبادىء الكومنولث الاشتراكى تعلو على مبادىء القانون الدولى فى عدم التدخل « وايا كانت درجة علاقة دولة بأخرى فان هذه العلاقة لا تعطيها الحق فى غزو أراضيها » (٣) .

---

(١) — Steven Rosen and Walter Jones, « The Logiec of International relations « 2edition, Winthrop Publications, Cambridge, 1977. pp. 172-173.

(٢) — Ibid, p. 172.

(٣) — Ibid,

وهكذا ورغم ادانات كل من القوتين لتصرفات الأخرى فى مناطق مصالحها الحيوية فان هـذه الادانات لم تتعد البيانات والتصريحـات وهو الموقف الذى تضمن عمليا اقرارا من كل منهما بالمصالح التقليدية للأخـرى ٠

وتوضـح أزمتا الدومنيكان عـام ١٩٦٥ وتشيكوسلوفاكيا عـام ١٩٦٨ وسلوك القوتين خلالهما ـ حقيقة ان منطقتي شرق أوربا وأمريكا اللاتينية تمثلان منطقتي النفوذ المباشرة للقوتين (*) Direct Sphere influence وانهما يمثلان أساسا منطقة عازلة لابعاد أى حرب عن حدود القوتين الأعظم فى هذا النطاق تمثل بولندا وتشـيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية مركز منطقة شرق أوربا بالنسبة للاتحاد السـوفيتى وتمثل وسط أمريكا اللاتينية أكثر من جنوبها هذا المركز بالنسـبة للولايات المتحدة ٠

هذا الوضع الذى تمثله المنطقتين بالنسبة للقوتين هو الذى جعل سلوكهما يتشابه تقريبا تجاه المنطقة التى تعنيه ، فكما ضم الاتحاد السوفيتى دول البلطيق فقد فعلت الولايات المتحـدة نفس الشىء مع بورتوريكو ومنطقة قناة باناما ، وكما ضمت أمريكا اجزاء من المكسيك ضم الاتحاد السوفيتى أجزاء من بولندا ورومانيا ٠

وقد كان التدخل الأمريكى خلال الفترة التى سبقت الحرب الباردة ذا طابع واضح ولم يكن التدخل يحتاج الى تقـديم الحجج وانمـا فقط لحماية الممتلكات الامريكية ولكن بالتطور الذى حدث بعد الحرب الثانية أصبحت الولايات المتحدة فى حاجة الى تقـديم المبررات ٠ ففى غزو جواتيمالا عام ١٩٥٤ أصبح خطر الشـيوعية هو الحجة الأمريكية ٠٠ كذلك انتهت الولايات المتحدة أن لا يكون تدخلها عملا منفردا أو خاصا بها وصيغ ـ كما حدث فى الدومنيكان بعد هذا ـ فى نطاق منظمـة الوحدة الأمريكية وهو نفس ما فعله الاتحاد السوفيتى كما رأينا فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ٠

(×) يعنى اصـطلاح منـطقة النفوذ Sphere of Influence اتفاق بين دولتين تمتنع بمقتضاه احداهما عن التدخل فى الشئون الداخلية أو ممارسة النفوذ داخل مناطق معينة ويحتفظ بها بين الطرفين للآخر ٠٠ كما تعنى منطقة النفوذ المباشر أساسا القرب الجغرافى لهذه المنطقة بالنسبة للدولة ٠ راجع :

(١) — Kaufman, Edy, «Superpowers and their spheres of influence». St. Martin's Press, New York, 1976, p. 10.

كذلك طورت كل قوة « نظريات » تبرر تدخلها فى هذا المجـــال المباشر عبر عن النظرية الامريكية الرئيس جونسون بقــوله « ان الامم الأمريكية لا تستطيع ولن تسمح باقامة حكومة شيوعية أخرى فى نصف الكرة الغربى • ان هذا سيكون العمـــــل والهدف المشترك للقوى الديموقراطية فى نصف الكرة الغربى ذلك ان الخطر هو خطر مشترك والمبادىء مبادىء مشتركة » (١) •

وعبر برجينيف عن النظرية التى عرفت باسمه تجاهمنطقة شرق اوربا واعتبر انها تحكم العلاقة بين اقطارها بقوله « حين تحـــاول قوى خارجية أو داخلية معادية للاشتراكية ان تدفع دولة اشتراكية ما فى اتجاه أستعادة النظام الرأسمالى وحين ينشأ تهديد لقضية الاشتراكية فى هذا البلد والذى هو تهديد لامن الكومنولث الاشتراكى ككل ـ فان هذا لا يعتبر مجرد مشكلة تعنى هذا البلد وانمـــا مشكلة مشـــتركة بين كل الاقطار الاشتراكية » (٢) •

أما المعنى المباشر الذى يعطيه اتجـــاه كل من القوتين تجاه منطقة نفوذ الأخرى المباشرة فهو انه يقدم ابرز مثـــل على قبولهما للوضع الراهن فى هذه المناطق •

الاتجاهات الاصلاحية فى بولندا والمجر :

فى نظر بعض المحللين انه مما يتوازى مع خطورة التحـــديات التى يواجهها الاتحاد السوفيتى من بلد مثل رومانيا أو من محاولة تعديل الاوضاع الداخلية كما حدث فى تشيكوسلوفاكيا هو التطورات الداخلية التى تحدث فى بلدين مثل المجر وبولندا ، وهى التطورات التى تهدف الى احداث تطوير للاسس التقليدية التى قامت عليها الحياة الاقتصادية وما يثيره هذا من مآزق لانعكاساته المختلفة على جوانب الحياة الأخرى الاجتماعية والسياسية لهذين البلدين •

ففى المجر اتبع النظام الذى أتى الى الســـلطة عقب أحداث عام ١٩٥٦ سياسة خارجية مطلقة التأييد للاتحاد السوفيتى فى الشـئون

---

(١) Lafaber, walter. « America in the Cold war », op. cit., p. 160.

(٢) James, Robert, (ed), «The Czechoslovak Crizis, 1968», Institute for the Study of International organization, University of Sussex, London, 1969.

الخارجيه وهو الموقف الذى اتاح لقيادته أن تتبع سياسة اقتصادية تجرب فيها اساليب ووسائل جديدة لادارة اقتصادها وهي السياسة التى عرفت باسم New Economic Mechanism (Nem) (*) غير ان اهمية هذه التجديدات الاقتصادية لم تكن ترجع الى مجرد صفتها الاقتصادية الخالصة وانما الى متضمناتها ومعانيها الأوسع بالنسبة لاحتمال تأثيراتها على اتجاه الاوضاع الداخلية بل وعلى ارتباطاتها الخارجية • فخارجيا فان السياسة الاقتصادية الجديدة كانت تعنى اتجاها أكثر الى الغرب للحصول على التكنولوجيا والآلات والقروض كما جعلت المجر أكثر حماسا للارتباط بالمؤسسات الاقتصادية العالمية مثل طلبها الانضمام الى منظمة الجات وهو ما يمكن ان يساهم فى اضعاف تأثير الاتحاد السوفيتى على اقتصاديات المجر • أما متضمناته الايديلوجية والداخلية فهى تتمثل فى أن مجرد تفوق المجر على الاتحاد السوفيتى فى الادارة - الاقتصادية واستحداثه لأساليب جديدة فى هذا المجال يعنى التأثير على ادعاء الاتحاد السوفيتى بانه مركز التجربة والتطبيق فى العالم الاشتراكى• أما ما هو أكثر أهمية من ذلك فهو المدى الذى يمكن أن تنتقل به هذه التيارات من المجال الاقتصادى الى المجال السياسى وبشكل يمكن أن يؤثر فى النهاية على سلطة الحزب الشيوعى وقياداته الموالية لموسكو • فاستمرار عملية التحديث الاقتصادى انما تولد بطبيعتها طبقة متوسطة جديدة لاتتقبل مفهوم طبقة الحزب المسيطرة وتتحدى قدراتها الفنية والشخصية فى قيادة المجتمع ، وهذه الطبقة انما تتزايد اعدادها داخل المجتمع بحيث أصبحت تمثل ١٥٪ من السكان هم طوائف المهنيين والمديرين والمثقفين الذين يجسدون قيما غير ايديلوجية بل وفردية الى حد كبير • ولهذا وجد النظام فى المجر نفسه مضطرا ، وحتى لا يعزل الأساس الشيوعى للمجتمع عن أكثر العناصر حيوية فيه ، ولى يدفعها الى بذل أكثر طاقاتها فى عملية تطوير المجتمع ، الى التوسع فى الحريات المدينة والى ان يزيد بشكل حذر من الفرص امام الجماعات ذات المصالح الخاصة للاشتراك فى العملية السياسية غير ان الخطورة هنا هو مدى نجاح مثل هذه الأساليب التى يتبعها النظام فى المجر لجذب أقسام

(*) تعتمد هذه السياسة ، وتختلف عن النموذج السوفيتى ، فى تنظيم الاقتصاد الاشتراكى فيما يتعلق بمركز وسلطة اتخاذ القرارات حول الانتاج والاستثمار وتحديد الأسعار ، فقد اسندت هذه الوظائف فى المجر الى مديرى المشروعات الذين أعطى لهم الحق فى وضع خططهم الخاصة بشكل يستجيب مع الامكانيات الانتاجية المحلية وتحديد الأسعار وفقا لمتطلبات السوق •

المجتمع التي لا تدين بالشيوعية في منع هذه التيارات الجديدة من أن تثير شعور القومية الكامن في المجتمع المجرى ٠

ومن هنا فان المأزق الذى تفرضه هذه السياسات التي تؤثر ببطء ولكن بعمق في المجتمع المجرى على الاتحاد السوفيتي والحكم الموالى له هو انه اما أن يخفف الاتحاد السوفيتي بشكل تدريجي من طابع العلاقة التي تربطه بالمجر بشكل يستجيب للنزعات القوميه للمجريين أو أن سلطه الحزب الشيوعي سوف ينظر اليها كسلطة غير شرعية من جانب الطبقات التي يعتبر تأييدها حاسما لقيام نظام عصرى ، كما أن مقاومة هذه الطبقات سوف تتطلب أساليب تعيد ذكرى الرعب الستاليني وهو ما يمكن أن يزيد من تدمير شرعية السلطة ويبعد بشكل أكثر القوى العصرية عن النظام الحاكم وعن الاتحاد السوفيتي (١) ٠

أما في بولندا فان عناصر وامكانيات بروز قلاقل وتوترات بدرجة أو بأخرى في نطاق العلاقة مع الاتحاد السوفيتي ليست أقل ربما أكثر ٠ فقد تقبل خروشوف عام ١٩٥٦ مجيء جومولكا كعنصر معروف بنزعاته القومية وذلك لامتصاص أحداث هذا العام ٠ غير أن تطور جومولكا جاء عكسيا لتطور كادار في المجر ٠ فالرجل الذى بدأ مقبولا لدى العناصر القومية بأقسامها المختلفة عام ١٩٥٦ انتهى مرفوضا منها في نهاية الستينات : من الزراعيين والمثقفين ورجال الكنيسة وفوق هذا كله من العمال الذين يفترض أن النظام يمثلهم ٠ وقد كان هذا وراء القلاقل التي وقعت في بولندا في نهاية عام ١٩٧٠ وأدت الى خلع جومولكا ومجيء قيادة جيرك في ديسمبر سنة ١٩٧٠ ٠

وبالاضافة الى الفئات السابقة التي أعادت جومولكا فان عوامل التغيير في المجتمع البولندى كانت ولا زالت ضد الوضع الراهن ومن أجل تغييره في ثلاث جبهات حول القيود في مجال الحريات المدنية ، التخطيط الاقتصادى وقيامه على النموذج السوفيتي ، ثم الاعتماد الزائد على الاتحاد السوفيتي في الأمور الاقتصادية ، كل هذه الضغوط كانت تحمل راية القومية البولندية وأصبح أى نظام يتجاهلها يخاطر بان يعتبر نظاما غير كفؤ وغير وطني ٠

أما ما يحتاجه ويطالب به البولنديون اليوم فهو الاشتراك الكامل في العالم المعاصر باحساس باحترام للذات بحيث ان عدم الاستجابة الكافية

---

(١) — Brown, « New Forces in world Politics » op. cit., p. 62.

لهذا المطلب القومي ربما يدفع من جديد الى تجدد الهزات والمشـــاعر القومية . (١) وقد انعكس هذا بشكل واضح في تاييد بولندا الواسع لسياسة الوفاق بين الشرق والغرب حيث تشعر قيادتها ان هذا الاطار من العلاقة يعطيها مجالا مأمونا للارتباط والتعامل مع الولايات المتحدة والغرب بشكل لا يثير غضب أو شكوك الاتحاد الســـوفيتي وباعتبار ما يعنيه الوفاق من سياسة شاملة لا يمكن تجزئتها (٢) .

مجمل القـــــول ان هذه الشروخ التى ظهرت فى علاقة الاتحاد السوفيتي باقطار أوربا الشرقية وعولجت بشكل أو بآخر لم تزل آثارها تماما والتوترات الكامنة فى هذه العلاقة وتعمل تحت السطح تجعـــل البعض يتخوف من آثار ذلك على قيام نظام دولى مســـتقر من حيث ما يمكن ان يؤدى اليه ظهور هذه التوترات على السطح ، وربما بشكل متفجر ، الى دفع الاتحاد السوفيتي الى ردود فعل عنيفة قد تسبب على الأقل فى انتكاس أى جهد يكون قد بذل لاستقرار هيـــكل العلاقات الدولية (٣) .

ويستخدم ما ذكره الرئيس السوفيتي بودجورنى للسفير الأمريكي Beam من ان الاجراء العسكرى السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا قد منع حربا عالمية (٤) للتدليل على ان شرق ووسط أوربا هى تاريخيا مناطق الاضطراب وعدم استقرار وهى التى ســـببت الى حد كبير الحربين العالميتين الأولى والثانية وقد تسبب حربا ثالثا .

هذه كانت التطورات التى حدثت فى علاقات القـوتين مع بداية الستينات واثرت فى وضعيتهما داخل النظام الدولى بحيث نقلت هذا الوضع من نظام تسيطر عليه القوتان بشكل لا يقبل المناقشة وتتحكمان فيه بشـــكل حاسم ، وحيث تبدو القوى الأخرى ، أيا كانت أحجامهما

---

(١) — Ibid pp. 62-64.

(٢) Ibid.

(٣) البيان الذى القاه مستشار وزارة الخارجية الأمريكية H. Sonnefeldt فى اجتماع للسفراء الأمريكيين فى لندن وتعرض عن الطابع العلاقة التى أقامها الاتحاد السوفيتى مع اقطار أوربا الشرقية ونشر فى :
International Herald Tribune, April /2, 1976.

(٤) — Ulam, Adam, «The Status Quo of Eastern Europe is a threat to soviet Security», Detente, edited by : G. Urban; Temble Smith. London, 1967. p. 213.

السكانية والجغرافية ، أو تاريخها فى السيطرة العالمية ، تقفان ازاءهما عاجزين فى كل اشكال القوى ، بل ويعتمد بقاءها اقتصاديا وسياسيا وأمنها العسكرى عليهما ، انتقل هذا الى وضع برزت فيه قوى جديدة لكى تؤكد نفسها اقتصاديا وسياسيا وان يشجعها هذا على اتخاذ مواقف مستقلة تراها تتفق مع مصالحها الذاتية بغض النظر عن تعارضها مع ارادة زعيمة التحالف الذى تنتمى اليه ٠

وقد ضاعف من هذا الوضع ما ادى اليه من ظهور خلافات داخل كل معسكر قسمته بشكل حاد وبلغ الامر ان اصبح عداء موسكو لحليفتها السابقة بكين أكبر من عدائها لواشنطون (*) واضحت الصين تنظر الى الاتحاد السوفيتى باعتباره انه أكثر خطرا عليها من الولايات المتحدة (١) ٠

ولكن على الرغم من اثر هذه التطورات على مركز كل من القوتين الأعظم الا أنه لم يعنى تصدع الكيان الأساسى لكل تحالف ٠ حقيقة ان كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لم يعد فى مركز القيادة الحازم كما كانا من قبل وانه أصبح على كل منهما ان يساوم مع حلفائه من أجل كسب تأييدهم لسياسة ماوان يستبدل أسلوب الغرض بأسلوب الاقناع والأخذ والعطاء ، رغم هذا فان القوتين قد احتفظتا باستقرار ملحوظ ٠ فبالاضافة الى احتفاظهما بتفوقهما العسكرى والاستراتيجى الذى يجعل منهما مركز اتخاذ القرار النهائى فى حالة أى مواجهة ، فان المعسكر الأمريكى مثلا لم يشهد خروجا عن تحالفه الواسع الا من العراق وكوبا ، بل ان فرنسابعد انسحابها العسكرى من حلف الناتو عام ١٩٦٦ قد ظلت متمسكة به ٠ وفى المعسكر السوفيتى فانه رغم التحديات التى واجهها من كل من يوغوسلافيا ورومانيا (**) فان أيا من البلدين لم يقف مع الولايات المتحدة ضد الاتحاد

(*) فى هذا الشأن تبدو الانقسامات والتحالفات الخارجية التى ظهرت فى نطاق التحالف السوفيتى أكثر تأثيرا عليه من تلك التى ظهرت داخل التحالف الأمريكى وعلى كيانه الأساسى ٠٠

(١) Chou says : « Soviet is begger threat u.s to chisa, », New York times, sept. 1. 1973.

(**) يقدر معظم المحللين أنه رغم التحديات التى تواجه سلطة الاتحاد السوفيتى فى العالم الشيوعى فان احتمال حدوث خروج أساسى من أحد أعضاء التحالف فى شرق أوربا يعتبر احتمالا ضئيلا ويقيمون ذلك على الافتراضات الآتية : ـ

السوفيتى ، كذلك فى نطاق حلف وارسو فان الاتجاهات والمحاولات السياسية الرومانية لم تضعف من الكيان التنظيمى للحلف (١) .

على ان ثمة زاوية أخرى يجب عدم تجاهلها وخاصة فى دلالتها على الطبيعـه المعقـدة التى أصبحت تنطوى عليهـا علاقات كلا من العملاقين بحلفائه ، فهذه العلاقه وان كانت مصدر قوة لكل منهما الا انها أيضا تمثل عبئا ومسئولية خطيرة من ناحيه الحاجه الى تقديم وتوفير حمايه فعاله لهؤلاء الحلفاء ربما تتضمن الزج بالقوى الأعظم فى حرب نووية . وتمثل أوربا الغربية بوجه خاص هذه المسئولية بالنسبة للولايات المتحدة بسبب خشيتها من الخطر السوفيتى ، وزيادة على هذا وبوجه عام فان حليفا يمكن أن يكون عدوانيا لأسباب خاصة به ، ورغم ان أحدا من الحلفاء لا يمكنه ان يشن فى الوقت الحاضر حربا نووية فان بعضهم قادر على بدئها . ولاحباط هذا الاحتمال احتفظت الولايات المتحدة بأسطول فى مضايق تايوان لم يكن هدفه فقط حماية تايوان وانما أيضـا لمنع شانج كاى شيك من الهجوم على الصين . كما ان اعتبارات مماثلة كانت وراء تردد الولايات المتحدة فى ان تشارك الناتو فى الأسـلحة النووية الا وفقا للشروط الأمريكية وتحت الاشراف الأمريكى (٢) .

كذلك فان نفس العبء يتحمله السوفيت من حلفائهم ، ويمثـل كاسترو حليفا غير مريح (*) ازعج كثيرا الاتحاد السوفيتى مثل عدم

= ١ ـ ان الاتحاد السوفيتى سيظل ينظر الى أى علاقة أقل من الولاء من جانب دولة فى شرق اوربا كتهديد لأمنه العسكرى والسياسى .

٢ ـ الضعف الاقتصادى والسياسى لدول شرق أوربا مصحوبا بالتخوف المستمر من عودة ظهور الخطر الالمانى سوف يسمح للاتحاد السوفيتى بالاحتفاظ بعلاقته المتميزة بهذه الدول .

٣ ـ ان الاتحاد السـوفيتى كما أثبتت الأحداث ـ لن يتردد فى اسـتعمال القوة المتاحة اذا ما أدرك ضرورة ذلك للاحتفاظ بحزام أمنه فى شرق أوربا .

(Brown, « New Forces in world Politics op. cit p. 54).

(١) Flies, International relations in the bipolar world, op. cit. p. 117.

(٢) — Rokov, « Arms and foreign policy in the nuclear age », op. cit, p. 103.

(*) ذكر الدبلوماسى السوفيتى الكسندر فومين للمراسل الصحفى الأمريكى جون سكالى خلال اتصالاتهما أثناء الأزمة الكوبية فى وصفه لمتاعب موسكو مع كاسترو .. دانه من الصعب جدا السيطرة على كاسترو .. ان الولايات المتحدة يجب أن تصبر على جهود

استعداده للسماح للأمم المتحدة بالتفتيش على منشآت الصواريخ بعد المواجهة السوفيتية الامريكية فى كوبا عام ١٩٩٢ الامر الذى عرض للخطر ترتيبات التسوية السلمية وقد بذل الاتحاد السوفيتى عندئذ جهودا لكى يخفف كاسترو من عدائه للولايات المتحدة (*) كذلك فان من أكثر مسئوليات واعباء الاتحاد السوفيتى هو علاقته بالصين التى دفعت الى ان يتخذ مواقف يزيد بها من حدة التوتر ٠ وفى الشرق الاوسط فانه رغم الشك بان الاتحاد السوفيتى قد حاول ان يحافظ على الغليان فى المنطقة فانه يبدو من غير المحتمل فى نظر البعض انه قد توقع أو وافق على الخطوات والتطورات التى أدت الى هزيمة العرب عام ١٩٦٧ ومواجهته باحتمال لايوده وهو المخاطرة بالمواجهة مع الولايات المتحدة(١)٠ الى جانب هذه الأعباء الاستراتيجية والسياسية ، فان الحلفاء يمثلون بالنسبة للقوتين عبئا اقتصاديا ، يرمز على هذا ما تمثله كوبا بالنسبة للاتحاد السوفيتى وبنفس القدر ما أنفقته الولايات المتحدة فى فيتنام الجنوبية ٠

= الاتحاد السوفيتى لاقناع كاسترو بأن يتصرف بشكل سليم ٠٠ ان ذلك أشبه باقناع امرأة عنيدة بأن تقيم معها علاقات ٠

راجع : Salingser, Pierre, « with Kennedy », Avon Book, pp. 360, 347.

(★) حين زار يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة كوبا خلال الأزمة لاقناع كاسترو بقبول مبدأ التفتيش الدولى أكد له كاسترو أن مطلب التفتيش مقصود به اهانة كوبا وان حكومته لن تقبله ٠٠ كما عارض السماح لهيئة الصليب الاحمر ـ لاجراء هذا التفتيش فى الموانى الكوبية وانه اذا سمح الاتحاد السوفيتى للصليب الأحمر بان يفتش بواخره فى أعالى البحار « فان هذا هو شأنهم » ، كما ذهب كاسترو الى مناقشة سحب السوفيت لقواعد اطلاق الصواريخ فذكر أن خروشوف لا يستطيع اعطاء هذا الوعد بدون استشارة الحكومة الكوبية وان مثل هذا الوعد انما يقدم فقط من الحكومة الكوبية وليس من شخص آخر وانه ـ أى ـ كاسترو ـ قد أخطر الحكومة السوفيتية بموقفه ٠

راجع : Uthant, « View from the UN », op. cit., p. 187.

(١) Rabcov, « Arms and Foreign Policy in the nuclear age », op cit., p. 104.

الباب الثالث

من المواجهة الى التفاوض

حتى حلول الستينات لم تكن الولايات المتحدة أقوى دولة فى العالم وعلى كل مستوى تمارسه الدولة فحسب ، وانما كانت أيضا أكثر المجتمعات جاذبية • فقد كان لها التفوق على القـــوة العظمى الاخرى المنافسة في الاسلحة الاستراتيجية ، واستخدم هذا الفـــارق بمهارة لتسوية أزمة الصواريخ الكوبية والتى قربت العـالم بشـكل كبير من الحرب النووية ، كما قادت حلفاءها بمهارة مماثلة خلال أزمات برلين . وكانت الولايات المتحدة عنـدئذ تنتج تقريبـا نصف ثروة العالم كمـا كانت من أكبر مصـادر معـونات التنمية ، وكانت معاملها أكبر مكان للاكتشافات والتجديدات العلمية كما كانت تتقدم العالم فى مجـــال التعليم العالى • ورغم تزايد حدة الصراعات العنصرية داخل مجتمعها الا أنها اظهرت مرونة فى تناول المشكلات الاجتماعية بشكل لم تتعود المجتمعات التقليدية على مجاراته • وفى مواجهة القوى الأخـــرى فان الاتحاد السوفيتى نفسهالذى برز بعد الحرب كالقوة المنافسة الرئيسية ورغم ما حققه من تقدم هائل خلال جيلين وحول نفسه الى قوة تكنولوجية وصناعية الا أنه كان يقف امام المستويات الأمريكية راكدا مقسما على نفسه خاصة بعد بروز نزاعه مع الصين والتى كانت فى حد ذاتها قوة محدودة جدا • اما أوربا فانه رغم قيام منظمتها الجديدة الا انها لم تذهب أبعد من ازالة بعض الحواجز التجارية ، كما اغلق ديجول بمعارضته لانضمام بريطانيا الباب أمام تكامل سياسى أوربى ، أما اليابان فقد كانت على وشك البـــداية لان تصـــبح مجتمعا قادرا وقابلا للحياة والتطور (١) •

(١) Buchan, « Change without war », op. cit., pp. 21-22.

غير أنه مع نهاية حقبة الستينات لم يكن من الممكن امام المراقب الا أن يتعرف على اجزاء فقط من هذه الصورة • حقيقة ان الولايات المتحدة كانت مازالت اقوى قوة تكنولوجية الا ان مجتمعها قد فقد جاذبيته ولم يعد حلفاؤها يتقبلون قيادتها بشكل لا نزاع فيه في كل مجال كما كان الحال من قبل، بل ان قيادتها السياسية قد اصبحت موضع شك. وبدأ الاتحاد السوفيتي يتملك ترسانة ضخمة من الأسلحة النووية الطويلة الأمد ومن الصواريخ والغواصات الذرية • ومن ناحية اخرى ظهرت اليابان على السطح كالدولة الثالثة الكبرى اقتصاديا بل وتبشر بان تصبح الثانية مع نهاية العقد • كذلك برزت وحدة العالم الثالث وقوته السياسية •

ولكن ماهي القوى التي كانت وراء هذا التغير ؟ ليس ثمة تفسير أو عامل واحد وانما مجموعة متشابكة من عناصر التغيير والتي أدت في النهاية الى الفقدان التدريجي للسيطرة الأمريكية لا كمجرد قوة استراتيجية وانما كقوة اقتصادية مسيطرة كانت تمثل قاعدة النظام النقدي العالمي ، واكثر من هذا كقوة معنوية ذات جاذبية خاصة لغيرها من الأمم والمجتمعات • وقد ارتبط بهذا ، أو كان من أهم أسبابه ، تحول في قيم المجتمع الأمريكي لا كمجرد نتيجة لفيتنام – والتي كانت أول هزيمة للعسكرية الامريكية – ولا كمجرد نتيجة للمشكلات الداخلية ، وانما من نمو روح عدم التأكد حول أي قوة تمثلها الولايات المتحدة بالنسبة للعالم ومن الاحساس بالاحباط وبان الاستراتيجية الامريكية الكبرى من أجل عالم أكثر ليبرالية وأكثر استعدادا قد سارت بشكل خاطيء ، ومن الشعور بان الولايات المتحدة تعيش في عالم جاحد غير شاكر للفضل (١) •

على أية حال فان المؤرخين سوف يتجادلون حول عما اذا كانت فيتنام أو فقدان القوة الاقتصادية هي أهم عوامل التحول خلال الحقبة الماضية ، على انه مع نهاية الستينات فان أي اعتقاد في السلام الأمريكي كان قد ولى كما اضعفت الأحداث من الاقتناع بان الولايات المتحدة يمكن أن تتصرف بشكل جاد للدفاع عن دول العالم القديم والجديد • وكما حدث في النزاع السوفيتي الصيني حيث خضع العنصر الايديلوجي لحسابات مادية أكثر تخص المصالح الوطنية كذلك فان الولايات المتحدة بدأت تكتسب من جديد مصالح مادية ملحة مثل غيرها من الدول •

(١) Ibid, pp. 49-50.

غير ان هذا لم يعن ان احساسا أو استعدادا للعزلة قد استقر فى الولايات المتحدة رغم ظهور علامات وأقسام من الرأى العام تدعو الى ذلك (*) ومع هذا فان هذه التطورات قد حركت الامريكيين نحو مزيد من الوطنية والقومية ونحو الاعتقاد بانه اذا كانت الولايات المتحدة لا تستطيع بناء عالم أفضل فانها يجب أن تعطى الأولوية الأولى لحماية وتنمية مصالحها الخاصة وباحساس بالخطر أكثر منه بالزعامة (١) .

فى هذه الظروف — وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٦٩ — جاءت ادارة جديدة الى الحكم فى الولايات المتحدة على رأسها ريتشارد نيكسون كرئيس للولايات المتحدة حيث ورث أمة غير متأكدة من طريقها سواء فى الداخل او الخارج ، وسادت مشاعر الشك والضعف الاتجاهات الامريكية فى السياسة الخارجية (٢) .. وهكذا كانت المهمة التى واجهت نيكسون وهو يحتفل بتنصيبه رئيسا مما تروع رجالا أكبر منه ، حيث لم تقسم الولايات المتحدة منذ الحرب الأهلية بمثل هذه الخطورة . الا ان نيكسون وهو يقدم خطبة الافتتاح قد اظهر حسا سياسيا ملحوظا كان يتطلبه هذا الوقت من قيادة الولايات المتحدة حين تحدث عن الحاجة الى « الأصوات الخفيضة » ومرونة جديدة ، وعن نقل نقط التركيز من الاساليب الدرامية الى الجوانب العملية ، وعن انهاء حرب فيتنام ، كما حدد طابع السياسة الخارجية بالعبارة القائلة « الانتقال من المواجهة الى التفاوض » (٣) .

وقد أدرك نيكسون ان مهمته التاريخية هى ان يتمكن من تحقيق التراجع الأمريكى عن الارتباطات العالمية دون ان يفسد أمن الغرب والمصالح الأمريكية بوجه عام ، كما عبر عن أسلوبه الجديد فى تناول السياسة بقوله « ان الجسارة ليست هى الصفة التى نحتاجها اليوم

(*) كانت احداث فيتنام فى هذا الخصوص مماثلة لحادثة بيرل هاربر ولكن بشكل عكسى . فقد أدت كارثة بيرل هاربر الى تدخل أمريكا بشكل كبير فيما وراء البحار أما فيتنام فقد هددت بحدوث العكس وبدفع أمريكا الى الانزواء والانطواء على الذات ، ودعا الاقتصاد والرأى العام والكونجرس من أجل تخفيض التزامات الولايات المتحدة فى الخارج وطفت على السطح عبارة الانعزالية الجديدة .

(Merli, Makers of American diplomacy, op. cit., p. 677).

(١) — Buchan, « Change without war », op. cit., p. 53.

(٢) — Bartloot, C.J., « The rise and fall of Pax Americana », Lordon, 1974, p. 116.

(٣) — Brandon, Henry, « The retreat of American power », p. 2.

فالمرء يجب أن يصبح حذرا ومصقولا ... انك فى حاجة لأن ترى العالم كما هو وان تكون مفتوح العقل لكى يمكنك ان تغير وجهات نظرك ولهذا فانت غير محتاج الى أفكار مغلقة أو مسبقة » وقد يمكن ان ندرك مدى التغيير الذى يمثله هذا الاتجاه فقد كان آخر شيء يريده أو يتوقعه نيكسون أن يدخل التاريخ كشخص تراجع أمام السوفيت أو امام أى قوة شيوعية حيث كان يرى الشيوعية كشيء شرير حقا وهو النظر الذى تميز به كل تاريخه السياسى ، نجد هذا فى كتابه « ست أزمات » فقد ذكر ان التهديد الشيوعى عالمى وان فشلنا فى مواجهة الشيوعية فى آسيا أو افريقيا أو امريكا اللاتينية انما يزيد من امكانية أننا سوف نواجه هذا فى أوربا . ان التهديد الشيوعى هو تهديد شامل » (١) .

كما كان اختيار الرئيس الجديد لهنرى كيسنجر – استاذ الحكومات فى جامعة هارفارد ورجل الاستراتيجية الشهير – مما يكشف بشكل كبير عن اتجاه السياسة الجديد ، ذلك ان كيسنجر قد عرف من كتاباته بالادراك لشئون العالم المعقدة وللتعقيدات التى تنطوى عليها السياسات الخارجية للعالم المعاصر وأكثر من هذا حدود القوة الأمريكيه اكثر من اى مستشار لرئيس سابق (٢) . وفى العلاقة بين نيكسون وكيسنجر فقد قدم نيكسون الاتجاه العام للسياسة والسلطة لاتخاذ القرار وطور كيسنجر التكتيكات الدبلوماسية والمفهوم الفلسفى للسياسات الجديدة وقد يختلف الكتاب حول ما اذا كان كيسنجر وهو فى السلطة قد ادار ظهره لمفاهيمه السياسية وخاصة حول علاقات القوتين الأعظم عندما كان أستاذا ، ولكن الثابت هو أنه قد حافظ على الاطار الأساسى الذى أقامه خلال حياته الاكاديمية وحمله معه الى البيت الأبيض والعنصر الأساسى فى هذا الاطار هو اعتقاد كيسنجر الصارم فى فلسفة التوازن العام للقوة ، ورغم انه وافق على أن توازن القوى بمفهومه الكلاسيكى لا يمكن تطبيقه فى القرن العشرين الا أنه أصر على أن مفاهيم التوازن هى الطريق الوحيد لاقامة نظام عالمى ، وكما عبر عام ١٩٧١ « يجب أن يكون لدينا نوع من توازن القوة » (٣) .

كان هذا هو مجمل الاوضاع التى واجهتها الادارة الأمريكية الجديدة

---

(١) — Ibid, pp. 91, 20, 291.

(٢) — Bartlott, « The rise and fall of pax Americana », op. cit., pp. 166, 167.

(٣) — Merli, « Makers of American diplomacy », op. cit., p. 685.

وهى تتسلم الحكم مع نهاية عام ١٩٦٩ ، والتى وجدت معها من المحتم اتباع سياسات جديده للتكيف مع هذه التطورات . اما فى الاتحاد السوفيتى فانه فى وجه التنبؤات الغربية بان القيادة التى تلت خروشوف سوف تثبت عدم فعاليتها وعدم استقرارها فان أعضاؤها قد تماسكوا سويا بدون صراع وبشكل أكثر من التجارب التى حاولت أن تقيم حكما جماعيا عقب وفاة ستالين ، بالاضافه الى هذا فانهم رغم ذلك بدأوا عهدهم بالميراث الذى خلفه لهم خروشوف من انسحاب من كوبا ، وصراع مع الصين حول اكبر حليف للاتحاد السوفيتى الى عدو ، فانهم قد تمكنوا بشكل كبير من تحسين موقف الاتحاد السوفيتى كقوة عالمية بالوصول الى التعادل مع الولايات المتحدة فى القوة العسكرية فى كل من الأسلحة الاستراتيجية النووية والتقليدية (١) .

وهكذا فانه اذا كان الاتحاد السوفيتى فى ظل ستالين قد اتبع سياسة خارجية قارية Continental فى جوهرها وفى نطاقها وظل وضعها العسكرى يتجه بشكل واسع فى اتجاه اقليمى regional or periphval فانه قد بدأ يتحول مع عهد خروشوف الى قوة عالمية global power فى المعنى السياسى والعسكرى واستمرت هذه العملية بمعدل متزايد فى ظل برجينيف وكوسيجين (٢) .. على انه رغم هذا الوضع الذى اكتسبه الاتحاد السوفيتى فان القادة الجدد قد اتجهوا الى اتباع أساليب أكثر حذرا وبعيدة عن الأسلوب المغامر الذى اتسمت به تصرفات خروشوف ما بين ١٩٦٠ - ١٩٦٢ وطوروا بشكل أكثر أسلوب ادارة الأزمات ثنائيا مع الولايات المتحدة وهو الأسلوب الذى برز خلال الأزمة الكوبية .. كما انهم لم يبذلوا اهتماما كبيرا بالأهداف الايديولوجيةللثورة العالمية بمعنى دفعالاحزاب الشيوعية الى الامساك فى السلطة خارج نطاق نفوذهم لا انهم أبدوا قلقا زائدا حول الأمن الأيديولوجى وحرصا على التحكم فى التطور الاجتماعى لروسيا وشرق أوربا (٣) .

ورغم الجهد الذى بدأته قيادة برجينيف فى بداية عهدها لرأب

(١) « The soviet American relations and world order, the two and the many », Adelphipapers, March 1970, Iss. London, p. 11.

(٢) — London, Kurt, « The soviet impact on world Politics » op. cit., p. 238.

(٣) — « The soviet American relations and world order, » Adelp his papers, op. cit., p. 11.

الخلاف مع الصين فان هذا لم يكن يعنى انها تهدف بذلك الى زيادة المواجهة أو تجاهل فرص الوفاق مع الولايات المتحدة ، ولكن كمحاولة للتقليل من مصادر الخلاف فى علاقاتها الدوليـة ، وعلى عكس النظم السوفيتية السابقة والتى كانت تميل الى الابقاء على درجة من التوتر الدولى فان نظام برجينيف قد أظهر اهتماما بتقليل مصادر التوتر الدولى والاستقرار العالمى وكانت إتفاقية طشقند بين الهند وباكستان والتى أشرف عليها كوسيجين ذات دلالة على هذا الاتجاه (٤) .

غير ان السياسة السوفيتية بوجه عام انما تحكمها فى النهـاية الاعتبارات الداخلية وخطوط تطورها ، فى هذا الخصوص فان القيادة السـوفيتية قد واجهت عددا من التحفظات فيمـا يتعلق بالاتجـاهات الداخلية والتى لم تكن تتفق مع القوة الصاعدة للاتحاد السوفيتى فى الشئون العالمية فى السبعينات ، ففى الوقت الذى اسـتطاعت فيـه قطاعات الانتاج فى الدفاع والتكنولوجيا العسكرية أن تنافس الولايات المتحدة والغرب فانه قد أصبح واضحا بشـكل متزايد ، وكما تعترف السلطات السـوفيتية ، ان الاتحـاد السـوفيتى انما يواجه عددا من الصعاب فى ملاءمة القطاعات المدنيـة فى نظامها الصـناعى للثـورة الصناعية والعلمية للعصر الحديث .

فالاصلاحات الاقتصـادية التى أدخلت منذ سـنة ١٩٦٥ لزيادة الانتاجية وتسهيل انتاج تكنولوجيا جديدة فى القطاع المدنى لم تحـل الصعاب الاقتصادية السوفيتية ، ولهذا ظهر ما يبدو شبه اجماع داخل القيادة السوفيتية نفسها أن نتائج غير مرغوب فيها سواء فى الداخل أو المنافسة الطويلة الأجل مع النظم الاقتصادية المتنافسة يمكن أن تنتج عن الفشل فى مواجهة المشكلات الاقتصادية للاتحاد السوفيتى (١) .

وهكذا توافقت الاحتياجات الاقتصادية فى الداخل مع بروز الاتحاد السوفيتى لأول مرة فى التاريخ كقوة عسكرية عالمية ومع افتقار تكديس القوى النووية لأى معنى سياسى أو عسكرى طالما ان القوتين فى مقدورهما الانتقام من الأخرى اذا ما هاجمتها أولا ، يضاف الى هذا ما بدت عليه القوة المنافسة الأخرى وهى تحيط بها المشـكلات من الداخل وبدت مستعدة لخفض التزاماتها العالمية (٢) .

---

(١) — Dallin, « Soviet Politics since Stalin » op. cit, pp. 153, 154.

(٣) — London, « The soviet impact on world politics », op. cit., p. 239.

(٢) — Ibid, p. 240.

على ان أهم ما ميز المسرح الجديد للصراع هـــو ما ركزت عليه سياسة نيكسون وكيسنجر من العمل على تفادى عنصر الايديلوجية من السياسة الأمريكية ، فعلى عكس ترومان أو دالاس فان القـــادة الجدد يتعاملون مع « الاتحاد السوفيتى » · لا مع روسيا ، ومع السوفيتية (٣) ـ لا الشيوعية ـ دون تركيز على الصراع بين الشيوعية والرأسمالية ·
وبذلك كانت الأولوية الأولى للسياسة هى اقناع موسكو انه من العقم ادارة السياسة الخارجية على أسس ايديلوجية · واذ تحاول ان تفعل هذا فان الولايات المتحدة يجب أن تسلك نفس السبيل وأن تثبت انها أيضا تتصرف على أسس غير ايديلوجية فى الساحة العالمية · وقد جاء أكبر تعبير عن ذلك فى تقارب واشنطون مع جمهورية الصين الشعبية ·
وبمعنى ما فان التقارب قد مثل جهدا « لجذب الصين الى علاقة بناءة مع المجموعة الدولية » كما نشأت من تصور ان ســـياسة عالمية يجب أن تتجاهل كيانا مثل الصين وان نظاما دوليا لا يمكن ان يكون آمنا اذا ما بقيت واحدة من القوى الكبرى بشكل كبير خارج هذا النظـــام بل ومعادية له وأهم من هذا فانه يجعل بكين قوة شرعية فى المجال الدولى فان التقارب الأمريكى مع الصين كان يستهدف تخفيف وتهدئة الاتجاهات والميول السوفيتية وجعلها أكثر اتجاها الى التصـــــالح مع الولايات المتحدة (١) ·

---

(١) — Lafaber, Walter, « America and Russia in the Old war, 1945-1975 ». John wiley and sons, New York, 2 edition, p. 266.
(٢) — Landu, David, «Kissing:r, the uscs of pow.r», Houghton mif flen Comp., Boston, 1972, pp. 104-105.

ادارة نيكسون وكيسنجر

المبحث الأول

نحو استراتيجية أمريكية جديدة

جاء التقرير الذى ألقاه نيكسون « عن حالة العالم » فى ١٨ فبراير سنة ١٩٧٠ وبعد ان كان قد أمضى عاما فى السلطة والعنوان الذى يحمله « سياسة الولايات المتحدة خلال السبعينات : استراتيجية جديدة نحو السلام » (١) جاء يتضمن المفاهيم والأسس الذى يعتزم الرئيس الامريكى وادارته ادارة علاقات الولايات المتحدة على اساسها . وقد كان الاساسى لهذه المفاهيم كما عبرت عنه مقدمة التقرير هو ان « كل اطار السياسة الدولية انما يتغير » ، ولذلك فان التحدى الذى يواجه أمريكا هو أن تتفهم هذا التحدى وأن تحدد أهداف المرحلة المقبلة وان تحرك السياسات التى تحقق ذلك ضمن تناول جديد للسياسة الخارجية ولكى تجارى «عهدا جديدا فى العلاقات الدولية» . وقد حدد نيكسون الهدف العام لهذه السياسات بانه « تقديم اطار للسلام الدائم » وكذلك تحديد « ماهو مفهومه للسلام » « لقد تأملت طويلا حول معنى ووصلت الى نتيجة ما ، ان السلام يجب أن يكون أكثر من غياب الحرب . ان السلام يجب أن يقدم هيكلا دائما للعلاقات الدولية يمكن أن يزيل أسباب الحرب .. « على أن بناء سلام دائم يتطلب سياسة تسترشد بثلاثة مبادىء رئيسية » : ـ

١ ـ ان السلام يتطلب المشاركة Partenership ومسئولياتها مثل مزاياها يجب ان يشارك فيها ومفهوم المشاركة هذا سوف يوجه علاقاتنا مع كل الدول الصديقة .

٢ ـ السلام يتطلب القوة . فطالما ان هناك من يهدد مصالحنا ومصالح حلفائنا بالقوة العسكرية فيجب أن نكون أقوياء .

(١) Kissing's Contemporary Archive, 1970 pp. 23881-23893. —

٣ ـ والسلام يتطلب الاستعداد للتفاوض ٠

فكل الأمم ـ ونحن لسنا استثناء ـ لها مصالح وطنية هامة لكى تحميها ولكن أهم مصلحة أساسية لكل الأمم هو بناء هيكل للسلام ٠

وفي اطار هذا الهيكل « فان المنازعات الدولية يمكن أن تسوى وان تحتوى الصراعات وان يخف عدم الاحساس بالأمن الذى تنشأ عنه معظم الصراعات وسوف تقوى عادات الاعتدال والحلول الوسط ٠٠ »

ثم استعرض نيكسون التغيرات التي حلت بالبيئة الدولية منذ ان تصرفت الولايات المتحدة على أساس من نظريات ومبادرات مثل نظرية ترومان ومشروع ماريشال وهو ما كان يعكس قدرة أمريكا على أن تضع البرامج والسياسات وأن تنفذها أيضا « ٠٠ ان عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية للسياسة الخارجية الأمريكية بدأ فى عام ١٩٤٧ مع الاعلان عن نظرية ترومان ومشروع ماريشال وبتقديم المساعدة الأمريكيه الاقتصادية والعسكرية للاقطار التى تتهدد بالعدوان واعتقدت سياستنا ان الديموقراطية والرخاء انما تتدعم بالقوة العسكرية الأمريكية ومن خلال شبكة عالمية من التحالفات التي تقودها أمريكا ٠٠ ولمدة حقبتين بعد الحرب الثانية استرشدت سياستنا الخارجية بهذه الرؤية والتى كانت تقوم على ان الولايات المتحدة هى أكثر البلدان استقرارا ٠٠ وقد حملتنا هذه الدفعة الى الستينات حيث كانت الولايات المتحدة تتصور البرامج وتقوم بتطبيقها فنحن الذين نصمم البرامج ثم نقترحها على حلفائنا وكنا نحن الذين نتبين الأخطار ونتصرف مباشرة للتغلب عليها ٠٠ » ٠

غير ان العالم الذى كانت الولايات المتحدة تتصرف فيه على هذه الصورة وتعامل مع قواه بهذا الشكل « قد تغير بشكل جذرى » وقد عرض نيكسون عناصر هذا التغير على الوجه الآتى « ٠٠ فنحن نتعامل اليوم مع عالم من الحلفاء الأقوياء ومجموعة من الاقطار النامية المستقلة وعالم شيوعى مازال عدائيا ولكنه مقسم على نفسه ٠٠ » ثم يعرض التقرير السياسة التى شكلت ما عرف بنظرية نيكسون حول مدى مساهمة الولايات المتحدة فى اعباء الدفاع عن حلفائها « ٠٠ ان الآخرين لديهم الآن القدرة والمسئولية للتعامل مع المنازعات المحلية والتى كانت تتطلب من قبل تدخلنا ٠ ان مساهمتنا ونجاحنا لن تعتمد على تعدد التزاماتنا واندماجنا فى شئون الآخرين ولكن على قوة سياساتنا ٠ وهذا الأسلوب هو الذى سيشجع بشكل أفضل الأمم الأخرى على أن تؤدى دورها ٠٠ »

ومن الواضح ان نظرية نيكسون ـ والتي كان قد أوضح خطوطها في جوام في ٢٥ يوليو سنة ١٩٦٩ يجب أن تعتبر كاستجابة لمطلب الرأى العام الأمريكي لخفض الارتباطات الدولية وانهاء حرب فيتنام . ففى بداية عام ١٩٦٩ لم يكن يبدو ان ثمة حل لمشكلة فيتنام وبدا ان انهاء الحرب فيها هو أمر حوهرى لاعتبارات سياسية الا أن هذا الحل يجب أن لا يلقى الشك حول ارادة الحكومة الأمريكية ، وفى عبارات هنرى كيسنجر « اننا حتما يجب أن نضع في اعتبارنا ان السوفيت سوف يحكمون علينا بدرجة تصميمنا وادائنا في كل مكان .. » (١) .. وفى ضوء هذه الاعتبارات أعلن نيكسون الخطوط العامة لنظريته في جوام في ٢٥ يوليو سنة ١٩٦٩ ثم فصل عناصرها في تقريره على الوجه الآتى : ـ

١ ـ ان الولايات المتحدة سوف تحافظ على كل التزاماتها .

٢ ـ انها سوف تقدم وقاية ذرية اذا ما هددت حرية أمة حليفة للولايات المتحدة أو أمة يعتبر بقاؤها أمرا حيويا لأمريكا ولأمن المنطقة ككل .

٣ ـ فى حالات تتضمن أشكالا أخرى من العدوان فان الولايات المتحدة سوف تقدم مساعدة عسكرية واقتصادية عندما يتطلب الأمر ذلك ولكنها سوف تنظر الى الأمة المهددة مباشرة لكى تضطلع بالمسئولية الأولى في تقديم القوة البشرية لدفاعها .

ثم أعطى التقرير استعمالا أوسع لهذه المبادىء أكثر مما يوحى به ظهورها تحت عنوان « آسيا والباسفيك » فقد ذكر « أن الموضوع الرئيسى هو أن الولايات المتحدة سوف تشترك في الدفاع وفى تطور الحلفاء والأصدقاء الا أن الولايات المتحدة لا تستطيع ولن تستطيع أن تتصور كل الخطط وتخطط لكل البرامج وتنفذ كل القرارات وتتعهد بالدفاع عن كل الأمم الحرة في العالم .. فسوف نساعد حين يمثل الأمر اختلافا حقيقيا وفيما يعتبر في مصالحنا » (٢) .

أما أهم الجوانب التى تعرض لها الرئيس الأمريكي فى تقريره عن حالة العالم فكانت تلك التى تعرضت للتغيرات التى طرأت على أدق

(١) — Hartly, A, « America's Foreign Policy in the Nixon Era», Adelphi papers, ISS, London, No. 110, 1975, p. 16.

(٢) — Ibid, p. 16.

وأخطر علاقات القوى بين القوتين الأعظم وهو ميزان القوى الاستراتيجية التى ظلت الولايات المتحدة عبر الخمسينات ومعظم الستينات تحتفظ فيه بالتفوق بل والاحتكار للاسلحة النووية الاستراتيجية « ·· وقد ظل هذا الوضع لا يتحداه أحد حتى أصبح واضحا فى نهاية الخمسينات ان الاتحاد السوفيتى يمتلك الامكانيات والطاقات لتطوير واستعمال الصواريخ عابرة القارات التى يمكن أن تدمر جزءا كبيرا من طاقاتنا الاستراتيجيه على الأرض ·· وبعد عام ١٩٦٥ ـ زاد السوفيت من استعمالهم من الصواريخ النووية عابرة القارات وبدأوا يبنون قوتهم من الغواصات المماثلة لغواصات بولاريس Polaris وهو السلاح الذى يستطيع أن يحمل ١٠ مرات تقريبا مثل صاروخ minutman وهكذا تعرض التفوق الاستراتيجى الامريكى للتحدى مرة أخرى · ومع هذا فقد قررت حكومة جونسون ان تتحلى بضبط النفس وان لا تزيد من هذا السباق ، وقد بنى هذا الاتجاه على حكمين : الأول هو الاعتقاد بأن الولايات المتحدة انما تملك القليل الذى يمكن أن تفعله من أجل وقف السوفيت عن تطوير مركز استراتيجى مقارن فى قدرته لمركزنا · والثانى هو الظن بأن التفوق النووى الذى استمتعت به الولايات المتحدة من قبل لن يكون له بعد أهمية سياسية أو عسكرية لأن قدرتنا الانتقامية لم تكن مهددة بشكل خطير بقوات سوفيتية واسعة ولان الهدف السوفيتى لقوات قوية ومعقدة تقترب وتتفوق فى بعض الأحيان ـ على قدراتنا عددا وقدرة ·· » (١) ·

ثم تعرض التقرير للمناقشات التى دارت فى الولايات المتحدة وصاحبت تطور القدرات الاستراتيجية للاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة حول الأدوار السياسية والعسكرية للقوى الاستراتيجية والمعيار الملائم لاختيارها أو بعبارة أخرى النظرية السياسية التى يجب أن تحكم العلاقة الاستراتيجية بين القوتين ·· « ·· ان النظرية الاستراتيجية التى اكتسبت قبولا أعظم حتى وقت تقلدى السلطة كانت تقوم على مذهب التدمير المحقق Assured destruction والتى اعتبرت أن الردع يصبح مضمونا اذا ماتأكدنا اننا نستطيع ان ندمر نسبة كبيرة من السكان السوفيت والصناعة السوفيتية بعد أسوأ هجوم سوفيتى متصور على قواتنا الاستراتيجية ·· وحين تقلدت السلطة انتهيت الى ان هذه النظرية الاستراتيجية يجب ان يعاد النظر فيها بعناية فى ضوء التحول المتزايد للقدرات الاستراتيجية السوفيتية ، فما دام السوفيت مستمرين

---

(١) — Kissing's Archive, 1970, p. 23893.

فى برنامجهم الاستراتيجى الطموح فانه يجب أن نسأل بعض الأسئلة الأساسية : لماذا يمكن البدء فى حرب نووية أو التهديد بها ؟ وفى ضوء هذا ما هى الاحتياجات الاستراتيجية الملازمة للردع ؟ ان ما يجب أن ننشده كهدف استراتيجى هو ما يمكن أن يوصف بالاستكفاء (*) ·· Sufficiency

وقال ان من الاعتبارات الهامة عند اعادة النظر فى تحديد هـــذه العـــلاقة كانت هى « ان نمو القوى الاستراتيجية لدى كلا الجانبين انما يفرض مشكلات جديدة ومقلقة · فهل يجب أن تترك الرئيس عند وقوع هجوم ذرى امام اختبار وحيد يفرض الدمار الشامل على المدنيين لدى العدو فى مواجهة الأمر الأكيد بأن هذا سيستتبعه ذبح جماعى للامريكيين هـــل يجب أن نحدد بشـــكل ضيق مفهوم الدمار الأكيد وهـــل يجب أن يكون هو الاجـــراء الوحيد لقدرتنا على ردع أنواع التهديد التى يمكن أن تهددنا · ؟ (١)

وقد جاء الجزء الرابع من تقرير نيكسون يحمل عنوان « عصر التفاوض » ·· واعتبر التقرير ان ثمة أوضـــاعا خلقها العالم المتغير هى التى أصبحت تفرض أسلوب الاتصال الدائم والحوار حول المسائل التى تثير الانقسام بهدف أساسى وهو تفادى الحرب ولخص هذه الأوضاع فيما يلى : -

(أ) انه بالنسبة للولايات المتحدة وكذا لخصومها ، فان اخطار استخدام القوة فى العصر الذرى ليست بالنسبة المعقولة وان توازن القوى النووى قد نقل التركيز الى التفاوض أكثر من المواجهة ·

(★) بدأ مفهوم الاستكفاء عند بدء ترديده غامضا وهو ما حدا بنيكسون ان يفسره فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٧١ ، فقال أن الاستكفاء وبشكل محدد له معنيان ، ففى معنـــاه الضيق العسكرى فانه يعنى القوة الكافية لفرض مســـتوى من التدمير على معتد محتمل كافية لردعه عن الهجوم · وفى معناه السياسى الأوسع فان الاستكفاء يعنى الاحتفاظ بقوى كافية تمنع من أن نتعرض وأصدقاءنا للقسر وهكذا فان العلاقة بين قواتنا الاســتراتيجية وتلك التى يملكها الاتحاد السوفيتى يجب أن تكون على اســاس أن لا يســـاء تقدير قدرتنا وتسميمنا على حماية مصالحنا الحيوية ·

(١) (Bartlott, The rise and fall of Pax Americana, op. cit., p. 174).

(٢) — Kissing's p. 23891.

(ب) ان القوى العظمى قد تجد نفسها منقســـمة بعمق في صراع محلى لا تملك معه نفوذا أكيدا على الاتجاه الذى تأخذه القوى المحلية ٠

(ج) كمـا قد فرض العصر الذرى أخطار الحوادث والحسـابات الخاطئة كما ان كلا الجانبين مهدد مثلا حين يســـتهدف أحدهما فوائد تكتيكية من أزمة ما ويخاطر باثارة رد فعل استراتيجى ٠

ولكن ماهى المبادىء أو المعايير التى ســـتتبعها الولايات المتحدة فى عملية التفاوض مع الاقطار الشيوعية بوجه عام ومع الاتحاد السوفيتى بشكل أخص ، ان هذه المبادىء تشمل : ـ

(أ) التعامل مع الاقطار الشيوعية على أساس ما هى عليه دون أى خطأ أو أوهام وعلى أساس ان قادة الدول الشـــيوعية قوم جادون ومصممون ولهذا فان الولايات المتحدة لن تسىء تقدير عمق الخلاف الايديلوجى أو التبيان فى المصالح ، أو ان المفاوضة أو الاتفاق تعنى انهم تخلوا عن معتقـداتهم أو انهم مستعدون كذلك خلال عملية التفاوض ٠

(ب) انه بسبب هذه الخلافات فانه يجب خلق الظروف الموضوعية لتسهيل عملية التفاوض وان نعمل بأكثر الطرق على التأثير على الأعمال الشيوعية وان ننظر الى خصومنا الشيوعيين أولا وأخيرا كدول تتبع مصالحها الخاصة وكما تتصورها تماما كما تتبع الولايات المتحدة مصالحها وكما تراها ، فى هذا الشأن سوف تحكم الولايات المتحدة عليهم بأعمالهم كما تتوقع ان يحكم عليها باعمـــالها على أساس أن الاتفاقات المحددة وهيكل السلام سوف يأتى من التواؤم الواقعى للمصالح المتصارعة ٠

(ج) ان المفاوضات يجب أن تكون نتيجة للاعداد الدقيق وقائمة على الأخذ والعطاء فى المسائل التى أثارتها ٠

واعتبر نيكسون هذه المبادىء العامة السابقة تنطبق بالكامل على تناول الولايات المتحدة للمشكلات مع الاتحاد الســوفيتى ، ثم استعرض عددا من الخطوات المشجعة التى اتخذت أو بدأت منـذ توليه السلطة وحددها فى التصديق على معاهدة حظر انتشار الأسلحة الذرية ، والتقدم

الذى تحقق فى التفاوض حول حظر الأسلحة فى قاع البحر ، واتخاذ خطوات لدفع الاتفاق حول الأساليب الكيماوية والبيولوجية للحرب ، والبدء فى مفاوضات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ٠٠ الا انه فى الوقت الذى تحقق فيه بعض هذا النجاح فى عملية التفاوض فقد اعتبر نيكسون ان « علاقاتنا الشاملة مع الاتحاد السوفيتى هى أبعد من أن تكون مرضية ٠٠ » ورد هذا الى موقف الاتحاد السوفيتى من أزمتى فيتنام والشرق الأوسط ٠ ففى فيتنام اعتبر نيكسون ان الاتحاد السوفيتى « قد فشل فى أن يمارس نفوذا مساعدا على الفيتناميين الشماليين فى مفاوضات باريس ، والأغلبية الساحقة من مواد الحرب التى تصل فيتنام الشمالية تأتى من الاتحاد السوفيتى والذى يتحمل بذلك المسئولية الثقيلة لاستمرار الحرب الأمر الذى لا يساعد وانما يعكر بقية علاقاتنا مع الاتحادالسوفيتى ٠٠ » وفى الشرق الأوسط « لم نر من الاتحاد السوفيتى المرونة العملية والبناءة اللازمة والتى بدونها لا تتحقق مسئولية القوى العظمى فى السعى لتسوية النزاع ، بل اننا نرى أن الاتحاد السوفيتى يسعى لتحقيق موقع له فى المنطقة ككل الأمر الذى يجعل منافسة القوى الكبرى أكثر احتمالا ٠٠ » (١)

---

(١) — Kissing's p. 23898.

المبحث الثاني

هنرى كيسنجر ودوره

ارتبطت سياسة الوفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى على المستوى السياسى والدبلوماسى والفكرى باسم هنرى كيسنجر • فعلى الرغم من ان محاولات بناء علاقات ايجابية تتجاوز الحرب الباردة تمتد الى جهود ادارات أمريكية سبقت الادارة التى شارك فيها كيسنجر بشكل ايجابى كامل فان هذه السياسة لن تكتسب كما سنرى أساسا عمليا يعتد به ومفهوما نظريا متماسكا الا منذ ان تولى ريتشارد نيكسون الحكم فى يناير عام ١٩٦٩ واختيـاره لكيسنجر أولا كمستشار للأمن القومى ثم وزيرا للخارجية عام ١٩٧٣ •

ولذلك فان تتبع اتجاه وتطور علاقات الوفاق الأمريكية السوفيتية يتطلب التعرف على ادوار ومساهمات هنرى كيسنجر على المستوى الفكرى الفلسفى والمستوى السياسى والدبلوماسى خاصة اذا كانت الفترة التى شارك فيها فى الحكم ستمثل المرحلة التى قننت فيها علاقات الوفاق بمبادىء وقواعد للسلوك الدولى وباتفاقيات وارتباطات شـملت وجوها متعددة لعلاقات القوتين الثنائية •

ونظرا للتداخل الوثيق بين شخصيتى نيكسون وكيسنجر وادوارهما فى ارساء سياسة الوفاق فقد وجد بعض المراقبين صعوبة فى التمييز بين أدوار كل منهما (١) واسهامهما فى سياسة الوفاق وتوجيهها ، فعلاقاتهما كانت مشـاركة استثنائية تأسـست على اتفاق عقلى ومزاجى نادر بين السياسى ومستشاره ، غير ان أكثر المراقبين انصافا لنيكسون يقدرون ان دوره لا يتعدى المبادرات العملية والأسـاليب التكتيكية وخاصـة خـلال المراحل العملية ، أما كيسنجر فهو باجمـاع المراقبين مهندس هـذه

---

(١) Hartly, «American Foreign Policy in the Nixon Era» op. cit., p. I.

السياسة (١) والمنظر الذي قدم أسساسها الفكرى ببعديها التاريخى والاستراتيجى .

وكما اختلف الباحثون فى التمييز بين ادوار نيكسون وكيسنجر اختلفوا حول التمييز بين دور كيسنجر الاكاديمى ومفاهيمه عن علاقة القوتين ومستقبلها وأسلوب تناولها ، وبين تطبيقات وممارسات كيسنجر السياسى ورجل الدولة . فقد اعتبر بعضهم ان دبلوماسية كيسنجر انما تكمن فى أعماق تاريخه الاكاديمى وتمثل التحاما ملحوظا بين شخصيته وتكوينه الاكاديمى وما فكر فيه وتأمل خلال حياته الجامعية وبين ممارساته العملية والدبلوماسية كسياسى ورجل دولة (٢) ، بينما اعتبر آخرون ان كيسنجر السياسى ورجل الدولة يقف على النقيض من كيسنجر الاكاديمى وان سياسة الوفاق كما مارسها وطبقا هى نفى لكل ما كتبه حول علاقات الشرق والغرب ونقض لها (٣) .

وقد قامت مفاهيم كيسنجر الاكاديمية حول طبيعة النظام الدولى وعلاقات القوى فيه على أساس أن السعى وراء الإستقرار الدولى وليس وراء السلام هو ما يجب ان يقوم عليه بناء السياسة الخارجية الأمريكية . فقد جذبته الفترة الثورية التى مرت بأوربا منذ عام ١٨١٢ والتى شهدت تحدى نابليون النظام الأوربى القائم من ناحية وشهدت من ناحية أخرى الجهود الدبلوماسية التى تزعمها كاسترله Castleregh وزير خارجية بريطانيا ومترينخ المستشار النمساوي لمواجهة هذا التحدي . ووجه الشبه الذى ميزه كيسنجر بين هذه الفترة وبين الوضع الدولى الذي يعاصره هو الاشتراك فى عدم الاستقرار ، فكلاهما نشأ نتيجة لما يسميه كسينجر « بالقوى الثورية » ، كانت فى القرن ١٩ هى فرنسا النابليونية ، وهى اليوم تتمثل عند كيسنجر فى الاتحاد السوفيتى والصين ، فكلاهما قوة ثورية ليس لمجرد انهما حققا ثورة داخلية ولكن لانهما يرفضان « قبول اطار النظام الدولى أو البناء الداخلى للدول الأخرى » ولهذا يصبح اجتذاب هذه القوى الثورية الجديدة الى تقبل « اطار النظام الدولى القائم » هو الأساس اللازم لتحقيق الاستقرار الدولى وهو الاستقرار الذى ينشأ لا عن

---

(١) — « Detente, » Hearisgs before the committe on foreign relations, U.S. Senate. Us goyernment Printing office, Washington, 1975, p. 238.

(٢) — Sconninger, J, « H. Kissinger, : Scholarship statesmanship », Journal of International Affairs, Spring, 1975, p. 83.

(٣) — Neuter, Warren, « Kissinger Grand design », American Interprise Institute for public policy research, Washington, 1975, p. 10.

السعي وراء السلام ولكن من الشرعية المقبولة بوجه عام « والشرعية هنا يجب ان لا يخلط بينهـا وبين العـدالة فهي لا تعنى أكثر من اتفاق دولى حول طبيعة الترتيبات الفعالة وحول الأهداف المسموح بها وأســـاليب السياسة الخارجية وانها تتضمن قبول اطار النظام الدولى من جانب كل القوى الكبرى على الأقل الى الحد الذى لا تشعر فيه دولة انها غير راضية بحيث تقـدم كما حدث لألمانيا بعد فرساى على التعبير عن عدم رضاها باتباع سياسة خارجية ثورية وهذا النظام القائم على الشرعية لا يجعـل الصراعات مستحيلة وانمـا يحد من نطاقهـــا (١) ‥ ، وفى كتابه عن « الأسلحة النووية والسياسة الخارجية » نجد ادراكه لتأثير الأســـلحة النووية على الميزان الاستراتيجى بحيث ان « أى حصول للاتحاد السوفيتى على أراض حتى ولو كان احتــلال غــرب أوربا ما كان يؤثر فى الميزان الاستراتيجى كما فعل النجاح السوفيتى فى انهاء احتكارنا الذرى » (٢) ٠ وفى هذا الكتاب سنجد أصول النظرية التى ستتبلور فيما بعد فى سياسة الاكتفاء بدلا من التفوق فيما يتعلق بالأســلحة الاستراتيجية « اذا ما تم الوصول الى الكفاية فان أى قوة اضافية لا تترجم الى قوة سياسية مفيدة ومحاولات الحصول على مكاسب تكتيكية يمكن ان تؤدى الى الطوفان ‥ » ويقول فى موضع آخر انه لم يعد ممكنا التحدث عن التفوق العسكرى بشكل مجرد ، فماذا يعنى أن تكون متقدما فى السباق الذرى اذا كان كل جانب يستطيع بالفعل تدمير الآخر ؟ وما هى الأهداف الاستراتيجية فى زيادة قوة التدمير فى وقت تتجه فيه ضخامة نظم التسلح الموجودة الى شل الارادة » (٣) ٠

واذا كان كتابه عن الأسلحة النووية والسياســة الخارجية قد قام أساسا على نظرية امكان اللجوء الى الحرب النووية المحدودة الا ان هــذا الكتاب قد وضع فى ظروف كان يتحقق فيها للولايات المتحدة تفوق أساسى على الاتحاد الســـوفيتى فى الميزان الاستراتيجى ، وهى الظروف التى تغيرت فيما بعد بتزايد قوة الاتحاد السوفيتى النووية وامتلاكه الصواريخ البعيدة المدى ، وهو التغير الذى انعكس فى كتاب كيسنجر التالى الذى كتبه عام ١٩٦١ عن « ضرورة الاختيار » حيث نجده يقول « منذ عدة سنوات

---

(١) — Kissinger, Henry, « A world restored, Metternich, Castelereyh and Restoration of peace, 1812-1822 », Boston, 1957, pp. 1-3.

(٢) — Kissinger, « Nuclear weapons and foreign policy », New York, Harper, 1975, pp. 5-6.

(٣) -- Ibid, pp. 114-115.

دعا كاتب هذا الكتاب الى استراتيجية بدت ـ وقتها أكثر الأساليب فعالية فى ردع أى عدوان شيوعى وتجعله يدرك ان الولايات المتحدة سوف تستخدم الأسلحة الذرية منذ البداية ٠٠ فالاستراتيجية الذرية حينئذ كانت تقدم أفضل الوسائل للتغلب على القوة الصينية والسوفيتية البشرية والاستخدام الأفضل لقدراتنا الصناعية ٠٠ ان الحاجة الى القوى القادرة على خوض حرب محدودة مازالت باقية ومع هذا فثمة تطورات عديدة تدعو الى تحول فى النظرة الى التركيز النسبى الواجب على القوى التقليدية وهذه التطورات هى : ـ

١ ـ الاختلاف بين مؤسساتنا العسكرية وداخل التحالف الغربى حول طبيعة الحرب المحدودة ٠

٢ ـ نمو القوة الذرية السوفيتية والأهمية المتزايدة للصواريخ البعيدة المدى من أثر محادثات تقييد التسلح » (١) ٠

ويمثل كتابه الذى نشره عام ١٩٦٩ عن « السياسة الخارجية الأمريكية » استجابة للتأثيرات التى أحدثها الانتقال من عالم يدور حول قطبين Bipolar الى عالم متعدد الاقطاب Multipolar انحسر معه عصر القوى الأعظم « ٠٠ للمرة الأولى أصبحت السياسة الخارجية عالمية الطابع ٠ وقد ظل الاستقطاب الثنائى مصدرا للتصلب فى السياسة الخارجية ، لان أى مكسب لجانب كان يعتبر خسارة مطلقة للجانب الآخر ـ غير ان عصر القوى الأعظم يقترب من نهايته ٠ ان الاستقطاب الثنائى العسكرى لم يفشل فى منع تعدد الاقطاب السياسى فحسب وانما شجعه وقد أدى هذا الى ان أصبح من غير الممكن فرض أى تصميم أمريكى ، ولهذا فان التحدى الكبير الذى يواجهنا هو اثارة الجانب الخلاق فى عالم متعدد الاقطاب ، ولاقامة نظام دولى على هذا الاساس حتى لو ظلت القوى العسكرية الفعالة فى أيدى القوتين الأعظم ٠ » (٢)

ويعود كيسنجر الى تأكيد وتطوير المعانى التى يتضمنها قيام عالم متعدد الإقطاب بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية والدور العالمى لأمريكا « فى نهاية الستينات أصبح الوقت أكثر تعقيدا ، فلم تعد الولايات المتحدة فى وضع تستطيع ان تضع فيه برامجها على المستوى العالمى ،

---

(١) — Kissinger, « The necessity of choice : Prospects of Amercan foreign policy », New York, Harber and Raw, 1961, pp. 81-94.

(٢) — Kissinger, « American foreign policy, three essays, » New York, W.W. Norton 1969, pp. 56-58.

انها تستطيع فقط تشجيع مثل هذه البرامج ، كما لم يعد فى مقدورهـــا فرض الحل المفضل لديها ، انها تجب ان تثيره وتقترحه • فى الأربعينات والخمسينات قدمنا العلاج أما فى الستينات والسبعينات فان دورنا يجب ان يكون الاسهام فى قيام بناء تقوى فيه مبادرات ــ الآخرين ••• » (١) .

واعتبر كيسنجر ان التحـــدى الذى سيواجه الولايات المتحدة فى الأعوام التالية القادمة هو « تطوير مفهوم ما من النظام فى العالم يحكمه قطبان عسكريا ولكنه متعدد الأقطاب سياسيا » (٢) ••

أما فى الجوانب والعناصر السياسية العامة للعلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد الســـوفيتى ، فقد تميزت كتابات كيسنجر الاكاديمية بالشك الواضح فى النوايا السوفيتية تجاه سياسة التعايش الســـلمى وهو الشك الذى دفعه الى انتقاد حجج من كانوا يدعون الى هذه السياسة سواء فى جوانبها المتعلقة مباشرة بالاتحاد السوفيتى أو تلك المرتبطة بالأوضاع فى شرق أوربا وكيفية تسوية المشكلة الألمانية • يقول فى وصف سياسة التعايش السلمى كما صدرت عن المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى عام ١٩٥٦ « انها لم تكن قبولا للوضع الراهن على العكس فقد وجدت تبريرها كأكثر اساليب الهجوم فعالية لتخريب النظام الراهن » (٣) . ويقول فى موضـــع آخر « ان حملة الســـلام ليست جديدة فى التاريخ السوفيتى فقد ظهرت سياسة التعايش السلمى بين ١٩٢٤ ــ ١٩٣٩ وبين ١٩٤١ ــ ١٩٤٦ وفى مؤتمر جينيف عام ١٩٥٥ ، ثم بعد زيارة خروشوف لأمريكا عام ١٩٥٩ ، وبعد أزمة كوبا عام ١٩٦٢ • وفى كل مناسبة من تلك كان سبب الدعوة الى سياســـة الوفاق بعض القيود الداخلية أو الخارجية على النظام السوفيتى وفى كل مرة انتهت سياســـة الوفاق حين كانت تظهر فرصة لنمو الشيوعية ومدها » (٤) •

ولم يتشكك كيسنجر فى نوايا السوفيت تجاه سياسة التعايش السلمى فحسب وانما شكك أيضا فى جدوى التفاوض معهم « ان القادة السوفيت يتفاوضون حين يخدم تخفيف التوتر أهدافهم وينهون المحادثات

---

(١) — Ibid, p. 93.

(٢) — Ibid, p. 79.

(٣) — Kissinger, « Reflection, on American diplomacy », foreign Affairs, October, 1965, p. 44.

(٤) — Neuter, « Kissinger grand design », op. cit., p. 85.

حين يكون ذلك فى فائدتهم .. » (١) ويؤكد ذلك بقوله « قد يستخدم الكرملين المفاوضات بما فيها الحد من سباق التسلح كصمام أمن لتهدئة الشكوك الغربية أكثر منها اجراء جديا لحل صراعات محددة أو ازالة خطر الحرب الذرية » (٢) . كما انسحب تشكك كيسنجر خلال حياته الاكاديمية فى جدوى المفاوضات بين الغرب والشرق على إعتقاده فى جدوى مؤتمرات القمة الدبلوماسية الشخصية « ان الحجج التى تقدم فى الدفاع عن دبلوماسية القمة هى حجج سخيفة للغاية : انه يقال ان رؤساء الدول فقط فى وسعهم أن يحسموا المشكلات المعقدة ويقال ان أى شخص خلاف خروشوف لا يقوى على التخلى عن المواقف المتشددة للحرب الباردة .. غير ان معظم هذه الحجج معرض للشكوك ، فمن السذاجة الاعتقاد ان مشكلات بمثل هذا التعقيد الذى ألم بالعالم لمدة عقد ونصف يمكن أن تحل عن طريق رجال يتبادلون الهجوم ويلتقون فى ضوء العلانية ، انه لن يكون فى صالح الديموقراطية تبنى هذا الشكل من الدبلوماسية الذى يعلق كل هذا على سلطة قلة من القادة . (٣) .

وحول تسوية الأوضاع فى شرق أوربا وخاصة القضية الألمانية فان كيسنجر قد عارض قبل توليه السلطة بشدة من كانوا ينادون بقبول الوضع الراهن فى شرق أوربا كوسيلة لترضية السوفيت وكسب تعاونهم « انه دائما ما يعتقد ان قبول الغرب للوضع الراهن فى شرق أوربا وخاصة فى ألمانيا هو مفتاح الاستقرار فى شرق أوربا . كما يحثنا بعضهم على الاعتراف بالحقائق التى نحن عاجزون عن تغييرها على أية حال . كما يقال لنا انه اذا ما قبل الحكم السوفيتى رسميا فى أوربا الشرقية فان الاتحاد السوفيتى سيكون قوة قانعة لا يهتم بعد هذا التوسع ، ان الفكرة القائلة بأن الحكمة تتضمن التكيف مع الحقائق هى حكمة أبعد ما تكون عن البطولة واذا ما سرنا معها الى نهايتها ستتضمن سياسة بلا هدف واجراءات بلا مفهوم وستضع اتجاه الاحداث فى أيدى هؤلاء الذين يملكون القوة الكافية لاقرار الواقع غير انه اذا جعلنا من الملاءمة والتكيف القاعدة الوحيدة للسلوك فان شيئا لن يتغير فى العالم » (٤) .

(١) — Kissinger « Nuclear weapons and foreign policy » op. cit pp, 88-90.

(٢) — Kissinger, « American foreign policy », op. cit., p. 88.

(٣) Kissinger, « The necissity of choice », op. cit., pp. 185-186.

(٤) — Ibid, pp. 128-129.

أما أكثر المواضــع التى أظهرت كتابات كيسنجر تشــددا حولها فكانت القضيه الالمـانيه والاتجـاه الذى يجب على الغرب ان يتبناه نحو الوضع فى ألمانيا الشرقية • فقد عارض كيسنجر أى نوع من الاعتراف بألمانيا الشرقية وأعتبر ان ذلك « سوف ينشأ عنه وضــع ستكون فيه التطورات فى ألمانيا فى المستقبل فى غير صالح الغرب • ان الشرط الاول لأى مفاوضات فى هــذا الشأن هو استراتيجيــة متفق عليها تجــاه ألمــانيا الشرقية وبالتحـــديد هل يقبــل الغرب تحســين الأوضاع فيما يسمى بجمهورية ألمانيا الديموقراطيه عن طريق زيادة الاتصالات معها أو عزله ؟ ان ــ الطريق الآخر يبدو أكثر الطرق ملاءمة وأكثر تماســكا مع السياسة الطويلة المدى للوحدة الألمــانية » (١) •• ويذهب كيسنجر الى القول « هل يمكن ضــمان الوضــــع فى برلين مقابل الاعتراف بالمانيا الشرقية ؟ •• مثل هذه النتيجة ستكون انتصارا ضخما للشيوعية •• واذا حدث وقدمنا هذا الاعتراف فان هذا يعنى اننا تخلينا عن مبدأ تقرير المصير » (٢) •

كانت هذه هى الخطوط الأساسية لفكر هنرى كيسنجر خلال حياته الاكاديمية والتى ضمنهما كتاباته فى هذه الفترة حـــول معظم العناصر المتعلقة بالعلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد الســوفيتى وبين الشرق والغرب بوجه عام ، مما يتضح منه التباين بين مفاهيم كيسنجر خــلال حياته الأكاديمية وبينها وبين ما مارسه كيسنجر بالفعل حين أصبح رجل دولة وصانعا للسياسة ورئيســـا للجهــاز الدبلوماسى للولايات المتحدة الأمريكية • فالواقع ان كيسنجر فى تطبيقه لسياسة الوفاق سواء كفلسفة سياسية كما عبر عنها بشمول وهو فى السلطة وعرضها ودافع عنها فى بياناته وتصريحاته أو كممارسة عملية نتج عنها عددا كبيرا من الاتفاقيات والمبادىء وقواعد السلوك الدولى قد تجاوز عددا من اعتقاداته القديمة حول علاقات الولايات المتحدة والغرب بالاتحاد السوفيتى وفيها تخلى عما كان يحث بلاده والغرب من ضرورة أخــذ زمام المبـــادرة والتمسك بالمبادىء وتحميل الاتحاد السوفيتى مغبة الفشــل دائما ، والاصرار على توحيد المانيا ، وعلى الحقوق الكاملة للحلفاء فى برلين ، وعزل ألمانيا الديموقراطية ، وانكار الشكل الذى تأخذه علاقة الاتحاد السوفيتى ببلدان أوربا الشرقية • وفى ضوء سياسة الوفاق تحول الاتحاد السوفيتى فى نظر كيسنجر من

(١) — Ibid, p. 134.

(٢) — Ibid, p. 144.

قوة ثورية لاتقوى على التصالح وقبول الحلول الوسط الى قوة تسعى الى ملاءمة سياساتها ومصالحها مع بقية الأسرة الدولية وتمارس ضبط النفس السياسي والعسكري مع الاخرين ، ومن ناحية الاسلوب أصبحت المشاورات والاتصالات الشخصيه ومؤتمرات القمة أدوات دبلوماسية لكيسنجر هو الذى ينظمها ويرتب لها ويدافع عن نتائجها بعد ان كان يصفها بالعقم ويصف حجج المدافعين عنها بالسخف ٠

فهل يعنى هذا ان كيسنجر قد ناقض نفسه وتخلى عما كان يعتقد فيه ؟ أم انه حين تولى السلطة فى بداية السبعينات ووجه بحقائق ووقائع جديدة فى بلاده والعالم لم تكن قائمة خلال حياته الأكاديمية اضطر معها الى اعادة صياغه مفاهيمه حول علاقة بلاده بالقوة الدوليه المنافسه ؟ اننا نميل الى الرأى الثانى ٠

والواقع ان كيسنجر لم يطور مفاهيمه بعد تقلده السلطة فحسب بل اننا نلحظ ان بعض أفكاره قد خضعت للتطور كذلك خلال حياته الأكاديمية ٠ فقد طور أو بالأحرى تخلى عن نظرية الحرب الذرية المحدودة التى وردت فى كتابه الأول عن « الأسلحه النووية والسياسة الخارجية » حيث طورها فى كتابه التالى « ضرورة الاختيار » وذلك تحت وقع تغير النظر الى الحرب النووية المحدودة واحتمالاتها نتيجة لنمو القوة السوفيتية الذرية كذلك أدرك كيسنجر فى آخر كتبه الأكاديمية « السياسة الخارجية الأمريكية » الذى نشره عام ١٩٦٩ التحول الذى حدث فى العلاقات الدولية من عالم كان يتحكم فيه قطبان هما الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الى عالم متعدد الاقطاب سياسيا واقتصاديا وفطن الى متضمنات ذلك بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية ودورها فى العالم من حيث انها لم تعد تقوى على فرض البرامج وانما على تشجيعها فقط ٠

من ناحية أخرى أعتبر بعض الباحثين انه وان كان التباين الذى بدأ بين مفاهيم كيسنجر الأكاديمية وممارساته العملية قد يغرى بالقول ان كيسنجر كممارس للسياسة قد أدار ظهره لكيسنجر الأستاذ الا انه قد يكون فى هذا مبالغة حيث انه حافظ على الاطار الأساسى الذى أقامه خلال حياته الأكاديمية وحمله معه الى البيت الأبيض (١) ، وان العنصر الأساسى لهذا الاطار هو اعتقاد كيسنجر الصارم فى التوازن العام للقوى ، ورغم انه وافق ان توازن القوى بمفهومه الكلاسيكى أمر لا يمكن تطبيقه فى

---

(١) — Merli, «Makers of American diplomacy..» op. cit., p. 685.

القرن العشرين ، الا انه وبأصرار عاد الى مفاهيم وعبارات التوازن ، فالطريق الوحيد لاقامة نظام عالمى مستقر وقال فى عام ١٩٧٣ ان نظام توازن القوى القديم أصبح باليا ولكن « يجب ان يكون لدينا نوع ما من توازن القوى » (١) ٠

كذلك فاننا لا نعدم عناصر من الاستمرار والثبات بين مفاهيمه القديمة وممارساته الدبلوماسية ، فقد رأينا كيف ان العناصر التى جذبته فى دبلوماسية القرن ١٩ هى وجه الشبه بين الوضع الدولى حينئذ وبين الوضع الدولى الراهن من حيث بروز قوى ثورية تتحدى النظام الدولى القائم والجهود التى بذلها مترنيخ لاحتواء هذه القوى وجذبها الى اطار الشرعية ، فى هذا الشأن فان دبلوماسية كيسنجر وممارسته لسياسة الوفاق انما ترتكز فى أساسها على اجتذاب كل من الاتحاد السوفيتى والصين ، وهما قوى العصر الثورية الجديدة — الى قبول وعدم تحدى النظام الدولى الراهن وذلك من خلال مجموعات من الاتفاقيات والارتباطات والمبادىء وقواعد السلوك والمصالح المتبادلة ٠ ومن ناحية الأسلوب فان نموذج نظام المؤتمرات الذى كان أداة الدبلوماسية فى هذه الفترة التاريخية قام لا على أساس استعمال القوة مباشرة وانما على أساس محاولة التوفيق الماهر بين المصالح المختلفة والمتعارضة وهو الأساس الذى أقام عليه كيسنجر معظم أعماله الدبلوماسية فى اطار الوفاق السوفيتى الأمريكى بل وفى أعماله الدبلوماسية الأخرى فى فيتنام والشرق الأوسط والصين ٠

كما انه من أوجه الاستمرار لدى كيسنجر أدراكه للأثر الثورى الذى أحدثته الأسلحة النووية على السياسة الخارجية وهو ما ضمنه كتابه الأول ، وسوف يصبح تقديره لهذا التأثير أساس سياسة الوفاق والباعث العملى عليها من حيث أصبحت تتملكه القوتان من ترسانات نووية جعلت فى مقدورهما تدمير البشرية وجعلت البحث عن التفوق العسكرى عملا عقيما ٠

على أية حال ، فان كيسنجر نفسه فى كتاباته الأكاديمية كان يدعو الى ضرورة تطوير المفكر وتقويمه المتواصل لفكره وأعماله ، وكان يدعو المثقف الى ان يعود من حين لآخر الى مكتبه « ليعيد شحن بطارياته » والا سقط ضحية المعايير الادارية وتطبيقاتها الحرفية » بل انه ذهب الى

(١) — Ibid, p. 688.

الى أبعد من هذا فيقول « ان أى شخص يريد أن يؤثر فى الأحداث يجب أن يكون انتهازيا الى حد ما ولكن الفارق الحقيقى هو بين هؤلاء الذين يلائمون أهدافهم مع الواقع وبين هؤلاء الذين يسعون الى صياغة الواقع فى ضوء أهدافهم » ••

سياسة الارتباط :

لكى تستكمل تصور كلا من نيكسون وكيسنجر وتناولهما لسياسة الوفاق مع الاتحاد السوفيتى فان هذا لن يتم بشكل دقيق بدون التعرف على مفهومهما لسياسة الارتباط Linkage Diplomacy • وجوهر سياسة الارتباط فى مفهوم نيكسون وكيسنجر هو ان كل متاعب العالم تكمن فى سلسلة متصلة واحدة Asingle Continum تربط الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة • فى هذا النطاق ، فان كل المشكلات الفردية انما تعتمد لا على مجرد الخصائص الذاتية والمتصلة فقط بهذه الحالة بقدر اعتمادها على التوازن الكلى بين الجانبين ، ومن ثم فان الافتراض الأساسى لسياسة الارتباط هو ان تسوية أى نزاع فى منطقة ما من العالم انما يمكن تقريره وحسمه مقدما وفقا لقوة ودرجة التصميم التى يبديها واحداً أو كلا الجانبين المتنازعين فى مناطق اخرى » (١) •

وبينما كان أسلوب كيسنجر فى تناوله لسياسة الارتباط شاملا وفلسفيا الى حد ما ، فان أسلوب نيكسون كان يغلب عليه الطابع العملى المحدد ، وقد وصل نيكسون ، وقبل ان يصل الى الحكم بوقت قريب ، الى استنتاج ان السوفيت إنما يملكون مفتاح الموقف فى فيتنام والهدوء فى الشرق الأوسط (٢) • وقد جعله هذا المفهوم يقول فى تقريره عن حالة العالم عام ١٩٧٠ « •• إن الشيء الجوهرى فى أية مفاوضات ناجحة هو التقدير للموقف الذى تخاطب به المشاكل ، والحقيقة الرئيسية هنا هو التداخل بين الاحداث الدولية • اننا لم نخترع هذا التداخل ، وهى ليست تكتيكا تفاوضيا ، انها حقيقة من حقائق الحياة • ان هذه الادارة تدرك ان التطورات الدولية متداخله بعده أشكال معقده : فالمشكلات السياسية ترتبط بالمشكلات الاستراتيجية ، والاحداث

---

(١) — Landou, « Kissinger, The uses of power », op. cit., p. 118, 119.

(٢) — Kalp, Mearin and Bernard, « kissinger », Boston, Little, Brown, 1974, p. 102.

السياسية فى منطقة ما من العالم قد يكون لها تأثير بالغ على التطورات السياسية فى مناطق أخرى من العالم » (١) •

والارتباط كما يفهمه نيكسون لا يقوم فحسب بين التطورات والمشكلات الدولية بعضها ببعض وانما كذلك بين التوصل الى حلول لهذه المشكلات والمساهمة فى هذا وبين المستوى الذى تتطور عليه العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وعلى هذا فعنده انه اذا كان الزعماء السوفيت يبتغون قروضا أمريكية وعلاقات تجارية وتكنولوجية من أجل تحديث اقتصادهم ، واذا كانوا يريدون محادثات للحد من الأسلحة الاستراتيجية كوسيلة لخفض نفقات التسلح ، فان عليهم اذن ان ـ يدفعوا المقابل ولذلك فانه يجب اقناعهم ان مصلحتهم الوطنية تتطلب الحد من الحروب المحلية أكثر من محاولة أشعالها • لهذا فانه حتى أوضح نيكسون قراره حول البدء فى محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية قال « لقد بدأنا محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية بطريقة وفى وقت سوف يدفع اذ أمكن تقدما فى مشكلات سياسية كبيرة فى نفس الوقت » •

بهذا يكون نيكسون قد اختار فى هذا الشأن بين مدرستين من مدارس التفكير اللتين كانتا تنازعان حول محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية فقد كان هناك من ناحية من يريدون التقدم فى هذه المحادثات بغض النظر « عن أى تقدم حول التسويات السياسية » وكان من الواضح ان المقصود بهذه التسويات فى هذا الوقت هو الوضع فى فيتنام ، ومن ناحية أخرى كان هناك من يعارضون « أى ـ تخفيف فى أسلحتنا الاستراتيجية » ان لم يسبقها تقدم فى التسويات السياسية • (٢)

أما كيسنجر فقد بلور مفهومه لسياسة الارتباط بقوله « ان تناولنا للوفاق يبدأ من الاعتقاد بأنه فى التحرك نحو نطاق واسع من المفاوضات فان تقدما ما يضيف قوة اندفاع للتقدم فى مناطق أخرى ، فاذا نجحنا فان أية اتفاقية لن تقف بمفردها كانجاز منعزل يعرض للخطر أزمة أخرى » (٣) •• كما قد حدد هذا المفهوم من واقع الممارسة العملية خلال مراحل الاعداد لمفاوضات القمة وخلالها • فقد اعتبر انه خلال هذه العملية سيكون الحكم على الأهداف السوفيتية بمدى استعدادها للتحرك نحو جبهة

(١) — Kissing's Archive, 1970, p. 23893.

(٢) — Kalp, « kissinger », op. cit., p. 104.

(٣) بيان كيسنجر أمام لجنة الشئون الدولية فى الكونجرس فى ١٩ فبراير ١٩٧٤ والمنشور فى : Survival, Iss, London, 1975, pp. 30-42.

عريضة وبشكل خاص فى اتجاهها نحو الشرق الأوسط وفيتنام ٠ كما حدث ذلك فى أحد تصريحاته عام ١٩٦٩ مستخدما مفهوم الارتباط بشكل صريح فقال « فيما يتعلق بموضـــوع الارتباط بين البيئـــة السياسية الاستراتيجية ، فان الرئيس يريد أن يعالج مشكلة الســلام على جبهتها العريضه وحيث يتعرض السلام للتحدى وليس فقط فى النطاق العسكرى، ثم يذهب الى تحـــديد أكثر بقوله « اننا نرى علاقة الارتباط باعتبارها مرادفا لنظرة استراتيجية وجيوبولتيكية شاملة ، وان نتجاهل الارتباط المتبادل من أحداث يعنى تقويم تماسك السياسة بأسرها » (١) ٠

---

(١) Kissinger « The White House Years », op. cit., pp. 127, 129, 130.

المبحث الثالث

العنصر الصيني في المعادلة الجديدة

لعبت الصين دورا هاما في توجيه علاقات الوفاق السوفيتية الامريكيه وبشكل خاص مع نهايه الستينات حين تاكد وترسخ النزاع السوفيتي الصيني.. ومع اتجاه ادارة نيكسون الى كسر السياسه الامريكيه التقليديه تجاه بكين . والواقع أنه تحت سطح العداء الصيني الامريكي المتواصل كانت بعض القوى تعمل من أجل التغيير في منتصف الستينات، وكان هذا من الجانب الامريكي أكثر منه على الجانب الصيني . ذلك أن مجرد مرور أكثر من حقبة منذ نهاية الحرب الكورية دون أن يحدث حدثا مشابها بآثاره قد ساهم في تقليل عداء الرأى العام الامريكي تجاه الصين وبدأ عدد كبير من الامريكيين ذوى النفوذ في المجالات المختلفة يشجعون على اقامة علاقات مع الصين الشعبية وادخالها الى المجتمع الدولي من أجل تعديل سياستها في اتجاهات تؤدي الى السلام والاستقرار الدولي (١) .

وقد جاء النزاع السوفيتي الصيني ليمثل نقطة توقف أساسية لكي تراجع عندها السياسة الامريكية تصوراتها السابقة حول طبيعة المعسكر الشيوعي بوجه عام وحول المسلمات التي اقامت عليها الولايات المتحدة سياساتها تجاه الصين على وجه أخص . وبداءة فقد ظل مفكرو الامن القومي في ادارة كنيدي حائرين حول ماذا يفعلون تجاه النزاع السوفيتي الصيني ، وكان استراتيجيا مثل ارثر شلزنجر يهزأ من موظفي وزارة الخارجية الامريكية وعلى رأسهم دين راسك الذين مازالوا يتمسكون بشكل جامد بفكرة المعسكر الصيني السوفيتي في وقت كان هذا المعسكر

---

(١) Hinton, H. « Peking-Washington : Chinese foreign policy and the us », The Center of stratigic and International studies, George town University, Washington, 1976, pp. 25-26.

يتفكك فيه . ومع هذا فلم يكن هؤلاء يلامون في عدم استعدادهم التنازل عن نظرتهم للعالم التي شكلت استراتيجيتهم واهدافهم منذ الخمسينات خاصية وانهم تصوروا ان هناك دائما احتمال انه قد يحل بشكل مفاجيء ربما بتغير القيادة في احد البلدين كما أنه لم يكن هناك ما يقنع بأن المظلة النووية السوفيتية قد انسحبت نهائيا من الصين رغم الهجوم القوى من الصين على الاتحاد السوفيتي . غير أن ثمة حقيقة صعبة بدت واضحة أمام كل المهتمين بالنزاع وهي أن الصين تتحرك لتطوير قدرتها النووية الخاصة والتي وان كانت لا تهدد روسيا عسكريا الا انها تحدها سياسيا ، وبدا انه في اللحظة التي ستفجر فيها الصين قنبلتها الذرية الأولى . فان الروس سوف يفقدون قدرتهم على التأثير في الأحداث في آسيا ، وان على أمريكا أن تتعامل مع الصين بشكل مباشر . ويقال ان كنيدى شخصيا كان مولعا بالصين ، وانه كان لديه أفكار حول المسألة الصينية مالم يرد على أذهان جهازه التنفيذى والبيروقراطي ، بل يقال انه ناقش هذه الأفكار مع ديجول وعدد من الفرنسيين الذين كان يربطه بهم صداقات رغم الاختلافات الأمريكية الفرنسية ، ولهذا فان البعض يتساءل عما اذا كان كنيدى عندئذ يناقش فكرة علاقة جديدة مع الصين (١) .

غير انه أيا كانت تأملات كنيدى الخاصة عن الصين فان التيارات المعبرة عن السياسة الخارجية في واشنطون قد تركته أمام ثلاثة احتمالات فقط :

(أ) اطلاق القوة العسكرية الامريكية أو اداراتها في تايوان — للقضاء على المواقع النووية الصينية بالقوة الجوية .

(ب) محاولة صياغة هجوم روسي أمريكى مشترك لاجبار الصين على توقيع معاهدة حظر التجارب .

(ج) القيام بخطوات نحو التصالح مع بكين ومحاولة الحصول منها على استجابة متبادلة (٢) .

ومع هذا فانه على عكس ما كان يتوقعه البعض من أن تؤدى الثورة الثقافية الى تقارب مع الاتحاد السوفيتي ، فان العكس قد حدث وكان الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا أحد العوامل الهامة في ذلك اذ شعرت

---

(١) — Shurman, « The logic of power », op. cit., p. 289.
(٢) — Ibid, p. 392.

بكين ان الصين ربما كانت الهدف الثانى بعد براج ، وتلى هذا مصادمات الحدود فى مارس سنة ١٩٦٩ وهو الحدث الذى جعل من تهديد الوجود السوفيتى فى الشمال العنصر المسيطر فى سياسه بكين الخارجية وحساباتها (١) ٠

ومنذ بداية ادارة نيكسون بدا مصمما على أن لا يضيع فرصة لتحسين العلاقات مع الصين (*) ، واعتبر أن هذا عمل حيوى من زاوية المدى البعيد لسياسته ، وقد شجع نيكسون على هذا الاتجاه أنه مع هذا الوقت كان قد أصبح واضحا أن العداء الأمريكى للصين الذى ساد منذ عام ١٩٥٣ لم يكن له ما يبرره أو انه كان مفيدا للأهداف الامريكية العريضة بل انه لم يكن طبيعيا ، فبغض النظر عن خلافاتهم حول تايوان فلم يكن هناك مسائل حياة أو موت بينهم ولا أى مشكلات تتضمن صدامات فى المصالح المادية ٠ لقد كان العداء الامريكى للصين الشيوعية نتاجا غير مباشر لسياسة الاحتواء الامريكية والعالمية وليست نتيجة مباشرة لصدام أساسى فى مصالحهم الوطنية ٠ ونتيجة لاشتعال الحرب الكورية زجت الولايات المتحدة بنفسها فى الحرب الأهلية الصينية بأصرارها على فرص الأسطول السابع بين الصين الشعبية والوطنية فى تايوان (٢) ٠

بالاضافة الى هذه الاعتبارات التاريخية كان ثمة عملية أخرى تتعلق ببدء ادراك الولايات المتحدة ان مقدرتها على منع الصين من أن تأخذ مكانها

---

(١) — Ibid, pp. 28, 29.

(★) لقيت الاتجاهات الأمريكية للتقارب مع الصين الشيوعية تحفظات من جانب المتخصصين الأمريكيين فى العلاقات الأمريكية السوفيتية ، فعل أساسى من اقتناعهم بان القوتين العظميين تملكان مفتاح السلام والحرب ، فانه يجب عدم تعريض علاقاتهماللقلاقل والمخاطر ، وفى هذا لم يروا مزايا معوضة فى علاقة للولايات المتحدة مع الصين ، بل على العكس اعتقدوا بأن العلاقة الثلاثية الأطراف Tria gûlar سوف تقلب كل امكانيات التنبؤ فى مجال علاقاتهم ، ووصفوا الحجة القائلة بأن علاقات أفضل مع الصين ربما تحسن بالفعل العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بأنها حجة سخيفة وطائشة ٠ وقد كان على رأس هذه الطائفة من الخبراء السفير الأمريكى السابق ، موسكو والخبير فى الشئون السوفيتية لولين تومبسون ، وزميلة شارلس بوهلين ، الذين قابلوا نيكسون وحذروه من أى محاولة لاستخدام الصين ضد الاتحاد السوفيتى واعتبروا أن ذلك سيكون له نتائج رهيبة بالنسبة للعلاقات السوفيتية الأمريكية والسلام العالمى ؛
Kissinger, « The white House Years ». op. cit., p. 189.

(٢) — Macredis, « Foreign Policy in world politics », op. cit., pp. 368, 369.

في الأمم المتحدة آخذة في الوهن ، وان سياسة سلبية تماما تجاه الصين انما تواجه الهزيمة . كما انه بالاضافة الى النزاع السوفيتي الصيني الذى أصبح واضحا انه لم يعد من الممكن تلافيه فقد بدا انه سيكون من الحماقة الاستمرار في سياسة العداء المستحكم تجاه بلد كان تعداده وقتذاك ٨٠٠ مليون نسمة وله مثل هذه الامكانيات الاقتصادية والعسكرية أما فيما يعنى دراستنا وهو صلة هذه السياسة الامريكية الجديدة تجاه الصين واثرها على العلاقات الأمريكية السوفيتية فانه رغم ان هذه العلاقات كانت آخذه في التحسن وانها كانت على وجه التحديد هي مركز الاهتمام الأمريكي فانه لهذا السبب اعتقد أن موقف الولايات المتحدة التفاوضي مع الاتحاد السوفيتي سوف يتحسن بقيام علاقة ولو محدودة مع الصين ، في هذا الصدد قال هنرى كيسنجر في أغسطس عام ١٩٧٠ : « ان أعمق صراع دولي في العالم اليوم ليس بيننا وبين الاتحاد السوفيتي وانما بين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية ولهذا فان واحدا من الآمال الايجابية في الموقف الراهن هو انه ايا كانت النوايا الأساسية للقادة السوفيت فانهم وهم يواجهون بتوقع نمو الصين في القوة واستمرار عدائها لهم فانهم ربما ارادوا فترة من الوفاق مع الغرب لا لانهم بالضرورة قد تغيروا أيديولوجيا ، وانما لانهم لا يريدون ان يكونوا في موقف يصبح عليهم فيه ان يواجهوا أزمة كبيرة على كلا الجانبين من بلادهم الواسعة ولفترة غير محدودة من الزمن » (١) .

من ناحية أخرى وبالنظر الى التصميم الامريكي على إنهاء الحرب الفيتنامية فان نيكسون قد أقام سياسته في هذا الشأن على أساس من الاعتقاد أن طريق انهاء الحرب الفيتنامية وتخليص الولايات المتحدة من ورطتها هناك انما يمر عبر موسكو وبكين وذلك من خلال ممارسة ضغوط على الفيتناميين الشماليين لدفعهم لأن يكونوا أكثر تعقلا في محادثات باريس الا انه يبدو في هذا الخصوص أن بكين لم تكن مستعدة لذلك وللمخاطرة باثارة شكوك هانوى ودفعها الى الارتماء في أحضان الاتحاد السوفيتي (٢) .

وقد تقابل مع هذا الاتجاه الامريكي في التلاقي مع الصين الشعبية أن حكامها كانوا مستعدين ومهيئين لكي يبادلوا هذه السياسة حيث كانت الصين تتخلص من التوترات الداخلية التى خلقتها الثورة الثقافية كما

---

(١) — Landou, « Kissinger, the uses of power », op. cit., p. 106.
(٢) — Hinton, « Peking washington... » op. cit., p. 43.

اظهروا اهتماما عظيما بمتابعة السياسة السوفيتية كما كانوا قد اقتنعوا ابتداء من عام ١٩٧١ أن الولايات المتحدة تريد بحق أن تخلص نفسها من حرب فيتنام . كذلك توافقت السياسة الامريكية الجديدة نحو الصين باهتمام بكين باقامة حملات أكثر مع العالم الخارجي بغية أن يساعد هذا في الاسراع بتنمية اقتصادهم وبدخول الامم المتحدة لكي يقدموا عن انفسم صورة جديدة الى العالم والحصول على فرصة جديدة لدعم مكانتهم ونفوذهم . غير أن الشيء الذى لم يكن واضحا هو مدى استعدادهم للتجاوب مع ما كان يخطط له نيكسون وكيسنجر من بناء واقامة علاقات دولية لا تحكمها ايديلوجيات القوى الكبرى (١) .

وبوجه عام فانه يمكن تركيز الأهداف الصينية من الاستجابة لاتجاه التقارب الأمريكي فيما يلي :

١ ـ تقليل احتمال هجوم سوفيتي على الصين .

٢ ـ ان تشعر الصين بالأمان من هجوم امريكي سواء على أساس الحرب الفيتنامية أو بسبب آخر لكي تكون قادرة على تركيز طاقاتها في التعامل مع ما تتصوره من تهديد سوفيتي لها .

٣ ـ ما قد تفتحه هذه العلاقات من امكانية تحرير تايوان .

٤ ـ التجارة والصلات التكنولوجية مع الولايات المتحدة (٢) .

وقد تطورت اهتمامات الصين تجاه الولايات المتحدة وأصبحت تتضمن مطالب غير معلنة في ان لا تنسحب الولايات المتحدة بشكل واسع من آسيا فيما عدا فيتنام وتايوان وكذلك من أوربا لأن انسحابها هذا سوف يخلق فراغا قد يسارع الاتحاد السوفيتي لملئه أو استغلاله . (٣)

وهكذا كانت زيارة نيكسون للصين الشعبية في فبراير سنة ١٩٧٢ رمزا على تصميم الحكومة الأمريكية على قيام علاقة من نوع ما مع الصين، وربما كانت النتائج العملية لهذه الزيارة محدودة الا أنها كانت تطورا غير قليل الأهمية في السياسة الخارجية الأمريكية (٤) كذلك كان الحال

---

(١) — Bartlott, « The rise and fall of pay Americana », op. cit., p. 173.

(٢) — Hinton, « Pekink-Washington.. », op. cit., p. 31-32.

(٣) — Ibid, p. 42.

(٤) — Bartlott, « The rise and fall of Pax Americana » op. cit., p. 172.

بالنسبة للصين حيث اعتبر هذا التصالح مع الخصم الاستعمارى الأمريكي تحولا أساسيا فى سياسة الصين الخارجية ، وبالنسبة للقيادة الصينية كان هذا التحول يتطلب تفسيرا مقنعا جعل القيادة الصينية تقدم هذا التقارب على انه انتصار لخط ماوتسى تونج الثورى ، وان نيكسون قد قبل الإعتراف بفشل سياسة الاحتواء الأمريكى للصين بقبوله زيارتها وتقليله للقيود على التجارة والسفر (١) .

كان هذا هو مجمل التطورات والعوامل التى أدت مع أوائل السبعينات الى تقارب الولايات المتحدة والصين الشعبية والذى انهى او غير من طبيعة العداء والخصومة التى دامت بين البلدين على مدى حقبتين من الزمان . على ان ما يعنينا على وجه أخص هو تبين رد الفعل السوفيتى تجاه هذا التقارب وفى مراحله المختلفة ثم المتضمنات التى يحملها بالنسبة لعلاقات الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الشاملة .

وقد بدأ السوفيت يتخوفون منذ منتصف الستينات من اتفاق صينى أمريكى يضر بالمصالح السوفيتية عبر عن هذا سوسلوف مع بداية عام ١٩٦٤ بقوله « .. لقد حاول القادة الصينيين منع تحسين العلاقات السوفيتية الأمريكية معتبرين ذلك تآمرا مع الامبريالية وفى نفس الوقت بذلت الحكومة الصينية محاولات محمومة لتحسن علاقاتها مع بريطانيا وفرنسا واليابان والمانيا الغربية وايطاليا ، ومن الواضح تماما انهم لن يرفضوا تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ولكنهم لا يرون الآن ظروفا ملائمة لذلك » (٢) .

وعقب حكم خروشوف اتهم المعلقين والقادة السوفيت بما فيهم برجينيف واشنطون وبكين بالعمل سويا ضد الاتحاد السوفيتى . وقد جاء هذا الاتهام على أثر التلميحات التى صدرت عن مسئول صينى كبير فى نهاية سنة ١٩٦٨ حول احتمال وفاق بين بلاده والولايات المتحدة وتوائق مع هذا أيضا بدأ المحادثات الصينية الأمريكية فى وارسو وفى بداية عام ١٩٦٩ بدأت الصحافة السوفيتية تشكو أن رد الفعل الأمريكى تجاه تصريحات هذا المسئول الصينى تظهر أن واشنطون ربما تلعب ورقة الصداقة مع الصين وضربت مثلا على ذلك للمحادثات المقبلة فى وارسو

---

(١) — Hinton, « Peking — washington... » op. cit., p. 31.

(٢) — Nathan, James, « U.S. Foreign Policy and world order », Poston, Little Brown, 1976, p. 340.

والملاحظات التي أبداها شقيق الرئيس الراحل كنيدى والتي دعا فيها إدارة نيكسون أن تطبع علاقاتها بالصين بهدف ممارسة ضغط على الاتحاد السوفيتي ، غير أن موسكو اضطرت أن تسقط مؤقتا اتهامها هذا حين الغت بكين بشكل حاسم محادثات وارسو (١) .

ومع ظهور التقارب الصيني الامريكي والتمهيدات لزيارة نيكسون للصين ، بدأت الصحافة السوفيتية تطرح السؤال التالي : ما هي القوى في الولايات المتحدة التي تقف وراء التحول في سياسة امريكا تجاه الصين ؟ واجابت على ذلك بالقول من النظرة الاولى كان الاجابة على هذا السؤال تبدو بسيطة جدا ، فكل فرد يعلم أن سياسة الولايات المتحدة نحو الصين بدأت تتغير فقط بعد عداء قادة الصين للاتحاد السوفيتي وظهور خطهم الانفصالي في حركة التحرير الثورية » كما ذكرت هذه التعليقات عددا من الاتجاهات الامريكية في هذا الصدد ، « فالبعض يقول أن تحسن العلاقات الأمريكية الصينية يجب أن يسير جنبا الى جنب مع تحسن العلاقات الامريكية السوفيتية والموقف الدولي ككل ، والبعض الآخر يناقش اقامة العلاقات مع بكين من اجل ممارسة ضغط على الاتحاد السوفيتي لابتزازه واستخلاص تنازلات منه ، بينما يدعو البعض الاخر الى ضرب حكومة الاتحاد ـ السوفيتي بحكومة الصين » وقد استشهدت هذه التعليقات السوفيتية بشهادات الاستماع امام لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس حين استدعت موظفي وزارة ـ الخارجية الامريكية السابقين الذين اضطهدوا امام مكارثي لدعوتهم الى التقارب امريكي صيني ... كان هؤلاء يؤيدون أراءهم بانهم يتصورون هذا التقارب كوسيلة لفصل الصين عن المعسكر الاشتراكي ودق اسفين بين الاتحاد والصين مستخدمين استعداد ماو الذى كشف عنه منذ عام ١٩٤٠ لتحسين العلاقات مع واشنطون (٢) .

ولانه من الصعب بطبيعة الحال على الاتحاد السوفيتي الذى ظل طوال فترة العداء الصينى الامريكي يطالب الولايات المتحدة بالاعتراف بالصين الشعبية واعطائها حقها في عضوية الأمم المتحدة ان يعارض تطبيع العلاقات بين البلدين ، ولذلك فان الكتاب السوفيت يشيرون الى أن تطبيع العلاقات في حد ذاته بين واشنطون وبكين هو أمر يرحب به بشرط أن يكون في اتجاه توسيع وتقوية علاقات الصداقة بين الأمم « الا انه كما

---

(١) — Weeks, « The other side of coexistence ». op. cit., p. 240.

(٢) — The Current Digest of soviet press, vol. XXIII, Sept. 7 1971, pp. 1-4.

أثبتت الأحـــداث فان قادة الصـــين تحولوا الى سياسة التواطؤ مع السياسة الامبريالية كما أن تطلعات الصين وسياستها المعادية للماركسية قد زادت من خطورة التوتر الدولي وخلق ظروف لهجوم استعماري جديد ضد قوى التقدم والحرية » (١) .

وتعتبر الكتابات السوفيتية أن الاتجاهات الامريكية تجاه الصـين قد حددتها مواقف وعلاقة الصين بالاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي « فحين كانت الصين حليفا لاتحيطه الشكوك للمعسكر الاشتراكي كانت علاقة الولايات المتحدة بها هي علاقة الخصومة المحدودة أما عندما تخلت الصين عن مكانها في الحركة الشيوعية الدولية بل جعلت من نفسها قوة معادية للاتحاد السوفيتي فان الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة بدأت تعيد فحص سياستها تجاه بكين . » وهكذا « فان هـدف الاستراتيجية الجديدة للدوائر الامبريالية الامريكية هو ابعاد بكين النهائي عن التحالف الاشتراكي » (٢) .

وقد جاء هذا التقارب الأمريكي الصيني بالنسبة للاتحاد السوفيتي كتطور أضيف الى نزاعه مع الصين وقلب من تقديراته وحساباته الأولية حول أثر التغير الذي حدث في ميزان القوى مع الولايات المتحـدة ، نفي الأصل كان السوفيت قد توقعوا أن تغيرا في ميزان القـوى بين القوتين سوف يزيد بدرجة كبيرة من حرية الاتحاد السوفيتي من العمل حول العالم . غير أن الأمور لم تسر بهذا الشكل ، ذلك أن هذا التحول في الميزان الاستراتيجي نفسه هو الذي غير الوضع الدولي بأن شجع الصين والولايات المتحدة للتحرك نحو التقارب الذي نشأ من ادراك كل من واشنطون وبكين ان استمرار حالة العداء بينهما لن يكون نتيجته الا تدعيم يد موسكو ازاء كل منهما وانه في مقابل هذا فان التقارب بينهما سوف يقلل وربما يلغي من بعض الوجوه المكاسب السوفيتية من التغير الذي حـدث في ميزان القوى (٣) .

ازاء هذه المخاوف السوفيتية من التقـارب الصيني الأمريكي بل

---

(١) Sergeichuk, « Through Russian eyes, American Chinese relations » translated by : Elizabeth, Rutter, International Liberary, p. 195.

(٢) — Ibid, p. 196.

(٣) — Kohler, Foy and M. Harvey (ed.) : « The Soviet union : Yesterday, today, tomorow », Center for advanced International Studies, university of Miamy, 1975, p. 114.

والمخاوف المماثلة من جانب الصين من الوفاق الأمريكى السوفيتى كانت السياسة الامريكية الجديدة فى اقامة علاقات متوازية مع كل من الصين والاتحاد السوفيتى تتطلب قدرا كبيرا من المرونة والمهـــارة ، ومحاولة الاقناع بان الاتجاهات الامريكية الجديدة نحو كل من القوتين لا تصـدر عن التآمر ضد احدهما أو كلاهما أو من أجل استخلاص ميزة من إحدهما وانما أساسا من العمل فى نطاق دولى لا يقوم على الايديولجيات • وقد قوى من ضرورة مثل هذا التناول ما بدا من انه ليس من صالح الولايات المتحـدة والغرب بوجه عام اشتعال الصراع السوفيتى الصينى أو محاولة ضرب احدى القوتين بالأخرى ، ذلك ان هذا سوف يخلق مشكلات رهيبة لليابان وسوف يزيد من كراهية الاتحاد السوفيتى للغرب ، وتدفع به الى الاحساس بأنه يقع فى المصيدة بين خصمين • وكانت خبرة ما فعلته الدبلوماسية الفرنسية والروسية تجاه المانيـــا فى العشرين عاما التى سبقت الحرب الأولى واضحة الدلالة على مثل هذا الخطر (١) •

وعلى هذا اعتبر البعض أن أفضل موقف للولايات المتحدة هو قيام توتر سوفيتى صينى على أن لايصل الى الصدام المسلح ، اذ سيفرض هذا التوتر أقصى القيود الاستراتيجية والسياسية من جانب الصين والاتحاد السوفيتى على بعضهما البعض ويعطى للولايات المتحدة أقصى حـرية فى الحركة ويحول دون أن تتورط الصين فى اماكن أخرى فى شرق آسيا ، ولهذا رأى هذا الرأى ان واشنطون يجب أن تؤكد للطرفين أن الحـرب بينهما غير مرغوب فيها وانها سوف تمس مصالح أمريكية فى نفس الوقت يجب ان لا تأخذ الولايات المتحدة جانب احدهما ذلك أن أى محاولة أمريكية لتقسيم موسكو وبكين ستأتى بنتائج عكسية (٢) • على أنه فى رأى آخر وباعتبار أن أى تقارب سوفيتى صينى سيكون كارثة على الولايات المتحدة وسيحرمها من عنصر المناورة وحرية الحركة ، فان السياسة الامريكيـة يجب أن تزيد من تحسين علاقاتها ببكين من أجل أن تمنع حلفاءها من ان يتحولوا الى موسكو (٣) •

وربما كان هذا وراء محاولات هنرى كيسنجر لتفسير الاتصـالات

---

(١) — Buchan, Alstair, « America in tomorow's world », Dialogue, No. 2, 1977, p. 17.

(٢) — Celber, Harry « The Sino-Soviet Relationship and the us », ORBIS, Spring, 1971, pp. 131, 132.

(٣) — Griffith, William, (ed.) « The Soviet Empire, Expansion and Détente », Lexengton Books, 1976. p. 403.

الأمريكية الصينية على أنها لم تكن تتعلق بمشاكل محددة وانما بمسائل أوسع من المنافسة فى اطار أعم من تفاهم القوى الكبرى وهو تفاهم اعتبر انه يهدف الى تفهم العملية الكاملة لكيفية أن توفق القوى بين مصالحها ، وهو التفاهم الذى يتطلب أيضا أن لا ترى وتقدر فيه قوة ما لزمتها فقط وانما تحيط وتقدر أيضا بأزمة ومشكلات القوى الأخرى .

والواقع أن هذا قد تحقق الى حد ما ، فعلى أثر الاعـــلان عن زيارة نيكسون للصين بدأ الاتحاد السوفيتى يتخذ مواقف أكثر مرونة حـــول قضايا أساسية فى علاقته مع الولايات المتحدة ، وبالاضافة الى اسراعه الى توجيه دعوة للرئيس الامريكى لزيارة موســـكو والاتفاق على موعدها ، الامر الذى استمر التباحث حوله من عام ١٩٦٩ ، وتم الاتفاق حول برلين فى أسبوع واحد ، ووقعت اتفاقية تفادى الحرب بالصدفة .

Accidental War.

وفيما لاحظ هنرى كيسنجر ثقة بقرب اللهجة السوفيتية بشكل أســاسى فى تعاملات أخرى (١) .

وعلى هذا الاساس يذهب بعض الباحثين الى اعطاء أهمية أساسية للعنصر الصينى فى الفهم والدوافع الامريـكية للوفاق بشـــكل يجعلهم يعتبرون الوفاق :

An American diplomacy stategy consiciously deployed within a triangular power policy vis-a-vis both China ond the Soviet union.

ويعتبرون أن هذا العنصر هو الذى يميز نجاح الوفاق بعد عام ١٩٦٩ عن الجهود الأقل نجاحا نحو الوفاق فى الفترة التى تلت عام ١٩٦٣ مباشرة ، وبشكل أكثر عن الخطوات التى بذلت منذ عام ١٩٥٣ لتحقيق تفاهم بين القوتين (٢) .

على أنه على الرغم من محاولات التناول الامريكى الحذر لعملية بناء علاقات مع كل من الصين والاتحاد السوفيتى ، الا أن الجانب الخاص منها بالتقارب مع الصين كان واضحا ـ على الاقل من زاوية الاتحاد السوفيتى ـ انه كان مدفوعا فى أهدافه بمعارضة السوفيت والتأثير على سياستهم :

فالولايات المتحده لم تعد تعتمد على المزايا السياسية التى كان يتيحها لها تفوقها العسكرى على الاتحاد السوفيتى ، ولذلك فقد أصبح عليها أن تلجأ الى وسائل أخرى للحفاظ على مكانة عالمية ضد الاتحاد الســوفيتى

---

(١) Kissinger, « The white House Years », op. cit., p. 838.

(٢) Bell. Coral. « The diplormacy of Detente, the Kissinger Era », st' Martin's Press, New York, 1977.

وذلك عملا بالمثل القديم « عدو عدوى صديقى » وهذا ما جعل نيكسون يتحرك نحو الصين من أجل أن يكون فى موقف يمكنه من أن يستخلص تنازلات من موسكو .

ولذلك فان التقارب الأمريكى مع الصين يمكن أن يفهم فى نطاق تغيير العلاقات السوفيتية الأمريكية حيث كان وسيلة تضمن للولايات المتحدة المرونة في مواجهة الاتحاد السوفيتي وهى المرونة التى كان يضمنها من قبل التفوق الاستراتيجى الا أن الوصول الى التعادل الاستراتيجى بين القوتين الكبار أملى على القوة التي كان لها السيادة أن تتحول الى الأساليب الدبلوماسية ، وفى هذا الاطار يمكن أن تعتبر التقارب الأمريكى مع الصين قد اذن ، فى اطار العلاقات السوفيتية الأمريكية ، لبروز عصر توازن المناورة الدبلوماسية . فى هذا النطاق لخص هنرى كيسنجر الموقف الامريكى بقوله « ان جوهر العلاقة الثلاثية التى اتجهت الولايات المتحدة الى بنائها مع الصين والاتحاد السوفيتى هو جعل القوتين الشيوعيتين تتنافسان من أجل علاقات طيبة مع الولايات المتحدة » (١) .

(١) Kissinger, « The white House Years » op. cit., p. 836.

الفصل الثانى

مؤتمرات القمة

فى مايو سنة ١٩٧٢ قام الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون باول زيارة لرئيس أمريكى الى الاتحاد السوفيتى منذ الحرب العالمية الثانية (*) وهى الزيارة التى عقد فيها مع الزعماء السوفيت المؤتمر الأول من سلسلة مؤتمرات القمة الأربعة والتى ستمتد حتى بعد تخلى نيكسون عن الرئاسة عام ١٩٧٤ وتولى نائبه جيرالد فورد الرئاسة · وخلال هذه المؤتمرات سترتبط القوتان بعدد من الاتفاقيات والمبادىء حول علاقاتهما الدولية والثنائية الأمر الذى خلق ـ وخاصة عقب مؤتمرى القمة الأول والثانى ـ حالة من النشوة حول مستقبل الوفاق بينهما ·

غير أن الأمر لم يكن على هذه الصورة حيث تعرض مجرى الوفاق لاختبار خطير باشتعال الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة فى اكتوبر سنة ١٩٧٣ وبعد ثلاثة شهور فقط من مؤتمر القمة السوفيتى الأمريكى الثانى·

(★) كان نيكسون قد قام بزيارة للاتحاد السوفيتى فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٩ وهو نائب رئيس جمهورية وذلك لافتتاح معرض امريكي يصور مظاهر الحياة الأمريكية · وقد اجرى نيكسون خلال هذه الزيارة محادثات مع القادة السوفيت وعلى راسهم خروشوف ·

وأثناء الزيارة صدر عن نيكسون مفاهيم يمكن أن نعتبرها النواه التى تطورت عنها السياسات التى أفصح عنها عندما تولى الرئاسة بعد حقبة من الزمن فقد ذكر نيكسون أنه من المعروف عن الشعب الأمريكى انه شعب يريد السلام غير أن السلام الذى يريده ليس سلام الاستسلام ولكنه سلام العدل ليس سلام الانذار وانما سلام المفاوضات وحتى يتحقق هذا السلام فان سياستنا يجب أن يمارسوا أكبر قدر من ضبط النفس والصبر والفهم ·· ان الحقيقة ان واحدا منا قد يمتلك قنبلة أكبر او طائرة اسرع أو صاروخا أقوى من الأخر الا أن هذا لن يضيف جديدا لمزاياه لاننا قد وصلنا الى النقطة من التاريخ العالم التى ينطبق عليها قول الانجيل «ذلك الذى يرفع السيف يفنى به» ·

راجع : — Kissing's Archive, 1959, 16933.

مؤتمرا القمة الأول والثانى

سبق مؤتمر القمـــة هذا بين كل من ريتشارد نيكسون وليونيد برجنيف ، حادثه خطيره فى علاقات القوتين .. فبعد ان رفضت هانوى خطة السلام التى قدمها نيكسون فى ٢ مايو سنة ١٩٧٢ اعتبر ان هانوى اصبحت معزولة بشكل متزايد عن حليفتيها الشيوعيتين الكبـــار فى الوقت الذى تشرعان فيه وتتحركان نحو عـلاقات أفضل مع الولايات المتحدة . وقد دفع هذا نيكسون الى الاعتقـاد ان ثمه فرصـــه فى ان تتمكن الولايات المتحدة من حصار موانى فيتنام الشمالية دون أن تعرض للخطر علاقاتها بكل من الصـين والاتحـاد السوفيتى . أما كيسنجر فان الانطباع الذى نشأ عندئذ أنه لابد قد تحفظ على عملية الحصار ، وان هذا التحفظ قد انصب على الآثار المتحتمة على مؤتمر القمة المنتظر والذى كان ذا أهمية حيويه لمشروعه للتوازن العالمى بين القوى الكبرى .

غير أن كيسنجر يصحح فى مذكراته عن هذه الفترة ذلك الانطباع(١) ويقول انه عقب فشل محادثاته فى باريس مع الفيتناميين الشماليين فى مايو ١٩٧٢ ، كان من رأيـه وجوب قصـم ظهر حملتهم الهجوميه وأن الاسلوب الذى فصله فى ذلك هو حصـار موانى هى يفونج عن طريق بث الألغام ، وأنه اذا ما الغى السوفيت مؤتمر القمة فان القمة لن تساوى أن تنهار سايجون تحت وطأة الأسلحه السوفيتيه . اما نيكسون فقد كان ما يخشاه هو أن يبدأ السوفيت بالغـاء المؤتمر ، وحين طلب نيكسون استشارة جون كونالى وزير الخـزانة انتهى ــ وهـو ما وافق عليـه كيسنجر ــ الى انه ليس من الامور القاطعة أن السوفيت سوف يلغون المؤتمر ، وهو خلاف ما انتهى اليه خبراء الشئون السوفيتية وعلى رأسهم سوننفلدت ، كما اعتبر خبراء الصين بأن بكين سوف تجمد كل

(١) Kissinger, « The White House Years » op. cit., pp. 1176, 1177, 1178.

علاقاتها مع الولايات المتحدة الا فيما يتعلق بالاتصالات بين الشعبين . أما مستشارى نيكسون الآخرين فقد أيدوا فكرة الحصار وشارك اغلبهم وجهة نظر الرئيس أن الاتحاد السوفيتي قد ساعد خطط فيتنام الشمالية الهجومية لكى تهينه وتضعف من موقفه خلال محادثات القمة . وقد أعلن نيكسون فى احدى خطبه ان « كل المداخل الى موانى فيتنام الشمالية سوف تلغم لمنع الوصول الى هذه الموانى .. (١) » وفى نهايه خطابه وجه نيكسون رسالة خاصة الى الاتحاد السوفيتى « دعونا ودعوا كل القوى الكبرى أن تساعد حلفاءنا فقط من أجل أهدافهم الدفاعية . ان بلدينا قد حققا تقدما هاما فى مفاوضاتنا .. اننا على اعتاب علاقة جديدة ونحن مستعدون لكى نستمر فى بناء هذه العلاقة . أن المسئولية هى مسئوليتكم اذا ما فشلنا فى ذلك » (٢) .

وفى بيان رسمى صدر عن الحكومة السوفيتية جاء فيه : « ان الاتحاد السوفيتى يعتبر تصرف الولايات المتحدة تهديدا غير مقبول لحرية الملاحة وتحركات البواخر السوفيتية وغيرها المرتبطة بالملاحة على ساحل جمهورية فيتنام الديموقراطية . أن الاتحاد السوفيتى سوف يخرج النتائج الملائمة من هذا . ان حكومة الولايات المتحدة سوف تتحمل المسئولية الكاملة للنتائج الممكنة لهذه الاعمال غير المشروعة » (٣) .. فى هذا البيان طالب الإتحاد السوفيتى برفع هذا الحصار « فى الحال » الا انه لم يصدر اية انذارات ولم يلغ مؤتمر القمة .

مثل هذا الموقف كان جديرا بان يدهش نيكسون نفسه . فبعد ان اصدر اوامره بالهجوم الامريكى الشامل علي فيتنام الشمالية وبحصار ميناء هايفونج والموانى الأخرى فانه لم يعد يعطى امكانيات عقد مؤتمر القمة أكثر من ٥٠٪ . الا انه فى الاسبوع الذى سبق المؤتمر بدأ يدعو الصحفيين الذين سيصحبونه الى موسكو للبيت الأبيض للاحتفال بهذا الحدث . فى هذا الاحتفال أعلن نيكسون انه تلقي من برجينيف ما يشير الى « اتجاه ايجابى » نحو مؤتمر القمة ، ولدهشة رجال الصحافة بدا يوحى بأن القائمة الطويلة من مؤتمرات القمة بين الشرق والغرب سوف تبدو باهتة بالمقارنة برحلته المقبلة الى الاتحاد

---

(١) Kissinger « The White House Years » op. cit., pp. 1176, 1177, 1178.

(٢) — Kalp, « kissinger », op. cit, p. 305.

(٣) — Ibid, p. 305.

— Current digest of Soviet Press, No. 17, May 24, 1972.

السوفيتى » .. لقد كان هناك ما أطلق عليه « روح فينا » ، وروح كامب دافيد « وروح جلاسبورو » الا أن ما أضافته هذه المؤتمرات كان شيئا صغيرا من حيث احتوائه على كثير من المظهر وقليل من الجوهر . اما هذه الرحلة فانها تتجه فى الدرجة الأولى نحو تحقيق ما هو ايجابى وملموس (١) » .

ويبدو ما يمثله عدم الغاء الاتحاد السوفيتى لمؤتمر القمة بسبب السلوك الامريكى تجاه حليف للاتحاد السوفيتى ودلالة ذلك على تطور مفهوم العلاقة الشاملة بين القوتين والرغبة فى العلو بها عن النزاعات المحلية ، يبدو هذا اذا ما قارنا هذا الموقف باقدام خروشوف منذ ١٢ عاما على نسف مؤتمر* قمة باريس عام ١٩٦٠ بسبب حادثة طائرة التجسس الأمريكية U2 ، حدث هذا لأن ما كان قد بدأ يربط الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من رغبة فى التقارب كان مازال هشا ولم يكن الغاء مثل هذا المؤتمر يمثل تضحية باشياء أيجابية تحققت أو هى فى سبيل أن تتحقق بالفعل فى علاقات البلدين .

أما القادة السوفيت عام ١٩٧٢ ، فانهم لم يكن يمكنهم اتخاذ نفس الخطوة ، حيث كان هناك ما سيضحون به ، ذلك أن الغاء المؤتمر كان حتما سوف يشل التصديق على المعاهدات الالمانية السوفيتية ، كما كان سيدفع الولايات المتحدة الى علاقات افضل مع الصين منها مع الاتحاد السوفيتى ، كما سيوقف توقعات التوسع التجارى ، وفوق هذا فقد كان سيضع عملية الوفاق باسرها موضع الشك (٢) .

ولهذا فانه حين سيجىء دور المؤرخ للحكم على مؤتمر القمة الاول بين برجينيف ونيكسون فاغلب الامر انه سينتهى الى أن انجازه الاول وسط الظرف الذى انعقد فيه ـ هو مجرد انعقاده .

---

(١) — News-week, May 29, 1972, p. 9.

(*) اثار برجنيف فيما بعد وخلال محادثات القمة واقعة قبول الاتحاد السوفيتى عقد المؤتمر فى ظروف حصار موانى فيتنام ، وفسر ذلك بقوله « انه كان من الصعب بالتأكيد قبولنا عقد المؤتمر تحت الظروف الراهنة ، ومع هذا فقد وافقنا على عقده ، واريد ان افسر لماذا . لقد شعرنا ان العمل التمهيدى الذى سبق المؤتمر يبرر الأمل ان قوتين يمثل هذه القدرات الاقتصادية وهذا المستوى العالى من المدنية وكل المتطلبات الاولية الضرورية يجب أن يلتقيا لتنمية علاقات أفضل بين امتنا » .
Kissinger, « The White House Years » op. cit., p. 1226.

(٢) Brandon, « The Retreat of American Power » op. cit, p. 289.

فقد خاطر نيكسون فى أن يكون فى موسكو فى الوقت الذى تهان فيه الولايات المتحدة بواسطة أحد حلفاء روسيا وبمساعداتها فى الهند الصينية ، ومن ناحية أخرى فان السوفيت وهم يواجهون بحصار أمريكا لموانيء فيتنام ولقصفهم وبواخرهم قبل ١٤ يوما من مؤتمر القمة وزيارة نيكسون لهم كانوا مطالبين بقدر كبير من ضبط النفس وبالتعرض للهجوم من جانب الصين والشكوك من جانب البعض من الحركة الشيوعية العالمية بأنهم يضحون بمصالح الاشتراكية العالمية من اجل مصالحهم الوطنية (كان هذا هو ما لمحت اليه بالفعل إذاعات فيتنام الشمالية قبل انعقاد المؤتمر بأيام) بما يوضح ان أيا من الجانبين لم يوصد الباب امام انعقاد المؤتمر وكان ذلك رمزا على حقيقة أن هناك شيئا تحرص القوتان على انجازه .

وقبل الاستمرار فى تفاصيل مؤتمر قمة موسكو والتى بدأت به سلسلة من مؤتمرات القمة بين القوتين العظميين ، ماذا يمكن أن يقال حول الفلسفة وراء مؤتمرات القمة تلك ؟ وهل يمكن اعتبارهما فلسفة الوفاق ذاتها ؟ لقد حدد هنرى كيسنجر هذه الفلسفة حين قال أن هناك ثلاثة أهداف أساسية للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من اجتماعات القمة :

(أ) ضرورة تبادل الأفكار والتقديرات حول الموقف الدولى عامة بين قادة البلدين . ومنشأ هذه الضرورة أو باعتبار ان البلدين قادرتين على تدمير البشرية ، فان عليهما التزاما خاصا لمنع الصراعات التى يتسبب فيها سوء التقدير وسوء التقييم لكل من أهداف ودوافع الجانبين .

(ب) منع سباق التسلح النووى وسباق التسلح بوجه عام من السيطرة على الشئون الدولية .

(ج) التعرف على مناطق المصالح المشتركة التى يمكن ان تتعاون فيها كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة والتى تخلق بالتالى منظارا للشئون الدولية يتعرف على تدرج تداخل الاحداث واعتمادها بعضها على البعض وعلى حقيقة ان العزلة والمواجهة أمور معادية للتقدم ولا تتسق مع الامانى الانسانية (١) » .

---

(١) Kissing's Archive, 1974, p. 26615.

اما الجانب السوفيتي فقد صدر عن أحد خبرائه في الشـــئون الأمريكية (*) تعقيبا على زيارة نيكســـون المرتقبة للاتحاد الســـوفيتي والمؤثرات التي تتحـــكم في علاقات القـــوتين ، قال ارباتوف « ان الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تأمل فيه أن تكون قادرة على شن حرب ضد الاتحاد السوفيتي ثم يمر هذا بلا عقاب قد ولى ، فنمو قـــوة الاتحـــاد السوفيتي الدفاعية وتغيير ميزان القوى في العالم قد بدد تمـــاما هذا الوهم • في هذه الظروف بدأ فهما واقعيا للمشكلات الدولية يشق طريقه ، ودليل ذلك اتفاقيتين وقعتا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٧١ : اتفاقية حول اجراءات خفض خطر اشـــتعال حرب نووية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، واتفاقية حـــول اجراءات تحسين الاتصالات المباشرة بين البلدين والتي تدخر للاستخدام في حالة الطوارىء • كما ان خبرة الاتفاقيات الدولية الحديثة مثل الاتفاقية الرباعية حول غـــرب برلين مثلا تظهر ان هناك امكانية واقعية تماما اذا ما توفرت حسن النية لدى كل الأطراف للوصول الى اتفاقية حـــول كل المشكلات الدولية الحادة والمزمنة وهي المشكلات التي كانت لعـــدة مرات مصدرا لأزمات وصراعات خطيرة « واضاف ارباتوف امكانيات لمزيد مـــن اجراءات التقارب ، ان اليوم اكثر من أي وقت مضى تتوفر الظروف المتحول الى اجراءات جادة للحد من سباق التسلح ويأمل المرء أن الاتصـــالات السوفيتية الأمريكية المقبلة سوف تسهل نجاح هذه المحادثات •• وأخيرا فان توسيع التعاون التجاري والاقتصادي والعلمي والفني يمكن أن يكون مجالا هاما للمصلحة المشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كما يمكن أن تكون في صالح الشعوب الأخرى •• « وركز ارباتوف بشكل أكثر على واقع وامكانيات التجارة بين البلدين فقال ، لا يمكن للمرء أن ينظر الى حجم التجارة الحالي بين البلدين كأمر طبيعي ، فالاقتصاديات الواسعة والمتطورة والمستوى العالي من التطور العلمي والفني ونطـــاق الأسواق المحلية ووجود مصادر طبيعية وبشرية هامة في كلا البلدين ثم المعدلات العالية جدا للاقتصاد السوفيتي كل هذه الأمور تفتح امكانيات

(*) هو جورج ارباتوف الذى يترأس معهد الولايات المتحدة التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية ويصدر عنه مجلة : الولايات المتحدة : اقتصاديا وسياسيا وأيديولوجيا وهو من أكثر المقربين الى القيادة السوفيتية ورافق بهذه الصفة بريجنيف خلال رحلته الى الولايات المتحدة عام ١٩٧٣ • ولذلك يأخذ المراقبون كتاباته وتعليقاته على حالة العلاقات الأمريكية السوفيتية باعتبارها وصفا للموقف الرسمي السوفيتي •

واسعة فى هذا المجال ، الا أن استخدام هذه الامكانيات يعيقه ممارسة القيود التمييزية التى ادخلتها الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة (١) ٠٠ »

وفى اليوم الأول من الزيارة خاطب الرئيس السوفيتى بودجورنى الرئيس نيكسون بقوله « ان الاتحاد السوفيتى يعتبر انه من الممكن والمرغوب فيه اقامة لا مجرد علاقات طيبة وانما علاقات صداقة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ٠ وبالتأكيد فان مثل هذه العلاقات لن تكون على حساب أى شعوب أو بلدان أخرى » وقال انه رغم وجود اختلافات فى المبادىء بين القوتين الا أن عوامل موضوعية تتيح لهما مصالح مشتركة وان هذا يتطلب من كلا البلدين ان يتصرف « لازالة رواسب الحرب الباردة من العلاقات السوفيتية الأمريكية » وتخليص هذه العلاقات من الأعباء « التى عقدتها فى الماضى وتثقلها فى الوقت الحاضر » (٢) ٠

ويلاحظ الحرص السوفيتى على أن يبعد حدوث مؤتمر القمة أو النتائج التى قد تسفر عنه فى العلاقات بين القوتين عن أن تكون على حساب شعوب أخرى ٠ وواضح فى هذا انه يقصد عددا من المخاوف والشكوك ، ان لم يكن التشكيك ، التى ثارت مع اجتماع القمة الأول وأبرزها حملة الصين التى اتخذت شقين منذ بوادر الوفاق السوفيتى الأمريكى واعتبرت فى احدهما انه يمثل سعى القوتين الى السيطرة على مقدرات العالم ، والشق الثانى وهو اتهام الاتحاد السوفيتى بالتوافق مع الولايات المتحدة والتضحية بمصالح الاشتراكية العالمية من أجل صالحه القومى الخاص ، كذلك كانت مثل هذه المخاوف قد ثارت لدى الفيتناميين الشماليين وبشكل خاص توافق حدوث مؤتمر القمة مع الاجراء الأمريكى فى حصار موانى فيتنام الشمالية ، أما الدائرة الأوسع التى كان يخاطبها الرئيس السوفيتى فهى حركات التحرر الوطنى بشكل عام التى بدات تتخوف من أن يؤثر وفاق الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة على تأييده لها وان يغلب اعتبارات الوفاق على التزامات تجاهها الأمر الذى سيحرص الاتحاد السوفيتى باستمراره على نفيه وما سيمثل بالفعل أحد الاختبارات وعناصر التوتر الرئيسية خلال عملية الوفاق ٠

(١) Current digest of Soviet Press, vol. XXIII January 18, 1972, p. 104.
(٢) Kissing's Archive, 1972, p. 25309.

أما الرئيس الأمريكي فقد حرص على أن يبدأ بمقدمة ذات مغزى وهي ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لا يربطهما تاريخ عدائي بل « تحالف مشترك ضد عدو واحد » فذكر وهو يتحدث من قصر الكرملين « اننا جميعا نستطيع ان نستشعر تاريخ هذا القصر العظيم • فهنا كرفاق في السلاح التقى الروس والأمريكان معا لكي يضعا بعض القرارات الأساسية للحرب العالمية الثانية مرسين بذلك مثلا على تعاون زمن الحرب والذى استمر معنا طويلا لكى نتبعه في زمن السلم • وهنا وبين هذه الجدران نلتقى هذا الأسبوع لنصنع قرارات قد تساعدنا على تمهيد الطريق السلام لكل العالم •• ان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة قوتان عظيمتان •• وفي تاريخ أمتنا الطويل لم نحارب بعضنا البعض أبدا ، فلنضع اليوم القرارات التي تؤكد اننا لن نفعل ذلك في المستقبل » ثم تحدث نيكسون عن معنى علاقات القوة القائمة اليوم بين القوتين « منذ وقت قريب تركز اهتمامنا على مواقف القوة النسبية لكل منا • ولكن في العصر الذرى حيث لا تكفل القوة الفائقة أى أمن فان القوى العظمى قد تعلمت هذه الحقيقة من حقائق الحياة ، ان الاتفاقيات القائمة على استغلال الضعف المفترض لجانب ما سوف يتسبب فقط في ان يضاعف هذا الجانب الجهود للحاق بالجانب الآخر ، ولكن الاتفاقيات القائمة على الاحترام المتبادل لها حظ أعظم من الدوام » ، ويصور نيكسون المهام والمسئوليات الخاصة للقوتين الأعظم « اننا يجب أن نعترف ان القوى النووية العظمى لها مسئولية خطيرة لممارسة ضبط النفس في أى أزمة وان تتخذ خطوات ايجابية لتفادى المواجهة المباشرة •• كما يجب أن ندرك أكثر من هذا مسئولية القوى العظمى للتأثير على الأمم الأخرى في ازمة أو صراع لكي يجيء سلوكها معتدلا •• » (١)

في حديث نيكسون تلمس تركيزه على عدد من النقاط : اعتباره أن تاريخ الشعبين الروسى والأمريكى ليس فيه أى تراث من العداء يبرر خصومة الحرب الباردة ، ان حقائق العصر الذرى تشير الى عقم سباق التسليح والى الدائرة المفرغة التى يخلقها هذا السباق الأمر الذى يجعل من أهم مهام رحلته الى موسكو « التوقيع على معاهدة للحد من الأسلحة الاستراتيجية » ، ثم دعوته الى التأثير على الازمات المحلية واقناع أطرافها بالاعتدال ، وهى اشارة واضحة الى ما كان يتوقعه نيكسون من أن يمارس

---

(١) — Ibid,

الاتحاد السوفيتي تأثيرا على أصدقائه في كل من أزمتي فيتنام والشرق الأوسط ٠

كانت هذه هي الاتجاهات التي سبقت وصاحبت زيارة نيكسون للاتحاد السوفيتي كرئيس للولايات المتحدة وانعقاد مؤتمر القمة السوفيتي الأمريكي الأول وهي الاتجاهات التي تشير الى تصورات واهتمامات القوتين من العملية التي شرعا فيها بهدف اقامة طراز جديد من العلاقات بينهما يستوعب التطورات التي جرت في علاقات القوى بينهما خلال الحقبة الأخيرة وكذلك العناصر الجديدة التي حلت في المجتمع الدولي ٠

وقد تجسدت أعمال مؤتمر القمة الأمريكي السوفيتي فيما خلص اليه من نتائج في عدد من الاتفاقيات التي شملت نطاقا عريضا من علاقاتهم ومبادىء لتحكم وتقنن العلاقات في وجوهها الدولية والثنائية ٠

من بين هذه الاتفاقيات وأكثرها أهمية : ـ

١ ـ الاتفاقيتان الخاصتان بالحد من الأسلحة الاستراتيجية :ـ

(أ) Treatyon limitation of Anti Ballistic Missile Systems.

(ب) الاتفاقية المؤقتة للحد من الأسلحة الهجومية

Interim Agreement on Limitation of offensive Arms.

٢ ـ كذلك بيان المبادىء الأساسية للعلاقات السوفيتية الأمريكية

Statement of Basic Principles of US. Soviet relations.

٣ ـ ثم مجموعة الاتفاقيات التي شملت عددا من وجوه العلاقات الاقتصادية والتجارية والتعاون العلمي والفني والثقافي ٠

وسوف نستعرض بشيء من التفصيل مجموعات الاتفاقيات السابقة : ـ

١ ـ اتفاقيتي الحد من الأسلحة الاستراتيجية : سولت (١)

كانت المحادثات الأولية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة حول الحد من الأسلحة الاستراتيجية قد بدأت في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٩ ، وهي المحادثات التي كانت ادارة جونسون قد اقترحتها عام ١٩٦٧ ، كما كانت الاشارة السوفيتية الأولى على الاهتمام السوفيتي

بهذه المحادثات قد جاءت كما سبق وأشرنا من وزير الخارجية السوفيتى فى خطابه أمام مجلس السوفيت الأعلى فى يوليو سنة ١٩٦٨ .

وفى الوقت الذى عاق فيه التدخل المسلح فى تشيكوسلوفاكيا بداية المفاوضات حتى بقية عهد جونسون فان البوادر الجديدة التى جاءت بها ادارة نيكسون وما أعلنه فى المؤتمر الصحفى الأول الذى عقده بعد توليه الرئاسة عن قبوله مبدأ الاستكفاء Suffeciency ، وتأكيد وزير دفاعه مالفين ليرد استبدال ما أسماه بالردع الواقعى Relastic detterence بما كان يتحدث عنه مستمرا من قدرة الردع المؤكدة Assured destruction Capability (١) ، أدى هذا الى صدور مبادرة جديدة من الاتحاد السوفيتى ، فقد أعلن زمياتين مدير ادارة الصحافة بوزارة الخارجية السوفيتية عقب تولى نيكسون مباشرة استعداد حكومته للبدء فى « تناول جاد لوجهات النظر مع حكومة الولايات المتحدة حول الحد المتبادل ثم خفض وسائل ايصال الاسلحة النووية بما فيها نظم الدفاع وقد بدات عقب ذلك الاتصالات بين الجانبين لتحديد موعد بدء المفاوضات حتى أعلن البيت الأبيض فى ٢٥ أكتوبر « انه تأكيدا للاتفاق الذى تم مؤخرا للدخول فى مفاوضات للحد من سباق التسلح الاستراتيجى ، فان الحكومتين قد اتفقتا على أن ممثليهم سوف يلتقون فى هلسنكى فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٩ للبدء فى مناقشات أولية فى هذا الصدد .. » (٢) .

وقد افتتحت المحادثات رسميا فى العاصمة الفنلندية فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٦ وقال سيمينوف رئيس الوفد السوفيتى ان الحكومة السوفيتية تعلق أهمية كبرى على المحادثات وتشعر ان نجاحها سيساهم بدون شك فى تحسين العلاقات السوفيتية الأمريكية وتدعيم السلام العالمى واضاف « ان الاتحاد السوفيتى مسترشد بمبادىء حفظ السلام العالمى الدائم والذى جعل منها لينين أساس السياسة الخارجية السوفيتية ، فان الاتحاد السوفيتى قد ايد دائما اتخاذ اجراءات فعالة لانهاء سباق التسلح ونزع السلاح العام الشامل ، ان رغبتنا هى أن نرى هذا الاجتماع يحقق أهدافه بنجاح ، وان هذا ممكن اذا ما توفرت

---

(١) — Masson, willnch, (eds), SALT Agreements and beyond », op. cit., p.

(٢) — Kissing's Archive, 1970, p. 23749.

لدى الجانبين حسن النيـــة ورغبـة حقيقية للوصول الى اتفاق مقبـول للجانبين وبدون مساس بأمن بلدينا والبلدان الأخرى ٠٠ » ٠

ومن ناحية أخرى قرأ جيرارد سميث رئيس الوفد الأمريكى رسالة من الرئيس الأمريكى قال فيها « انكم تشرعون فى واحـــــدة من أبرز المفاوضات التى أوكلت الى وفد أمريكى ٠٠ ولست أقلل من الصعوبات أمامكم ولكنى على وعى أيضا بالحقيقة التاريخية بان الحروب والأزمات بين الأمم يمكن أن تنشأ لا من مجرد وجود الأسلحة ولكن من المصالح المتصادمه أو من الطموح للحصول على مزايا منفردة وهذا ما يجعلنا ننشد تقدما نحو حل المشاكل السياسية الخطيرة لزماننا ٠٠ » وأضاف « اننا مع هذا يحدونا الأمل ان مفاوضاتكم سوف تخدم فى زيادة الأمن المتبادل وأن هذه النتيجة ممكنة اذا ما تناولنا هذه المفاوضات بادراك لمصالح الأمن المشروعة لكلا الجانبين ومن جانبنا فسوف نسترشد بمفهوم المحافظة على « الاكتفاء » فى القوات المطلوبة لحماية انفسنا وحلفائنا واننا ندرك ان القاده السوفيت يتحملون مسئوليات دفاعية مماثلة ٠ ولذلك فانني أعتقد انه فى الامكان أن يواصل كلا منا مسئوليته نحو تحقيق حد متبادل ومقبول تم خفض لترساناتنا الاستراتيجية (١) ٠٠ »

وقد كان على هذه المحادثات التى بدأت فى هلسنكى فى ١٧ نوفمبر ١٩٦٩ ان تستمر لمدة عامين ونصف فى مئات من الاجتماعات الرسـمية وغير الرسمية ، وخلال ٧ دورات تم أربعـة منها فى هلسنكى وثلاثة فى فيينا لكى يتوصل الجانبين الى الاتفاقيتين اللتين تم التوقيع عليهما فى موسكو فى ٢٦ مايو سنة ١٩٧٢ :

أ ــ معاهدة حول تحديد نظم الصواريخ المضادة

ب ــ الاتفاقية المؤقتة للحد من الأسلحة الهجومية

وقد بدأت المعاهدة الأولى من مقدمة ان الحرب النووية سيكون لها آثار مدمرة على البشرية ، ومن اعتبار أن تحديد نظم الدفاع بالصواريخ المضادة سيكون عاملا أساسيا فى كبح السباق فى الأسلحة الاستراتيجية الهجومية كما سيؤدى الى تقليل أخطار اشتعال حرب تستخدم فيهـــا الأسلحة النووية ٠

---

(١) — Ibid,

وقد اشتملت المعـــاهدة على ١٦ مادة عالجت تحـديد نظم الدفاع بالصواريخ المضادة التى تشملها المعاهدة وفصلت الحالات التى يسمح فيها باقامه نظم الدفاع بالصواريخ المضادة ، كما نصت على التعهدات التى التزم بها الطرفان فيما يتعلق بنظم الصواريخ المضادة من حيث صنعها أو اختبارها واقامة منصات اطلاقها والالتزام بعدم اقامة أجهزة رادار للانذار المبكر ضد الهجوم بالأسلحة الاستراتيجيه الموجهة الا على طول الحدود الوطنية والتعهد بالعمل فى أقصر وقت ممـــكن على تدمير وتفكيك نظم الصواريخ المضادة الزائدة عن العدد الذى حددته المعاهدة أو لمواقعه خارج المناطق التى حددتها ، والتعهد بأن لا ينقل أى طرف أو يوزع خارج أراضيه الصواريخ المضادة للصواريخ الموجهة التى تنص عليها المعاهدة • ورغم ان المادة ١٤ من المعاهدة قد نصت فى فقرتها الأولى على دوام المعاهدة لفترة زمنية غير محدودة الا أن — فقرتها الثانية دعت الى أن يراجع الطرفين المعاهدة بعد خمس سنوات من توقيعها ثم بعد كل خمس سنوات بعد ذلك (١) •

اما الاتفاقية المؤقتة للحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية فقد تضمنت ٨ مواد بالاضافة الى بروتوكول ملحق بها •

وقد نصت المادة الأولى على تعهد الطرفان بعـــدم البدء فى تشييد قواعد أرضية ثابتة اضافية لاطلاق الصـــواريخ الاستراتيجية العـــابرة للقارات ICBM بعد ١ يوليو سنة ١٩٧٢ • كما تعهد الطرفان وفقـا للمادة الثانية بالامتناع عن تحويل القواعد الأرضية المخصصة لاطـــلاق الصواريخ العابرة للقارات من الانواع الخفيفة أو القديمة المنتجة قبل عام ١٩٦٤ الى قواعد أرضية لاطلاق الصواريخ العابرة للقـــارات من الانواع الثقيلة التى أنتجت بعد هذا التاريخ على أنه اذا كانت هذه المادة قد حاولت حصر التوسع فى امكانيات قواعد اطلاق الصواريخ فان المادة الرابعة قـد سمحت للطرفين بتحديث صواريخه الاستراتيجية الهجومية واستبدالهـا وفقا للحدود التى عينتها الاتفاقية • وقد حددت الاتفـــاقية فى مادتهـــا الخامسة الوسائل والأساليب التى تمثل ضـــمانا للالتزام بالتعهـــدات السابقة فى استخدام كل طرف الوسائل الوطنية الفنية للتحقق على أن يتعهد الطرفان بعدم التدخل فى وسائل الرقابة الوطنية التى يستخدمها الطرف الآخر وعدم اللجوء الى اجراءات التمويه المتعمدة التى تعوق عملية التحقق من جانب الطرف الآخر •

---

(١) — Kissing's Archeive, 1972, p. 25310.

وقد نصت الاتفاقية على أن مدة سريانها ستكون لمدة خمس سنوات مالم تستبدل قبل ذلك باتفاقية أكثر استكمالا حـــول اجراءات الحد من الأسلحة الاستراتيجية وفى نفس الوقت فقد التزمت الاتفاقية « ٠٠ بأنه من أهداف الطرفين متابعة اجراء مفاوضات نشطة بفرض التوصل الى مثل هذه الاتفاقية بأسرع وقت ممكن » (١) ٠

وأهمية هذه الاتفاقية تكمن فى انها لم تكن الاتفاقية الاولى من هذا النوع ، ولكن أساسيا لانها كانت تعالج ما كان يشكل أساس القوة الحربية لكلا القوانين ومكانتهما كقوى أعظم ٠ انطلاقا من مبـــدأ الأمن المتساوى Equal Security فان الاعتراف بعـــدم قبـــول حصـــول أى من الطرفين على مزايا منفردة والأهمية الكبيرة لانهاء سباق التسلح العددى ، فقد نصت على تجميد عدد من الصواريخ الهجومية لكلا الجانبين ٠ وهكذا فان الاتفاقية مســـت جانبا واحدا فقط وهو الجانب الكمى للحـــد من الاسلحة الهجومية ٠ ولم يكن هذا مصادفة ، ذلك أن التحديد الشـــامل للأسلحة الاستراتيجية الهجومية ليست مشكلة غاية فى التعقيد ومتعددة الوجوه فحسب ولكن كذلك لانها تتطلب تناولا تدريجيا ، ولهـــذا فان الاتفاقية المؤقتة لم تغلق كل طرق سباق التســـلح النووى ٠ فقد حـددت عدد الصواريخ الأرضية ICBM وعدد الغواصـــات النووية المـــذودة بالصواريخ (×) الا انها لم تتعرض لعدد آخر من النظم الهامة مثل القوة الجوية الاستراتيجية والنظم النووية ذات القواعد المتقدمة ٠

كذلك فان الاتفاقية لم تسد الطريق نحو التحسن النوعى للاسلحة الاستراتيجية الهجومية مثل زيادة درجة الدقة والاعتماد Reliability وعدم التعرض لخطر الرءوس النووية وكذلك انتاج نظم جديدة (٢) ٠

---

(١) Ibid, p. 25311.

(★) نص البروتوكول الملحق للاتفاقية المؤقته مشير الى المادة ٣ :

« The united states may have no more than 710 Ballistic Missile launchers on submarines (SI BM), and no more than 44 modern ballistic missile submarines. The Soviet union may have no more than 950 ballistic missile launchers on submarines and no more than 62 modern ballistic missile submaines. « Additional ballestic missile launchers on submarins up to the above mentioned levels — in the u.s. over 656 ballistie missile launchers on nuclear powered submarine and the USSR over 740 Ballectic missile laurchers on Nuchear powered submarines, on oberational and under Comscention, may become oberational as replacement for equal Nunbers of ballitic missile launchers of older deployed prior to 1964 or of ballistic missile launchers or older submarines. (Kissing's p. 2532. 1972).

(٢) — Survival iss, london, march, Aprile, p. 63.

فالاتفاقيات كانت اتفاقيات كمية ولم تكن تحتكم الا على قيود نوعية قليلة Qualitative restrictions ، ذلك أن :ــ

(أ) تحديث واستبدال نظم الصواريخ المضادة ومكاوناتها يمكن أن يستمر في نطاق وحدود معينة ٠

(ب) ان الصواريخ عابرة القارات ICBMS ورءوسها يمكن أن تتحسن وما تم تجميده هو العدد الكلي لقواعد الاطلاق كما يمكن أن تحــل SCBM محل ICBM

(جـ) ان الاتحاد السوفيتي لديه الحــرية في تطوير الرءوس لذرية المتعددة الأطراف MIRV (١)

وهذا ما جعل نيكسون يحرص في بيانه الذي ألقاه أمام الكونجرس عقب زيارته لموسكو على أن يوضح الحدود الفعلية لهذه الاتفاقيات « ان المستر برجينيف وزملائه أوضحوا بشكل مطلق أنهم يسيرون قــدما في برنامج الدفاع في المجالات الهجومية التي لا تحددها هذه الاتفاقيات » ٠ وربما كان هذا هو المنطق الذي وافق على أساسه فيما بعد الكونجــرس الأمريكي على زيادة برامج الغواصات Tridents ذات الصواريخ بعيدة المدى وعلى زيادة العمل في قاذفة القنابل الطويلة المدى B—I وهو ما أحيا من جديد ظاهرة الفعل ورد الفعل مما أثبت كلا القوتين لم تــكن مستعدة لأن تذهب بعيدا في كبح جماح برامجها للأســلحة النووية التي لاتغطيها الاتفاقيات المحددة (٢) ٠

وهــكذا فان اتفــاق سولت الاول لم يمنع أو يحد سباق التسلح الاستراتيجي بل حوله فقط الى الاتجاهات التي يتصورها كل جانب أكثر هي فائدة عسكرية له ، كما جاءت اتفاقية الصواريخ المضادة لكي تحظر مالا يريد أي من الجانبين عمله فعلا (٣) ٠

لهذا لم يكن مصادفة ، ووعيا بالطبيعة المحدودة لاتفــاقية الحد من الاسلحة الهجومية ، أن يطلق عليها « المؤقتة » Interim ، ونصت الفقرة

---

(١) — Jerrings, « us-soviet Arms competition, » op. cit, p. 302.

(٢) Masson-will ich, « SALT, The Moscow agreements and beyond op. cit., p. 32.

(٣) — Spiegel, Steven, (ed). « Atissue, Politics in world Arena « Martin's Press, New York, 2 edition 1974, p. 184.

الثانية من المادة الثامنة على أن « تبقى موضع التنفيذ لفترة خمس سنوات ما لم تستبدل قبل ذلك باتفاق آخر حول اجراءات أكمل تحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية (١)

ولكن على الرغم من هذه الطبيعة المحدودة لتوقيع هذه الاتفاقية والتى ستعرف ـ نتيجة لذلك ـ باتفاق SALT I توقعا لان تستكمل باتفاق ثانى شامل ، فقد علق عليها الرئيس نيكسون بالقول « ان هذه الاتفاقيات ليست احداثا منعزلة فهى جزء من نسيج علاقة بازغة جديدة يمكن أن تكون ذات أهمية سياسية وتاريخية كبرى ٠ فلأول مـرة تتفق قوتان كبيرتان تقسمهما القيم والفلسفات والنظم الاجتماعية على تقييد الأسـلحة التى يعتمد بقاؤهما القومى عليها ٠ وقرار بهذه الضخامة لا يمكن الا أن يكون قد أختير من بلدين اختيارا وضـع علاقاتهما على أسس جديدة وضبط النفس والتعاون والثقة التى تنمو بشكل متزايد » (٢) ٠

وعقبت التعليقات السوفيتية بالقول « ان الاتفاقيـات السـوفيتية الأمريكية للحد من الأسلحة الاستراتيجية انما تواصل ما بدأته توقيـع معاهدات الحظر الجزئى للتجارب ومعاهدة عدم انتشار الأسـلحة الذرية واتفاقيات هامة أخرى تستهدف التحكم فى سباق التسلح ٠ ان الاتفاقيات هى نصر لكل هؤلاء الذين يدركون عقم وخطـورة سباق التسلح وان فى هذا السباق ليس هناك الا الخسارة (٣) ٠

وبالاضافة الى هذه التعقيبات الرسمية فان اتفاقية سولت الاولى قد رؤيت على المستوى العام على انها رغم حدودها المتواضعة وكونها مجرد بداية على طريق معقد فان أهميتها الحقيقية هو فيما تضـمنته من التزام الجانبين بالتعايش السلمى بل وبالموافقة الضمنية على النظام الاجتماعى لكل منهما (٤) ، فضلا عن انها أسست ولفترة غير محدودة احتمال منافسة خطرة وغير مؤكدة النتائج فى الصواريخ الدفاعية المضادة وهى المنافسة التى لم تكن تمثل أى ميزة استراتيجية أكثر مما تحمله من امكانية عدم استقرار خطير واتفاق مبالغ ضخمة (٥) ٠

---

(١) — Kissing's Archive, 1972, p. 25311.

(٢) — Ibid.

(٣) — New Timeg, No. 26, 1972. p. 5.

(٤) — Detente, Hearings, op. cit; p. 93.

(٥) — Adam, Elaine (ed) « American foreign relations... » op. cit., p. 174.

وفي شهادة للأستاذ Kistiakorusky أحد أبرز خبراء الاستراتيجية النووية قال « ان اتفاق سولت الاول لم يمنع أو يحد من سباق الأسلحة الاستراتيجية ، انه فقط قد وجه هذا السباق الى الوجهة التى يتصور كل جانب انها أكثر فائدة عسكرية » كما انه من المستقر أن كلا الجانبين خلال مرحلة ازدهار الوفاق ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ ، قد حسن قواه النووية والتقليدية ٠

غير أن هذا لا ينفي ، كما عبر الأستاذ (ليونارد شابيرو) ، الفائدة التى نتجت عن اتفاق سولت الأول ، وهو الاتفاق على الحد من تطوير المنشآت الدفاعية للصواريخ المضادة ABM والذى هو أكثر المجالات تكلفة ٠ ورغم ما قد يقال أن الاتحاد السوفيتى قد استفاد أكثر من الولايات المتحدة ، الا أن الوفورات التى حققها الجانبين كانت كبيرة ٠

« Defending America, Towords a new role in the post Detente world », The Institute for contemporary studies, san francisco, Basic Books, Ne wYork, 1977. p. 6, 16, 216.

وتثير هذه المرحلة التى تحققت فى محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية بتوقيع الاتفاقيات السابقة ، تثير قضيتين هامتين : تتعلق الأولى بمدى تأثير وتأثر هذه المحادثات بالعلاقات الشاملة لكلا القوتين ، اما الثانية فهى المتعلقة باطار تفكير القوتين فى هذه المحادثات وعمليات التفاعل والجدل الداخلى الذى يدور حولها ٠

وتثير القضية الاولى سؤالا هاما هو : هل محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية هى قضية جانبية أو جوهرية فى نسيج العلاقة بين القوتين ؟ أو اذا وضعنا السؤال بطريقة أخرى : الى أى حد يمكن عزل التنافس الاستراتيجى عن تقلبات التنافس السياسى ٠ يقول منطق الأمور أن المصلحة الذاتية للبلدين فى خفض تنافسهما فى الأسلحة الاستراتيجية لا تعتمد على مدى التوتر فى أوجه علاقاتهما الأخرى ولكن الى أى حد يمكن جعل منطق الفصل هذا ممكنا سياسيا ، لقد رأينا أن فيتنام وتشيكوسلوفاكيا كانتا عائقا مؤقتا للمحادثات ومع هذا فان حصار الولايات المتحدة لموانىء فيتنام الشمالية لم يكن كذلك ٠

وقد رأينا أن نيكسون فى خطابه الذى قرأ عند افتتاح المحادثات فى هلسنكى قد ربط بوضوح بين التقدم فى الحد من التسلح وبين « التقدم نحو حل المشاكل السياسية الخطيرة لزماننا » ٠ أما الاتحاد

السوفيتي فان الطريقة التي عالج بها محادثات السولت دليل على درجة ما من فصل المسائل الاستراتيجية والسياسية · كما قد شهد المشتركون في المفاوضات على الاتجاه العملي للمفاوضين السوفيت ، فمراعاتهم السرية للمفاوضات يمكن أن تؤخذ كعلامة على الجدية ، كما لم تبد أي محاولة سوفيتية لاستغلال المفاوضات للدعاية · وهكذا يمكن القول أن الاتحاد السوفيتي لم يفكر في الربط بين السولت واهداف سياسية ، كما عارض بقوة الجهود الامريكية في ذلك في فترة مبكرة من المحادثات · في هذا الوقت ونتيجة لانطباع شاع في واشنطون أن الاتحاد السوفيتي يهمه السولت أكثر مما يهم الولايات المتحدة ، بدأت افتراضات تظهر في واشنطون أن على الاتحاد السوفيتي أن يدفع الثمن المقابل للاتفاق حول الحد من الأسلحة الاستراتيجية وذلك في شكل تسوية الصراع في فيتنام وضبط النفس في الشرق الأوسط والتقدم حول مشكلة برلين · ولكن ممثلي الاتحاد السوفيتي في المحادثات تلقوا تعليمات بأن يتناولوا المحادثات بشكل بارد وبدأ الدبلوماسيون السوفيت يعربون عن أنه سيان لدى السوفيت سواء تقدمت المحادثات أم لم تتقدم (١) ·

وتدفع هذه النقطة الى بحث القضية الثانية المتعلقة بدوافع واطار تفكير الاتحاد السوفيتي وسلوكه في محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية · في هذا الشأن يعتبر بعض الكتاب أن المفتاح لفهم الموقف السوفيتي في السولت يكمن في الانشغال السوفيتي الذي لا يهدأ بقضية أمن الاتحاد السوفيتي (٢) ·· ويفسرون هذا بأنه قد يبدو للمراقب المحايد أن الاتحاد السوفيتي لايتعرض للتهديد من احد ، وأن الولايات المتحدة لا تنوي شن حرب نووية ضده ، كما أن الصين الشعبية أضعف كثيرا منه وستبقى كذلك لحقب قادمة ، وأن الناتو لا يمثل تهديدا لحلف وارسو ، ومع هذا فان هذا كله محتمل في النظر السوفيتي ، فعدم الثقة السوفيتية نحو « الامبرياليين » قد تولدت ووجدت جذورها منذ الأيام الأولى للجمهورية السوفيتية وتدعم هذا الشعور بحالة العزلة الدولية التي مر بها النظام ثم تعرضه للغزو النازي (٣) ·

وقد جعل افتراض استمرار المنافسة بين القوتين اللتين تمثلان نظامين سياسيين متصارعين ، من المستحيل بالنسبة للسوفيت

(١) — Ibid, p. 106.

(٢) — Potrove, « The us — Soviet Detente... », op. cit., p. 9.

(٣) — Ibid,

أن يبدوا في النظر الى الولايات المتحدة والثقة فيها بشكل كاف أو أن يجعلوا من الاتحاد السوفيتي خاضعا لمعاهدات واتفاقيات معها • يفسر هذا حرص وسرية وحذر الاتحاد السوفيتي فى محادثات السولت ، وقد يأخذ البعض هذا كعلامة على الاحساس الروسى التقليدى بالاضطهاد ، والحقيقة انه لأسباب تاريخية قاهرة فان السوفيت انما يتصرفون على هذا النحو بشكل طبيعي جدا حيث لا يحملون ثقة لا لعدو أو صديق ويجدون قوة اضافية كلما حافظوا على أسرارهم • وزيادة على هذا فان السوفيت فى مناقشاتهم فى محادثات الحد من الأسلحة الاستزاتيجية فانهم يضعون فى اذهانهم أن يوما ما قد يواجهون بالقوة المعادية والخطيرة للصين (*) ، وهو موضوع مستبعد طبعا فى المحادثات ، الا أنه يمثل عنصرا مرتبطا وذو أهمية بالنسبة للموقف السوفيتى (١) •

مجمل القول انه ما من شك فى أن الرغبة فى خفض سباق التسلح ومن ثم خفض نفقاته التى تقصم الظهر هى من غير شك أحد العناصر الأساسية لدى الصفوة السوفيتية ومجموعات القوى المؤثرة فى القرار(**) الا انه مع هذا فان الامن القومى يحتفظ بالأولوية تاركا مجالا ضيفا لأى تنازلات سياسية •

(★) يرى رأى آخر أن بريطانيا وفرنسا كانتا فى الاهتمام السوفيتى خلال محادثات السولت ،كثر من الصين باعتبار أنه من الواضح قلق السوفيت من القوى النووية البريطانية والفرنسية ومن امكانية تزايدها فى وجه الحد من القوى النووية الأمريكية • ومن ناحية أخرى فان القدرة النووية السوفيتية ضد الصين لم تتأثر باى حال باتفاقيات السولت الاولى ولا يبدو أن السوفيت قد بحثوا بشكل جدى اقامة نظام مضاد للصواريخ ضد الصين رغم انهم أصروا على الاحتفاظ بنظام مضاد للصواريخ لموسكو ذلك انه فى جانب منه ذو فائدة للدفاع عن العاصمة السوفيتية فى حالة هجوم صينى بالصواريخ اما بالنسبة للولايات المتحدة فقد كانت الصين عضوا غير مرئيا خلال المحادثات واعتبرت أن تراعى فى المحل الأول ما اذا كان أى اتفاق محتمل سوف يؤثر على قدرتها فى الاحتفاظ برادع مناسب ضد الصين •

Masson, « SALT, Moscow agreements and beyond » op. cit., pp. 211-212).

(١) Petrov, « U. S. Soviet Detente op. cit, pp. 9 — 11

(★★) فى هذا الصدد دار فى موسكو جدل بين اتجاهين فى التفكير وتداخل فى هذا انجدل عدد من المشكلات الداخلية والخارجية ، وقد ركز الاتجاه الاول على أنه فى الوقت الذى سيمر فيه الاشتراكية بصراعات خطيرة طالما أن الامبريالية قائمة الا أن الميزان التاريخى للقوى قد حول الآن فى صالح الاشتراكية ، ويعتبر أنصار هذا الاتجاه أن هذا الوضع يؤهل لأحداث تغيرات تقدمية داخل المجتمع السوفيتى واعطاء اهتمام أكثر =

اعلان المبادىء :

ان اتفاقيتى السولت اللتين وقعتا فى موسكو والتى صاحبها تحركات الى الأمام فى العلاقات السوفيتية الأمريكية الاخرى قد صيغت مبادئها التى تضمنتها وقامت عليها وما ستوجه خطواتها فى المستقبل فى البيان الذى وقعه نيكسون وبرجينيف حول « المبادىء الأساسية للعلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة » (١) ٠

وتلخص الفقرة الأولى من هذا الاعلان المبادىء التى توصلت على أساسها الدولتان الى اتفاقيات السولت والتى تعتزمان أن تتقدم على أساسها علاقاتهما فى مجالات أخرى : « انهما سوف يتقدمان من التصميم المشترك انه فى العصر النووى ليس هناك بديل عن ادارة علاقاتهما المتبادلة على أساس من التعايش السلمى ٠٠

« وان الخلافات الأيديولجية والنظم الاجتماعية للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ليست عقبة أمام التطور الثنائى للعلاقات الطبيعية القائمة على مبادىء المساواة والسيادة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية والمنفعة المتبادلة » ٠٠

وترسى الفقرة الثانية هدفا عاما وأساسيا وهو « منع تطور المواقف التى من شأنها أن تسبب من التوتر الخطير لعلاقاتهما » ولهذا فانه من أجل تفادى هذه المواقف فان الدولتان سوف تعملان على ما يلى : ـ

(أ) تفادى المواجهات العسكرية ومنع اشتعال الحرب النووية ٠

(ب) ان يمارسا باستمرار ضبط النفس فى علاقاتهما المتبادلة والتفاوض لتسوية خلافاتهما بالوسائل السلمية وان يجرى هذا التفاوض على أساس من روح تبادلية ٠

= للصناعات الخفية والمشروعات التكنولوجية والالكترونية والتركيز على الجانب النوعى للاقتصاد والانتاج السوفيتى ٠ أما الاتجاه الثانى فيعتبر أن تحليل الراسمالية المعاصرة يدلل على حتمية بروز العناصر الأكثر عداء للأهداف الاشتراكية وهذا يتطلب استثمارا أكثر فى المواد العسكرية لمواجهة اتجاه الصراع بين الاشتراكية والامبريالية الذى سيأخذ فى الاحتمال الأكثر عندهم أشكالا أكثر عنفا ٠

(١) (Cald-well, Lawernce, « Soviet Attitudes to SALT », Adelphiepapers, No. 75, Iss-London, 1979 p. 2-5.

(٢) — Kissing's Archive, pp. 25313-25314.

وفى سبيل هذا أيضا فانهما يدركان « أن الجهود للحصول على مزايا منفردة على حساب الآخر بشكل مباشر أو غير مباشر انما تتعارض مع هذه الأهداف وان المتطلبات الأولية لدعم العلاقات السلبية بين البلدين هى « الاعتراف بالمصالح الأمنية للطرفين القائمة على مبادىء المساواة ونبــذ استعمال أو التهديد بالقوة » ٠

كذلك مما يساعد على تحقيق هذا الهدف ما أكدته الفقرة الخامسة من استعداد الجانبين « لاستمرار أسلوب تبادل وجهات النظر حـول المشكلات ذات المصلحة المشتركة وان يجرى هذا التبادل لوجهات النظر واذا لزم الأمر على أعلى مستوى » ٠

وتعطى الفقرة الثالثة من اعلان المبادىء « مسئولية خاصة » للبلدين باعتبارهما أعضاء دائمين فى مجلس الأمن فى أن يبذلا كل مافى طاقتهما « لكى لا تنشأ صراعات أو مواقف من شأنها زيادة التوترات الدولية » ٠ وللتخفيف من هذه الفقرة وحتى لا تؤخذ على انها اتجاه للسيطرة من جانب القوتين ، فقد حرصت المادة ١١ على أن تقرر أن الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة « لا يدعيان لنفسيهما كما لن يعترفا بادعاءات أحـد آخر لأى حقوق خاصة أو مزايا فى الشئون العالمية ، وانهما فى هـذا يعترفـان بحقوق السيادة المتساوية لكل الدول » ٠ واتصالا بهذا أيضا ووضعا فى الاعتبار ما ثار بالفعل حول اتجاهات الوفاق بين القوتين أو ما قد يثور نتيجة نتائج مؤتمر القمة ، فقد حرصت الفقرة الثانية من هذه المادة على أن تقرر « ان تطور علاقات الولايات المتحـدة والاتحاد السوفيتى ليس موجها ضد اقطار ثالثة ومصالحها » ٠

أما المواد ٧ ، ٨ ، ١٠ فقد خصصت للعلاقات الثنائية المباشرة فى المجالات الاقتصادية والتجارية والتعاون المشترك فى ميـادين العـلوم والتكنولوجية والعلاقات الثقافية ٠ ولا تؤخذ العلاقات فى هذه المجالات لذاتها وانما لطبيعتها ذات التأثير المتبادل بينها وبين الحالة العامة للعلاقات السياسية بين القوتين بحيث يمكن أن تصبح تنمية هذه العلاقات دعمـا للعلاقات السياسية وخلقا لمصالح مشتركة متبادلة له بين البلدين ، ولهذا فان التعاون فى هذه المجالات يجب أن يقوم على أسـاس « متين وطويل الأجل » ٠

وبذلك فان اعلان المبادىء انما يمثل تقنينا لعلاقات القوتين ومعايير وقواعد لسلوكهما الدولى وهو بهذا الشكل يستمد قيمته من التطبيق والعمل

به أكثر من مجرد الارتباط به) وربما هذا هو ما جعل الرئيس الامريكى نيكسون يقول ان تحسن العلاقات يتوقف لا على الكلمات فحسب بل وكذلك على الافعال .. ان المبادىء التى اتفقنا عليها فى موسكو هى مثل خريطة الطريق وأنه اذا كانت الخريطة قد رسمت فانه متروك لكل بلد ان تتبعها . ان الولايات المتحدة تنوى ان تحترم هـــذه المبادىء وقد أبدى الاتحـــاد السوفيتى نفس النية » (١) . لهذا فان القوتين سوف تحتكمان فيما بعد وحين تثور مشكلات دولية الى هذه المبادىء وتحاسبان بعضهما حول مدى التزامهما بها فى معالجة هذه المشكلات الى جانب اتفاقيتى السولت واعلان المبادىء انتهى مؤتمر القمة بتوقيع عدد من الاتفاقيات شملت نطاقا واسعا من علاقاتهم الثنائية .

١ ـ اتفاقية حماية البيئة Environmental Protection Agreement

٢ ـ اتفاقية الطب والصحة العامة Medicine and Public Health Agreement. Space Cooperation Agreement.

٣ ـ اتفاقية التعاون فى مجال القضاء

وهى الاتفاقية التى تضمنت مشروع الرحلة المشتركة الأولى لرحال الفضاء من كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والتى قدر لها أن تتم عام ١٩٧٥ حيث ستلتحم مركبة الفضاء السوفيتية سيوز Soyes بالمركبة الأمريكية Apollo

٤ ـ اتفاقية التعاون العلمى والتكنولوجى
Scientific and Technologyical Agreement.

وتعتبر الاتفاقية فى مادتها الثانية « ان الهـــدف الرئيسى لهـــذا التعاون هو اتاحة فرص واســـعة لكلا الجانبين لجمع جهود علمـــائهم واخصائيهم للعمل فى المشكلات الرئيسية التى ستنمى حلها التقدم فى العلوم والتكنولوجيا لفائدة البلدين والبشرية » . وسوف يتحقق هــذا التعاون من خلال « تبادل العلماء والاخصائيين والمعلومات العلمية والفنية والوثائق للتطوير المشترك وتنفيذ برامج ومشروعات فى ميادين العــلوم الأساسية والتطبيقية والبحث المشترك وتبادل نتــائج البحوث والخبرة بين المؤسسات العلمية وتنظيم دورات مشتركة ومؤتمرات وحلقات بحث واقامة صلات وترتيبات بين المؤسسات والمشروعات الأمريكية والسوفيتية .

(١) — Kissing's Archive, p. 25316.

٥ ـ اتفاقية حول منع الحوادث في البحر
Agreement on Protection of incidents at sea.

كانت هذه الاتفاقية يجرى الاعداد لها خـلال محادثات جرت فى أكتوبر سنة ١٩٧١ ومايو سنة ١٩٧٢ بهدف ضمان سلامة الملاحة للسفن الحربية والطائرات التابعة للبلدين وذلك وفقا لمبـادىء القانون الدولى وقد تضمنت الاتفاقية التزامات متبادلة تمتنع بمقتضاها سفن وطائرات البلدين عن الأعمـال التى يمكن أن تسبب اضرارا لسـفن وطائرات البلد الآخر (وذلك من خلال تصادم السفن أو الطائرات) ٠

أما فى المسائل الاقتصادية والتجارية فقد اتفق على انشـاء لجنـة تجارية مشتركة Joint Commercial Commission مهمتها :

(أ) التفاوض حول اتفاقية تجـارية شـاملة بين البلدين بما فى ذلك معاملة الدولة الأكثر رعاية بشكل متبادل Reciprocal most favoured Nation treatement. وحول ترتيبات لتسهيلات متبادلة لتنمية التجارة بينهما وحول اتفاق نشىء جهـاز تحـكيم Arbitration Mechanism لتسوية المنازعات التجارية ٠

(ب) دراسة امكانية اشتراك الولايات المتحـدة والاتحاد السوفيتى فى تطوير الموارد وانتاج وبيع مواد أولية ومنتجات أخرى ٠

وقد بدأت اللجنة عملها فى الحال عقب مؤتمر القمة حيث عقـدت أولى اجتماعاتها فى موسكو ما بين ٢٠ يوليو ـ ١ أغسطس سنة ١٩٧٢ ولخص وزير التجـارة الأمريكى نتائج اجتماعاتها فقال « ان الروس لم يندهشوا أن الامريكيين يحبون كثيرا أفـكارهم ومبادئهم لا الأفـكار الروسية ، كذلك فان الأمريـكيين لم يندهشوا أن الروس يفضـلون أفكارهم ، ولكن كان ثمة روح وجهاد لجعل الأمور تتحرك » (١) أما الدورة الثانية للجنة المشتركة فقد عقدت فى واشـنطون من ٢٢ ـ ١٨ أكتوبر وانتج عنها توقيع ثلاث اتفاقيات حـول : التجارة ، وتسـوية الديون السوفيتية وفقا لنظام الاعارة والتأجير Lend-Lease وحول منح القروض ٠

وتشمل اتفاقية التجارة مسائل اقتصادية وسياسـية حيث تنص

(١) Shershnev, Y, « Soviet — American economic relations and prospects », USA : Economic, Politics, Ideology, Vol. 1973, Republished in : Daily Review (APN). Moscow, February 6, 1973.

على منح كلا البلدين للأخر معاملة الدولة الأولى بالرعاية فيما يتعلق بالرسوم الجمركية كما تنص الاتفاقية على أن لا يتخلى الطرفان عن اشكال التمييز فحسب وانما على تشجيع انشاء صلات تجارية فعالة بين مؤسسات البلدين آخذا فى الاعتبار موارد كل جانب ومتطلباتهما الطويلة الأجل من المواد الأولية والمعدات والتكنولوجيا • وأهمية هذا التصور لمجالات التعاون بينهما تأتى من انها لم ترد من قبل فى أى اتفاقات تجارية أو سياسية بين البلدين •

كذلك حددت الاتفاقيـة بعض الأهداف فى مجال تطوير علاقاتهم التجاريه حيث توقعت أن تزيد التجارة بينهما فى ثلاث سنوات ثلاثة أضعاف مقارنة بأعوام ١٩٦٩ ـ ١٩٧١ وهو ما يعنى عزم البلدين على أن تصل التجارة بينهما فى عام ١٩٧٤ الى ٥٠٠ ـ ٦٠٠ مليون دولار سنويا على الأقل (١) ولم يكن من المتوقع أن تدخل الاتفاقية حيز التنفيذ الا بعد تصديق الأجهزة التشريعية فى كلا البلدين عليها (*) •

أما الاتفـاق على تسوية ديون الحرب التى لدى الاتحاد السوفيتى وفقا لنظام الاعارة والتأجير (**) فقد اتفق على تسوية هذه الديون بأن يدفع

---

(١) Ibid.

(*) كانت أول اتفاقية تجارية وقعت بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة عام ١٩٣٥ وكانت ذات طبيعة محدودة حيث كانت لمدة عام واحد ثم وقعت اتفاقية تجارية جديدة فى أغسطس سنة ١٩٣٧ وبمقتضاها أعطى كلا الجانبين الجانبين للآخر حق الدولة الأولى بالرعاية فى مجال التجارة وكانت بهذا خطوة هامة نحو تطبيع العلاقات السياسية والتجارية وقد كان هذا الاتفاق يسرى لمدة ١٥ عاما •

(**) تعود هذه الديون الى فترة تحالف القوتين خلال الحرب الثانية حيث توصلا عام ١٩٤٢ الى اتفاق يحدد مبادىء المعونة المتبادلة خلال الحرب ضد النازى وعلى أساس قانون الاعارة والتأجير الأمريكى ونص هذا الاتفاق على أن يساعد البلدين الآخر من خلال تقديم مواد الدفاع والخدمات والمعلومات • وقد قدرت الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب ما تطالب به الاتحاد السوفيتى بناء على ما قدمته له وفقا لهذا القانون بمبلغ ١٣٠٠ مليون دولار وهو المبلغ الذى نازع فيه الاتحاد السوفيتى واعتبره مبالغا فيه ودارت محادثات عامى ١٩٤٧ ـ ١٩٦٠ لتسويته دون جدوى الأمر الذى كان يرجع الى المناخ السياسى العام القائم وقتئذ بين البلدين ثم الى ما أسماه السوفيت بالسياسة التجارية للولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفيتى ولهذا فان هذه المسألة أمكن الاتفاق عليها فى ظل المناخ السياسى العام الذى اتاحه مؤتمر قمة موسكو وكذلك لما اعتبره السوفيت تعديلا للجانب الامريكى من سياسته التجارية نحو الاتحاد السوفيتى والتقدم الذى تحقق فى مناقشات اتفاقية التجارة • (ibid,pp.)

الاتحاد السوفيتي للولايات المتحدة مبلغا لا يقل عن ٧٢٢ مليون دولار فى مدة تنتهى فى ١ يوليو عام ٢٠٠١ (١) .

بالاضافة الى هذه الاتفاقات التجارية ، اتفق أيضا خلال اجتماع القمة على شراء الاتحاد السوفيتي للحبوب الأمريكية . وقد وضع هذا موضع التنفيذ فى الحال ، فبعد شهرين من اجتماع القمه وفى ٨ يوليو سنة ١٩٧٢ أعلن الرئيس نيكسون عن اتفاقية مدتها ثلاث سنوات يشترى بمقتضاها الاتحاد السوفيتي مالا يقل عن ٧٥٠ مليون دولار من القمح والحبوب الأمريكية وقد وصف الرسميين الامريكيين هذه الصفقة بأنها أكبر صفقة حبوب فى تاريخ العلاقات بين البلدين (٢) .

ومن ناحية أخرى فقد توافقت هذه الصفقة مع الانخفاض الخطير الذى عاناه محصول القمح السوفيتي فى هذا العام نتيجة لقسوة الظروف المناخية فى جانب منه والذى أثار من جديد المشكلة الزراعية فى الاتحاد السوفيتي (*) .

كذلك صدر عن مؤتمر قمة موسكو بيانا مشتركا احتوى على صياغة عامة للمبادىء والاتفاقيات التى صدرت فى وثائق منفصله كما احتوى على عرض لمواقف البلدين من المشكلات الدولية القائمة . وقد أظهر البيان فى هذا الشأن ان ثمة موضوعا واحدا سجل الجانبين اتفاقهما على الاختلاف حوله وهو الوضع فى فيتنام حيث اتبع الجانبين أسلوب تسجيل موقفه على حده من النزاع وتصوره لحله . وقد اثار هذا الجانب سؤالا حول ما اذا كان الرئيس الأمريكى نيكسون قد نجح فى ان يحقق ما تصوره من ان تكون رحلته الى موسكو طريقا الى حل المشكلة الفيتنامية وبالتحديد فى ان يساعد السوفيت فى هذا الشأن بالضغط وممارسة النفوذ على الفيتناميين الشماليين خلال مرحلة المفاوضات الاليمة التى كانت تمر بها الولايات المتحدة معهم . ومما له دلالة فى هذا الخصوص مالاحظه المراقبون قيام الرئيس السوفيتي بودجورنى بزيارة لهانوى فى

---

(١) — Kissing's Archive, 1972, p. 25585.

(٢) — International Herald Tribune, July 9, 1972.

(*) كان انخفاضا مماثلا قد حدث فى محصول القمح السوفيتي خلال عهد خروشوف عام ١٩٦٣ وهو ما دفع الاتحاد السوفيتي الى عقد صفقة قمح أمريكية قيمتها ٢٥٠ مليون دولار وافق عليها الرئيس الأمريكى كنيدى عقب تحسن الجو السياسى الذى اتاحة تسوية ازمة الصواريخ الكوبية .

(٣) Kissing's Archive, 1963, p. 19733.

يونيو سنة ١٩٧٢ عقب اجتماع قمة موسكو مباشرة وانه خلال هذه الزيارة توقف القصف الامريكي لفيتنام الشمالية ، ومع أغسطس سنه ١٩٧٢ انسحبت اخر قوة امريكيه محاربه فى فيتنام كما انه فى ديسمبر تنبأ كيسنجر ان الاتفاق على تسوية الصراع أصبح فى متناول اليد (١) ٠

وقد قوبل اجتماع القمة السوفيتى الامريكى الاول والنتائج التى حققها فى كل من واشنطون وموسكو باعتباره « حدثا تاريخيا ، وصرح للسلام » وكنقطة تحول فى علاقات القوتين ٠

فبعد ساعات من عودته الى واشنطون فى ١ يونيو تحدث الرئيس نيكسون الى اجتماع مشترك لمجلس الكونجرس الأمريكى حول محادثات القمة بينه وبين القادة السوفيت ، وبعد ان قال ان الاساس قد وضع « لعلاقة جديدة بين أقوى دولتين فى العالم » قال : « ان اطار دبلوماسيه القمة السوفيتية الأمريكية فى فترة ما بعد الحرب معروف جيدا لكل من فى هذه القاعة ٠ ان اجتماعا بعد الآخر قد خلق جوا من الشعور بالتفاؤل والنشاط : روح جينيف ، روح فينا ، روح كامب دافيد ، روح جلاسبورو ولكن بدون ان نحقق تقدما كافيا حول المشكلات الصعبة ؛ ومع بداية هذه الادارة قلت ان ما نامل فيه هو نتائج محدده وليست ظاهرية وهو ما سيكون معيارنا للقاء على أعلى مستوى ، كما أعلنت أيضا رغبتنا فى اجراء مفاوضات مع الاتحاد السوفيتي حول جبهة عريضة من المشكلات المتعلقة بعضها ببعض بهدف خلق قوة اندفاع من الانجاز الذى ساهم تحققه فى منطقة ما فى تحقيق تقدم فى منطقة أخرى ٠ وهذا هو الاساس الذى اجرينا عليه محادثات الأسبوع الماضى ٠ لقد كان مؤتمر قمة عمل وحيث لم نعمل على خلق روح موسكو المصطنعة وانما اقامة أساس متين من التقدم بحل المشكلات الصعبة التى قسمتنا لمدة طويلة ٠ وحين نستعرض عدد ونطاق الاتفاقيات فسوف ندرك اننا حققنا هذا الهدف » (٢) ٠

وبعد ان استعرض نيكسون عددا من الاتفاقيات الثنائية فى المجالات المختلفة تعرض بالتخصيص للعلاقات التجارية المقبلة بين البلدين والمعانى التى تتضمنا بالنسبه لعلاقاتهما السياسية اورتباطهما بالسلام « ٠٠ ان التجارة الموسعة بين البلدين سوف تؤدى الى مزايا لكل من بلدينا ، فحين تشرع أكبر قوتين فى العالم فى الاتجار مع بعضهما البعض على نطاق واسع فان مستوياتنا المعيشية سترتفع كما سيزداد حرص كل منهما على

(١) — Lancaster, « From Containment to Coexistence », op. cit., p. 60.

(٢) — Kissing's Archive, 1972. p. 25316.

السلام ومصلحتهما فيه ٠٠ » ثم وصف نيكسون اتفاقيات الحد من الأسلحة الاستراتيجية بأنها « أكثر الاتفاقيات أهمية » فلأول مرة تتحدد كل من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية والدفاعية في ترسانات كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، فثلاث أخماس من يسكنون في عالم اليوم قد أمضوا كل عمرهم تحت ظل الحرب النووية التي يمكن أن يشعلها سباق التسلح بين القوى العظمى ٠ وفي يوم الخميس ٢٦ مايو شهدنا بداية نهاية لهذه الفترة التي بدأت عام ١٩٤٥ واتخذنا الخطوة الأولى نحو ضبط للنفس متفق عليه من الطرفين وتحديد الإسلحة الاستراتيجية بين القوانين الأساسيتين نكون قد دعمنا أمن كل منها وبدأنا وقف التصاعد الخطير والضائع في الاسلحة النووية والذى سيسطر على علاقات بلدينا لجيل كامل ٠٠ «ثم تعرض نيكسون في نهاية حديثة للحاجز الرئيسى الذى يقسم كل القوانين وتصدر عنه في النهاية كل اختلافاتهما وهو الحاجز الايديولوجي ، ولكي ينفي الأوهام عن المرحلة التي تحققت في علاقاتهما فقال « اننا يجب ان نتذكر ان الاتحاد السوفيتي مازال يعلن عداءه للقيم الأمريكية الأساسية ، وما زال القادة السوفيت مرتبطين وملتزمين بهذه الايديولوجية ومثل الأمة التي يقودونها بأنهم سوف يستمرون في ان يكونوا منافسين للولايات المتحدة ٠٠ » ٠٠ (١)

وعلى الرغم من البدايات التي حققها مؤتمر القمة فان هذا لا يعنى انتهاء السياسات القائمة على الحذر والشك في النوايا والاستعدادات الدفاعية واعتبار ان عنصر القوة ضروري بل هو الاساس في الوصول الى اتفاقيات التهدئة ٠ وهذا ما حرص نيكسون على ان ينبه اليه بالقول « ٠٠٠ انه ونحن نضع سياستنا للفترة المقبلة فاننا يجب ان نحافظ على دفاعنا على مستوى كاف Adecauate حتى يتحقق اتفاق متبادل لخفض القوات — ان السياسات التي اختبرت واستندت على اليقظة والتصميم والحزم والتي أوصلتنا الى مؤتمر القمة هي السياسات الوحيدة التي تستطيع أن تحملنا الى السلام لمزيد من التقدم في الوصول الى اتفاق لخفض خطر الحرب ٠٠ » وطبق نيكسون هذا بالاشارة الى ان النجاح في محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ومفاوضات برلين والتي فتحت الطريق الى موسكو قد تحقق « لانه في السنوات الثلاث الماضية رفضنا بتصميم مقترحات التخلي بشكل منفرد عن الصواريخ المضادة ABM والانسحاب المنفرد لقواتنا من أوربا أو الخفض الجذرى لميزانية الدفاع ٠٠) (٢) ٠

(١) — Kissing's 1972, pp. 25316-25317.

(٢) — ibid.

أما الاتحاد السوفيتى فقد قيم برجينيف اجتماع القمة الأول ونتائجه خلال احتفال العيد الخمسين لانشاء اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٧٢ « لقد كانت المباحثات التى جرت بيننا وبين الرئيس نيكسون فى ربيع هذا العام فى موسكو خطوة هامة لتطور العلاقات السوفيتية الامريكية ، وما له أهمية خاصة ان البلدين قد حددا معا أسس العلاقه المتبادله بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وانهما فعلا هذا انطلاقا من الاعتقاد بأنه فى عصرنا النووى لا يمكن ان يكون لهذه العلاقات أساس اخر سوى ـ التعايش السلمى وهنا يكمن المغزى الأساسى للوثيقة السوفيتية الامريكية التى وقعت فى مايو من هذا العام » ثم تحدث برجينيف عن مغزى اتفاقيتى السولت اللتين وقعتا خلال قمة موسكو وعن احتمالات تطويرهما « ان الاتفاقيات السوفيتية الأمريكية فى محالى الوسائل المضادة للصواريخ والوسـائل الهجومية الاستراتيجية انما تحد فى الواقع لأول مرة فى التاريخ من أنواع الأسلحة الحديثة والأكثر قوة ومع هــذا فاننا لا ننوى الوقوف عند هذا الحد ٠ ان ما اتفق عليه فى موسكو ينبغى تأكيده وتطويره وتحويل الاتفاقية المؤقتــة الى اتفاقية دائمة ٠ كمــا انه من المستحسن ان نفكر أيضــا فى كيفية الانتقال من الحد من الاســلحة الى تخفيضها تدريجيا وكذلك وضع حد ما لتطوير نوعيتها » وناقش برجينيف العلاقة المتبادلة بين الاتفاقيات الثنائية فى المجــالات المختلفة وخاصــة التجارية وبين الجو السيـاسى العام بين القوتين « لقد وقعنا مع الولايات المتحدة الأمريكية عددا من الاتفاقيات الخاصة بالقضايا الاقتصادية التى يمكن ان يضع تنفيذها أساسا لتعاون كبير الابعاد وطويل الامد فى هذا المجال ٠ وفى الوقت نفسه فان هذا من شأنه ان يساعد على تنقية المناخ السياسى للعلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحــدة الأمريكية ويسهل مواصلة السير الى الأمام نحو الهدف الرئيسى لسياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية وهو توطيد السلام » ثم تحدث برجينيف عن امكانية تحقيق مزيد من الخطوات فى اتجـاه الوفاق فقال «اذا مضـــت كلتا الدولتين فى التقدم حقا على الطريق الذى رسمتاه معا أثناء مفاوضات موسكو فثمة فى رأينا امكانية من خلال الاتصالات اللاحقة لاتخاذ المزيد من الخطوات الهامة نحو تطوير العلاقة السوفيتية الأمريــكية لما فيه مصلحة الشعبين والسـلام العالمى ٠٠ » ثم علق برجينيف تحقيق هذا ـ التقدم على أن « الكثير ـ وهذا ما يجب تأكيده بكل وضــوح ـ سـيكون متوقفا على تطور الأحداث فى المستقبل القريب وخاصة على ما ستئول اليه مسألة انهاء الحرب فى فيتنام » (١) ٠٠

(١) — Moscow News, December, 1972.

مؤتمر القمة الثانى : ١٧ ـ ٢٥ يونيو سنة ١٩٧٣

أشاع اجتماع القمة السوفيتى الأمريكى فى موسكو مناخا من التفاؤل الذائد حول ما تحقق خلاله وأثره على مستقبل علاقات القوتين ٠ على انه بانقضاء حالة النشوة التى صاحبت انعقاد المؤتمر وتلته مباشرة بدأ التأمل بشكل أعمق حول المعانى العملية لما تم الوصول اليه من اتفاقيات ومبادىء ٠

وعلى الرغم من اتفاق الجميع فى الرأى على أن هذه الاتفاقيات وما صاحب مؤتمر القمة من تصورات حول مستقبل علاقات القوتين كانت انفصالا عن لغة ومفاهيم الحرب الباردة ، الا أنه مع هذا فان ثمة اتفاقا موازيا آخر قد نشأ يعتبر أن ما تحقق فى قمة موسكو لا يمكن اعتباره انجازا نهائيا أو انه يمكن الركون اليه فى حد ذاته لضمان السير فى عملية الوفاق ٠ فالوثيقة الأساسية التى صدرت عن المؤتمر وهى اعلان المبادىء لم تكن الا ـ كما وصفها الرئيس الامريكى عن حق ـ بوصلة أو خريطة للطريق ـ وأن قيمتها الحقيقية سوف تتأكد عندما تلتزم بها القوتان فى ادارة ما ينشأ من أزمات دولية ٠ كما أن اتفاقيتى السولت رغم شجاعتها فى الشروع فى تحديد الأسلحة الاستراتيجية الا أنها جاءت محدودة فى طبيعتها حيث اقتصرت على الجانب الكمى من هذه الأسلحة وكذلك فى مداها الزمنى من حيث سريانها لمدة خمس سنوات ٠ أما الاتفاقيات الثنائية والمجالات التى تفتحها فى العلاقات الاقتصادية والتجارية والعلمية فانها تظل مرهونة بوضعها موضع التنفيذ بل وعلى تغلبها على ما قد يلقاه التصديق النهائى عليها من معارضات داخلية كما هو الحال مع الاتفاقية التجارية ٠

بهذا المعنى فان قمة موسكو لم تكن تمثل نهاية الطريق أكثر مما تمثل بدايته ومن ثم فان الحاجة الى متابعته تصبح كحاجة النبت البازغ الى السقيا المستمرة ، وكما عبر محلل سوفيتى « ٠٠ أنه فى السياسة كما هو الحال فى أمور أخرى فانه حتى أفضل بداية لا تضمن النجاح ، ويؤيد تاريخ العلاقات السوفيتية الأمريكية هذه الحقيقة ، فأكثر من مرة يحدث تحسن فى هذه العلاقات ولكنها ما تلبث أن تتلاشى بسرعة فاتحة الطريق الى موجات جديدة من الحرب الباردة » (١) ٠

---

(١) — Arbatove, George, « Soviet American relations at a new stage », Pravda July 22, 1973, repreinted in Daily Review (APN) 23, July 1973.

ومن هنا كانت الحاجة الى خطوة جديدة تدعم استمرار التحول الذى بدأه مؤتمر القمة فى موسكو نحو تطبيع العلاقات وهى الخطوة التى تمثلت فى زيارة ليونيد برجينيف لواشنطون فى ١٧ يوليو سنة ١٩٧٣، أى بعد أكثر بقليل من العام من زيارة الرئيس الأمريكى لموسكو . وهى الزيارة التى نتج عنها عددا من الاتفاقيات توازى فى أهميتها ما تحقق فى قمة موسكو أو هى على الأصح مواصلة لما بدأ فى هذه القمة . على أنه وبعد أقل من ثلاث شهور من اجتماع القمة فى واشنطون سوف يتعرض الوفاق الأمريكى السوفيتى وتتعرض معه مبادىء العلاقات التى ارتبطت بها القوتان لاختبار خطير تمثل فى اشتمال حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط .

تطورات المؤتمر :

فى مؤتمر القمة الأول فى موسكو عام ١٩٧٢ ، قبل برجينيف دعوة لزيارة واشنطون فى العام التالى . وقبل أن يؤدى برجينيف هذه الزيارة عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى اجتماعا فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٧٣ واتخذت خلاله عدة قرارات هامة . وكان أكثر هذه القرارات أهمية هو التصديق الرسمى والنهائى على السياسة الخارجية وتأييد خط السياسة الخارجية الذى أصبح مرتبطا بشكل أكثر بشخصية برجينيف فقد تضمن قرار اللجنة انه « لاحظ المساهمة الشخصية الكبرى للرفيق برجينيف فى تحقيق أهداف السياسة الخارجية السوفيتية (١) أما جوهر القرار فكان تأكيده على مبدأ التعايش السلمى « ان اللجنة المركزية فى اجتماعها العام تأمر المكتب السياسى لكى يتابع بشكل ثابت تنفيذ خط السياسة الخارجية الذى اختطه المؤتمر الرابع والعشرين من أجل التطبيق الكامل لبرنامج السلام والنضال من أجل جعل التغيرات الايجابية التى تحققت فى الموقف الدولى أمرا لا رجعة فيه Irreversible (٢) » .

وقد كان من الطبيعى أن يحصل برجينيف شخصيا والقيادة السوفيتية على دعم وموافقة اللجنة المركزية للحزب باعتبارها قاعدة الحزب العريضة فى اتخاذ القرارات ومتابعة تنفيذها وذلك قبل سفره الى واشنطون لمتابعة ما بدأ فى مؤتمر القمة الاول وتعميق الصلات والروابط الجديدة مع القوة الأساسية الخصم للاتحاد السوفيتى .

---

(١) — The current digest of soviet Press, N. 17. May 23, 1973.

(٢) — Ibid,

وبهذا التأييد بدأ برجينيف زيارته لواشنطون يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٧٣ والتى استمرت حتى يوم ٢٥ يونيو ٠ وخلال هذه الزيارة وقع الجانبان عددا آخر من الاتفاقيات شملت : ـ

١ ـ اتفاقية منع الحرب النووية Agreement on prevention of Nuclear War.

٢ ـ اتفاقية حول المبادىء الأسيـاسية للتفاوض حول المزيد من الحد من الأسلحة الاستراتيجية الهجومية ٠

٣ ـ عددا من الاتفاقيات تشمل التعاون فى مجال الطـاقة والزراعـة والمحيطات والتبادل الثقافى واتفاق للضرائب ٠

وسوف نعرض فيما يلى لهذه الاتفاقيات بشىء من التفصيل : ـ

١ ـ اتفاقية منع الحرب النووية :

تحدد المادة الاولى من الاتفاقية الاساس الذى تستند عليه فى اهدافها السياسية بأنه « ازالة خطر الحرب النووية واستخدام الاسـلحة النووية وانه فى وفقا لذلك فان الطرفين سـوف يعملان على تفادى الموجهات العسكرية واستبعاد الحرب النووية بينهم وبين ايا من الطرفين وبلدان اخرى » وتلزم المادة الثانية من الاتفاقية كل جانب « بالامتناع عن التهديد بالقوة أو استخدامها ضد الجانب الآخر أو ضد حلفائه وضد بلدان أخرى فى ظروف قد تهدد السلام والامن الدوليين ٠»

اما المادة الرابعة فقد حددت العلاقة الخاصة بين القوتين فى المجالات الاستراتيجية على النحو التالى « انه اذا ما بدا ان العلاقات بين الجانبين أو بين أيا منهما وبلدان أخرى تحتوى على مخاطرة حرب نووية ، أو اذا ما تبين ان العلاقات بين بلدان ليست اطرافا فى هـذه الاتفاقية تضمن مخاطرة حرب نووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى أو بين أيا من الجانبين وبلدان أخرى ٠ فان الولايات المتحدة والاتحاد السـوفيتى عملا بمواد هذه الاتفاقية سوف يدخلان على الفـور فى مشاورات عاجلة مع البعض وبذل كل جهد لتفادى هذه المخاطرة » ونصت المادة السابعة على ان الاتفاقية ستسرى لمدة غير محدودة (١) ٠

وقد اعتبرت هذه الاتفاقية عند صدورها بمثابة انهاء الحرب الباردة

---

(١) — Kissing's Archive, 1973, p. 25999

بل اخذ عليها انها اتفاق للدفاع المشترك باعتبار انها تعدت علاقات الجانبين المباشرة الى ماقد يسببه مواقف او علاقات اقطار اخرى على الجانبين او على أى منهما كما قد دافع هنري كيسنجر عن الإتفاقية ضد التفسير الذى قال انها تجعل من الولايات المتحدة كحكم بين الاتحاد السوفيتى والصين مشيرا الى ما ورد فى مقدمتها من انها ليست موجهة ضد بلدان أخرى (١) .

كما فسر هنرى كيسنجر المادة الرابعة للمعاهدة (الخاصة بالتشاور حول خطر حرب نووية بينهما أو بين بلدان أخرى) ، وكذلك مادتها الثانية (الخاصة بامتناع القوتين عن استخدام القوة أو التهديد بها ضد احدهما الآخر أو ضد أقطار أخرى) بأنها سوف تفيد فى خفض خطر الحرب بين روسيا والصين (٢) .

وفى رأينا أن الاتفاقية هى تطوير لاعلان المبادىء الأساسية للعلاقات وخاصة ما يتعلق فيها بالعمل على تفادى ومنع تطور المواقف التى قد تسبب اشتعالا خطيرا لعلاقات البلدين .

٢ ـ اتفاقية حول المبادىء الأساسية للمفاوضات حول مزيد من تحديد الأسلحة الأستراتيجية

نتيجة للطابع المحدود للاتفاقية المؤقتة للحد من الأسلحة الهجومية التى وقعت فى قمة موسكو عام ١٩٧٢ ، فقد جعل الجانبين من سياستهما العمل على التوصل الى اتفاقية دائمة ، ونصت المادة السابعة من الاتفاقية المؤقتة على أن « الأطراف يتعهدون بمواصلة المفاوضات النشطة للحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية » . وفى هذا الشأن وقعت فى واشنطون فى ٢١ يونيو سنة ١٩٧٣ وخلال زيارة برجينيف وثيقة بعنوان « المبادىء الأساسية للمفوضات حول مزيد من الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية » .

وقد بدأت الاتفاقية بالتعبير عن الاقتناع بأن الاتفاق السريع على مزيد من الحد للأسلحة الاستراتيجية سيكون اسهاما كبيرا فى خفض خطر اشتعال حرب نووية وتدعيم السلام والأمن الدوليين ، ومن هذه المقدمة اتفق الجانبان على « انهما سيواصلان المفاوضات النشطة من أجل

(١) — Edmond, « Soviet foreign policy.. » op. cit., pp. 145.

(٢) — Mccgwire, « Soveit Naval policy... » op. cit., p. 7.

وضع اتفاقية دائمة للأسلحة الاستراتيجية الهجومية وكذا خفضها فيما بعد » .

وقد حددت المادة الثانية الأسس التى ستقوم عليها الاتفاقية الجديدة وهى « المبادىء التى وردت فى الوثائق الأمريكية السوفيتية التى اتفق عليها فى موسكو فى مايو سنة ١٩٧٢ ، والاتفاقيات التى تم الوصول اليها فى واشنطون عام ١٩٧٣ . وبشكل خاص فان الجانبين سوف يسترشدون بالاعتراف بالمصالح الأمنية المتساوية لكل منهما ، والاعتراف بأن الجهود للحصول على ميزة منفردة بشكل مباشر أو غير مباشر ستكون غير متفقة مع دعم العلاقات السلمية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وتنص المادة الثالثة من الاتفاقية على الانتقال من التركيز على الجانب الكمى الى الجانب النوعى من الأسلحة « أن الحدود التى وضعت على الأسلحة الاستراتيجية الهجومية يمكن أن تنطبق على الجوانب الكمية وكذلك على تحسيناتها النوعية » ونصت المادة الرابعة على « أن الحدود على الأسلحة الاستراتيجية الهجومية يجب أن تخضع للتحقق الكافى بالوسائل الفنية الوطنية الكافية » واعتبرت المادة الخامسة « أن تحديث واستبدال الأسلحة الاستراتيجية الهجومية سوف يسمح بها وفقا لشروط سوف تصاغ فى الاتفاقيات التى ستعقد » .

وبالاضافة الى ما نصت عليه المادة الأولى من تحديد للموعد الذى يتوقع فيه الجانبان توقيع اتفاقية دائمة حيث قررت « انه خلال العام التالى سوف يبذل الجانبان جهدا جادا لوضع مواد اتفاقية دائمة حول اجراءات أكثر استكمالا حول الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية بهدف توقيعها عام ١٩٧٤ ، الى جانب هذا الالتزام صدر عن البيت الأبيض الأمريكى يوم ٢١ يونيو وهو يوم توقيع الاتفاقية بيانا يؤكد أن هذه الاتفاقية حول المبادىء الرئيسية « هى التزام مقدس على أعلى مستوى سياسى للحد من الأسلحة الاستراتيجية الهجومية بشكل دائم واستكمال اتفاقية لهذا الغرض عام ١٩٧٤ » (١) .

بذلك تكون هذه الوثيقة قد استهدفت تحديد أهداف المرحلة الثانية من المفاوضات وتتضمن تحديدا أكثر للجوانب الكمية والكيفية للأسلحة الاستراتيجية الهجومية ثم تخفيضها . وقد أرسى هدف تحديد ، بشكل

---

(١) — Kissing's 1973, p. 25999.

نهائي ولفترة طويلة كمية متفق عليها من الأسلحة الاستراتيجية الهجومية لكل جانب • وكان من المعترف به ان هذا هدف سهل اذا ما اعتبر انه فى الظروف الحالية من التقدم العلمى والتكنولوجى فان الجانب الكمى للاسلحة الاستراتيجية يرتبط بشكل أوثق وأكثر من أى وقت مضى بالجانب الكيفى • وباعتبار أن الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة قد اتفقتا فى اتفاقية المبادىء الرئيسية على أن يبحثا معا وفى وقت واحد المسائل المزدوجة للتحديد الكيفى والكمى ، فان هذا لم يكن يعنى فقط امتدادا لنطاق المسائل المطروحة للبحث ، انما كذلك تقدما جديا وذا اهمية استثنائية فى طبيعة المشكلات التى شملت المحادثات • كما تؤكد الوثيقة مبادىء الأمن المتساوى لكلا الجانبين ونبذ محاولات الحصول على مزايا منفردة (١) • وقد كان التزام الجانبين بموعد هو عام ١٩٧٤ لعقد اتفاقية دائمة أمرا يبعث على التشجيع عند توقيعها الا أن أحداث الأعوام التى تلت قد أثبتت أن هذا التوقيع كان مبالغا فيه •

٣ ـ مجموعة اتفاقيات اخرى : ـ

وقعت كذلك خلال مؤتمر القمة الثانى فى واشنطون عددا من الاتفاقيات تشمل عددا من أوجه التعاون بين البلدين : ـ

١ ـ اتفاقية التعاون فى الاستخدام السلمى للطاقة :

Cooperation in peac-ful uses of Atomic energy.

ووفقا لنصوص هذه الاتفاقية والتى تمتد لعشرة أعوام وافق كلا الطرفين على توسيع وتقوية تعاونهما فى بحث وتطوير واستخدام الطاقة الذرية بهدف رئيسى وهو تطوير مصادر جديدة للطاقة ، وسوف يتم هذا التعاون من خلال انشاء مجموعات عمل من العلماء والمهندسين لتصميم وتنفيذ مشروعات مشتركة وتطوير للتجارب والعمل المشترك لعلماء البلدين فى مراكز بحوث البلدين والتشاور المشترك وتبادل للادوات والمعدات والعلماء والاخصائيين • وقد نصت الاتفاقية على انشاء لجنة أمريكية سوفيتية مشتركة فى هذا المجال وان تجمع سنويا فى كل من البلدين بالتناوب •

---

(١) Survival, iss, London. January-Feb., 1974, p. 35.

ب ـ اتفاقية للتعاون الزراعى

Agriculure Cooperation agreement

ونصت الاتفاقية على أن البلدين سيتعاونان فى مجال الزراعة وسوف يشمل هذا التعاون مجالات تبادل المعلومات بما فيها التقديرات المحتملة حول الانتاج والاستهلاك والطلب والاتجار فى السلع الزراعية الرئيسية وأساليب التنبؤ فى المجالات السابقة وفى علم النبات والدواجن والتربية وفى تصنيع الزراعة وتخزين ونقل المواد المعدنيـة والمخصبـات وحفظ السلع الزراعية واستصلاح الأراضى واستخدام الأساليب الرياضيـة والالكترونية فى الزراعة ٠

وسوف يتم هذا التعاون من خلال تبادل العلمـاء والأخصـائيين والمدربين والندوات المشتركة وتبادل المعلومات ٠ كما نصت الاتفاقية على تشكيل لجنة أمريكية سوفيتية مشتركة لتنفيذ هذه الاتفاقية وان تجتمع مرة فى العام فى كل من البندين بالتناوب ٠

ويلاحظ مدى أهمية مثل هذه الاتفاقية والتعاون بـين البلدين فى المجال الزراعى بالنسبة للاتحاد السوفيتى على وجـه أخص من زاويـة المشكلات وأوجه النقص التى تعانيها الزراعة السوفيتية وبالذات فى مجال الأسمدة والكيماويات وعمليات النقل واستخدام الأساليب الحـديثة فى الزراعة وهى نفس المجالات التى حققت فيها الزراعة الامريـكية تقـدما ملحوظا ٠

ج ـ اتفاقية للنقل

Agreement on Trans-portation.

وتتضمن التعاون فى مجالات بناء الكبارى والانفـاق والسـكك الحديدية والطيران المدنى والنقل البحرى والنقل بالسيارات بما تضمنه هذه المجالات من مشكلات ٠ وسيتم هذا التعاون من خلال تبادل العلماء والخبراء والمعلومات العلميـة والفنيـة والتخطيط المشترك والمؤتمرات والندوات ٠ كما ستشكل لجنة مشتركة لتنفيذ هذه الاتفاقية ٠

د ـ اتفاقية حول دراسة المحيطات :

Agreement on studies of the world Ocean.

وتشمل التعاون فى مجالات اجـواء المحيطات بما فى ذلك اجـراء الدراسات المعملية وتجارب المحيطات والاستقصاءات الجيولوجية وعمليات

التنقيب العميقة للاغراض العلمية وسيتم هذا التعاون عن طريق التخطيط المشترك وتطوير وتنفيذ مشروعات البحث والبرامج وتبادل العلماء والخبراء والدراسات المتقدمة والمعلومات العلمية . كما نصت الاتفاقية كذلك على انشاء لجنة مشتركة فى هذا المجال .

هـ ـ التبادل الثقافى والعلمي :

Culture and scientific exchange

وقد تمت الموافقة على برنامج للتبادل العلمي والثقافي للمدة من ١ يناير سنة ١٩٧٤ الى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧٦ ويشمل البرنامج التبادل فى المجال التعليمي ، ويتضمن تبادل الاساتذة والطلاب والباحثين فى مجالات العلوم الطبيعية والفنية والاسنانيات والعلوم الاجتماعية وبين الجامعات والمؤسسات التعليم العالى فى البلدين . كما يشمل التبادل فى مجال الفنون ومجال تبادل المطبوعات والنشرات وخص الاتفاق بالذات المساعدة على التوزيع الناجح لمجلة « أمريكا » فى الاتحاد السوفيتى ومجلة « الحياة السوفيتية » فى الولايات المتحدة وعلى أساس تبادل ، كما اتفق على تشجيع تبادل المطبوعات المتخصصة والميكرو فيلم بين البلدين .

و ـ كذلك وقع خلال زيارة برجينيف للولايات المتحدة عدد من البروتوكولات تضمن :

- بروتوكول حول انشاء بعثة تجارية سوفيتية فى موسكو وبعثة تجارية أمريكية فى واشنطون .
- بروتوكول لانشاء غرفة تجارية أمريكية سوفيتية .
- بروتوكول للتعاون فى المجال النقل الجوى يتضمن خطوط جوية مباشرة بين واشنطون وموسكو ونيويورك ولينجراد .
- معاهدة ضريبية تمكن مواطن البلدين من تفادى الازدواج الضريبى .
- كذلك افتتح خلال زيارة برجينيف مفصلة سوفيتية عامة فى سان فرانسسكو كما قد افتتحت فى ٦ يوليو قنصلية أمريكية عامة فى لينجراد (١) .

---

(١) — Kissing's Archive, 1973, pp. 25999, 26555 J, 26001.

وفي يوم ٢٥ يونيو وقبل انتهاء زيارته للولايات المتحدة وجه برجينيف الى الشعب الامريكي حديثا بالتلفزيون استعرض فيه ما أنجزه مؤتمر القمه الثاني وقيم الالتزامات التي ارتبط بها الجانبان من خلال سلسلة الاتفاقيات التى عقدت ، قال برجينيف « لقد أتينا الى هنا مدركين أن هذه ستكون مفاوضات على درجة كبيرة من المسئولية ومخصصة لمسائل حاسمة في تطوير العلاقات السوفيتيه الامريكية والبحث عن طرق تحسينها وتحسين الجو الدولي · ولدينا الآن كل سبب للقول أن هذه الآمال قد تحققت ·· ان الاتفاقيات الجديدة التي وقعت في واشنطون قد وسعت بشكل عظيم مجال التعاون المفيد المتبادل بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وأن قفزة كبيرة قد تحققت على الطريق الذى شرعنا فيه منذ عام مضى عند اجتماعنا فى موسكو » وبعد أن عرض برجينيف لهذا الاطار العام لما انجزه مؤتمر القمة الثانى أخذ يفصل الانجازات واعتبرها دليلا على تطور العلاقات السوفيتية الامريكية وعدم جمودها فتحدث عن اتفاقية منع الحرب النووية فقال « ·· اظن انى لن اتهم بالمبالغة اذا ما قلت ان هذه الاتفاقيه ذات أهمية تاريخية ، ولو كان اجتماعنا الثانى لم يصدر عنه الا هذه الاتفاقية فانه يمكن القول بكل ارتياح انها تمثل مكانا لائقا فى تطور العلاقات السوفيتية الامريكية والحياة الدولية ككل ·· » ثم تحدث عن اتفاقية المبادىء الاساسية لمفاوضات الحد من الأسلحة الاستراتيجية فقال « انه ليس من الأهمية البسيطة ان بلدينا قد اتفقنا على المبادىء المشتركة لمزيد من العمل للاعداد الى اتفاقية جديدة واوسع للحد من الأسلحة الاستراتيجية ولفترة أطول · ان هذا يعنى أن هذا الأمر ذو الأهمية الاستثنائية الذى بدأ فى مايو سنة ١٩٧٢ فى موسكو انما يتحرك الى الأمام كما يعنى أن الوفاق السياسى انما يسانده استرخاء عسكرى » ثم تحول برجينيف الى ما تم الاتفاق عليه فى مجالات التجارة والاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا وركز بشكل أكثر على العلاقات الاقتصادية » بالطبع فان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة تستطيعان العيش بامكانياتها الخاصة وهذا ما ظل قائما وحتى الآن فى علاقاتنا ولكن فى نفس الوقت تيقنا نحن والعديد من الأمريكيين أن رفض التعاون فى مجالات الاقتصاد والتكنولوجيا والعلوم والثقافة يعنى رفضا لمزايا اضافية ضخمة وهو رفض لاهدف ولامعنى له ولا يمكن تبريره بأسباب معقولة » وفصل برجينيف هذا بالنسبة للمسائل الاقتصادية « ان هذا بشكل خاص ينطبق على الأمور الاقتصادية واعتقد انكم شأنتا أيضا تعتقدون انه لن يكون كافيا التغلب على هذا الوضع الشاذ الذى ولدته الحرب الباردة من تجميد

كامل للتجارة بين البلدين ، ان الحياة تضع مسائل أكبر على جدول أعمالنا ، وفى ذهنى قبل كل شىء هذه الاشكال من العلاقات الاقتصادية ومن الروابط المستقرة والواسعة النطاق فى عدد من الفروع من الاقتصاد والتعاون الفنى والتكنولوجى الطويل الاجل الامر الذى له أهمية عظمى فى عصرنا هذا وان الصلات التى أجريناها مع الممثلين الرسميين ورجال الأعمال فى بلدكم تؤكد هذا .. » ثم تعرض برجينيف للجدل الذى بدأ يدور مع بدء تطور العلاقات بين البلدين حول طبيعة هذه الصلات الاقتصادية الجديدة وأى البلدين سيستفيد بشكل أكثر منها وهو ما سيتطور لكى يصبح أحد عناصر الجدل الرئيسيه فى مواقف المعارضين للوفاق فى الولايات المتحدة ، قال برجينيف « من حين لآخر نسمع الادعاءات أن تطور مثل هذا التعاون انما هو لفائدة الاتحاد السوفيتى وحده ، والحقيقة هى انه من خلال التعاون المتطور والمتعمق بوجه عام ، ومن الصفقات الطويلة الأجل والواسعة النطاق والتى يجرى حولها المحادثات واذا ما تمت فعلا فان كلا الجانبين سوف يجنى منها مزايا حقيقية وملموسة .. » ثم حدد برجينيف جوهر وطبيعة علاقات القوتين الكبار بقوله « ان المناخ العام فى العالم يعتمد على المناخ السائد فى العلاقات بين بلدينا .. » (*) وتخوفا من أن يؤخذ هذا على انه نوع من السيطرة أو الوصاية على العالم اضاف « انه لا القوة العسكرية أو الاقتصادية أو المكانة الدولية تعطى بلدينا حقوقا اضافية وانما تلقى عليهم مسئولية خاصة حول مصير السلام العالمى ومنع الحرب » . ثم تعرض برجينيف لتأثير تحسن العلاقات السوفيتية الأمريكية على المشكلات ومناطق التوتر فى العالم بقوله « اننا نعتبر انه من الأمور الطيبة جدا أن تطبيع العلاقات بين البلدين انما يساعد فى هذه المهمة الضخمة والهامة مثل تدعيم السلام والأمن فى أوربا بما فى ذلك عقد مؤتمر الأمن والتعاون الأوربى .. وانه بدون شك فان تحسن العلاقات السوفيتية الامريكية قد لعب دورا فى

(*) حول هذه النقطة يقول نيكسون فى مذكراته انه خلال اجتماعهم الخاص الأول عند بدأ زيارة برجنيف لواشنطون تحدث برجنيف بشكل جاد جدا حول وجهات نظره عن علاقات البلدين وقال « اننا نعلم انه فيما يتعلق بالقوة والنفوذ فان الأمتين الوحيدتين الهامتين فى العالم هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، فأى شيىء يقررانه بينهما على الدول الأخرى أن تتبعه حتى ولو لم توافق عليه » ويعقب نيكسون بانه كان من الواضح أن برجنيف كان يفكر فى الصين ويريد أن يثبت أن العلاقات السوفيتية الأمريكية أكثر أهمية من العلاقات الأمريكية الصينية .

Nikson, « The Memoirs of Richard Nikson », op. cit., p. 878.

المساعدة في انهاء سنوات الحرب الطويلة في فيتنام . غير انه مازالت هناك مراكز خطيرة جدا للتوتر في العالم وفي محادثاتنا مع الرئيس نيكسون تناولنا الموقف في الشرق الاوسط الذي مازال حادا جدا .. ، ثم أكد برجينيف اتجاه القوتين الى احترام ارتباطات وتعهدات وتحالفات الطرف الآخر « أود أن أؤكد انه في مناقشة علاقاتنا الثنائية والمشكلات الدولية فقد راعينا بشكل ثابت حقيقة أن كلا من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة لها حلفاؤها والتزاماتها تجاه دول أخرى وانه يجب أن نقررهنا أن كلا من روح محادثاتنا ونصوص الاتفاقيات التي وقعت قد أخذت هذا في الاعتبار التام .. » .

ثم تحول برجينيف الى اتجاه النظام السوفيتي الى مشروعات للمستقبل ولرفع المستوى المعيشي للشعب السوفيتي « ان لدينا خططا ضخمة للمستقبل فنحن نريد أن نحقق ارتفاعا كبيرا في مستوى المعيشة للشعب السوفيتي ونريد أن نتوصل الى نجاحات جديدة في الارتفاع بمستوى التعليم والطب ونريد أن نجعل مدننا وقرانا أكثر راحة للسكنى وأكثر جمالا وقد وضعنا برامج لتطوير المناطق النائية في سيبيريا والشرق الأدنى السوفيتي بما فيها من موارد لاتحصى ويدرك كل مواطن سوفيتي أن تحقيق هذه الخطط يتطلب السلام فوق كل شيء وكذلك التعاون السلمي مع الدول الأخرى (×) » .

وأكد برجينيف أكثر الى مستمعيه على عنصر التعايش السلمي في السياسة الخارجية السوفيتية وارتباطها باحتياجات المجتمع السوفيتي بقوله « لقد حاولت أن أصف باختصار الأفكار والخطط التي تشغل حياة الشعب السوفيتي والتي تفسر طبيعة السياسة الخارجية السوفيتية . أن أهدافها السلمية تنطلق من جوهر مجتمعنا وليس مصادفة أن فكرة التعايش السلمي والتي تصبح بشكل متزايد ومعترف به الأساس لتطوير العلاقات بين الدول ذات النظم المختلفة قد وضعها مؤسس دولتنا لينين(١)

---

(١) Kisging's Archive, 1973, pp. 25997-8.

(×) في هذا يقرر برجنيف بوضوح أمام المؤتمر الرابع والعشرين للحزب « اذا كان الموقف من انتاج السلع الاستهلاكية مفهوما في ظروف مسابقة حين كانت مهام أخرى في المقدمة ، الا أنه غير مفهوم في الظروف الحالية ، واذا ما اتجه البعض الى تجاهل هذا فان الحزب له الحق في أن يعتبر اتجاههم نابعا اما من الفشل في فهم جوهر السياسة المتجهه الى الارتفاع الثابت لمستويات المعيشة ، أو لاثبات عدم فعاليتهم » .
24th Congress of the Cusu. Information Bulletin. No. 7-8 Moscow, 1971, p. 63.

المبحث الثانى

حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط
اختبار للوفاق

جاء مؤتمر القمة السوفيتى الأمريكى الثانى لكى يواصل روح التفاؤل التى أشاعها مؤتمر القمة ادول فى موسكو حول العلاقات السوفيتية الامريكية والاتجاه الايجابى الذى تسير فيه على الاقل فى أعين الرسميين فى كلا البلدين • ومع خريف عام ١٩٧٣ ، بدا المسرح الدولى باعثا على التطلع الى فرص جديدة وخاصة بعد اتفاقية انهاء الحرب فى فيتنام وانعقاد المؤتمر الدولى الذى أيد ووافق على الاتفاقية ، وهكذا ورغم أن الوفاق كان مازال هشا ، الا أن ميزان الحرارة الدولى لم يكن ينذر بأى عاصفة ، وكان كل شىء يبشر بمزيد من تطبيع العلاقات بين القوتين حين وجدا نفسيهما فجأة يواجهان أزمة كبيرة تهدد كل ما انجز فى الأعوام الأخيرة وذلك باشتعال الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ • وقد حركت هذه الحرب وتطوراتها وادوار القوتين فيها نقاشا حادا حول مزايا الوفاق الحقيقية وأثار الدور السوفيتى فيها على وجه أخص جدلا واسعا فى الولايات المتحدة حول حدود وقوة الوفاق السوفيتى الأمريكى ومدى التزام الجانب السوفيتى خلال الأزمة بالمبادىء التى اتفقت عليها القوتين لادارة مثل هذه الأزمات بما يتفق وروح وأهداف الوفاق ، ولمدى كبير فان كلا من مؤيدى ومنتقدى الوفاق أصبحوا ينظرون الى حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط كحالة اختبار خطير للوفاق (١) •
Serious Proving ground,

وقد كان من الواضح أن كلا من الإتحاد السوفيتى والولايات المتحدة لم يتمكنا خلال اجتماعى القمة الأول والثانى فى كل من موسكو

(١): Kohler, Foy, and others, « The Soviet union and the October 1973 middle East war, the implications of detente » Center for advanced International studies, 1977, 8-1.

وواشنطون من التوصل الى اتفاق حول أســاليب محددة لحل أزمه الشرق الاوسط واكتفيا فى مؤتمر القمة الأول (*) « بأعادة تأكيد تأييدهم لتسوية سلمية فى الشرق الأوسط وفقا لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ .. » كما عبرا عن تأييدهما لجهود ممثل الأمم المتحدة جونار يارنج واستعدادهم للقيام بدور هام فى تحقيق هذه التسوية ، واعتبرا ان تحققها « ســوف يفتح امكانيات تطبيع الموقف فى الشرق الأوســط وســوف يتيح بوجه خاص النظر فى خطوات أكثر فى اجراء استرخاء عســكرى فى الشرق الأوسط » (١) (**) .

---

(١) Kissing's Archive, 1972, p. 25315.

(*) ساهمت هذه المعالجة من جانب القوتين لأزمة الشرق الأوسط فى اقناع القيادة المصرية بعدم مقدرتهما على تحقيق تسوية سلمية للمشكلة . وفى رواية الرئيس أنور السادات للتطورات التى حملته على القيام بحرب اكتوبر قال « انه بعد زيارة نيكســون للاتحاد السوفيتى عام ١٩٧٢ وصدور أول بيان وفاقى بين موســكو وواشــنطون يقول بالاسترخاء العسكرى .. وكان صدمة عنيفة لنا .. ثم جاءنى التحليل الســوفيتى بعد اللقاء مع نيكسون .. وكان التحليل السوفيتى يوضح انه لم يحدث أى تقدم بالنسبة لقضية الشرق الأوسط مع أمريكا .. » (أنور السادات : البحث عن الذات : المكتب المصرى الحديث ١٩٧٨ . صفحة ٣١١ - ٣١٢) .

(**) يقول هنرى كيسنجر أن الولايات المتحدة قد تعهدت أن يصدر البيان المشترك فيما يتعلق بالشرق الأوسط « على أكثر الصور اعتدالا .. » ، اذ أن ذلك من شأنه أن يقنع القادة العرب - على الأقل المعتدلين منهم - بأن الســوفييت غير قادرين على تحقيق تسوية ، وأن خلق مثل هذا الموقف هو ما كانت تعمل له الولايات المتحدة منذ ثلاث ســنوات .

ومن ناحية أخرى ، اتفق كلا من جروميكو وكيسنجر على «مبادىء عامة» ، لم تعلن ، تكون كاساس تسوية فى الشرق الأوسط :

١ - أن التسوية النهائية يجب أن تكون شاملة تغطى كل الأطراف والمشاكل . وهذا لا يمنع أن يحدث التطبيق على مراحل وأن تحل بعض المشكلات على اساس من الأولوية .

٢ - يجب أن تتضمن التســوية مواد تنص على انســحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ .

٣ - أى تعديلات فى الحدود قد تجرى يجب أن تنشأ عن إتفاق ادارى بين الأطراف المعنية .

٤ - يمكن أن تتضمن اتفاقيات متبادلة حول الأمن مناطق منزوعة السلاح ، والمرابطة المؤقتة لأفراد من الأمم المتحدة فى شرم الشيخ وتأثر الضمانات الدولية فعالية بالاشتراك المناسب من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة .

٥ - يجب أن تؤدى الاتفاقية الى انهاء حالة الحرب واقامة السلام . =

وفى مؤتمر القمــة الثانى « عبرا عن اهتمامهما العميق بالموقف فى الشرق الاوسط وتبادلا وجهات النظر فيما يتعلق بطرق التوصل لتسويه فى الشرق الأوسط ، كما وافق الجانبان على الاستمرار فى ممارســـــة جهودهما المتوصل الى تسوية باسرع ما يمكن فى الشرق الأوسط ، وان هذه التسوية يجب أن تكون متفقة مع مصالح كل الدول فى المنطقه ومع استقلالها وسيادتها ويجب ان تأخذ فى الاعتبار الواجب المصالح المشروعة للشعب الفلسطينى » (١) ٠

وفى الوقت الـذى كان مسلما به بشكل عام ان النزاع العــربى الاسرائيلى الطويل قد اتجــه الى تقليل الاختيارات القائمة أمام الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وبعد ان اســـتقطبت مواقفهم فى تأييد حلفائهم المتنازعين ، الا أن الموقف الذى تطور فى المنطقة منذ عام ١٩٧٠ لم يبد انه متعارض مع المصالح السوفيتية والأمريكية ومن ثم مع وفاق فعال بينهما ٠ وبشكل محدد فقد كانت ثمة افتراضات حول السلوك السوفيتى فى الشرق الأوسط فيما قبل حرب أكتوبر تضمنت الآتى : ـ

١ ـ انه بالنظر الى المشكلات التى لم تحل بعد فى العلاقات بين البلدين مثل التجارة والاستثمارات الأمريكية فى الاتحـــاد السوفيتى والمفاوضات الجارية حول الحد من الأسلحة الاستراتيجية والخفض المتوازن للقوات فى أوربا ومؤتمر الأمن والتعاون الأوربى فان مع بقاء واستمرار هذه المسائل فان الاتحاد السوفيتى لا يســـتطيع السماح بقيام أزمة فى الشرق الأوســـط تعرض للخطر امكان التوصل الى نتائج ايجابية حول هذه القضايا ومن ثم الوفاق فى مجموعه ٠

= ٦ ـ يجب تأكيد حرية الملاحة فى مضايق تيران وقناة السويس بما يتفق بشكل كامل مع السيادة المصرية على القناة ٠

٧ ـ الاعتراف باستقلال وسيادة كل الدول فى الشرق الأوسط بما فيها اسرائيل واحد من المبادىء الرئيسية التى يجب أن تقام عليها التسوية ٠

نقاط منفردة :

ـ ان موقف الولايات المتحدة هو أن اتمام الاتفاقيات يجب أن يتضمن فى بعض المراحل التفاوض بين الموقعين ٠

ـ ان موقف الاتحاد السوفيتى هو أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين يجب أن تحل على أساس عادل ووفقا لقرارات الأمم المتحدة ٠

(١) Kissinger, « The white House Years », op. cit., pp. 1247, 1253, 1494. Kigsing's Archive, 1973, p. 26002.

٢ — ان الاتحاد السوفيتى كان على وعى كامل بالمصالح الأمريكية وحساسية امريكا للتطورات فى الشرق الأوسط ، ولهذا تيقن السوفيت من الخطورة المتزايدة لمواجهة امريكية سوفيتية ٠

٣ — لم يكن لدى الاتحاد السوفيتى ثقة كبيرة فى قدرة العرب على شن حرب ناجحة ضد اسرائيل وكانت المساعدة العسكرية السوفيتية للعرب فى المحل الأول هى لدعم قدراتهم الدفاعية ٠

لذلك وبالنظر الى هذه الافتراضات المسبقة فان اشتعال حرب أكتوبر والارتباط السوفيتى الظاهر فيها قد أدهش الولايات المتحدة ٠ـ وقد اعترف كيسنجر فى مؤتمره الصحفى فى ١٢ أكتوبر « بأنه كان هناك ميل لطابقة الحقائق مع المفاهيم المسبقة وجعلها متماسكة مع ما هو متوقع ٠٠ فاذا ما بدأت من افتراض ان الحرب غير محتملة فسوف ينشأ اتجاه الى جعل الحقائق القائمة ملائمة لنظرياتك المتصورة سلفا » (١) ٠

وعندما اشتعلت الحرب ظهر أول رد فعل رسمى سوفيتى يوم الأحد ٧ أكتوبر فى بيان لم يناقش من الذى بدأ بالحرب « كنتيجة لغياب التسوية السياسية فان العمل العسكرى قد انفجر مرة أخرى فى الشرق الأوسط ٠٠ ولعدة سنوات الآن فان اسرائيل التى تستمتع بتأييد الدوائر الامبريالية قد زادت بشكل دائم من التوتر فى الشرق الاوسط ان المسئولية فى التطور الأخير للاحداث فى الشرق الأوسط تقع كلية وبشكل كامل على اسرائيل وعلى الدوائر الخارجية الرجعية التى تشجعها بصفة دائمة فى تطلعاتها العدوانية » (٢) ٠

وفى الأيام الأولى من الحرب بدا ان القادة السوفيتت قد شعروا انه وان كان من الواجب قيام عمل منسق بين القوتين الا أنه من الواجب الانتظار قليلا حتى يتبين الموقف ٠ وفى هذا الوقت لم يكن برجينيف يتفق مع الرئيس نيكسون فى وجوب عقد مجلس الأمن مالم يعرف فقط ما يراد عمله (٣)٠

وقد بدأ الارتباط السوفيتى السياسى والعسكرى بحرب الشرق الأوسط فى اتجاه تأييد العرب برسالة بعث بها برجينيف الى الرئيس

---

(١) Kohler, « The Soviet union and the october M. E. war », op. cit., pp. 5-0.

(٢) Laquer, walter, «Confrontation, the middle East war and world politics »,wild-wood House, 1974, p. 168

(٣) — Ibid, p. 143.

الجزائرى بومدين يقول فيها « ٠٠ اننى اعتقـــد انك توافق على ان النضال الذى يشن الآن ضد المعتدى الاسرائيلى لتحرير الأراضي العربيه المحتلة منذ سنه ١٩٦٧ وحماية الحقوق المشروعة لشـعب فلسطين انما يؤثر فى المصالح الحيوية لكل الشعوب العربية ٠ ومن وجهة نظرنا فانه يجب أن يكون هناك تضامن عربى وثيق اليوم أكثر من أى وقت مضى ٠ ان سوريا ومصر يجب ان لا يظلا وحدهما فى النضال ضد العدو الخائن ٠ ان الحاجة ماسة لتقديم التأييد على أوسع نطـــاق للنظم التقدمية فى هذه الاقطار والتى هى مثل الجزائر العمود الفقرى للحرية والتقدم فى العالم العربى ٠

« ان اللجنة المركزية للحزب الشـــيوعى السوفيتى والحـــــكومة السوفيتية مقتنعين بشكل عميق ان القادة الجزائريين يتفهمون التعقد الشامل للموقف الراهن وانه استرشادا بمثل التضامن الأخوى فانهم ســـوف يســـتخدمون كل امكانياتهم ويتخذون الاجراءات اللازمة لتقديم تأييدهم لسوريا ومصر فى نضالهم الصـــــعب الذى املاه العدوان الاسرائيلى » (١) ٠

وكان برجينيف قد أكد التأييد السوفيتى للعرب فى خطاب له فى ٨ أكتـوبر أمام رئيس الوزراء اليـابانى « ان ما يجرى الآن فى الشرق الأوسط هو معركة بين اسرائيل المعتدية ومصر وسوريا ضحايا العدوان الذين يجاهدون لتحرير أراضـــيهم ٠ ومن الطبيعى ان تكون كل عواطفنا الى جانب ضحايا العدوان » ٠ كما عبر رئيس الوزراء كوسيجين خلال حفل لرئيس وزراء الدانمرك الزائر فى ١٥ أكتوبر عن نفس الموقف فقال « ان التضامن مع شعوب مصر وسوريا والشعوب العربية الأخرى المدافعه عن حقوقها الشرعية ومصالحها ضد المعتدى الاسرائيلى والاهتمام باقامة سلام عادل ، كل هذا يشكل جوهر موقفنا فى الشرق الأوسط ٠ ان أعمالنا هناك تستهدف مساعدة الشعوب العربية على تحرير أراضيها التى تحتلها اسرائيل والوصول الى تسوية سياسية عادلة وتدعيم استقلالهم وخلق اقتصاد وطنى مزدهر والتطور على طريق التقدم ٠ وعلى هدى هذا فسوف نستمر فى تدعيم التضامن مع الشعوب العربية فى نضالها العادل » (٢) ٠

---

(١) — Kohler, « the soviet Union and the October M. E. war. », op. cit., p. 59.

(٢) — Pravda, October; 16, 1973, reprinted in Daily Review (NPA), October 17.

وعلى المستوى العسكرى خلال الحرب فقد أقام الاتحاد السوفيتى جسرا جويا وبحريا لتزويد مصر وسوريا بالسلاح وذلك بالجسر الجوى الذى بدأه يوم ٩ أكتوبر ، وفى اليوم الرابع لاشتعال الحرب وفى الوقت الذى كانت فيه الجيوش العربية وخاصة مصر تبدو فى اداء جيد ٠ أما الجسر البحرى والذى يبدو أنه كان قد بدأ قبل اشتعال الحرب فقد تزايد خلال القتال بمعدات ثقيلة بدأت تصل سوريا بالبحر فى ١٠ أكتوبر ورغم ان حكومة الولايات المتحدة عرضت وقف مجهود هذه فى اعادة تزويد اسرائيل بالسلاح اذا ما فعل الاتحاد السوفيتى نفس الشىء فان هذا العرض قد قوبل بالتجاهل من موسكو ٠ ومن ناحية أخرى أخذت أشكال الأسلحة التى بعث بها الاتحاد السوفيتى الى مصر وسوريا خلال الحرب مستوى أكثر تقدما بتقديم عدد لم يحدد من صواريخ Scud لمصر والذى كان نطاقها يسمح بضرب تل أبيب من الأراضى المصرية وقد يفسر هذا تهديد الرئيس السادات فى ١٦ أكتوبر ان مصر تملك صواريخ قادرة على الضرب فى عمق اسرائيل (١) ٠

أما الموقف الأمريكى خلال الحرب فانه مع انتهاء الأسبوع الأول من القتال كانت السياسة الأمريكية مازالت تميل الى التقليل من أهميه ومدى الامدادات السوفيتية الى العرب وان لا تنتقد العرب أو السوفيت بشكل مباشر كما لم تكن الولايات المتحدة تريد التورط فى الحرب ، ذلك ان التأييد العلنى لاسرائيل سوف يعرض للخطر المصالح الأمريكية فى العربية السعودية واجزاء أخرى من الشرق الأوسط (٢) ٠

غير ان السوفيت بعد ان تجاهلوا النداءات الأمريكية فى الأيام الخمسة عشر الأولى من الحرب وحين أدركوا جدية التحذيرات الأمريكية وخشوا من تحول سير العمليات العسكرية فى صالح اسرائيل فان تحولا بدأ يحدث فى الاتجاه السوفيتى ، والواقع انه من الصعب الحكم عما اذا كان هذا التحول قد حدث نتيجة ان المد قد تحول فى المعارك لصالح اسرائيل أو نتيجة لما بدأت واشنطون تعبر عنه بشكل جاد من أن الوفاق يمر بمراحل خطيرة تتهدده (٣) وقول كيسنجر فى مؤتمر صحفى « اننا سنقاوم السياسات العدوانية الأجنبية فالوفاق لا يمكن ان يصمد أمام عدم

---

(١) Kohler, « The Soviet union and the October M.E. war », op. cit., p. 65.

(٢) — Laquer, « Confrontation », op. cit., p. 145.

(٣) — Ibid, p. 150.

المسئولية فى أى منطقة بما فيها الشرق الأوسط » ، وكانت الولايات المتحدة قد بدأت جسرها الجوى لامداد اسرائيل بالسلاح يوم ١٣ أكتوبر ، و ١٩ أكتوبر قدم نيكسون مشروع قانون الى الكونجرس يطلب منه اعتماد ٢ر٢ بليون دولار لاسرائيل (١) ٠

وقد بدأت التحركات السياسية السوفيتية يوم ١٦ أكتوبر حين وصل رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجين الى القاهرة حيث أمضى ثلاثة أيام ، ومن ناحية أخرى دعا بريجينيف هنرى كيسنجر لزيارة موسكو يوم ٢٠ أكتوبر حيث توصل الجانبان الى مشروع قرار قدم الى مجلس الأمن فى ٢٢ أكتوبر يدعو الى الوقف العاجل لاطلاق النار وتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ٠

ويعقب بعض الباحثين على هذه الجهود السوفيتية بأنها وان كانت مدفوعة الى حد ما بتأزم الوضع العسكرى للجانب العربى ، الا أنها كانت أيضا مدفوعة بالرغبة فى المحافظة على الوفاق وأكثر من هذا الى استخدامه كأساس لعمل مشترك بين القوتين لادارة الأزمة ، الأمر الذى يجعل هؤلاء الباحثين الى وصف هذه المرحلة فى الاتصالات السوفيتية الأمريكية حول الأزمة بأنها (٢) ٠

وقد قبل طرفا النزاع القرار الذى أدى الى وقف اطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ٠ غير ان اسرائيل ما لبثت ان خرقت وقف اطلاق النار الأمر الذى أدى الى ان تتقدم القوتين بمشروع قرار مشترك آخر يدعو الى الانسحاب الى مواقع ٢٢ أكتوبر وهو القرار الذى رفضت اسرائيل أن تستجيب اليه٠ وعند هذه النقطة عاد التنسيق والتشاور السوفيتى الأمريكى الذى بدأ بزيارة هنرى كيسنجر لموسكو فى ٢٠ أكتوبر وصـــدور قرارى مجلس الأمن رقمى ٣٨٣ ، ٣٨٤ نتيجة تعاون بين البلدين بدأ يتعرض لأزمة بل ويتطور الى احتمالات مواجهة بين القوتين ٠

فعندما رفضت اسرائيل الانصياع الى قرار مجلس الأمن الداعى الى العودة الى حدود ومواقع ٢٢ أكتوبر وجـه الرئيس السادات نداء الى كل من الحكومتين السوفيتية والأمريكية لارسال قوة سوفيتية أمريكية مشـتركة الى الشرق الأوسط للاشراف على تنفيــذ قرار مجلس الأمن الثانى لتحقيق الانسحاب الى خطوط ٢٢ أكتوبر (*) ٠ وقد أشـــار

---

(١) — Edmonds, « Soviet foreign policy, 1962-1973 », op. cit., p. 145.

(٢) Bell, Coral, « The diformacy of Detente », op. cit., p. 86.

(*) عند صدور هذا النداء أعلن الاتحاد السوفيتى « ان الرئيس السادات قد طلب من كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ارسال ممثلهم الى منطقة العمليات =

برجينيف فى خطاب لم ينشر الى نيكســـون ، وان كان يبدو انه كان ذا لهجة قوية ، الى ان الولايات المتحدة عليها اما ان تقبل هذا الاقتراح او أن تخاطر بان ترىالاتحاد السوفيتي يتصرف بمفرده بارسال قواته الى الشرق الأوسط (*) • وقد أجاب كيسنجر « بان الولايات المتحدة لا تحبذ ولن توافق على ارسال قوات سوفيتية أمريكية مشـتركة الى الشرق الأوسط • فانه من غير المتصور أن نزرع خلافات القوتين العظميين فى الشرق الأوسط أو ان نفرض سيطرة ســـوفيتية أمريكية ان الولايات المتحدة تعارض أى ادخال انفرادى لقوات عسكرية فى الشرق الأوسط وخاصة من قوة نووية باى شكل أو تحت أى ستار (١) •

على انه على الرغم من رد الفعل الأمريكى هذا تجاه ارسال قوات أمريكية مشتركة أو قوات منفردة من احدى القوتين الى الشرق الأوسط فانه يبدو ان ثمة تحركات عسكرية سوفيتية واضحة قامت بها القيادة السوفيتية العليا قد تركت الانطباع لدى الأمريكيين عن احتمال أقدام

= الحربية لمراعاة تطبيق قرار مجلس الأمن موقف اطلاق النار • وقد عبرنا عن استعدادنا لتحقيق طلب مصر وبعثنا بالفعل بهؤلاء الممثلين ونحن نامل أن تفعل الولايات المتحدة ذلك أيضا وفى نفس الوقت فان الاتحاد السوفيتى يبحث وسائل أخرى ممكنة مما قد يتطلبها الموقف •

The current digest of soviet Press, No. 43, V. XXX, November 21, 1973, p. 3

(★) عند انقضاء أحداث اكتوبر علق نيكسون على هذا الخطاب بالقول •• « اننى يمكن أن أصف هذا الخطاب بانه كان صارما جدا ولم يترك مجالا للخيال فيما يتعلق بما ينوى برجينيف أن يفعله • كذلك كان ردى صارما جدا ولم يترك مجالا للخيال حول أسلوب تصرفنا • ولأن كلانا يعرف الآخر ولاننا قد أقمنا هذه العلاقة الشخصية فقد نتج عند هذه الخطابات المبادلة التسوية لا المواجهة » •

(١) أبدى الاتحاد السوفيتى خلال أزمة السويس عام ١٩٥٦ نفس الاتجاه ، اذ دعا الولايات المتحدة الى القيام بعمل مشترك لوقف العدوان فى الشرق الأوسط ، واقترح فى ذلك مشروع قرار قدمه الى مجلس الأمن فى ٥ نوفمبر طالب « بان تقدم الدول للاعضاء فى الأمم المتحدة ، وفى المقام الأول الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى المساعدة لضحية العدوان بارسال قوات جوية وبحرية ومتطوعين •• » ، كما أوضحت رسالة من بولجانين الى ايزنهاور هذا الاتجاه بشكل أكثر حين ذكرت « •• ان الحكومة السوفيتية تقترح على حكومة الولايات المتحدة أقامه تعاون أوثق لصد العدوان ومنع مزيد من اراقة الدماء » • الا أن الولايات المتحدة رفضت هذا الاقتراح راجع :

Holbraad, Garston, « Super froces and International Conflicts », pp. 21, 23.

(١) Bell, Coral, « The October Middle East war », International Affairs. London, No. 4, October 1974, p. 536.

السوفيت على اقامة جسر جوى لارسال قوات محـــــاربة الى الشرق الأوسط (١) ·· وأدى هذا الى ان يعلن وزير الدفاع الأمريكى شلزنجر فى ٢٥ أكتوبر حالة التأهب العــــالى Def Con three للقوات العسكرية الأمريــــكية (*) ·· وقد فسر شــــلزنجر فيما بعد

بواعث الولايات المتحدة على اعلان حالة التاهب تلك بالآتى : - (★★)

أ ـ مضاعفة حجم الاسطول السوفيتى فى البحر المتوسط ·

ب ـ اعلان حالة التأهب لقوات الانزال السوفيتية ·

جـ ـ اعداد طائرات نقل القوات ·

غير ان السبب الرئيسى لاعلان حالة التأهب من جانب الولايات المتحدة وفقا لتفسير شلزنجر كان « دبلوماسيا » حيث كانت هى الوسيله الوحيدة المأمونة للتأكد من أن السوفيت لن يرسلوا قوات (٢) ·

(★) يفسر البعض الانطباع الذى نشـــأ لدى الولايات المتحدة عن اعداد موســـكو لارسال قوات الى الشرق الأوسط من الرسائل التى تبودلت يوم ٢٤ اكتوبر بين الرئيسين الأسد والسادات حول القوات السوفيتية والتى كانت تعنى بها مصر مراقبين للاشراف على وقف اطلاق النار · وقد اعقب هذا اجتماع « لمجموعة عمل خاصة » لمجلس الأمن القومى الأمريكى التى رات دلائل محددة على أن الروس فى سبيلهم الى التدخل بالقوة · بالاضافة الى ما أوحت به مراسلات الرئيسين السادات والأسد ـ والتى توصلت أمريكا بالتأكيد الى حل شفرتها · ربما كانت هناك مناورات قامت بها قوات حلف وارسو وهو أمر طبيعى مثل هذه الظروف · يضاف الى كل هذا حديث برجينيف الى نيكسون من خلال الخطر الساخن والذى أخبره فيه أنه أن لم يستجيب الاسرائيليين لوقف اطلاق النار فالعمل موسكو وواشنطون لفرضه واذا دعت الضرورة بالقوة وهو الحديث الذى اعتبرته واشنطون عنيفا جدا وذكر كيسنجر بازمة السويس عام ١٩٥٦ وبالانذار السوفيتى عنئذ راجع :
Hikel, M. H., « The Road to Ramdan » Collins, London, 1975, p. 253-254.

(★★) تعرض اعلان حالة التأهب للانتقاد من جانب البعض فى الولايات المتحدة حيث اعتبروه اجراء مبالغا فيه اتخذه نيكسون لتدعيم مكانته الداخلية وقد عقب كيسنجر على ذلك بقوله « اننا نحاول أن نمارس السياسة الخارجية للولايات المتحدة وفقا لما ندين به لا للناخبين وانما للأجيال القادمة وانه لمن أعراض ما يحدث لبلدنا ما يظن من أن الولايات المتحدة تعلن التاهب لفواتها لأسباب داخلية ·· اننى على ثقة مطلقة من انه سوف يرى أن الرئيس لم يكن له خيار آخر كقائد وطنى مسئول ·· »

(١) Mories, Rogres, « Kissinger and American foreign Policy, uncertain greatness », Harper and Row, New York, London, 1977, p. 247-248.

(٢) Laquer, « Confrontation.. », op. cit., p. 178.

وقد جاء رد الفعل السوفيتي ازاء اعلان حالة التاهب الأمريكى فى بيان اذاعته وكالة تاس السوفيتية يوم ٢٨ أكتوبر قالت فيه « اتصـــالا بالأحداث فى الشرق الأوسط ظهرت فى واشنطون تقارير عن حالة تاهب للقوات المسلحة الأمريكية فى بعض المناطق بما فيها أوربا . وفى محاولة لتبرير هذه الخطوة اشار الرسميون لبعض أعمال للاتحاد السوفيتى التى ادعوا انها سببت القلق ٠ ان تاس مخولة لان تعلن ان مثل هذه الايضاحات هى ايضاحات سخيفة طالما ان افعال الاتحاد السوفيتى تهدف فقط الى دفع تطبيق قرار مجلس الأمن حول وقف اطلاق النار واعادة الســـلام فى الشرق الاوسط ٠ ان هذه الخطوة من جانب الولايات المتحدة التى لا تخدم بأى حال الوفاق الدولى قد اتخذت بشكل واضح لاخافة الاتحاد السوفيتى ٠ ولكن هؤلاء الذين وراء هذه الخطوة يجب ان يقال لهم انهم اختاروا العنوان الخاطىء » (١) ٠

وكانت الولايات المتحدة قد رفعت بشكل جزئى حالة التاهب على اثر اتفاق بين موسكو وواشنطون حين وافق مجلس الأمن وبدون مناقشة مناقشة تقريباعلى قرار تبنته ثمانية دول من مجموعة عدم الانحياز يقضى بان لا تشترك دول مجلس الأمن الدائمين فى قوات حفظ السلام وجاء التصـويت على هذا القرار بأغلبية ١٤ صـوتا وامتناع الصين الشعبية وفى نفس اليـوم أعلن برجينيف ان موسـكو ســوف ترسـل ممثلين Representatives من الضــباط الكبـــار يرتـدون الملابس المدنيـــة الأمر الذى يبعدهم كثيرا عن التدخل ، كما أعربت الولايات المتحدة انها سترسل عددا صغيرا من المراقبين Observers اذا ما طلب منها فالدهايم ذلك ٠ وهكذا وكما عبر الرئيس الأمريكى ، تلاشت « أصعب أزمة واجهت البلدين منذ الصواريخ الكوبية» (٢) ٠

وعند التمعن فى معانى ودلالات حرب أكتوبر بالنســـبة للوفاق الأمريكى السوفيتى ، واذا ما استخدمنا كيفية ادارة القوتين لعلاقاتهمـا خلال حل الأزمة لكى نرى الى أى حد التزما بالمبادىء والاتفاقيات التى أرسياها كأسس وقواعد توجه علاقاتهما فى مثل هذه الأزمات ، فى سبيل هذا فان علينا محاولة الاجابة على عدد من الأسئلة التى اثارتها حرب أكتوبر فيما يتعلق بأدوار القوتين فيها : ـ

(١) Daily Review, (NAP), Moscow. October, 29, 1973.

(٢) Laquer, « Confrontation », op. cit., p. 178.

– الى أى حد تصرف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وفقا لما التزما به فى مبادىء العلاقات واتفاقية منع الحرب النووية من « ان يتصرف الطرفان بالشكل الذى يمنع تطور المواقف التى من شأنها ان تسبب تناقما خطيرا فى علاقاتهم (المـــادة ١ من اتفاقية منع الحرب النووية) ومن ان « يفعلوا كل ما فى طاقتهم حتى لا تثور صراعات ومواقف قد تزيد من التوتر الدولى (المادة ٣ من المبادىء الرئيسية للعلاقات) ٠

٢ – بمجرد نشوء الأزمة ، باى سرعة دخلت حـــكومتى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى « فى مشاورات عاجلة مع بعضهما البعض » ؟

٣ – ما هى بالتحديد سلسلة الأحـداث التى جرت ما بين زيارة كيسنجر لموسكو وبين وقف اطلاق النار الثانى بعد خمسة أيام ٠ وبوجه خاص هل اســاءت كلا من الولايات المتحدة والاتحــاد السوفيتى فهم نوايا الآخر فى أى نقطة خلال تلك الفترة الحرجة ٠ ؟ (١)

وتنطوى هذه الأسئلة فى الواقع وتعبر عما ساد خلال وبعـــد حرب أكتوبر فى الولايات المتحدة من انتقاد الاتحاد السوفيتى لما عبر عنه أحـد سفراء الولايات المتحدة فى موسكو بقوله « انى أشعر انه فى الشرق الأوسط فان دور السوفيت لم يكن مساعدا ، فعندما نشبت حرب أكتوبر فقد خرقوا بشـــكل خطير اعلان المبادىء الذى توصلنا اليه عام ١٩٧٢ ، ولا أقول انهم بالضرورة قد رتبوا بدء القتال ولكنى أشعر انهم كانوا على علم بالتحركات العربية ولذلك كان عليهم ان يبلغونا وفقا لالتزاماتهم فى اعلان المبادىء » (٢) ٠

وفى تحليل هذه الاتهامات والدفاع السوفيتى عن موقفه فسنجد ان الاتحاد السوفينى يعتبر انه عملا بمبادىء العلاقات القائلة بوجوب منع تطور المواقف التى قد تسبب تفاقما فى علاقات القوتين فانه قد حذر مرارا الولايات المتحدة من الموقف الخطير والمتفجر فى الشرق الأوسط ، وهو ما عبر عنه برجينيف ومؤتمر قوى السلام فى موسكو فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ من انه « خلال السنوات القليلة الماضية حذر الاتحاد السوفيتى

---

(١) — Edmonds, « Soviet foreign policy.. », op. cit.

(٢) — Newsweek, July 25, 1977.

مرارا وتكرارا الولايات المتحدة من ان الموقف في الشرق الأوسط خطير وبشكل يهدد بالانفجار » (١) (*) ٠

كما رد على ذلك أحد الدبلوماسيين السوفيت فى مؤتمر صحفى فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٧٣ من انه مع بداية لقاء برجينيف مع نيكسون فى موسكو فى ٢١ يونيو سنة ١٩٧٢ عمل كبار الرسميين السوفيت على تحذير الرسميين الأمريكيين بما فيهم كيسنجر من انه مالم تنسحب اسرائيل من الأراضى العربية فان حربا جديدة فى الشرق الأوسط قد لا يمكن تجنبها (٢) ٠

أما الرد الأمريكى على ذلك فانه يؤكد ان التحذيرات السوفيتية كانت فى معانى عامة ولا توحى بان الحرب وشيكة فضلا عن ان الاتحاد السوفيتى لم يوجه أى تحذير خلال الشهر الذى سبق الهجوم(**) ولا حتى حين شرعت موسكو فى اجلاء الرعايا السوفيت من مصر وسوريا ٠

والتساؤل حول هذه النقطة يدور حول ما اذا كانت هذه الاشارات

---

(١) Daily Review. (NPA — MOSCOW) october 27, 1973 New York Times. December 20, 1973.

(×) نجد تاكيدا لذلك فى مذكرات نيكسون عن اجتماعه الثانى فى واشنطون بالزعيم السوفيتى برجينيف . وقوله انه خلال تعرضهم لأزمة الشرق الأوسط ربط برجينيف اصراره على وجوب توصل القوتين الى مبادىء لتحكم أى تسوية بالتلميح انه بدون الاتفاق حتى ولو الشكل غير رسمى على مثـ هذه المبادىء فانه لا يضمن أن الحرب لن تشتعل ٠

وقد عاد برجينيف الى هذه النقطة خلال زيارة نيكسون الثانية لموسكو ـ يونيو ١٩٧٤ ـ فقال انه رغم أن توقعهقد تحقق ، فانه لم يكن يتوقع هجوما عربيا حين حذر من انفجار الموقف ، وأنهم ـ أى السوفييت ـ فى الواقع قد فعلوا كل شيىء لوقفة ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك ٠

Nikson, Richard «The Memoirs of Richard Nikson», op. cit., pp. 885, 1031

(٢)

(★★) كانت آخر الاشارات السوفيتية الى خطورة الموقف فى الشرق الأوسط قد جاءت فى خطاب جروميكو فى الأمم المتحدة فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٧٣ والذى قال فيه أن من الجوهرى ايجاد حل لمشكلات الشرق الأدنى ٠ ان الحوادث الأخيرة المرتبطة بالتصرفات الاجرامية الاسرائيلية ضد الأقطار العربية تظهر مدى جدية الخطر والى أى مدى يذهب القادة الاسرائيليين فى سياستهم الشريرة أن المسئولية التى تقع على المعتدين يشاركهم فيها كل الذين يؤيدونهم ويعطون لاسرائيل الفرصة لتحدى قرارات الأمم المتحدة ٠٠ ان القادة الاسرائيليين يجب أن يعلموا أنه فى التحليل الأخير فان هذه المغامرة لابد أن تاتى بالندم فى أعقابها » ٠٠ راجع :

The Soviet union and the October M. E. wat», op. cit., p. 87.

يعتبر تحذيرا ؟ ويأخذ منتقدى الاتحاد السوفيتي عليه بأنه لم يكن محددا ون البيانات السوفيتية تلك بمزاوجتها التأكيدات بالحالة المتغيره فى الشرق الأوسط بمطالبة اسرائيل بالانسحاب ودعوة الأمم المتحدة للقيام بعمل ما فان الاتحاد السوفيتى لم يكن يحذر الولايات المتحدة بشكل أكيد أكثر من محاولة اقناعها بالضغط على اسرائيل من أجل التسويه وباعتبار استعداد الولايات المتحدة لاستبعاد احتمال هجوم عربى على اسرائيل فانه لم يكن مدهشا ان تتجاهل هذه التحذيرات أو أن تأخذها مأخذ الجد . وقد أجاب كيسنجر على سؤال حول ما اذا كان السوفيت يعلمون مقدما بالنوايا العربية فى الهجوم وانهم على هذا كان عليهم تحذير الولايات المتحدة (*) وقال « انه من المبكر جدا اصدار حكم نهائى حول كل هذه المسائل فاذا ما كان الاتحاد السوفيتى قد شجع هذا الهجوم وهو الأمر الذى ليس لدينا الآن أى شهادة عليه فان هذا يجب ان يؤخذ من جانبنا كمسألة خطيرة جدا ، اما اذا كان الاتحاد السوفيتى قد علم عن هذا الهجوم من خلال مخابراته الخاصة أو بطريقة أخرى ولم يخبرنا فهذه مسألة أخرى ، وفى عالم يحكمه المثاليات فان المرء يمكن أن يتوقع مشاورات وثيقة ، ولكن باعتبار اهتزاز الوضع فى الشرق الأوسط فانه سيكون من المسئولية الثقيلة اعلان معلومات حصل عليها » (١) .

أما عن المبدأ الذى التزم به الطرفان فى معاهدة منع الحرب النووية من ضرورة تفادى خلق الظروف التى قد تؤدى الى زيادة التوتر الدولى ومن ثم تفاقم علاقاتهم الدولية فانه فى تقدير المحللين الأمريكيين ان الاتحاد السوفيتى بامداده العرب بالأسلحة الضرورية قد جعل الحرب أمرا ممكنا وان المعدات التى ذود السوفيت العرب بها قد مكنتهم من التغلب على التفوق النوعى الاسرائيلى ، كما ان كمية المعدات بدت مؤكدة للعرب القدرة على الصمود للخسائر الثقيلة بل وحتى التفوق على الدفاعات

(×) تشير رواية الرئيس السادات عن الايام التى سبقت حرب اكتوبر الى أن الاتحاد السوفيتى قد أحيط علما باتجاه مصر الى الحرب وذلك فى مقابلته للسفير السوفيتى فى مصر فى ٣ أكتوبر عام ١٩٣٧ بل ان الرئيس السادات قد كلف الرئيس حافظ الأسد باخبار السوفيت بالموعد وانه بناء على هذا طلبت القيادة السوفيتية يوم ٤ اكتوبر اجلاء الرعايا السوفيت عن مصر .
(أنور السادات : البحث عن الذات : ص ٣٣١ ـ ٣٣٢)

(١) Kohler, « The goviet union and the October M. E. war » op. cit., pp. 87-90.

الاستراتيجية لو كسب حرب استـــنزاف ، كما يؤكدون انه كان من الواضح ان مصر وسوريا لم يكونوا يحصلون على أهدافهم بالوســـائل العسكرية بدون مساعدة متماسكة ومستمرة وعلى نطاق واسع والتى ذهبت أبعد من مستوى امدادات ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢ بحيث احتوت على أنواع جديدة من الأسلحة لم تكن تزود بها الاقطار العربية من قبل (١) ٠

والواقع ان هناك عددا من الكتابات والبيانات السوفيتية وبعض التصريحات المصرية التى يمكن لأصحاب هذا الرأى الاستناد اليها ٠ فقد كتب (ميرسكى) الباحث فى شئون الشرق الأوسط فى معهد العلاقات الدولية والاقتصادية فى موسكو يقول « ٠٠٠ انه قد أصبح واضحا ان القوات المصرية والسورية مزودة بأنواع من الأسلحة لا تملكها اسرائيل ـ وكما اشارت الصحافة الأجنبية فان أغلب الطائرات التى فقدتهـــا اسرائيـــل قد أصيبت بصواريخ ذات تصميم جـديد والتى وقفت ازاءها الفانتوم والسكاى هوك عاجزة بينما حطمت الصواريخ المضادة للدبابات مئات الدبابات الاسرائيلية » (٢) ٠

كما قد بدأت البيانات السوفيتية حول أساليب حل الصراع فى الشرق الأوسط تشير الى اتجاه جديد ، فبعد ان كان واضحا التركيز على ضرورة تحقيق حـل بالوسائل السـلمية بدأت البيانات السوفيتية وبالتحديد بعد زيارة حافظ اسماعيل مســـتشار الأمن القومى المصرى لموسكو فى فبراير سنة ١٩٧٣ تتجه الى الاشـــارة الى حـق العرب فى استخدام كافة الوسائل لتحرير أراضيهم ، فقد ذكر البيان الذى صـدر عن الزيارة « ان الدول العربية لها الحق فى استخدام أى أشكال النضال لتحـرير أراضيها » (٣) ٠٠ وفى ابريل ســـنة ١٩٧٣ أجاب رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجين عن سؤال عما اذا كان الاتحاد السوفيتى قد استأنف تزويد مصر بالأسلحة بقوله « اننـــا نعتقد ان لمصر الحق فى امتلاك جيش قوى من أجل الدفاع عن نفســـها ضد العدوان وتحرير أراضيها » (٤) ٠

على أنه فى نفس الوقت وفى نطاق الجدل الأمريكى حول السلوك

(١) — Ibid,

(٢) — New Times, (Moscow) : New Fact in the middle East, New Times — (Mosco), No. 48 November 30, 1973.

(٣) — Daily Review, (NPA), Feb. 12, 1973.

(٤) — New Times, April, 1973.

السوفيتى خلال حرب أكتوبر ، ثمة عدد من الأمريكيين لا يعتقدون ان الاتحاد السوفيتى قد تصرف بشكل يمثل ابتعادا حقيقيا عن مبـادىء الوفاق ويقدمون فى هذا الحجج الآتية : ـ

١ ـ ان هناك مبالغة فى تقدير قدرة القوتين على الضغط على حلفائهما ٠ ففى حالة اسرائيـل وبسبب التـأييد الذى تتمتع به فى الولايات المتحدة ، فانها قد قاومت بنجاح ان توكل مسئولية أمنها القومى للولايات المتحدة واثبتت انها محصنة نسبيا ضد الضغوط من جانب واشنطون ونفس الموقف ينطبق على علاقة الاتحاد الســوفيتى مع مصر ٠

٢ ـ ان القادة السوفيت قد التزموا بشكل أساسى بالمبادىء التى وقعوها فى موسكو وواشنطون بما فيها التحذير المستمر للولايات المتحدة من احتمال اشتعال الحرب فى الشرق الأوسط ، وهو الأمر الذى تجاهلته الولايات المتحـدة ، كمـا قد تطلع الاتحاد السوفيتى بحق وبأمل فى تغيير سياسة الولايات المتحدة بشكل يمكن أن يجعل من التسوية عن طريق المفاوضات مقبولة من العرب ٠

٣ ـ ان الاتحاد السوفيتى ربما قد تحقق من التكاليف العالية التى ستصيب الموارد السوفيتية وربما مكانتها اذا ما أيد محاولة أخرى لحل عسكرى للصراع العربى الاسرائيلى وهى المحاولة التى قديصعب أن تحقق نتائج حاسمة ٠

٤ ـ وبعبارات أخرى ، فيما يعتقد أصحاب هذا الرأى ، فان حرب الشرق الأوسط كانت انحرافا تناقض مع المصالح السوفيتية وأولويات السياسة السوفيتية الناتجة عن عدم الاســتقرار العميق فى المنطقة (١) ٠

على انه بوجه عـام ، وعلى الرغم من ان الضـغوط التى عرضـت لها حرب أكتوبر علاقات القوتين كانت قاسية ، الا انه فى النهاية فان هذه العلاقة قد صمدت لهذه الضغوط وخرجت منها شبه سليمة (٢) ٠

وأكثر من هذا وبغض النظر عن النقد الذى ثـار فى الولايات المتحدة

---

(١) — Kohler, «The Soviet union and the October M. E. war, op. cit., pp. 5-7.

(٢) — Edmonds, « The Soviet foreign policy », op. cit.,

حول سلوك الاتحاد السوفيتي خلال الأزمة وبانه فضل مصـــــالحه وأرتبــــاطاته على الوفاق ، فان الادارتين فى كلا البلدين قد اعتبرتا ان المحصلة النهائية لهذه الأزمة كانت فى صالح الوفاق • ففى حديث الى مؤتمر صحفى تحدث الرئيس الأمريكى نيكسون حول هذه النقطة فقال « كحقيقة فانه يمكن ان أقول انه بدون الوفاق فانه كان من الممكن ان نواجه صراعا كبيرا فى الشرق الأوسط ولكننا تفاديناه بالوفاق » (١) • وفى موسكو تحدث برجينيف وهو يخاطب مؤتمر قوى الســـلام الذى انعقد فى ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٧٣ بشكل ايجابى عن العلاقات السوفيتية الأمريكية •

وزيادة على ذلك فانه فى هذا الخطاب تطلع للزيارة المقبلة لرئيس الولايات المتحدة الى موسكو « ••• كما هو معروف فان رئيس الولايات المتحدة ينتظر ان يقوم بزيارة للاتحاد السوفيتى عام ١٩٧٤ واننا نود ان تتميز هذه الزيارة بخطوات كبيرة جديدة على طريق تقدم علاقات السلام بين دولتينــــا وتحســـن الموقف الدولى •• » • وحين تحققت هـــذه الزيارة بالفعل قال برجينيف ان العلاقات السوفيتية الأمريكية قد خلقت ظروفا لقدر ما من التقدم نحو تسوية سلمية فى الشرق الأوسط » (٢) •

كما احتوى تعليق سوفيتى توضيحا أكثر بقوله « يستطيع المرء ان يقول بشكل له ما يبرره انه اذا كان انفجار اكتوبر فى الشرق الأوسط قد حدث فى موقف من التوتر الدولى والانقســـام بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فان نزاع الشرق الأوسط ربما كان قد أصبح أكثر خطورة بل واتخذ نطاقا يهدد السلام العالمى • وكما صرح برجينيف فى نوفمبر سنة ١٩٧٣ « ان المرء يمكن ان يقول بشكل أكيد انه فى مثـــل هـــذه الحالة وبدون الوفاق فان المبـــادرة المشـــتركة من جانب الولايات المتحدة والاتحاد الســــوفيتى التى أدت الى قرارات مجلس الأمن حول الشرق الأوســــط وقدمت فرصـــة لوقف اطلاق النار ربما لم تكن ممكنة » (٣) •

وهكذا يمكننا القول من خلال هذا العرض لادوار القوتين خلال حرب

(١) — Survival, iss, London January-Feb. 1974.

(٢) — The Current digest of soviet Press, No. 43, November 1973, p. 6.

(٣) Beglovr, « The effectivness of the soviet peace programme » International Affairs (Moscow), No. 3, 1975, p. 7.

أكتوبر ان علاقتهما قد أخذت شكلين علاقة الخصوم ، وهو ما بدأ فى تزويد كل منهما لحلفائه وأصدقائه فى الحرب بكميات كبيرة من السلاح ، وقد كاد هذا الشكل من العلاقة ان يوصلهما الى حافة المواجهة ، اما الشكل الثانى فهو الذى تصرفوا فيه كشركاء Parteners ، واسترشدوا فيه بمبادىء وقواعد العلاقات التى التزموا بها منذ وقت قريب قبل الأزمه ثم قبل هذا فى الواقع بمنطق علاقاتهم الاستراتيجية الذى يفرض عليهما تفادى احتمالات مواجهة عسكرية يمكن ان تأخذ الطابع النووى ، فى اطار علاقة الشركاء تلك اجتمعت القوتان مع بعضهما البعض ـ زيارة كيسنجر لموسكو فى ٢٠ أكتوبر ـ واجتمع كل منهما مع أصدقائه من أطراف الصراع المباشرين ـ زيارة كوسيجين للقاهرة فى ١٦ أكتوبر ، وبزيارة كيسنجر لتل أبيب عقب زيارته لموسكو مباشرة ـ ، وهى الاتصالات التى نتج عنها قرارات مجلس الأمن التى أدت الى وقف اطلاق النار ٠ على انه فى خلال هذه المرحلة التى اتجهت فيها القوتان الى التعاون لدرء الأخطار البعيدة اللازمة برز العنصر المحلى فى الصراع ، وعلى غير ارادة القوتين فى الواقع ، لا للتأثير السلبى على اتجاه التعاون هذا فحسب بل الى اثارة عناصر فى الموقف تحول هذا التعاون الى امكانية المواجهة والصدام ، ذلك ان التطور الذى ادى الى اعلان الولايات المتحدة حالة التاهب العسكرى كان اساسا نتيجة للموقف الذى خلقته حليفتها اسرائيل فى عدم الانصياع لقرار مجلس الأمن ـ الذى تبنته الولايات المتحدة ـ بوقف اطلاق النار ، ومن هذه الواقعة تنشأ حقيقة دور أطراف النزاع المحليين فى علاقات القوتين الأعظم وارادة هذه الأطراف النسبية التى يصعب ضمان السيطرة المطلقة عليها من جانب القوتين ٠

على أن المعنى الحقيقى لحرب أكتوبر بالنسبة لعلاقات القوتين هو انها أوضحت بالتجربة العملية حدود الوفاق الحقيقية ، فهو لم يلغ عنصر الخصومة وصراع المصالح بين القوتين وانه رغم ما يقدمه من اطار جديد، ربما كان أكثر أمانا للمنافسة بينهما ، الا أنه لم يحول هذه المنافسة الى تعاون شامل ٠ وقد أشار ريتشارد نيكسون فى مذكراته وهو يتعرض لتجربة القوتين فى حرب أكتوبر الى حدود الوفاق تلك بقوله « ٠٠٠ كان تقييمى لمسلك السوفيت خلال أزمة الشرق الأوسط انه ليس مثلا على فشل الوفاق وانما دليل على الحدود الضيقة له وهى حدود كنت أدركها تمام الادراك ٠٠ » (١) ٠

---

(١) مذكرات نيكسون ٠ جريدة الاهرام ١٩٧٨/٥/٨ ٠

الفصل الثالث

تضاؤل قوة الاندفاع نحو الوفاق

على الرغم من التقييم الايجابى الذى أدعته الحكومتين الأمريكيه والسوفيتيـــة لاثر حــرب أكتوبر عــلى علاقات الوفاق بين البلدين ، فان غيوم تباين مواقفهما ، والتى أدت بهما الى الاقتراب من المواجهة فى احدى مراحل الأزمة ، قد ضاعفت من المخاوف حول مستقبل هذه العلاقات وزادت ، وخاصة فى الولايات المتحدة ، من شكوك الكثيرين حول ثبات الدعائم التى يرتكز عليها الوفاق وافتراضاته الأســــاسية فى مواجهة مصــالح البلدين المتناقضة والمتصارعة أحيانا • كما قد ارتبط بهذا عدد من الجوانب السلبية منها عدم تحقق أى تقدم خلال النصف الأول من عام ١٩٧٤ فيما يتعلق بالمرحلة الثانية لمحادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية بما لم ينبىء باحتمال وفاء البلدين بما ارتبطا به فى مؤتمر القمة الثانى من تحقيق اتفاقية شاملة عام ١٩٧٤ ، وبذلك ثبتت وجهة نظر القائلين بان العلاقة الجـديدة للقوتين الأعظم لم تؤثر فى الشكوك الأساسية لدى القوتين تجاه بعضهما البعض ، كما ثارت خلال هذه الفترة بشكل أكثر حدة مسألة ما عرف بالمنشقين السوفيت وتصرفات السلطات السوفيتية نحوهم والتى جاء رمزا عليها طردها للـــكاتب الروسى الكســـندر سولجنتسين من الاتحاد السوفيتى مما اثار فى الولايات المتحدة موجة جديدة من الشكوك حتى بين الدوائر الليبرالية التى كانت مرتبطة بقوة بالوفاق وسياسة الحد من التسلح • وأكثر من هذا فان بعض الامريكيين الذين كانوا يدافعون عن الحد من الأسلحة الاستراتيجية (وكان كثيرا منهم أدوات فى قيام الحوار السوفيتى الأمريكى حول تحديد التسلح خلال الستينات) بدءوا يشكون بشكل متزايد حول قيمة محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية قائلين بان اتفاقات عام ١٩٧٢ لم تقـــدم الا القليل لمنع الطرفين من استعمال أسلحة جديدة •

أما في الاتحاد السوفيتي فان قيادته كان لديها احساس متزايد بالضيق من تزايد الهجوم على الاتحـاد السوفيتي فى الولايات المتحدة ومن تعثر منح شرط الدولة الأكثر رعاية للاتحاد الســـوفيتي وتدخلات الكونجرس الأمريكي في ربط هذا باتفاقية تعطي حق الهجـــرة لليهود السوفيت ، هذا فضلا عن السلوك المنفرد للولايات المتحدة في قضيه الشرق الأوسط في أعقاب حرب أكتوبر ·

على الرغـم من هدا فقـد كانت للحكومتين الأمريكيـة والسوفتيـة مصلحة في استمرار عملية الوفاق ممثلة في اجتمـاعات القمة · ففى الولايات المتحدة كان موقف رئيسها يعاني ضعفا شـــديدا نتيجة قضيه (ووترجيت) وهو ما جعله يتطلع لان يقدم نفسه كشخصية لاغنى عنها في أي علاقات ناجحة مع الاتحاد السوفيتي ، أما في الاتحاد السوفيتي فان قيادته كانت شغوفة لتحقيق تقدم في ثلاث مجالات :

أ ـ التحكم في الأسلحة الاستراتيجية وخفض امكانية حرب نووية ·

ب ـ الحصول على التكنولوجيا الأمريكية ·

جـ ـ مزيدا من القبول الأمريكي لحق الاتحاد السوفيتي في أن يكون موجودا وفعـــالا في ادارة الأزمات التي تحتوي على مخاطرة بالحرب ·

وفي ظل هذه الظروف عقـد مؤتمر القمة الثالث في موسكو بين الزعيم السوفيتي برجينيف والرئيس الأمريكي نيكسون وهو المؤتمر الذى قدم بعده بشهرين الرئيس الأمريكي استقالته وخلفه في الرئاسة نائبه جيرالد فورد ، وستشمل هـذه المرحلة تراجعا ملحوظا لعلاقات الوفاق السوفيتية الأمريكية وتصدعا للآمال التي ولدها مؤتمرى القمـة الاول والثاني على وجه الخصـــوص · فعلى الرغم من أن الرئيس الأمريكي الجديد قد واصـــل سياسة سلفه في الاجتماع بالزعيـم السوفيتي حيث التقيا في فلاديفو ستوك بالاتحاد السوفيتي واتفاقهما على المبادىء الرئيسية التي تقوم عليها معاهدة شاملة للحد من الأسلحة الاستراتيجية ، الا آن مجموع العلاقات السوفيتية الأمريكية شهدت عقب هذا تدهورا خطيرا حين ألغى الاتحاد السوفيتي اتفاقية التجارة ردا على شروط الكونجرس الأمريكي وما تلى هذا من تطورات في أنجولا والتدخل الســـوفيتي والكوبي هناك ·

مؤتمرى القمة الثالث والرابع

مؤتمر القمة الأمريكى السوفيتى الثالث

عقد هذا المؤتمر فى موسكو من ٢٧ يونيو ـ ٣ يوليو سنة ١٩٧٤ ٠ وقد عكست الكلمات التى تبادلها الزعيمين الأمريكى والسوفيتى وعيهما بالظروف المعقدة التى تمر بها عملية الوفاق ، فقد ذكر برجينيف خلال الزيارة « ان التطبيق قد أظهر ان التقدم عبر هذا الطريق يتطلب جهودا وفى بعض الأحيـان جهـــودا كبيرة ، ان تخفيف التوتر فى العلاقـات السوفيتية الأمريكية يواجه مقاومة عنيفة » ، أما الرئيس الأمريكى فقد رد على خطاب برجينيف قائلا « ٠٠ كما أشار السكرتير العام بحق فان لدينا مشاكل عديدة علينا ان نتفاوض حولها ٠٠ » ولكى يسجل دوره الشخصى فى الوفاق أضاف « ٠٠ ان الاتفاقيات التى توصلنـا اليها بسبب العلاقات الشخصية ليس هناك شك حول عزمنا على المحافظة على هذه الاتفاقيات » (١) ٠

أما برجينيف فقد حاول ان يسجل رصيدا للوفاق فقال « ان العامين الماضيين قد أظهرا التأثير الحسن الذى يمكن أن تمارسه علاقات متحسنة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى منـــذ أن لعبت دورا ايجابيا فى انهاء الحرب الفيتنامية ، وفى خلق ظروف أفضل نحو قدر من التقدم نحو تسوية سلمية فى الشرق الاوسط » (٢) ٠ وفى اشـــارة

(١) — The Current digest of soviet Press, No. 43. November 1973, pp. 2-7.

(٢) — Ibid, pp. 35-36.

مجاملة لنيكسون قال « اننا نقدر الاسهام الذى قمت به يا سيادة الرئيس فى تحقيق هذه النتائج » (*) ..

وباستعراض الوثائق والاتفاقيات التى صدرت عن هذا الاجتماع سنجد انها شملت ما يلى : —

١ — البيان المشترك :

وقد ركز على الأهمية الخاصة للقاءات قادة البلدين على أعلى مستوى والتى « أصبحت سلوكا معترفا به » كما لاحظ البيان « الأهميه الخاصة للوثائق المشتركة التى اتفق عليها فى اجتماعات عامى ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ وخاصة المبادىء الأساسية للعلاقات واتفاقية منع الحرب النوويه ومعاهدة تحديد نظم الدفاع بالصواريخ المضادة والاتفاقية المؤقتة للحد من الأسلحة الهجومية » (١) .. ونلاحظ هنا تركيز البيان على تأكيد ارتباط البلدين بهذه الاتفاقات وفى مقدمتها المبادىء الأساسية للعلاقات وذلك فى وجه الهزة التى تعرض لها الوفاق بوجه عام خلال حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط والتشكيك بوجه خاص بمدى الالتزام بهذه المبادىء خلال الأزمة ، وكذلك فى وجه حالة عدم الاستقرار والضعف التى تمر بها ادارة الرئيس نيكسون واحتمال غيابها عن السلطة مما يدفع على الاعتقاد ان التركيز على هذه الوثائق والمبادىء كان فى الأغلب اهتماما سوفيتيا .

ثم نصل البيان المجال الذى تتركز عليه جهود الدولتين والمنطقه

(★) كانت الصحافة السوفيتية قد أبدت عند بديات حكم نيكسون اتجاها مجاملا نحو رأى كانت قد مزجته بالتحفظ نحو سلوك ادارته تجاه بعض القضايا وخاصة فى جنوب شرق آسيا فقد كتبت مجلة الحياة الدولية فى يوليو عام ١٩٧٠ « من بين الانجازات الايجابية فى تطور الموقف الدولى والعلاقات السوفيتية الأمريكية يمكن أن نذكر منذ مجيىء الادارة الجديدة تنفيذ معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية ، وعقد المؤتمر التحضيرى فى هلسنكى لمحادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ثم بداية هذه المحادثات ومع هذا فان التحليل لاتجاه الرئيس للسياسة الخارجية للولايات المتحدة خلال العام والنصف الأخير يجعل المرء يقول ان الانجازات الايجابية المذكورة لا تحتل بالتأكيد المكان الرئيسى منها وان السياسة الخارجية لادارة نيكسون تتحدد بوجه عام بتصرفات لا يمكن ان تؤدى الى تقايل التوتر الدولى وحل المسائل المتنازع عليها وبشكل يدعم السلام .. ».
(Kulski, « The Soviet Union in World Affairs », op. cit., p. 90.

(١) Kissing's Archive, 1974, p. 26613.

الأكثر الحاحا فى علاقات القوتين التى تتطلب الاتفـاق وهى ازالة خطر الحرب النووية ، وقد قدم البيـــان لذلك بالقـــول ان كلا الطرفين « مقتنعين بشكل عميق بالضرورة الملحة لجعل عملية تحسين العلاقات السوفيتية الأمريكية أمرا لا ارتداد عنه Irreversible » ، وفى هذا أيضا نلاحظ الصياغة السوفيتية وتشابه فى العبارة والمضمون مع البيان الذى أصدرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السـوفيتى فى اجتماعها فى أبريل سنة ١٩٧٣ والذى أشرنا اليه من قبل ، وعلى هذا فقد رأيا وجوب « ٠٠ الاستمرار بشكل ثابت فى بذل جهودهما المشتركة أولا وقبل كل شيء فى هذه المجالات الهامة مثل : ازالة خطر الحرب بما فيها بوجه خاص الحرب التى تتضمن أسلحة نووية وأسـلحة الدمار الشامل الأخرى ٠٠ » ثم ذهب البيان الى ماهو أكثر من ذلك طموحا وأقل احتمالا فى المستقبل القريب هو « ٠٠ تحديد ثم انهاء سبـاق التسلح واضعين فى الذهن كهدف نهائى الوصول الى نزع السلاح الكامل فى ظـل رقابة دولية مناسبة ٠٠ » تبع هـذا الاهتمام الأول بقضية تحديد التسلح « المساهمة فى تصفية مصادر التوترات الدولية والصراع العسكرى وتدعيم ومد عملية تخفيف التوتر الدولى فى العالم كله ٠٠ » أما منطقة الاهتمام الأساسية الأخرى فهى « تطوير تعاون عريض وذو نفع متبادل فى المجالات الاقتصادية والتجارية والعملية والثقافية » (١) ٠

وفى مقدمة المسائل الدولية التى بحثها الجـانبان مؤتمر الأمن والتعاون الأوربى ، وفى هذا الشأن سجل البيان المشـترك ان الجانبين يعتبران أن تقدما جوهريا قد تحقق بالفعل فى مؤتمر الأمن والتعـاون الأوربى ، وعبرا عن اقتناعهما بان الاختتام الناجح لهذا المؤتمر سوف يكون « حدثا بارزا فى صالح اقامة سـلام عادل ودائم » وان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى « يؤيدان عقد المرحلة النهـائية للمؤتمر بالنسبة لمستقبل أوربا » (*) ٠

---

(١) Ibid. —

(★) اتخذ الوفاق فى أوربا اتجاها ايجابيا وشاملا حين انعقدت فى هلسنكى فى الأسبوع الأول من يوليو عام ١٩٧٣ المرحلة الاولى من مؤتمر التعاون ـ والأمن الأوربى والذى ضم ٣٣ دولة أوربية بالاضافة الى الولايات المتحدة وكندا ٠ وفى هذا المؤتمر اتفق على أن تعتمد المرحلة الثانية فى جنيف فى ١٨ سبتمبر ولكى تعد لجانه العاملة الوثائق النهائية للمؤتمر على أن ينعقد المؤتمر فى مرحلة ثالثة ونهائية لاتخاذ القرارات وأن يكون على مستوى القمة ٠ =

أما القضية الدولية البارزة في هذا الوقت والتي بحثها الجانبان فكانت الوضع في الشرق الأوسط ، وفي هذا أكد الجانبان ان «التسويه السلمية العادلة في الشرق الأوسط يجب ان تقوم على أســاس قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ٠٠ »

وباعتبارهما رئيســا مؤتمر جنيف للسلام فان الولايات المتحــدة والاتحاد السوفيتي يعتبران « انه من المهم ان يستأنف المؤتمر عمله بأسرع وقت يمكن ٠ » وان تظل الدولتين « على اتصال وثيق بغرض تنسيق جهودهما نحو تسوية سلمية في الشرق الأوســـط » (١) ٠٠ والواقع ان هذه المعالجة لأسس التسوية السلمية في الشرق الأوسط وخاصة من ناحية أساليب تحقيقها انما كانت تعبر عن الأماني السوفيتيه أكثر مما كانت عما كان يجرى في الوقت الذى صدرت فيه ، ففى هــذه الاثناء كانت الدبلوماسية الأمريكية تنفرد بالجهود في هذا الاتجاه ونجحت في تحقيق فض اشتباك أول بين القوات المصرية والاسرائيلية في سيناء وسط الامتعاض السوفيتي من عدم اشتراكه في هذه الجهود ، ثم تلى هذا فض اشتباك مماثل على الجبهــة السورية في الجولان وبجهد أمريكي

= ومن المعروف أن الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية ظلت تلح على عقد مثل هذا المؤتمر منذ عام ١٩٦٦ ، وقد كانت الاعتبارات العامة التى قدمها الاتحاد السوفيتي في هذا هو أن أوربا خلال تاريخها ظلت ساحة لاصطدامات عنيفة وصراعات وحروب وشهدت حربين عالميتين في جيل واحد ، ومن ناحية أخرى فان أوربا والتطورات فيها انما تؤثر على الموقف الدولى وتصـــبح كل خطوة تتخذ في أوربا نحــو أمن ثابت وتطور للتعاون الاقتصادى لا تخص مصالح القارة الاقليمية فحسب وانما تساعد أيضا على التغلب على مشكلات دولية أخرى ٠ أما الهدف الحقيقى الذى كان الاتحاد السوفيتي يريد أن يحققه من هذا المؤتمر فهو التصديق والاقرار النهائى للأوضاع الاقليمية والحدود التى نتجت عن الحرب العالمية الثانية « ان الوفاق الاوربى يمكن أن يتحقق فقط اذا ما أقرت كل الدول الأوربية اعترافها النهائى بالتغيرات الاقليمية التى جرت في أوربا كنتيجة للحرب العالمية الثانية ولوقائع ما بعد الحرب ٠٠ »

(Beglov, « The effectivness of the soviet peace Programme » op. cit., p. 10.

غير أنه بينما كان الاتحاد الســوفيتي يركز على هــذا المبدأ كانت الولايات المتحدة والدول الغربية تركز على مبدأ آخر وهو ضرورة توسيع الاتصالات بين الشعوب الأوربية والتبادل الحر للآراء والأفكار والمعلومات بين الشرق والغرب وهو ما رأى فيه الاتحاد السوفيتي محاولة لتخريب النظم الاشتراكية من الداخل ٠

(L. vindyasova, « The Conference on Security and Co-operation in Europe. International Affairs, moscow, 1973, p. 15).

(١) — Kissing's Archive, p. 26614.

مماثل وان كان الاشتراك السوفيتي قد اتخذ شكلا رمزيا بزيارات قام بها وزير الخارجيـة السوفيتي لدمشـق قبـل وبعد الاتفاق ، أما مؤتمـر جينيف للسلام فقد انعقد لفترة قصيرة ثم انقضى وسط تزايد صعوبات انعقاده مرة أخرى ٠وقد كان من الواضح ان تمسك الاتحاد السوفيتي، والذى ظل كذلك ، بضرورة ان يكون مؤتمر جينيف للسلام هو الاطار الذى تتم داخله أى تسوية سلمية لنزاع الشرق الأوسط ، انما يرجع الى ادراكه ان هذا الاطار هو الذى يضمن اشتراكه الفعال ووجوده فى أية تسوية تتحقق ، كما انه سوف يضمن عدم انفراد الولايات بجهود التسوية مع ما يتضمنه هذا من اضعاف لوجود الاتحاد السوفيتي ونفوذه فى المنطقة ٠

بالاضافة الى هذه المسائل بحث الجانبان المسألة الألمانية واعتبر ان الاتفاقية الرباعية حول برلين (*) ـ ٣ سبتمبر سنة ١٧٩١ ـ يجب ان تستمر فى أن تلعب دورا رئيسيا فى ضمان الاستقرار والوفاق فى أوربا » « كما تعرضا لمفاوضات خفض القوات فى أوربا MBFR اعتقادا بان تخفيف التوتر السياسى يجب أن يصحبه اجراءات لخفض التوترات العسكرية ولذلك علق الجانبان « أهميـــة على المفاوضات الجارية حول الخفض المتبادل للقوات والأسلحة والاجراءات المرتبطة فى أوربا » ٠٠ (*) عقب محادثات تحضيرية استمرت من ٣١ يناير حتى ٢٨ يونيو سنة ١٩٧٣ ، افتتح فى فيينا فى ٣٠ أكتوبر ســنة ١٩٧٣ مؤتمرا ضم الممثلين الرسميين لكل من حلفى وارسو والاطلنطى حول « الخفض المتبـادل للقوات والأسلحة والاجراءات المرتبطـة » فى وســط أوربا ، وكان قد صدر عن المحادثات التحضـــيرية بيـــانا جاء فيه ان « الهدف العام من المفاوضات هو المساهمة فى علاقات أكثر استقرارا ودعم السلام فى أوربا ٠٠ وقد اتفق على أن ترتيبات محددة يجب أن تتخذ بعناية وبشكل يؤكد فى كل الوجوه مبدأ الأمن الذى لا ينتقص لكل

(★) تم الاتفاق بين سفراء القوى الأربع حول الوضع فى برلين فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٧١ وتم توقيع البروتوكول النهائى فى ٣ يونيو سنة ١٩٧٢ بواسطة وزراء خارجية الدول الأربع قال عنه وزير الخارجية السوفيتي « ان الاتفاق يقدم أساسا سليما يعتمد عليه للوصول الى حل سيتم فى المنطقة التى ظلت على مدى حقبتين بؤرة تعقيدات خطيرة وخلاف مستمر بين الدول٠٠ » ووصفه وزير الخارجية الأمريكى بأن نجاح هذه المفاوضات سيكون دافعا لمزيد من الهدوء لخلق أوربا متحدة فى سلام ٠

راجع Kissing's Archive, p. 1971, 24813, 25813, 25356, 1972.

جانب ٠٠ » ٠ وعند افتتاح المحادثات فى ٣١ أكتوبر قال ممثل الولايات المتحدة « ٠٠ انه فى المرحلة الأولى فان التركيز يجب أن يـــكون على القوات الأرضية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد الســـوفيتى ، وان خفضها بما يتفق مع مبدأ الأمن غـير المنقوص سيكون مســـاهمة فى الاستقرار فى أوربا ٠ ان خفضا أساسيا فى القدرات المدرعة للاتحـــاد السوفيتى فى وسط أوربا سيكون متفقا مع الأهداف الدفاعية وسيشكل مساهمة كبرى لدعم الاستقرار فى أوروبا ٠ ان القوات الســـوفيتية المنسحبة من وسط أوربا يمكن أن تعود بسرعة وسهولة بينما سيفصل المحيط بين القوات المسلحة الأمريكية ٠٠ » أما المندوب السوفيتى فقد وعد بانتهاج أسلوب عملى فى المفاوضات واقتبس عن بيان لبرجينيف قال فيه ان الاتحاد السوفيتى سيكون مستعدا لخفض القـوات عام ١٩٧٥ ، وان التخفيضات يجب أن تنطبق على القوات الأرضية والجوية الوطنية والأجنبية وكذا على الوحدات المسلحة بالأسلحة النووية » ٠ (١)

والواقع أنه رغم ان كلا من الميزان الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والأمن فى أوربا انما يناقشان على مستويين منفصلين ، الأول فى نطاق محادثات السولت والثانى فى نطاق محادثات خفض القوات ، الا انهما فى النهاية يرتبطان ويتكاملان ، من حيث انه لن يكون هناك تقـدم هام فى أحـدهما حتى تتضح بشكل أكثر أهداف القوتين الأعظم ويتم بناء اطار أرضى للحركة خطوة خطوة نحو هذه الأهداف ٠ (٢)

أما فيما يتعلق بالهند الصينية ، فقد وافق الجانبان على ان السلام والاستقرار فى المنطقة يمكن المحافظة عليه ودعمـه فقط « على أســـاس المراعاة الدقيقة من جميع الأطراف المعنية لمواد اتفاقية جينيف لعام ١٩٧٣ وأعمال المؤتمر الدولى حول فيتنام فى مارس سنة ١٩٧٣ » (٣) ٠ على انه اذا كان هذا هو أمل الولايات المتحدة فيما يتعلق بالوضع فى فيتنام وبما يحافظ على كيان فيتنام الجنوبية فان التطورات سوف تنتهى الى عكس هذا ٠

---

(١) — Kissing's 1974, p. 26614.

(٢) (Raspet, Richard, « U.S. — Soviet relations, the need for comprehensive Approach », Foreign Affairs, spring 1979, p. 780.

(٣)

وفى جوانب العلاقات الثنائية عبر الطرفان عن ارتياحهما لنمو التعاون بين البلدين فى المجالات الاقتصادية والتجارية والعلمية والثقافية وكذا مختلف الميادين التى شملتها الاتفاقيات التى وقعت خلال مؤتمرى القمة الأول والثانى ، ثم فصلا أهداف ومهام اتفاقيات ثلاث وقعت حول : الطاقة والتشييد والاسكان ، وابحاث القلب الصناعى . كما اتفق على انشاء قنصليات جديدة فى مدينتين أو ثلاث فى كل من البلدين ، وكخطوة أولى اتفق على انشاء قنصلية أمريكية عامة فى كييف وقنصلية سوفيتية عامة فى نيويورك وذلك بالاضافة الى ما اتفق عليه فى قمة واشنطون عام ١٩٧٣ من انشاء قنصليتين فى كل من ليننجراد وسان فرانسسكو (١) .

والواقع انه لم يكن من الممكن بالنسبة للحكومتين ان يمر مؤتمر القمة الثالث دون التعرض للموضوع الرئيسى الذى يحتل مكانة أساسية فى علاقاتهما الجديدة وهو موضوع الحد من الأسلحة الاستراتيجيه خاصة وان ثمة حرجا تمثل فى وضوح عدم قدرتهم على الوصول الى اتفاقية دائمة تحل محل الاتفاقية المؤقتة التى وقعت فى مؤتمر القمه الأول وتستكملها وذلك فى الموعد الذى حدداه خلال مؤتمرهم الثانى فى واشنطون وهو عام ١٩٧٤ . ولذلك حرص الجانبان على أن يؤكدا التزامهما بالوصول الى اتفاقية دائمة وان يحققا فى نفس الوقت خلال مؤتمرهم انجازا ولو جزئيا فى تحديد الأسلحة الاستراتيجية ، فى هذا الخصوص اشارا بوجه عام انه « فى خلال المحادثات استعرض الجانبين بشكل شامل مشكلة الحد من الأسلحة الاستراتيجية وانتهيا الى أن الاتفاقية المؤقتة حول الأسلحة الاستراتيجية الهجومية يجب ان يتبعها اتفاقية جديدة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى حول تحديد الأسلحة الاستراتيجية » ونظرا للارتباط بين تقدم الاشكال الدفاعية والهجومية للاسلحة الاستراتيجية لذلك « فقد عقدا بروتوكولا ينص على تحديد موقع واحد لكل جانب لاقامة نظم الصواريخ المضادة ABM بدلا من موقعين .. » (٢) .

وكانت معاهدة تحديد نظم الصواريخ المضادة التى وقعت عام ١٩٧٢ قد سمحت لكلا الجانبين بموقعين لاقامة نظم الصواريخ المضادة فيها ، احدهما للدفاع عن عاصمته والآخر للدفاع عن حقل الصواريخ

(١) — Ibid.

(٢) — Kissing's p. 26613.

العابرة للقارات على الا يكون هذا الحقل أقرب للعاصمة من ١٣٠٠ كيلو متر ، ووفقا للبروتوكول الذى وقع فى مؤتمر القمة الثالث فان الجانبين قد تخليا عن الموقع الثانى واكتفى كل جانب بالاحتفاظ بموقع واحد للصواريخ المضادة اختار الاتحاد السوفيتى أن يكون للدفاع عن موسكو واختارت الولايات المتحدة أن يكون للدفاع عن حقل الصواريخ العابرة للقارات ومع هذا ورغبة فى ابداء بعض المرونة حول المنطقة التى يود كل جانب الدفاع عنها فقد سمح لكل جانب مرة خلال فترة الاتفاقية ومرة خلال فترة خمس سنوات أن يغير من قراره الأصلى حول الموقع الذى اختاره ٠ وقد فصل هنرى كيسنجر ذلك وشرحه فى تعليقه على اجتماع مؤتمر القمة الثالث وما صدر عنه بقوله « ٠٠ انه اذا ما قررت الولايات المتحدة انها تفضل الدفاع عن واشنطون أكثر من الدفاع عن حقل الصواريخ العابرة للقارات ICBM فان لنا الحق مرة خلال فترة خمس سنوات لان نتحرك من موقع الصواريخ ICBM الى واشنطون وكذلك الحال مع الاتحاد السوفيتى فان له الخيار فى التحرك من موسكو الى موقع الصواريخ العابرة للقارات مرة خلال فترة خمس السنوات ، غير انه اذا ما تم استعمال هذا الخيار فانه لا يمكن استعماله مرة أخرى فلا يستطيع جانب أن ينقل مواقع الصواريخ المضادة جيئة وذهابا بين العاصمة وحقل الصواريخ العابرة للقارات » (١) ٠

بالاضافة الى هذا البروتوكول الذى أعاد تحديد مواقع الصواريخ المضادة لكل جانب بموقع واحد ، وقع الجانبين بروتوكولين آخرين ولكنهما أبقيا سرا بناء على طلب الاتحاد السوفيتى كما ذكر كيسنجر ، والذى أعطى مع هذا اشارة الى مضمونهما بقوله « انهما يتضمنان اجراءات لتفكيك استبدال الصواريخ وفقا للاتفاقية المؤقتة واتفاقيه النظم الصواريخ المضادة ABM ومع هذا فسوف يخضعان لتصديق الكونجرس ٠٠ » واضاف « انهما لا يقدمان أساسا جديدا ولا يغيران من مواد ، انهما يعالجان فقط التطبيق الفنى لاتفاقيات سابقة » (٢) ٠

كذلك حقق الجانبان خلال مؤتمر القمة الثالث اضافة فى اتجاه استكمال معاهدة حظر التجارب النووية لكى تشمل التجارب تحت الأرض ذلك ان الاتفاقية التى وقعت عام ١٩٦٣ شملت حظر هذه التجارب فى

---

(١) Ibid, p. 26616.
(٢) — Ibid.

الجو والفضاء الخارجي وتحت الماء
In Atmosphere, in outer space an under water
وبذلك لم تشمل التجارب تحت الأرض نظرا للصعاب التي واجهت ذلك للاختلاف على مبدأ التفتيش على الموقع وعدد مراته ، ومن هنا جاءت محاولة الجانبين للتقدم خطوة نحو استكمال هذه المعاهدة ، وهو ما عبر عنه بالقول « أنه بملاحظة الأهمية التاريخية لمعاهدة حظر تجارب الأسلحة النووية في الجو والفضاء الخارجي وتحت الماء والتى عقدت فى موسكو فى عام ١٩٦٣ .. فقد عبر الجانبان انهما يؤيدان جعل وقف التجارب للاسلحة النووية شاملا .. » لذلك وللمساهمة فى تحقيق هذا الهدف فقد وقعا كخطوة هامة فى هذا الاتجاه معاهدة تحت عنوان
Treaty on limitation of under ground Nuclear weapons Tests.
تنص على : ـ

أ ـ ان يتعهد كل طرف بأن يمنع ويحظر وان لا يقوم بأى تجربة لسلاح نووى تحت الأرض بما يزيد حمولته على ١٥٠ كيلو طنا فى أى مكان يقع تحت اختصاصه أو اشرافه وذلك ابتـــداء من ٣١ مارس سنة ١٩٧٦ .

ب ـ سوف يحدد كل جانب عدد تجاربه النووية تحت الأرض الى الحد الادنى .

جـ ـ كما سيواصل الجانبان مفاوضاتهما بهدف تحقيق حل لمشكلة وقف جميع التجارب النووية تحت الأرض (١) .

بهذا انتهى مؤتمر القمة السوفيتى الأمريكى الثـــالث بما يعتبر انجازات متواضـــعة اذا ما قيست بما تحقق فى مؤتمـــرى القمة الأول والثانى ، بل ربما بدأ المؤتمر وما تحقق فيه والمناخ الذى صاحبه شاحبا أمـــام هذين المؤتمرين . على ان قيمة هذا المؤتمر الحقيقة هو انه انعقد على اثر الصدمة الخطيرة التى تعرضت لها علاقات البلدين ومعها عملية الوفاق خلال حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط وانه بهذا الشكل وفى مواجهة حملة النقد العنيفة التى بدأ الوفاق يتعرض لها فى الولايات المتحدة ، فقد حافظ على الاطار العام للعلاقة الجديدة .

---

(١) — Ibid, 26614.

علي الرغم من أن السوفيت يعتبرون ان الوفاق ، شأنه شأن كل التحولات الاساسية في التاريخ والسياسة ، هو نتـــاج قوى وعوامل موضوعية وليس اسهامات أفراد أو شخصيات ، الا أنهم من غير شك قد أزعجهم استقالة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في ٨ أغسطس سنة ١٩٧٤ ، وهي الاستقالة التي تجعلها الظروف التي ارتبطت بهـــا أقرب الى الاقصاء منها الي الاستقالة الارادية (*) ٠

فقبل كل شيء كان نيكسون هو الرجل الذي وقعوا معه الاتفاقيات وارتبطوا بالمبادىء التي أعطت في الواقع الجوهر لسياســة الوفاق ، ومع هذا فان ما شجعهم هو بقاء الدكتور كيسنجر وزيرا للخارجية في الادارة الجديدة ، كما كان من العناصر الأكثر تشجيعا ما وعد به الرئيس الجديد جيرالد فورد الاتحاد السوفيتي في خطاب تنصيبه « من الاستمرار في ارتباطنا باتجاه السنوات الماضية ، فالى شعبينا والى كل شعوب العالم نحن مطالبين بجهد متصل لكي نعيش ونعمل معا حيث أمكن في سلام ذلك انه في هذا العصر النووى ليس هناك بديل عن العلاقات الايجابية والسلمية بين أمتينا » (١) ٠ أما رد الفعل السوفيتي الرسمي حول التغيير في القيادة الأمريكية وحول ما عبر عنه الرئيس الجـــديد من عزمه على الاستمرار في اتجاه الادارة السابقة ، فقد ورد في خطاب القاه برجينيف في موسكو في ٢٥ سبتمبر قال فيه انه رغم انه ليس هناك حاجة الى القول بأن الاتحاد السوفيتي لن يزج بنفسه في الشئون الداخلية للولايات المتحدة « فاننـــا لا نستطيع ان نتجاهل أي شيء يؤثر على حالة العلاقات بين بلدينا وتطورها الأمر الذى تعلق عليه أهمية بالغة ، ٠٠ ان التحسن في هذه العلاقات خلال السنوات الأخيرة نتيجة الجهـــــود البناءة لكلا الجانبين هو أمر يلقي التقدير الكبير في الاتحاد السوفيتي ٠٠ » ثم علق

(*) في مقال نشرته جريدة ازفستيا السوفيتية في ٣ سبتمبر سنة ١٩٧٤ قالت فيه ان التغيرات في البيت الأبيض كانت نتيجة لتطورات في الموقف الأمريكي الداخلي تتضمن قوى غاية في التعقيد ٠ فالاعتبارات ما بين الأحزاب والاصطدامات بين الجماعات المتنافسة لقوى رأس المال الأمريكي قد وترت العلاقات بين الكونجرس والبيت الأبيض وهي الحالة التي لعبت دورا تقليديا هاما في السياسة الأمريكية وقد سبب هذا موقفا جعل من غير الممكن أمام نيكسون البقاء في البيت الأبيض أطول من هذا ٠
(Current diges tof soviet Press, No. 35, September 25, 1974, p. 34).

(١) — Kissing's Archive, 1974, p. 26692.

برجنيف على اتجاه الادارة الجديدة بقوله « .. وهذا هو السبب فى اننا مبتهجين باعلان الرئيس فورد فيما يتعلق بارتباطه وارتباط حكومته باستمرار سياسة تطوير العلاقات بين بلدينا » (١)

على أنه رغم هذا فقد كان من الواضح ان الوفاق السوفيتى الأمريكى كان فى حالة غير مستقرة وغير أكيدة ، وانه فى حاجة الى اعادة تأكيد على الارتباطات والمبادىء التى تحققت والتزاماتها ، ودفعات جديدة لهذه الاتفاقيات والمبادىء . من هنا جاءت الزيارة التى قام بها وزير الخارجية الأمريكى كيسنجر لموسكو فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٧٤ ، وهى الزيارة التى استمرت أربعة أيام اجتمع خلالها بالزعيم السوفيتى برجنيف ، وخلال الزيارة عبر وزير الخارجية السوفيتى جروميكو عن رضائه عن حالة العلاقات السوفيتية الأمريكية من زاوية النوايا التى عبر عنها الرئيس فورد « .. لقد عبر برجنيف عن رضائه عن البيانات التى صدرت عن الرئيس فورد والتى تحدث فيها بشكل محدد فى صالح استمرار هذا الاتجاه فى العلاقات بين بلدينا » . وفى رده على هذا قال كيسنجر « بغض النظر عن التغيرات فى الادارة فى الولايات المتحدة فاننا نتصرف بشكل دائم على أساس حقيقة واحدة ان السلام فى العالم كله يعتمد على درجة التعاون بين بلدينا » . وأكد البيان الذى صدر عقب الزيارة « .. الأهمية الأساسية للقرارات التى اتخذت بالنسبه للعلاقات السوفيتية الأمريكية » .. وفيما يتعلق بالمشكلة الرئيسية فى علاقاتهما قرر البيان ان « قدرا كبيرا من الأهمية قد كرس لمشكلة المزيد من الحد من الأسلحة الاستراتيجية » (٢) ، وقد أوضح كيسنجر هذه النقطة بشكل أكثر حين صرح بانه يعتقد ان الطرفين قد اقتربا من الاتفاق على « خطوط توجيهية » *guidelines* لوضع معاهدة جديدة ، وكما أكد هذا الرئيس فورد فى واشنطون بقوله انه فهم ان بعض الخلافات بين البلدين قد ضاقت وعبر عن أمله فى ان كل خطوة سوف تعنى تقدما أكثر ، واننا سوف ننتهى باتفاقية ثانية للحد من الأسلحه الاستراتيجية (٣) غير ان النتيجة الأساسية التى خرجت من الزيارة هى

---

(١) — Ibid, p. 26850.

(٢) Current digestof Soveiet Press, No. 43, November 20, 1974, pp. 13, 14.

(٣) — Kissing's 1974, p. 26850.

ما أعلنه كيسنجر يوم ٢٦ سبتمبر من ان « لقاء عمل » قد تم ترتيبه بين برجينيف والرئيس فورد (١) ٠٠

وقد جرت الزيارة خلال يومى ٢٣ – ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٧٤ قرب فلاديفو ستوك بالاتحاد السوفيتي حيث أجرى الزعيمان وناقشا نطاقا عريضا من المسائل شملت العلاقات السوفيتية الأمريكية والموقف الدولى – وفى نهاية الاجتماع وقع الزعيمان بيانا مشتركا *Joint Comminique* وبيانا *Statement* يؤكد عزمهما على توقيع اتفاقية جديدة حول تحديد الأسلحة الاستراتيجية الهجومية ٠

وعند بداية الزيارة رحب برجينيف بالرئيس فورد وركز على ثلاث مجالات ذات أهمية للاتحاد السوفيتي :

١ – صياغة خطوات جديدة مشتركة تمكنها من التحرك الى الأمام ٠

٢ – دعم تخفيف التوتر الدولى بالوفاق فى المجال العسكرى ٠

٣ – تطور التجارة والروابط الاقتصادية بين البلدين وقد اعتبر برجينيف هـذه الروابط الاقتصادية « لا كمجرد فوائد مادية متبادلة وانما أيضا لخلق أساس متبادل للتحسن الثابت للعلاقات السوفيتية الأمريكية » ٠

وفى رده على برجينيف كرر فورد ارتباطه بالوفاق « فى خطابى الأول امام الكونجرس الأمريكى وعدت الاتحاد السوفيتي باستمرار الارتباط الأمريكى بالاتجاه الذى اتبعه فى السنوات الثلاث الماضية » (٢)

وتوحى قراءة البيان المشترك الذى صدر عن الاجتماع بان الاهتمام الأساسى للجانبين بوجه عام هو اظهار اهتمامهم باستمرار سياسه الوفاق واحترامهم للقرارات المشتركة والمعاهدات الأساسية والاتفاقيات التى عقدت بين الدولتين وهى الاتفاقات والارتباطات التي اعتبروها « أسسا متينة للتقدم فى صياغة العلاقات السوفيتية الأمريكية » ووفقا لهذا « فانهم ينوون الاستمرار بدون تأخر فى قوة الاندفاع لتوسيع نطاق وكثافة جهودهم المتعاونة فى كل المجالات وكما وردت فى الوثائق التى وقعوا عليها وذلك لكى تستمر عملية تحسين العلاقات بين الاتحاد

---

(١) — Ibid,

(٢) Current digest of soviet Press, No. 47, December 18, 1974, pp.2, 3.

السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية بدون انقطاع وان تصبح لا رجعة فيها » (١) ٠

وقد ابانت نتائج المؤتمر ان المسألة الرئيسية في المحادثات كانت هي مسألة الحد من الأسلحة الاستراتيجية الهجومية خاصة وانه منذ توقيع اتفاق السولت الأول عام ١٩٧٢ لم يتحقق تقدم نهائي نحو توقيع اتفاق ثان في هذا الخصوص ويعتقد البعض ان المفاوضين السوفيت كانوا يتفادون التوصل الى أي اتفاق جديد حتى يتم توصل الاتحاد السوفيتي الى الجيل الجديد من الصواريخ الاستراتيجية السوفيتية SS-X-16, 17, 18, 19 والغواصات القاذفة SS-N-B بحيث يمكن ان تدخل كجزء من الأسلحة الاستراتيجية الحالية للاتحاد السوفيتي (٢) ٠

على انه مع نهاية عام ١٩٧٤ كانت ثمة أسباب ثلاث قوية تحث الاتحاد السوفيتي على طلب التوصل الى اتفاقية ثانية للحد من الأسلحة الاستراتيجية وذلك على شرط ان تكون الولايات المتحدة على استعداد لتغيير تفكيرها حول الأسلحة الى الحد الذى يستطيع معه الزعيم السوفيتي ان يدافع عن اتفاقية يتم التوصل اليها عن طريق المفاوضات أمام المكتب السياسي للحزب : —

أ — فالاتحاد السوفيتي كان حريصا على تحقيق بداية طيبة مع الرئيس الجديد ٠

ب — كما انه كان قلقا حول الشكوك المتزايدة في الولايات المتحدة فيما يتعلق بنتائج مفاوضات الحد من الأسلحة الاستراتيجية وبالتالى حول قيمة العلاقات السوفيتية الأمريكية كلها بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ٠

جـ — وأخيرا فان محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية تبقى هي النقطة المركزية في وفاق القوتين الأعظم ومن ثم فان أى نكسة فيها سوف تؤثر في مجمل العلاقات السوفيتية الأمريكية » (٣) ٠

وقد انعكس الاهتمام المشترك في التوصل الى نتيجة ايجابية في محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية فيما ورد في البيان المشترك الصادر عن الاجتماع من قوله « ان اهتماما خاصا قد أعطى خلال المحادثات

---

(١) — Strategic survey, Iss-London, No. 155, 1974, p. 59.
(٢) — Ibid, p. 62.

للجوانب الأساسية فى العلاقات السوفيتية الأمريكية وهى اجراءات تصفية التهديد بالحرب ووقف سباق التسلح ، وقد ووفق على بيان مشترك منفصل حول مسألة الحد من الأسلحة الاستراتيجيه الهجومية » (١) ..

وقد صدر هذا البيان المشترك تحت عنوان

Joint Statement on agreement on future limitation of Stratigic offensive Arms.

وتضمن في مقدمته تأكيدا للأهمية الكبيرة التي يعلقها الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على تحديد الأسلحة الاستراتيجية الهجومية وعبرا عن اقتناعهما بان اتفاقية طويلة الأجل حول هذه المسألة ستكون مساهمة هامة لتحسين العلاقات بين البلدين ولتخفيف خطر الحرب ودعم السلام العالمى . وذهبت مقدمة البيان انه بالنظر الى قيمة الاتفاقيات السابقة حول هذه المسألة بما فيها الاتفاقية المؤقتة ، فان الجانبين يؤكدان عزمهما لعقد اتفاقية جديدة حول تحديد الأسلحة الاستراتيجية الهجومية وان تدوم حتى عام ١٩٨٥ . فى هذا الخصوص فان زعيمى البلدين قد استخلصا من محادثاتهما امكان استكمال العمل حول هذه الاتفاقية عام ١٩٧٥ . ثم عدد البيان المبادىء « والخطوط التوجيهية » التى ستقوم عليها وتسترشد بها المفاوضات المقبلة فى الآتى : —

١ — سوف تتضمن الاتفاقية الجديدة المواد الملائمة للاتفاقية المؤقتة لعام ١٩٧٢ والتى ستبقى موضع التنفيذ حتى أكتوبر سنة ١٩٧٧ .

٢ — ان الاتفاقية الجديدة سوف تغطى الفترة من أكتوبر سنة ١٩٧٧ حتى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٨٥ ..

٣ — وعلى أساس من مبدأ الأمن المتساوى فان الاتفاقية الجديدة تتضمن الحدود الآتية : —

أ — ان كلا الجانبين سيكون له الحق فى عدد كلى متفق عليه من وسائل الايصال الاستراتيجية .

ب — ان كلا الجانبين سيكون من حقهما تملك عدد كلى متفق عليه من الصواريخ عابرة القارات . ICBMS

(١) Kissing's Archive, 1974, p. 26869.

والغواصات من قاذفات الصواريخ :

جـ ـ Submarines Launched ballistic missiles :

مذودة برءوس ذرية متعددة مستقلة

Multipale independently targetable warheads (MiRve)

٤ ـ سوف تتضمن الاتفاقية الجديدة مادة حول بدء مزيد من المفاوضات ليس متأخرا عن ٨١ ـ ١٩٨٠ حول مزيد من التحديد والخفض الممكن للاسلحة الاستراتيجية فى الفترة فيما بعد ١٩٨٥ .

٥ ـ ان المفاوضات بين وفود الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة لوضع اتفاقية جديدة متضمنة المواد السابقة سوف تستأنف فى جينيف فى يناير سنة ١٧٩٥ (١) .

وقد دافع الدكتور كيسنجر عن هذه الاتفاقية فى مؤتمر صحفى بالقول « اذا ما تحقق هدفها فان هذا يعنى ان حدا قد وضع على سباق التسلح لمدة عشر سنوات وان هذا الحد هو بشكل جوهرى أقل من امكانيات القوتين وان عنصر عدم الأمن الكامن فى سباق التسلح والذى يحاول الطرفين توقعه ليس فقط من ناحية التقدم الفعلى وانما أيضا من ناحية قدرات الجانب الآخر سوف يختص بشكل جوهرى بالمستوى الذى سيتحقق للاتفاقية لمدة عشر سنوات » (٢) .

ومع هذا فان اتفاق فلاديفوستوك لم يصادف الحماس والترحيب الذى صادف الاتفاق الأول فى عام ١٩٧٢ بل على العكس فقد اثار جدلا فى الولايات المتحدة (وربما كذلك فى الاتحاد السوفيتى) حول النتائج العملية لمحدثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، فقد اعتبر البعض ان الاتفاق بوضعه اطار نظام جديد لمدة عشر سنوات للصواريخ الهجومية والقاذفات انما يعنى ان الاختلافات الاستراتيجية الكبيرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قد نشأت لتبقى ، كما جادل بعض المراقبين وخاصة الأمريكيين ان الاتفاقية قد فشلت فى أن تضع حدا لسباق التسلح ، لأنه بالسماح لكلا الطرفين بعدد كلى هو ٢٤٠٠ من النظم الهجومية يمكن ل ١٣٢٠ منها ان تزود برءوس ذرية متعددة فانها بذلك لم تتدخل بشكل جاد فى الخطط المقبلة لكلا القوتين ، كما لاحظ

---

(١) — Kissing's, 1974, p. 26869.

(٢) — Survival, iss, London, January, Feb., 1975, p. 34.

نفاد آخرون انه يمكن الطرفين من تحسين دقة الصواريخ واستبدال النظم الموجودة من الصواريخ متعددة الرءوس بجيل جديدة على درجة كبيرة من الدقة فان شروط الاتفاقية قد ساعدت على أن تؤكد عدم اليقين وعدم التأكد حول مستقبل بقاء الصواريخ الأرضية (١) .

أما عن مدى موافقة أو معارضة القادة العسكريين السوفيت لاتفاقيه فلاديفوستوك ، فان هذا لم يكن واضحا من المعلومات الطفيفة المتاحة ، أما البيانات الرسمية فانها لم تتحفظ فى الثناء على الاتفاقية وما حققته من « اسهام عظيم فى مجرى السلام » (٢) .

وان كان يجب ملاحظة انه فى الثناء السوفيتى على اجتماع فلاديوستوك فان التعليقات السوفيتية انحصرت فى المعانى السياسية ، واسهامه فى عملية الوفاق والمساعدة فى ضمان عدم اشتعال حرب نووية اما الجوانب العسكرية فى الاجتماع فانها لم تناقش الا فى نطاق العموميات .

على أية حال ، فان وزير الخارجية الأمريكى قد تنبأ بالصعاب العديدة والتعقيدات الفنية التى ستواجه المفاوضات التى ستجرى للتوصل الى الاتفاقية المرجوة (٣) وهو ما ثبت بالفعل .

وهكذا كان مؤتمر قمة فلاديفوستوك ذاته عملا ارادت به الادارتين الأمريكية والسوفيتية تأكيد ارتباطها بالسياسات التى شرعت فيها القوتان بشكل ايجابى ومحدد منذ عام ١٩٧٢ حين انعقد أول مؤتمر قمة سوفيتى أمريكى . ورغم تغير الادارة الأمريكية ، فانه من الواضح انهما كانت مقتنعة بأساسيات سياسة الوفاق وبالاتفاقيات التى وقعتها الادارة التى سبقتها وكان استمرار وزير الخارجية هنرى كيسنجر وبقاؤه فى الادارة الجديدة ، وهو الذى نظر ونظم سياسات الادارة السابقة ، دليلا على ذلك . أما الادارة السوفيتية فانها تعتبر نفسها ملتزمة ومسئولة عن تنفيذ وتطبيق « برنامج السلام » الذى صدر عن المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى والذى تعتبر سياسة الوفاق وخاصة مع الولايات المتحدة من أساساته ، وكذلك فهى مسئولة أمام التكليف الذى صدر عن اللجنة المركزية للحزب فى ابريل عام ١٩٧٣ ،

---

(١) — Stratigic Survey, Iss, London, 1975, 1976. p. 106.

(٢) — Stratigic Survey, Iss, London, 1975, p. 62.

(٣) Survival, Iss-London, January — February, 1975, p. 34.

وبعد أن شرعت فى خطوات جادة فى سياسة الوفاق مع الولايات المتحدة ، تجعل هذه السياسة أمرا لا ارتداد عنه irreversible ، هذا فضلا عن العنصر الشخصى الذى لا يمكن تجاهله لزعامة ليونيد برجينيف وارتباط أسمه بسياسة الوفاق ودفاعه عنها وعن انجازاتها . لذلك فاننا نرجح الرأى القائل بأن الدعوة لعقد اجتماع فلاديفوستوك جاءت أساسا من جانب برجينيف الذى كان حريصا على ان يقيم شخصيا مدى التزام ادارة الرئيس الأمريكى الجديد بمواصلة سياسة الرئيس نيكسون فى الوفاق (١) .

على انه اذا كان اجتماع فلاديفوستك قد استهدف فى اطاره العام تأكيد التزام الطرفين باتفاقياتهما السابقة وبمبادىء سياسة الوفاق ، وهو ما أكدته وثائق الاجتماع بالفعل ، الا أنه كان من الواضح ان الذى سيطر على أعمال الاجتماع ومناقشاته هو موضوع الحد من الأسلحة الاستراتيجية وتحديدها فى علاقاتهم بل واعتبارها فى حقيقة الأمر
الاستراتيجية وتحديدها فى علاقاتهم بل واعتبارها فى حقيقة الأمر
مفتاح سياسة الوفاق وذلك فيما يتعلق بهدفها المشترك والأساسى وهو خلق ضمانات ضد اشتعال صدام نووى أو الحرب بوجه عام .

---

(١) — Kissing's Archive, 1974, p. 26850.

بروز عقبات فى طريق الوفاق

بعد شهر واحد فقط من مؤتمر قمة فلاديفوستوك ، شهدت العلاقات السوفيتية الأمريكية تطورا خطيرا ، وذلك ان مسألة منح الاتحاد السوفيتى حق الدولة الأولى بالرعاية Most Favorite Nation (والتى ظلت تجرى حولها المفاوضات منذ عام ١٩٧٢ وارتبطت بشكل عضـوى باتفاقية التجارة) ، قد واجهت صعابا وتعقيدات خطيرة وانتهت باقدام الاتحـاد السوفيتى على الغاء اتفاقية التجارة ذاتها (*) ٠

وكان الرئيس نيكسون قد قـدم للكونجرس قانونا للتجـارة فى ١٠ أبريل سنة ١٩٧٣ يفوض الحكومة الأمريكية السلطة للتفاوض حـول مزيد من خفض وتصفية الحواجز التجـارية بين الاقطـار الأخرى ، غير ان تصديق الكونجرس على هـذا القانون قد تأخر كثيرا حين طالب عددا من الشيوخ بزعامة السناتور هنرى جاكسون يفرض قيود على سلطات الرئيس فى منح حق الدولة الأكثر رعاية للاتحاد السوفيتى طالما ان هذا البلد يقيد هجرة مواطنيه ٠ وقد عرف هذا القيد ب Jaxon-vanik Amendement.

وفى ١٨ أكتوبر أعلن السناتور جاكسون انه يتوقع ان قانون التجارة سوف يمر بسرعة من الكونجرس وذلك بعد التأكيدات التى قدمها الدكتور

(*) كانت أول معاهدة حول حق الدولة الاولى بالرعاية عقدت بين الولايات المتحدة وروسيا عام ١٨٣٧ ، ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة قد انهت هذه المعاهدة عام ١٩١١ ، فى محاولة منها لممارسة ضغط على الحكومة القيصرية لمنح معاملة انسانية أفضل لليهود الروس ، وكما فشلت هذه المحاولة التى اعتبرها الحكم القيصرى الروس تدخلا فى شئونه الداخلية فشلت محاولة الكونجرس الأمريكى بعد ذلك باربعة وسـتين عاما لنفس السبب ٠

كيسنجر بأن الاتحاد السوفيتى مستعد لتخفيف القيود المفروضة على هجرة المواطنين السوفيت (*) ٠

وعلى هذا الاساس وافق الكونجرس نهائيا على مشروع القانون فى ديسمبر سنة ١٩٧٤ ، الا أنه قيد القروض والمنح للاتحاد السوفيتى ، فنصت المادة ٦ على « ان لا توافق أيا من الوكالات الأمريكية على أية قروض أو ضمانات أو تأمينات فيما يتعلق بالصادرات الى الاتحاد السوفيتى فيما لا يزيد على ٣٠٠ مليون دولار بدون موافقة مسبقة من الكونجرس ٠

وقد بدأ الأمر يأخذ اتجاها عكسيا ، ففى ١٨ ديسمبر اذيع فى موسكو نص خطاب وجهه جروميكو الى كيسنجر فى ٢٦ أكتوبر فيما يتعلق بالتفسيرات التى قدمتها الحكومة الأمريكية للخطابات المتبادلة فى ١٨ أكتوبر بين الدكتور كيسنجر والسناتور جاكسون : « اعتقد انه من الضرورى ان أوجه نظركم الى ما نشر فى الولايات المتحدة من مواد تعلمها حول هجرة قطاع معين من المواطنين السوفيت من الاتحاد السوفيتى ٠٠ وأود أن أقول مباشرة ان المراسلات بينك وبين السناتور جاكسون قد خلقت صورة مشوهه لموقفنا ولما ابلغنا به الجانب الأمريكى ٠٠ فحين أوضحنا الحالة

(*) كان كيسنجر قد وجه خطابا الى السناتور جاكسون يعبر عن الرغبة فى ٠٠ تقديم الأهداف التى نشترك فيها فيما يتعلق بمرور قانون التجارة وبالهجرة من الاتحاد السوفيتى وعلى أساس المناقشات التى أجريت مع المسئولين السوفيت أود نيابة عن الادارة ان أبلغك اننا قد تلقينا تأكيدات أن المعايير الآتية سوف تحكم من الآن الهجرة من الاتحاد السوفيتى : —

١ — ان أعمال العقاب ضد الأفراد الراغبين فى الهجرة من الاتحاد السوفيتى مستعد خرقا للقانون السوفيتى ولن يسمح بها ٠

٢ — انه لن تقوم عوائق غير معقولة أو غير قانونية فى طريق الأشخاص الراغبين للتقدم بطلبات للهجرة ٠

٣ — ان الأشخاص الذين يوضع قيود على هجرتهم بسبب اعتبارات الأمن المتعلقة بوظائفهم سوف يخطرون بالتاريخ الذى سيكون لهم فيه حق الهجرة ٠

٤ — ان سينظر بعين العطف للحالات الصعبة ، كما أن من سجنوا بسبب طلبهم الهجرة سوف ينظر أى وضعهم بعين العطف أيضا وقد يطلق سراحهم بشكل مبكر ٠

٥ — ان تحصيل ضريبة الهجرة ، والتى أوقفت فى العام الماضى ، سوف يستمر وقفها ٠

٦ — ان الولايات المتحدة سيكون فى مقدورها ان تنبه فى حالة عدم تطبيق المعايير السابقة ٠
(Kissing's Archive, 1974, p. 26850).

الفعلية استجابة لطلبك ، أكدنا ان المسألة كلها انما تقع فى الاختصاص الداخلى لدولتنا وقدمنا فى هذا الوقت تحذيرا اننا قد تصرفنا وسوف نتصرف بشكل صارم وبما يتفق مع تشريعاتنا القائمة فى هذا الخصوص » (١) ٠

ونتيجة للاقرار النهائى لقانون التجارة بالشكل الذى تضمن المادة المتعلقة بسياسة الهجرة ، ابلغت الحكومة السوفيتيه السلطات الامريكية فى ١٠ يناير سنة ١٩٧٥ انها تعتبر ان قانون التجارة يناقض اتفاقية التجارة المعقودة بين البلدين عام ١٩٧٢ ويمثل تدخلا فى الشئون الداخلية للاتحاد السوفيتى وانها لذلك لن تضع اتفاقية التجارة موضع التنفيذ ٠

وقالت مقاله فى الازفستيا بتاريخ ١٨ يناير « ان الاتحاد السوفيتى قد اتخذ الخطوة الوحيدة المعقولة والممكنة فى رفض الشروط المهينة التى اقترحها الكونجرس ولم يكن هذا لأن « الكرملين » قد عدل عن أهمية الوفاق ولكن الوفاق لا يمكن أن يقوم على التهديد السياسى ، فهو يتطلب احتراما متبادلا ، والتفاوض وفقا لشروط متساوية » ٠

وقالت المقالة « اذا تحدثنا بشكل عام فان المرء لا يملك الا أن يستنتج ان قرارات الكونجرس انما تسيىء الى المناخ العام للعلاقات السوفيتية الأمريكية ، وهى تفرض من جديد السؤال حول حدود الثقة وتطور الفهم المتبادل والذى بدونه لن يتحقق أى تقدم ٠ » (٢) ٠

وقد عبر كيسنجر عن أسفه للتصرف السوفيتى ، وأعلن ان الرئيس الأمريكى كان يعتزم فى نطاق اختصاصه « ان يطعن فى امكان تطبيق تعديل جاكسون » ، وأضاف انه بالنظر الى التصرف السوفيتى « فان الرئيس لا ينوى فى هذا الوقت ان يمارس حق الطعن ٠٠٠ ان الادارة تأسف لهذا التحول فى الأحداث ، فقد اعتبرت وسوف تظل تعتبر ان علاقة تجارية منظمة ومتبادلة النفع مع الاتحاد السوفيتى هى عنصر هام فى التحسن الشامل للعلاقات وسوف تستمر بالطبع فى اتباع كل الطرق الممكنة لمثل هذا التحسن بما فيها الجهود للحصول على تشريع يسمح لعلاقات تجارية طبيعية » (٣) ٠

وكان طبيعيا ان يسبب هذا الاتجاه فى الاحداث نكسة للوفاق ، فحين وقعت اتفاقية التجارة عام ١٩٧٢ اعتبرت القاعدة المادية للعلاقات الجديدة ، ونظر كلا الجانبين الى الاتفاقية لا كاتفاقية تجارية محضه وانما

---

(١) Ibid, p. 26994.

(٢) — Ibid, p. 26995.

(٣) — Ibid,

كاداة لتنمية ودفع العلاقات السياسية ، وقد عبر برجينيف عن هذا وهو يخطب أمام الاجتماع الثانى للجنة السوفيتية الأمريكية المشتركة للتجارة ورأى علاقة وثيقة بين التحسن فى المجالين التجارى والسياسى فذكر « بدون التقدم فى هذا المجال ، التجارة والاقتصاد والتى تمثل الاساس المادى للتعاون الأمريكى السوفيتى ، فان الكثير مما أنجز من خلال الجهود المشتركة فى أعوام ٧٢ ، ٧٣ ، ١٩٧٤ انما يواجه خطر التعرض للضعف » (١) ·· كذلك اعتبر الدكتور كيسنجر العلاقة التجارية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة « كعنصر هام فى التحسن العام للعلاقات » ··

غير انه على الرغم من هذه النكسة فان كل جانب قد عبر للآخر عن نيته فى ان لا يدع هذا التطور السلبى يغير من سياسته الرئيسية فى الوفاق · وهكذا فان الغاء اتفاقية التجارة — الذى حدث مباشرة عقب مؤتمر فلاديفوستوك — قد أثبت أن النكسات أمر لا مفر منه فى أية علاقة سياسية ديناميكية مثل تلك التى تربط الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، ومن ناحية أخرى أظهرت ان مثل هذه النكسات لا يجب ان تختلط أو تؤخذ على انها انهيار نهائى لسياسة الوفاق ·

انجولا وآثارها على اتجاه علاقات الوفاق :

مع نهاية عام ١٩٧٥ اكتسب الوضع فى انجولا محتوى أكثر شمولا وذلك بالارتباط السوفيتى السياسى والعسكرى — من خلال الكوبيين — فى تأييد الجبهة الشعبية لتحرير انجولا MPIA ذات الانتماءات والعقيدة الماركسية · وقد اعتبرت الولايات المتحدة هذا التدخل عمل لا يتفق أو يتمشى مع سياسة الوفاق وعلى هذا كان لهذا التطور الجديد انعكاساته الخطيرة على العلاقات السوفيتية الأمريكية · ففى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٧٥ قرر الدكتور كيسنجر ان « العلاقات السوفيتية الأمريكية سوف تصبح أكثر توترا اذا ما استمر الكرملين فى ارسال معدات عسكرية الى انجولا ، وما لم يظهر الاتحاد السوفيتى ضبط النفس فى سياسته الخارجية وتصرفاته فان علاقتنا معرضة لأن تصبح أكثر توترا » (٢) ·

غير ان هذا لم يجعله يقبل الاقتراحات القائلة بوجوب ان تعاقب الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتى بوقف بيع الحبوب اليه ·

---

(١) — Current digest of soviet press, No. 42, November 13, 1974, p. 1.

(٢) — The Guardian, 24, December, 1975.

أما الاتحاد السوفيتي فقد أوضح انه لا يعتزم ان يتخلى عن ارتباطاته فى انجولا ، وانه يعتبر تأييد نضال حركات التحرير الوطنى جزء هام من السياسة الخارجية السوفيتية . ففى ١ ديسمبر سنة ١٩٧٥ قالت الازفسيتا « ان عملية الوفاق لا تعنى ولم تعنى ابدا تجميد الوضع الاجتماعى والسياسى الراهن فى العالم ووقف النضال الشعوب المعادى للامبريالية فى سبيل مصير أفضل وأكثر عدلا وضد التدخل والقهر الأجنبى » (١) .

كما اعتبرت وجهة النظر السوفيتية أن الموقف السوفيتى فى انجولا لا يتعارض مع الوفاق وتساءلت « فيما يتعلق بالوفاق أليس النضال ضد العنصرية والدفاع عن سيادة الدول المستقلة حديثا اضافة لتخفيف التوتر الدولى وخلق الظروف الضرورية فى عالمنا لحياة سلمية سعيدة لجميع الشعوب صغيرها وكبيرها » (٢) .

وقد أدى هذا بالتالى الى تغير موقف كيسنجر السابق فى عزل الموقف فى أنجولا عن القروض الأمريكية والتجارة مع الاتحاد السوفيتى وأشار الى انه يؤيد استخدام العقوبات الاقتصادية كوسائل لوضع القيود على الاتحاد السوفيتى لاقامة السلام فى انجولا ، فقد ذكر للجنة التجارة والمالية فى الكونجرس فى ٣ يناير سنة ١٩٧٦ انه « فى الوقت الذى أكد فيه مرارا على ضرورة تخفيف الكونجرس لقيود التجارة على الاتحاد السوفيتى فانه قرر الآن أن يؤخر هذا حتى يتغير المناخ السياسى » (٣) .. غير أن الموضوع الذى استبعده كيسنجر تماما هو استخدام محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية كأداة مساومة مع الاتحاد السوفيتى حول انجولا . ففى ٢١ يناير بدأ كيسنجر محادثاته مع القادة السوفيت فى موسكو فى سعى جديد لاتفاقية حول الاسلحة الاستراتيجية تساهم فى استقرار سياسة الوفاق التى بدأت تبدو معرضة للخطر بشكل متزايد ، وكان القادة السوفيت قد تلقوا الرسالة التى ظل كيسنجر ينقلها اليهم خلال الأسابيع التى سبقت توجهه الى موسكو من خلال بياناته ومؤتمراته الصحفية وتكراره لتحذيراته حول انجولا « ان الوفاق يتطلب تفادى مواقف الأزمات وتفرض على القوتين الأعظم مسئولية ضبط النفس ازاء أى اغراء للحصول على مزايا منفردة على حساب الآخر . اننا نعرف من

---

(١) — International Herald Tribune, December, 2 1972.

(٢) — Current digest of Soviet Press, No. 1, February 4, 1976, p. 5.

(٣) The Guardian, January 31, 1976.

التاريخ أن القوى العظمى لا تقبل اخلالا من أمنها أو غورا على مصالحها وهي بالتحديد تلك السياسة من الفعل ورد الفعل التي أدت الى الكارثة في الماضي » ومشيرا الى موضوعه الرئيسي وهو محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، والمناقشات الداخلية المعقدة في كل من واشنطون وموسكو حول ادخال نظم أسلحة جديدة مثل Back fire السوفيتية و Cruise missile الأمريكية ، فقد تقدم بهذا النداء الى مضيفيه السوفيت « ان كلا منا عليه ـ اذا ما فشلنا ـ أن يجيب أمام شعبه وأمام العالم بأسره وأمام التاريخ على هذا السؤال : هل هذه المسألة أو تلك والتي غالبا ما تكون مسألة فنية تبرر الفشل أو التأخير الطويل للجهد كله ؟ وهل فعلنا كل ما في وسعنا لكي نوفر على البشرية اثقال ومخاطر سباق التسلح النووي (١) على ان الموقف في انجولا استمر يحرك مناقشات حادة داخل الولايات المتحده . ففي خلال شهرين تحولت انجولا بالنسبة لأمريكيين الى فيتنام جديدة يجب تفاديها بكل ثمن أو كموضع على الولايات المتحدة أن تضع حدا للتدخل السوفيتي فيه . أما الكونجرس فقد كان من رأيه ان انجولا لا تمثل مصلحة حيوية بالنسبة للولايات المتحدة ، أما ما كان وراء الرفض الحاسم لاى عمل تقوم به أمريكا في انجولا فهو ما تكون لدى الشعب الأمريكي من تجربة في فيتنام ضد أى تدخل عسكرى أمريكي وقد انعكس هذا في قرار الكونجرس بوقف كل مساعدة عسكرية لانجولا ويبدو ان هذا كان في حسابات الاتحاد السوفيتي حيث قدر انه بعد فيتنام وورطتها والاثر الذى تركته في المجتمع الأمريكي والسياسة الامريكية فان في مقدور موسكو ان تتخذ اتجاها أكثر جراة في انجولا دون أن تخاطر بمواجهة خطيرة مع الولايات المتحدة (٢) .

أما كيسنجر ، فقد نظر الى الموقف من زاوية أخرى ، « ان المسالة ليست ما اذا كانت انجولا تمثل مصالح حيوية بالنسبة للولايات المتحده ، ان المسأله هى انه اذا ما تبنت الولايات المتحده كسياسة قومية اننا لانستطيع أن نقدم حتى المساعدة العسكرية والاقتصادية للشعوب التى تحاول الدفاع عن نفسها ، عندئذ فاننا عمليا ندعو القوى الخارجية للاشتراك في كل موقف يكون فيه امكانية التدخل الأجنبى وبذلك فاننا ندمر أى أمل في

---

(١) — The Guardian, Janu. 21, 1976.

(٢) The Sunday Times, december, 2, 1975.

نظام سياسى أو دولى مستقر » (١) • وحين تعرض للموقف فى ضـــوء المنافسة بين القوتين الأعظم فقد اعتبر انه « ونحن مواجهين بالمحـــاولة السوفيتية للحصول على وضع خاص من النفوذ القائم على التدخل الاجنبى فان الولايات المتحدة يجب أن تقف بحزم والا فسيكون هناك سلسلة من الفعل ورد الفعل مشابهه لتلك التى حدثت فى مراحل من التاريخ ناورت بها القوى الكبرى من اجل المزايا لكى تجد نفسها عاجلا او آجلا متورطة فى أزمة كبرى » (٢) كما رأى كيسنجر الجهد السوفيتى فى انجولا على انه « المرة الأولى التى يتحرك فيها السوفيت عسكريا وعلى مسافة بعيدة لفرض نظام من اختيارهم ، كما انها المرة الأولى التى فشلت فيها الولايات المتحدة فى أن ترد على التحركات السوفيتية العسكرية خارج نطاق المحيط السوفيتى مباشرة ، والمرة الأولى التى يمنع فيها الكونجرس عملا قوميا فى منتصف الأزمة •• » كما يعطى كيسنجر التحرك السوفيتى فى انجـولا بعـــدا استراتيجيا أشمل بقوله « •• حين تحول قوة عظمى بشكل حاسم ميزان القوى فى نزاع محلى من خلال تدخلها العسكرى ولا تواجه أى مقاومة فان سابقة خطيرة ذات نتائج خطيرة تكون قد ارسيت حتى لوحدث هذا التدخل فى منطقة نائية ، مثل هذه المحاولة لا يمكن التسامح معها •• ذلك انه ان لم يحدث كسر للاطار الآن فسوف نواجه اختيارات صعبة وتكاليف باهظة فى المستقبل » (٣) •

وحين تقيم ما تضمنته أزمة انجولا من آثار على سياسة الوفاق فانه من الواضح انها كانت اختبارا جديدا لتلك السياسة ، فقد أظهر تطـور الموقف ان العلاقات السوفيتية الامريكية قد فشـــلت فى أن تقدم حــلا سياسيا وسطا حول انجولا ، وزيادة على ذلك فان انجولا كانت عاملا زاد من خطورة العلاقات السوفيتية الامريكية • وليس من شك أن اســـقاط الرئيس فورد عبارة الوفاق من الاستعمال السياسى وحطه من قيمة تلك السياسة فى تصريحه الذى قال فيه « ان الوفاق هى فقط عبارة صيغت ولم تعد قابلة للاستعمال » (٤) فانه كان مدفوعا فى ذلك بالاضافة الى

---

(١) The Daily Telegraph, December 29, 1975.

(٢) The fiuancil Times, January 6, 1976.

(٣) Adam, Elaine, (ed.), « American foreign relations, documented record, 1976 » op. cit., p. 177.

(٤) — The Guardian, March 3, 1976.

اعتبارات أخرى كان أهمها بدأ مناورات انتخابات الرئاسة الامريكية ـ بالآثار التى خلقها الموقف فى انجولا على مختلف الدوائر السياسية التى زاد من شكوكها حول الوفاق والنوايا السوفيتية ·

تصاعد اتجاهات التسلح :

توازى مع نمو الشكوك والنقد لسياسة الوفاق التي أثارها فى الولايات المتحدة تطور الأحداث فى انجولا وخاصة بعد ان تحقق السيطرة للجهة الشعبية المؤيدة من الاتحاد السوفيتى ، توازى معها نقاش على نطاق واسع حول برنامج التسلح السوفيتى والنفقات التى يرصدها للدفاع كما قدرها البنتاجون ووكالة المخابرات المركزية · ففى ٢٧ ينساير سنة ١٩٧٦ وقف وزير الدفاع الأمريكى رمسفيلدورئيس هيئة الأركان الجنرال براون يحذران الكونجرس من ان القوة المتزايدة للاتحاد السوفيتى تمثل تهديدا متزايدا للمصالح الأمريكية الوطنية (١) ، فذكر الجنرال براون « أن القوة العسكرية السوفيتية المتزايدة دوما هى أكثر تهديدا عسكريا لامتنا ·· وفى المجموع فان هذه القوة العسكرية النامية لقواهم الإستراتيجية والتكتكية انما تمنح للاتحاد السوفيتي الثقة بالنفس للحصول على المزايا بسرعة وحسم من خلال الفرص السياسية والعسكرية » (٢) ، أما وزير الدفاع فقد ذكر انه ما بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ ـ فان البناء العسكرى السوفيتي قد زاد من ٣ر٤ مليون الى ٤ر٤ مليون جندى وزاد عدد الصواريخ العابرة للقارات لدى الاتحاد السوفيتي من ٢٢٤ الى ١٦٠٠ كما زادت الصواريخ الموجهة من البحر من ٢٩ الى ٣٧٠ كما زادت الرءوس الاستراتيجية والقنابل من ٤٥٠ الى ٢٥٠٠ ولا تظهر قوة الاندفاع فى هذا البناء أى بادرة نحو الانخفاض (٣) وانه لمواجهة هذه القوة فان على الولايات المتحدة بناء صواريخ جديدة عابرة للقارات وقاذفات تصل قيمتها الى ٧٠ الف مليون دولار (٤) ·

---

(١) — The Times, January 28, 1976.

(٢) The Times, January 28, 1976.

(٣) Ibid.

(٤) Ibid.

وقد عاد رمسفيلد في ٨ مارس يكرر تحذيره أمام الكونجرس الامريكي فذكر لاحدى لجانه وهي لجنة الميزانية ان الاتحاد السوفيتي يحاول عن عمد ان يسبق الولايات المتحدة في كل مجالاته من المجالات العسكرية واعتبر ان الاتحاد السوفيتي أنتج دبابات أكثر ٦ مرات من الولايات المتحدة في السنوات الثلاث الماضية وأكثر بثلاث مرات في المدرعات حاملة الجنود وتسع مرات في المدفعية وقال ان الاتحاد السوفيتي ينفق أكثر من الولايات المتحدة بثلاث مرات ونصف حول انتاج جيل جديد من الصواريخ العابرة للقارات وهم ينتجون طائرة أكثر تقدما وأسرع ٣٠٪ من مثيلاتها لدى الولايات المتحدة وزيادة على ذلك فان التكنولوجيا الروسية انما تقترب من مثيلتها الأمريكية ٠ وقبل ذلك بأسبوع كان رمسفيلد قد أخبر مؤتمر صحفيا بأن « الذين يتابعون ويدرسون هذه الأمور يستخلصون أن نظم التسلح الروسية الجديدة انما هي نظم حديثة وذات تصميم معقد وهي أكثر تقدما بكثير مما كان متوقعا » (١) ٠

ومما يجدر ملاحظته ان تحذيرات رمسفيلد انما تتشابه مع تحذيرات سلفه جيمس شلزنجر حين راقب ميزانية الاتحاد السوفيتي الدفاعية بحذر وقلق وأخذ يحصى كل صاروخ جديد ودبابة محذرا ان الميزان العسكرى انما يتحول تدريجيا في صالح الاتحاد السوفيتي (*) ٠ وفي عدة خطب له ذكر أن الانفاق العسكرى الأمريكى منذ سنة ١٩٦٤ قد انخفض بنسبة ٤٠٪ بينما زاد الانفاق السوفيتي بحوالى ٤٠٪ خلال نفس الفترة (٢) ٠٠ في هذا الوقت وجد الرئيس فورد أن تحذيرات شلزنجر مبالغ فيها كثيرا وعزله من منصبه ٠ كذلك مما يجدر ملاحظته التوافق بين طلب الادارة الأمريكية زيادة حادة في ميزانية الدفاع وبين المفهوم الجديد الذى صدر عن الرئيس فورد عن الوفاق وفهمه له على انه « سلام من خلال القوة » (٣) ٠

(★) على عكس من شلزنجر/كان وزير الخارجية كيسنجر يعتبر أن الأعداد ـ وحدها لا تكفى للدلالة ، وكان يقول ان الولايات المتحدة لديها القوة على تدمير الاتحاد السوفيتى والعكس وعلى هذا فان الزيادة فى اعداد الصواريخ الأمريكية سيكون شيئا عظيما ، وعلى ذلك كان يعتقد أن ما تحتاجه الولايات المتحدة كهدف هو الكفا **Suffeciency** من الأسلحة لردع السوفيت وليس تفوقا **Superiority** وان هذه الكفاية قائمة بالفعل ٠ — (The Times November 17, 1975).

(١) The Times, March, 10, 1975.

(٢) Ibid.

(٣) — The Guardian, March 3, 1976.

على ان ما هو أكثر أهمية ما إرتبط بهذه المناقشات من ظهور تحديد قد يبدو عمليا وواقعيا على الأقل بالنسبة للمرحلة التى يمر بها الوفاق ·

فعلى الجانب الامريكى هاجم وزير الدفاع رمسفيلد فى تقريره للكونجرس فى ٢٧ يناير سنة ١٩٧٦ « المفهوم الخاطىء » بأن هناك عدم اتساق بين الوفاق وبين ان يكون هناك ميزانية دفاع قوية قائلا انه « ليس هناك فى أى معنى من معانى الوفاق إى اشارة الى أن الوفاق يعني الصداقة أو الثقة أو العواطف أو السلام المؤكد » وأضاف « انه فى كل الاستعمالات فان الوفاق يعنى تخفيفا لحدة التوتر القائم لأسباب حقيقية لامتوهمة » (١)

وعلى الجانب السوفيتي انتقد دعاة زيادة نفقات التسلح فى الولايات المتحدة ومن يحذرون من زيادة الخطر السوفيتي واعتبر كتابه « ·· ان الكثير مما يجرى الآن فى الولايات المتحدة يشكل عقبات اضافية على طريق حل المشاكل الملحة للعلاقات السوفيتية الأمريكية المعقدة بطبيعتها واحدى هذه المشاكل المعقدة هى مشكلة الحد من السلاح » ثم واعتبروا ان ما يتردد فى الولايات المتحدة عن تزايد القوة العسكرية السوفيتية وتخلف الولايات المتحدة عنها شبيه بما حدث أعوام ١٩٥٦ ، ١٩٦٠ حين ثارت « فجوة الصواريخ » ثم تبين للادارة الأمريكية حينئذ عدم صحة ذلك ، وتنقل هذه الكتابات عن بعض الشيوخ الأمريكيين قولهم ان أساطير القوة السوفيتية المهددة تتناثر حينما تعرض الميزانية العسكرية على لجنة الميزانية تماما كما تزدهر الورود فى الربيع » ، ثم تستخلص هذه الكتابات من ذلك « اننا الآن نمر بهذه الفترة وقد بدأت التقارير التى أعدتها وكالة المخابرات المركزية والتى تتضمن حسابات خيالية للانفاق العسكرى السوفيتى ولا عجب اذن اذا رأينا ان البنتاجون يطلب للعام الحالى القادم رقما قياسيا يصل الى ١١٢ مليار دولار » (٢) ·

غير انه على الرغم من الانتقاد السوفيتى للاتجاه الأمريكى فى زيادة التسلح والدعوة الى وفاق عسكرى جنبا الى جنب مع الوفاق السياسى ونزع السلاح من الصراع بين الشرق والغرب والانتقال الى التعايش السلمى الذى سننتهى فى ظله المواجهة العسكرية ويدار الصراع على أسس اقتصادية وسياسية وأيديولوجية ، على الرغم من هذا فاننا نجد

---

(١) — The Times, January, 28, 1976.

(٢) Arbatov, « On Soviet American relations » ,New Times, No. 32, August, 1976.

العديد من البيانات السوفيتية التي لاتدل على وجود تناقض بين المستويات العليا من جهود التسلح وبين اتباع سياسة الوفاق ، في هذا الشأن نستطيع ان نلحظ جدلا في الصحافة العسكرية السوفيتية بان القوة العسكرية هي عنصر جوهري في السياسة السوفيتية واحد عناصر نجاحها ، فكما عبرت احدى المجلات السوفيتية العسكرية فانه « ليس هناك من شك ان كل عناصر النضال من أجل السلام لم تكن لتؤدي دورها دون وجود القوات العسكرية القوية للأقطار الاشتراكية وفي المقام الأول الجيش والاسطول السوفيتي ، ان النضال من أجل الامن الدولي يتضمن كلا من المبادىء السلمية وفي نفس الوقت تدعيم وتقوية القوة الاقتصادية والعسكرية للاتحاد السوفيتي » (١) ، كذلك نجد الماريشال جريشكو وزير الدفاع ـ ١٩٥٧ ـ ١٩٧٦ يقرر « أننا يجب أن لا نغض النظر عن الميزانية العسكرية المتنامية للأقطار الرأسمالية ، ان حزبنا في اتباعه لسياسة خارجية محبه للسلام انما يربط ذلك بشكل دائم باليقظة الدائمة ويظهر اهتماما لا يقل بتدعيم القدرة الدفاعية للوطن وزيادة القدرة القتالية للقوات المسلحة وتزويدها بالمواد العسكرية الحديثة وتحسين قوتها القتالية » (٢) .

ازاء هذا يبدو واقع علاقات القوتين في اتجاهها نحو الوفاق غريبا بل ومتناقضا ، فبينما يتطلب تخفيف التوتر الدولى ، اذا ما أريد له ان يكون فعالا حقا ، ان تقل احتمالات الحرب والمواجهة عن طريق خفض ادواتها في المحل الأول ـ فاننا نجد أنه رغم هذا فان كلا الجانبين مستمر في تطوير قوته العسكرية ومحاولا تعدى قدرة الآخر في كل مجال من مجالات الجهد العسكرى الأمر الذى يتناقض بوضوح مع ما يعبر عنه الزعيم السوفيتى برجينيف باستمرار من أن « الوفاق السياسى يجب أن يدعم بالوفاق العسكرى » ، ومع الرأى السوفيتى القائل أنه « عندما يبذل المرء كل جهده للاستعداد للحرب فانه بهذا يجعل الحرب حتمية » (٣) ، ومع ما يعتبره كيسنجر أن الاهتمام الأول للقوتين يجب أن يكون هو ان المنافسة العسكرية فى كل جوانبهما يجب أن تخضع لضبط النفس المتزايد من كلا الجانبين » .

---

(١) — Edmonds, Soviet Foreign Policy, op. cit., pp. 56-57.

(٢) Current digest of soviet Press, No. 22, June 25, 1975.

(٣) Arbatov, on soviet American relations,» op. cit.,

نتبين من هذا مدى الضغوط التى تعرض لهـا الوفاق السـوفيتى الامريكي وبالتحديد منذ وخلال حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط وان لم تكن هي السبب أو العامل الوحيد بين هذه الضغوط • ورغم أن الدولتين على المستوى الرسمى ، قد ذهبتا الى تفسير سـلوكهما وادارتهما للازمة خلال حرب أكتوبر على انه انتصار للوفاق وتأكيد لقيمته فى مثل هـذه الأزمات ، فقد كان من الواضح أن تصاعد التوتر والاقتراب من المواجهـة بين القوتين خلال الحرب قد ضيق كثيرا من حدود الوفاق لدى دوائر كثيرة فى الولايات المتحدة وترك أثره على نظرهم ومواقفهم مما سيحل بعد ذلك من تعقيدات جديدة •

وقد حاولت الحكومتان الامريكية والسوفيتية اعطاء دفعة جـديدة لعلاقاتهما فى اطار الوفاق والعمل على تعدى التطورات السلبية التى وقعت بعد مؤتمر القمة الثانى فى واشنطون عام ١٩٧٣ ، وذلك بعقد مؤتمـر القمة الثالث والرابع فى موسكو عام١٩٧٤ واجتماع القمة الرابـع فى فلاديفوستوك فى نفس العام وكان الهدف الرئيسى من المؤتمرين هو محاولة بث الثقة من جديد فى علاقات البلدين كما تطورت منذ أوائل السبعينات واعادة تأكيد الارتباط بما انجزاه خلال الأعوام الماضية واحترام ما تضمنته هذا من اتفاقيات ومبادىء وقواعد للسلوك فضلا عن تأكيد عزمهما على مواصلة عملية الوفاق فى جوانبها المختلفة وبشكل خاص الجانب المتعلق بالحد من الأسلحة الاستراتيجية •

على انه على الرغم مما قد يبدو من حسن النوايا المشـتركة الا أن التطورات قد جاءت بأحداث وتفاعلات جديدة داخليـة وخارجية مثلت اختبارات جديدة لمدى ما يمتلك الوفاق من مقومات الصمود لهـا • ففى الولايات المتحدة اتخذت القوى المتشددة فى الكونجرس موقفا من قانون التجارة وأدخلت عليه تعديلات وربطته بشروط اعتبرها الاتحاد السوفيتى تدخلا فى شئونه الداخلية مما دفعه الى الغاء اتفاقية التجارة بين البلدين والتى كانت من أهم انجازات مؤتمر قمة موسكو عام ١٩٧٢ ، وأعقب هـذا حدوث التطورات فى انجولا والتدخل السوفيتى الكوبى فيها الى جانب قوى كانت الولايات المتحدة تقاومها ، فى هذا الشأن اقترب الموقف الرسمى تقريبا فى الولايات المتحدة من موقف وفهم الدوائر غير الرسمية ، بـل وتعداه ، واعتبر أن السلوك السوفيتى واضح الدلالة على نوايا السوفيت فى كسب مزايا منفردة اينما اتيحت لهم الفرصة بما لا يتمشى مع سياسة الوفاق • أما الاتحاد السوفيتى فقد أكد موقفـه واعتبر أن تصرفـه فى

أنجولا ليس فيه جديد وانه يتفق مع ما أعلنه مرارا من فهمه للوفاق وتفسيره للوفاق على أنه لا يعني تخليه عن حركات التحرر الوطني ودعمها. وكان من الطبيعي أن يخلق هذا مناخا تزدهر فيه المفاهيم الأمريكيه التقليدية عن الخطر والتهديد السوفيتي وتزايد القوة العسكرية السوفيتية بل وتخلف القوة الامريكية عنها مما غذى دعوات زيادة ميزانيات الاتفاق العسكرى الأمريكى .

بذلك يكون تراكم هذه التأثيرات العكسية فى مجرى الوفاق لم يشمل فقط جانبا واحدا من جوانب هذه العلاقة بل شمل أوجهها السياسية والاقتصادية والعسكرية وساهمت لا فى اعاقة أحداث تطورات ايجابية أكثر فحسب بل تعريض ما أنجز خلال الاعوام الماضية للخطر .

الباب الرابع

حُدود الوفاق وَمستقبله

المفهوم السوفيتي والأمريكى للوفاق

يتضح لنا مما سبق ان طبيعة العلاقة التى تربط بين القوتين الأعظم هي طبيعة معقده يكتنفها الغموض بل والتناقض وانهـا بهذا المفهوم قد تعثرت على محاولات تحـديد معنى الوفاق Detente (*) فى عبـارة محددة • ومع هذا فالوفاق هى العبارة المختصرة التى جرى استعمالها فى الأونة الأخيرة للدلالة على اتجـاه للتقارب Rapproachement بين الشرق والغرب بوجه عام وبين الاتحـاد السوفيتى والولايـات المتحـدة على وجه أخص وذلك بعد قرابة ربع قرن من السياسات التى اعتمدت على الحـرب الباردة Cold war والتوتر Tension والمواجهة Confrontation أو Brinkmanship والانتقال من ذلك الى سياسات تعتمد على المفاوضة Negotiation وتخفيف التوتر Relaxation of tension والتعاون Cooperation.

وثمة عدد من التعريفات العامة للوفاق ، يعتبره بعضـها انه عمليـة تبتعد بها دولتين أو أكثر من المواجهة المستمرة مع بعضها البعض الى الاتجاه العام للتعاون (١) ، ويعتبره السياسى الفرنسى كوف دى مورفيـل انه « فوق كل شىء حالة عقلية Frame of mind ثم اقتراح لبدء المفاوضات وتطبيع للعلاقات والصلات وأخيرا مناقشة مسائل محددة » (٢) • ويعتبره

(*) من المهم التفريق بين معنى ال Entente ومعنى ال Detente ، فالاول يعنى علاقات تقوم على التفاهم الوثيق الذى يستند الى احساس بالمصلحة المشتركة كما حدث فى التفاهم الودى Entente cordiale أما ال Detente فهو يتضمن علاقات أكثر محدودية تفتقد الى التفاهم الكامل بين أطرافه بل تتضمن الحذر والترقب •

(١) Petrov, « U. S. — Soviet Detente op. cit.,

(٢) Grigoryev, I, «the important features of Detente» 1-2 International Affairs, Moscow. No. 3, 1975, p. 61.

ماريشال شولمان بانه « تغيير جزئي لشروط المنافســـة » (١) ٠٠ ويعتبر السفير همفرى تريفليان ان افضل تعبير له « ادارة العلاقات مع القــوة النامية للاتحاد السوفيتى » (٢) ، كمـا يعرف على انه « أســلوب معقد Acomplex and sopnistcated metnod من ضبط النفس بين قوى متعارضة » (٣) ، ويعرفه العالم السوفيتى ارباتوف بانه « التعلم ان نعيش فى ظروف من الاختلافات الخطيرة وفى نفس الوقت تطوير عملية الوفاق وعدم اعاقة حــل أكثر المشكلات أهمية فى السياســـة الخارجية » (٤) ، ويحدده سناتور أمريكى بانه وفى المدى البعيد فان الوفاق يمكن ان يحمل وعدا أو على الأقل أملا فى علاقات صداقة ولكن فى ظـل الحقائق القائمـة فانه لا يمثل الا ممارسة لضبط النفس على منافسة مكلفة وخطيرة » (٥) ، كذلك يعتبر فى نظر البعض « ليس الأمل البعيد فى وحـدة الهدف ، أو التعاون الوثيق ، ولكن امكانية تخفيف التوترات ، ومن ثم اســتقرار السلام بين العملاقين النوويين » (٦) ٠

على انه وفيما يتعلق بالوفاق السوفيتى الأمريكى فانه قد يكون مفيدا للتعرف على زوايا نظر ودوافع ونوايا كلا من القوتين من الوفاق التعرض بالتفصيل لكل من المفهوم السوفيتى والأمريكى للوفاق ٠

---

(١) — Ibid.

(٢) — Trevelyan, Humphry « Reflections on soviet and western policy International Affairs, London, 1976, p. 533.

(٣) — « National security and detente », Contributiong by members of the U.S. army war college, Thrus (rowell, New York, 1976, p. 2.

(٤) — Newseek, March 2, 1977.

(٥) — Detente, Hearings, op. cit., p. 373.

(٦)

المبحث الأول

المفهوم السوفيتى للوفاق

يفضل السوفيت فى علاقاتهم مع الولايات المتحدة استخدام عبارة « التعايش السلمى » وليس الوفاق ويضيفون بعد عبارة التعايش السلمى « بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة » (*) ، ويعنى التعايش السلمى سياسة وظروفا محددة للعلاقات بين الدول التى يمكن ان تكتسب شكلا قانونيا من خلال الاتفاقيات فى المعاهدات أكثر منه تغييرا فى الاتجاه نتيجة للتبدل غير محدد فى البيئة كما تتضمنها عبارة الوفاق ، فعبارة التعايش السلمى اذن تفضل لدى السوفيت لانها لا تعطى أو تتيح السبيل لسلسلة التوقعات أو الافتراضات التى ربطها الغرب بعبارة الوفاق ، كما انها تتضمن تفسيرا أكثر تحديدا لمناطق التعاون بين القوتين ٠

وسواء كان لينين هو الذى استخدمها لأول مرة أم لا فان عبارة « التعايش السلمى » قد تأسست فى القاموس السياسى السوفيتى فى منتصف العشرينات وأشارت الى ضرورة « العيش معا » لكل من الجمهورية السوفيتية وبقية العالم وغياب الحرب بينهم على الأقل بشكل مؤقت ، وهو التناول الذى تبناه ستالين ثم تعرض بعد موته الى تجديد جوهرى وتطور على أيدى القادة السوفيت والايديلوجيين الذين تزعمهم خروشوف (١) ٠ ويعتبر النظر السوفيتى ان مفهوم التعايش السلمى انما يتبع من الاستنتاج العلمى اللينينى بان الانتقال الى الاشتراكية على نطاق عالمى لن يتضمن عملا تلقائيا بل سوف يشمل مرحلة تاريخية كاملة وانه فى خلال هذه المرحلة التاريخية فان الدول الاشتراكية والرأسمالية يجب ان تعيش

(*) تستخدم البيانات والكتابات السوفيتية عبارة Detente فى الترجمات الانجليزية كما تستخدم كلمة «الانفراج» فى ترجماتها العربية ٠

(١) — Tucker, Robert, « The Soviet Political mind, Stalinism and Posts Stalinism change, », London, George Allen, 1972. p. 242.

جنبا الى جنب (١) ، على انه فى هذه المرحلة فان التعايش السلمى لن يكون الا شكلا محددا للنضال الطبقى الذى يشن عبر العالم كله ويجرى فى المجالات الاقتصادية والسياسية والايديلوجية (٢) ، ويفصل النظر السوفيتى هذه المجالات معتبرا انه فى الاقتصاد ، فان التعايش السلمى سوف يثبت المزايا الكبرى للنظام الاشتراكى ، وفى السياسة • فهو قبل كل شىء نضال ضد القوى العدوانية للامبريالية من أجل أمن العالم والسلام ، أما فى مجال الايديلوجية فان عنصر الصراع الطبقى فى عملية التعايش السلمى انما يبين عن نفسه بقوة خاصة ، حيث ليس هناك ولا يمكن ان يكون أى مساومة ، وتعتبر وجهة النظر السوفيتية تلك ان الرأسماليين فى سعيهم لتخريب تعاليم ماركس ولينين يدعون ان التعايش السلمى هو تعايش لا بين الدول وانما هو تعايش ايديلوجيات ، وان تمسك الشيوعيين بأيديلوجيتهم انما يعيق الوفاق •• الا أن الماركسيين اللينيين « قد شنوا وسوف يشنون نضالا ضد الايديلوجية البرجوازية » ، وأنه كما ذكر لينين « فان الاختيار الوحيد هو البرجوازية أو الاشتراكية وليس هناك طريق وسط » (٣) •

ويعتبر التفسير السوفيتى لعملية الوفاق وبشكل خاص كما بدأت تتجسد فى سلسلة المعاهدات والاتفاقات والمبادىء التى ارتبطت بها القوتان منذ عام ١٩٧٢ ، ان قبول الولايات المتحدة لمبدأ التعايش السلمى انما هو قبول مفروض عليها بالتغير الذى أحدثته نمو القوة السوفيتية وخاصة العسكرية والتحول فى ميزان القوى فى صالح المعسكر الاشتراكى • غير ان هذا الاتجاه الواقعى من جانب الولايات المتحدة لا يغير بأى حال الطابع الأساسى فى المصالح المتعارضة للنظامين ولايعنى نهاية للحتمية التاريخية للصراع الطبقى بين الاشتراكية والرأسمالية وان كان يسمح كما عبر برجينيف « بتحول هذا الصراع الحتمى التاريخى الى طريق لايهدد بالحروب والصراعات الخطيرة وسباق التسلح غير المقيد » فى الوقت الذى يؤكد فيه بشكل متزايد على الأشكال غير العسكرية للصراع بين النظامين (٤) •

---

(١) — Malchanov, Y. Internationat Affais, Moscow, No. 2, 1974, p. 2.

(٢) — Markounko's « Soviet foreign policy, Afactor for peace and — Progresg », Inter. Affairs,m oscow, No, 11, 1974, p. 107.

(٣) — Ibid p. 108.

(٤) — Arbatov, « U.S, Foreign policy and the scientific Technical Revolution », Daily Review, (NPA). Moscow November 11, 1973.

ويؤكد المفهوم السوفيتى لسياسة التعايش السلمى على انه فى ممارسة الاتحاد السوفيتى لهذه السياسة فانه « يضع خطا فاصلا بين المنطقة التى تعمل فيها مبادىء التعايش السلمى ومنطقة النضال من أجل التحرر الوطنى » (١) ·

وبناء على هذه الطبيعة المزدوجة لعلاقات التعايش السلمى والتى تحتوى على عنصرى التعاون والصراع فان السوفيت يستنتجون ان فى علاقاتهم مع الأقطار الرأسمالية فان المواقف فى الشئون الدولية سوف لن تتطابق وانه سيحدث اختلاف فى وجهات النظر حول بعض المشكلات الدولية بل وربما ستثور أزمات ، ولكن فضيلة سياسة التعايش السلمى هى انها تمهد الطريق لكى تقلل تدريجيا من مجالات الاختلاف (٢) ، وتحول دون أن تتحول هذه الأزمات الى صدام أو مواجهات ·

كذلك لا يخفى السوفيت انه من بين دوافعهم فى سياسة التعايش السلمى هو ما تحققه من مزايا اقتصادية وعلمية لا غنى عنها لتنفيذ البناء الشامل للمجتمع (٣) ·

كان ما تقدم هو صياغة عامة للمفهوم السوفيتي للتعايش السلمى ولكن نظرا لتعدد المراحل التى مر بها هذا المفهوم خلال الحكم السوفيتى وارتباط ذلك بأوضاع وتطور عناصر القوة السوفيتية ودلالات ذلك ، فسوف نتتبع هذا المفهوم وعناصره عبر المراحل المختلفة للنظام السوفيتى :

أ - عقد لينين :

تكون أفكار لينين أساس النظرية والعمل للسياسة الخارجية السوفيتية وخاصة تلك التى تتعلق بالتعايش السلمى كشكل من أشكال النضال · وخلال السنوات الأولى من حكم لينين أنجز أربع انجازات كبيرة نحو اقامة التعايش السلمى · كانت هذه المنجزات هى : - اعلان السلام

---

(١) — Malchanov, Yu, « Soviet foreignp olicy as a factor promoting world transformation of the world», International Affairs, Moscow, No, 12, 1972, p. 5.

(٢) — Malchanov, « The Leninest policy of peace, Inter. Affairs, Moscow, No. 2, 1974, p. 7.

(٣) — Ibid.

عام ١٩١٧ ، معاهدة بريست ليتفوسك ١٩١٨ ، وتأسيس الدولية الثالثة عام ١٩١٩ ثم مؤتمر جنوا عام ١٩٢٢ (١) ٠

فى اطار هذه القواعد ، كان شعار اعلان السـلام هو « السلام والأرض والخبز » واعتبر ان السلام أكثرها الحاحا ، وكان لينين قبل عقده لمعاهدة برست ليتفوسك Brest litovsk يدافع عن السلام بأى ثمن واعتقـد ان هذا سوف يكسب له المؤيـدين ، ولكن أكثر من هـذا كان اعتقاده انه فى ظل السلام فان الثورات سوف تشـتعل فى كل أوربا ٠ وقد بدأت المفاوضات مع ألمانيا فى ٢٢ ديسمبر سـنة ١٩١٧ واستمرت حتى مارس عام ١٩١٨ تخللها قطع للمفاوضات ، كما اعترض رفاق لينين عليه عدة مرات بالتصويت خلال المناقشات ولكن لينين تمسـك بموقفه حتى حين طالب الألمان بان تتخلى روسيا السوفيتية عن مساحة من الأرض كانت تتبع روسيا القيصرية مساحتها ١٥٠٠٠٠ ك مربع حتى فى مثل هذا الموقف اختـار لينين الواقعية والحلول الوسـط مع الألمان (٢) ٠ ويفهم المؤرخون السوفيت هذا الموقف اللينينى على انه كان مدفوعا باعتبار ان قوة روسيا الداخلية تأتى فى المقام الأول كضمان للثورة العالمية حتى ولو على حساب عمل حلول وسط أو حتى تراجعات مؤقتـه ويسترشـدون بقول لينين ذاته : ـ « ان علينا أن نربط بشكل صارم بين المحافظة على المثـل الشيوعية وبين القدرة على ممارسة التنازلات العملية اللازمة والمناورات والتراجع والتقهقر لتحقيق الأهداف النهائية (٣) غير ان قبول الحـلول الوسط فى نطاق المكان والزمان لايعنى بحال قبول الحلول الوسط بالنسبة للهدف النهائى للثورة ، وهكذا كان توقيع لينين للمعاهدة برست ليفوسك أول تجربة فى التعايش السلمى ، كمـا حمـل الموقف اللينينى من ذلك اداته واضحة لمن اسماهم باليساريين الاشتراكيين الذين « لا يتصورون للدولة الاشتراكية أن تعيش الا اذا طارت الى القمر » (٤) ٠

وفى ديسمبر سنة ١٩١٩ أعلن المؤتمر السابع لكل سوفيتات روسيا « ان جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية ترغب ان تعيش فى سلام مع

---

(١) — Weeks, « The Troubled detente », op. cit., p. 35.

(٢) — Ivid, p. 37.

(٣) — Ste panov, A. « Diplomatic practice : forms and methods », Inter Affairs, N.12, 1972, p. 47.

(٤) — Hofman, « The Conduct of soviet foreign policy » op. cit., p. 125.

كل الشعوب وان تكرس جهودها للتطور الداخلى من أجـل ان تضـمن الادارة السليمه للانتاج والنقل والحكومه على أساس من النظام السوفيتى، ·· وفى عام ١٩٢٠ أعلنت قوميسيارية الشئون الخارجية « ان شعارنا كان ومازال نفس الشعار : التعايش السلمى مع الحكومات الأخرى بغض النظر عن طبيعتها · ان الحياة نفسها قد دفعتنا ودفعت الدول الأخرى الى الحاجة لبناء علاقات طويلة بين حكومة العمال والفلاحين وبين الحكومات الرأسمالية، وفى عام ١٩٢٢ دعت رسالة موجهة من المؤتمر العاشر لـكل سوفيتات روسيا الى كل شعوب العالم « الى كل من يريدون العمل السلمى وحدوا جهودكم مع جهـود روسـيا السوفيتية من أجـل ضـمان السلام وحماية البشرية ضد الحروب الكريهة » (١) ·

وتؤكد الكتابات السوفيتية ان لينين فى هذه الفترة قد أدان بشكل حاسم ورفض نظريات تروتسكى فى دفـع الثورة العالمية بالعنف واعتبر ان أصحاب هذه النظريات اما مجانين أو مثيرين ، وتؤكد أيضـا انه كان يعتقد انه فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية فان العلاقات بين الاقطار التى تنتمى الى نظامين متعارضين يجب ان تقوم على مبادىء جديدة وانه فى سبتمبر سـنة ١٩١٩ وفى مقابلة مع مجـلة كريسـتيان ساينس مونيتور اكد لينين ان الوقت قد حان للتعايش بين الأقطـــار الرأسمالية والاشتراكية كما كان يؤكد « ان كل شـهر من السـلام منا أقوى عشر مرات » (٢) ·

أما العلامة الثالثة التى تميز سـياسة لينين نحو التعايش السلمى فكانت فى الاتجاه الذى اتخذ من مؤتمـر جنـوا عـام ١٩٢٢ · وكان هـذا المؤتمر هو أول لقاء لروسيا السوفيتية مع الغرب ، وكان هدف المؤتمر هو مناقشة اعادة البناء الاقتصـادى لما بعد الحرب ودعيت اليــه روسـيا السوفيتية · ذلك انه حتى المحافظين الأوربيين من أمثال لويد جورج قد ادركوا حقيقة ان الحكومة السوفيتية قامت لتبقى وخاصـة بعد ان كسبت الحرب الأهلية وبعد أن شرعت فى سياسة داخلية تقوم على تقديم تنازلات للمشروعات الخاصة وهى السياسة التى عرفت بالسياسة الاقتصـادية الجديدة NEP وبدأت تنظر الى الغرب من أجـل التجـارة والعلاقات الدبلوماسية · وكان من الواضح انه اذا كان النظام السوفيتى يتجه الى

---

(١) — Korivov, vitaly, « The policy of peacful soexistence in action « Progress publishers, Moscow, 1975, pp. 3.

(٢) — Malchnow, « The Leninist policy » op. cit., pp. 4-8.

مرحله من التعاون مع الغرب فانه يفعل هذا بفعل ضرورات وظروف قاهرة مثل المجاعة والأمراض ، والخراب والتفكك الذى ساد عقب الحرب الأهلية ، وهكذا بدأ الاعتقاد يتبلور لدى الغرب ان روسيا السوفينية فى ظل لينين بدأت تتحول عن الثورة العالمية الى اعادة البناء الداخلى (١) ، وان لينين مؤسس الدولة السوفيتية قد اتجه بفعل هذه الظروف الى اعادة تكييف وترتيب الأولويات السوفيتية فى بداية العشرينات باعتبار ان روسيا تحتاج الى فترة الالتقاط الانفاس Breathingspell فى الوقت الذى انعقد فيه مؤتمر جنوا من أجل اعادة بناء أوربا لنفسها (*) . كذلك اعتبر لينين اشتراك النظام السوفيتى الجديد فى المؤتمر كفرصة للدعاية للنظام الجديد . من أجل هذا تابع لينين شخصيا كل مراحل الاعداد والاشتراك فى المؤتمر – والذى كان يفكر فى البداية ان يمثل هو نفسه روسيا فيه – ، وفى خطاب وجهه لينين الى شيشيرين وزير خارجيته يتعلق بمشروع الخطاب الذى سيلقيه فى المؤتمر اثنى لينين على مشروع الخطاب الا انه أمر باجراء تعديلات جذرية عليه حيث عدل وحذف كل ما يمكن أن يثير المخاوف من جانب الدول الرأسمالية وطالب أن يتخذ الموقف الروسى موقف التجار الذين « يعتبرون ان واجبهم غير المشروط هو تأييد كل الجهود للحل السلمى لأى مشاكل « كما يجب ان تحذف أى اشارة الى استخدام أساليب العنف » أو « عدم امكانية تفادى حروب عالمية جديدة » مؤكدا وجوب عدم استخدام هذه الكلمات المخيفة « فاذا لم يكن فى مقدورك ان تتحرك ببطء فى الوحل أو ان توائم نفسك فانك لست ثوريا وانما ثرثار » (٢) .

كذلك كان من انجازات السياسة اللينية فى اتجاه التعامل مع الغرب عقدة لمعاهدة رابللو Rapallo عام ١٩٢٢ مع ألمانيا وقد وضعت

---

(١) Weeks, « The Troubled detente », op. cit., p. 55.

(*) كان عام ١٩٢١ يمثل حدا فاصلا فى السياسة الداخلية والخارجية السوفيتية فقد وضعت نهاية الحرب الأهلية النظام السوفيتى وجها لوجه مع أكثر أعدائه خطورة وهو الخراب الاقتصادى وعلى نطاق واسع وأصبحت السياسة الاقتصادية الجديدة هى سياسة تلك الفترة من التاريخ السوفيتى التى امتدت من ١٩٢٢ – ١٩٢٨ وكانت حقا فترة التقاط للأنفاس ونبذا للنظريات لصالح السياسات العملية والمعتدلة .

— Ulam, « Expansion and coexistence, op., cit., p. 122.

(٢) — Kohler, « The Soviet Union Yesterday, today, tommorrow », op. cit. p. 188.

المعاهدة مبدأ ان العالم الرأسمالي يجب ان يمتنع بأي ثمن من الوحدة ضد السلطة السوفيتية .

وقد كانت النظرة السوفيتية عن الولايات المتحدة عند بدأ النظام وخلال الفترة الحرجة التي واجهها في البداية ذا دلالة على الاستعداد لجذبها في عمليات البناء الداخلي ، ففي البداية ظن النظام الجديد ان أمريكا هي أقل الامبرياليين عدوانية وأن شعبها أكثر حساسية للشعارات الديموقراطية ، غير ان هذا لم يكن يعني تأثر القادة السوفيت بالعاطفة تجاه الولايات المتحدة ، فمع اعتقادهم بأن أمريكا أقل وحشية واستغلالية من فرنسا ، كما انها غير متأثرة بالعقلية الامبريالية كبريطانيا أو بالعقلية العسكرية كألمانيا ، الا أنهم اعتبروا أنها قائمة على الاستغلال وعبادة الربح . وفي اقترابهم من الولايات المتحدة ، فان صناع السياسة السوفيتية منذ البداية استخدموا أسلوب فتح مجالات واسعة من التجارة المربحة تكون جزاء لأمريكا اذا ما تبنت اتجاها معقولا تجاه النظام البولشفي ، بل ان لينين قد اقترح حصول الولايات المتحدة على امتيازات على الأرض الروسية في الغابات والمصايد في شرق سيبريا وبناء محطات كهربائية وخطوط سكك حديدية وقال « ان الولايات المتحدة يمكنها أيضا الاشتراك على نطاق واسع في استغلال مناطق زراعية من أجل ادخال أساليب عصرية للزراعة على ان تتلقى مقابل ذلك عدد كبير من المنتجات » (١) .

غير ان هذه المواقف العملية من جانب لينين – حتى ولو كانت ذات طابع تكتيكي – انما تمثل انفصالا عن أفكار لينين التي تبناها خلال الفترة المبكرة للثورة فقد ذكر عام ١٩١٩ « اننا نعيش لا في مجرد دولة ولكن في نظام دول وان قيام الجمهورية السوفيتية جنبا الى جنب مع الدول الامبريالية ولمدة طويلة أمر لا نفكر فيه ان طرفا أو آخر يجب ان ينتصر في النهاية وقبل أن تحل هذه النهاية فان سلسلة من الاصطدامات المخيفة بين الجمهورية السوفيتية والدول البرجوازية ستكون حتمية » ، كما قرر في نفس الفترة « طالما ان الرأسمالية والاشتراكية قائمتان فاننا لن نستطيع ان نعيش في سلام الى النهاية لان احداها يجب ان ينتصر ، وان ينشد لحنا جنائزيا فوق الجمهورية السوفيتية أو فوق العالم الرأسمالي » (٢) .

---

(١) Ulam, « Expansion and coexistence » op. cit., pp. 86-87.

(٢) — K-hler, Fay others, «Soviet Stratigies for the Seventies». university of miami, p. 19.

غير انه مع حلول عام ١٩٢٠ ، فان الجمهورية السوفيتية لم تكن في موضع يمكنها من ان تدخل في مبارزة حتى الموت حيث كانت تمر حقا بظروف خطره للغاية جعلت من عنصر الوقت أمرا مطلوبا بشكل يائس لا لتحقيق تقدم صناعي أو تكنولوجي وانما لكي تقف الامم الروسية التي انهكتها حروب التدخل والحرب الاهلية على قدميها ، ومن هنا فان الدولة السوفيتية الجديدة لم تكن في حاجة الى حالة سلام لفترة طويلة فحسب وانما كانت تتطلب أيضا علاقات سلمية مع العالم الرأسمالي من أجل جذب موارد أجنبية ومهارات لدعم جهودها في البناء والتطوير ، وقد حدد لينين تكتيك هذه المرحله بقوله « ان الأحزاب الثورية يجب ان تكمل تعليمها فقد تعلمت كيف تهاجم والآن عليها ان تتحقق ان هذه المعرفة يجب ان تكتمل بمعرفة كيف تتراجع بشكل مناسب » (١) .

كما كان لينين ينصح اتباعه في هذه الفترة بأن يكونوا حذرين وان يتفادوا المعارك حين يكون العدو أكثر قوة وان لا يستهينوا بتقدير قوته أو يتركوا أنفسهم للتمني أو توقع المعجزات ، وان يقدموا التنازلات للعدو من أجل تغطية التراجع أو بث الفرقة في صفوف العدو وقبل كل شيء التذرع بالصبر (٢) .

ويعتبر الكتاب الغربيين ان لينين ، وكما أكد هو نفسه مرارا ، اعتبر ان حركة السلام تلك التي أطلقها ، في هذه الفترة انما هي عملا تكتيكيا ومرحلة ضرورية في الحرب من أجل الاطاحة بالبرجوازية الدولية « وهي حرب أصعب مئات المرات ، وأكثر طولا وتعقيدا من أكثر الحروب دموية بين الدول » وانه « طالما ستصبح أقوياء لهزيمة الرأسمالية ككل فسوف نطيح بها في الحال » (٣) ، وانه وفقا لهذا الفهم لسياسة السلام السوفيتية كما قدمها لينين انما تخضع للتغير اللحظي فهي يمكن ان تمارس بشدة أو تخفف أو تعلق أو تنبذ كل هذا وفقا للظروف والملابسات أو وفقا لاعتبارات تكتيكية أو استراتيجية (*) .

---

(١) — Ibid.

(٢) — Kulski, waldeglav, « Peacful coexistence, an analycis of soviet foreign policy », Foundation for foreign affairs, chicago, 1945, p. 81.

(٣) — Kohler », The soviet union, today, Yesterday, tomorrow, op. cit., p. 188.

(★) كانت الفوارق بين التكتيكية والاستراتيجية من الموضوعات المفضلة لدى لينين . وقد لخص ستالين نظرية لينين حول هذا الموضوع في كتابه « أسس اللينينية » بقوله

كان ذلك بوجه عام مفهوم لينين تجاه التعايش السلمي بين النظام السوفيتي الجديد وبين الاقطار الرأسمالية ، وقد كان هذا الاتجاه أكثر تحديدا تجاه الولايات المتحدة الأمريكية ٠

ويذكر ان لينين كثيرا ما أبدى اهتماما بالغا بامريكا الشمالية واتجه اهتمامه دائما الى تقدمها السريع وتاريخها واقتصادياتها ونموها التكنولوجي السريع ٠ وبعد قيام ثورة أكتوبر ركز لينين دائما على ضرورة إقامة علاقات متبادلة النفع على اساس التعايش السلمي بين موسكو وواشنطون (١) ٠

وحتى خلال الحرب الأهلية والتدخل الأجنبي الذى شاركت فيه الولايات المتحدة مع غيرها من درل الوفاق Entente ضد النظام الجديد سعت الحكومة السوفيتية الى اقامة علاقات مع حكومة الولايات المتحدة لحثها على اقامة علاقات سلمية وذكر فى هذا عام ١٩١٨ مصدر من الامريكيين « ان اتجاها صديقا نحو الاتحاد السوفيتي هو فى صالح الولايات المتحدة كما ان الرغبة فى علاقات تجارية هى رغبة مشتركة من وجهة نظرنا ووجهة نظر الولايات المتحدة » (٢) ٠

على انه بوجه عام فان سجل الدبلوماسية السوفيتية خلال تلك الفترة الحرجة من حياة النظام الجديد انما يعتبر سجل من المرونة والتصميم، ومتابعة الوثائق الرسمية وبيانات الحكومة السوفيتية خلال هذه الفترة وكما عبر Bullet يظهر بوضوح ان القادة السوفيت قد تعلموا بشكل مدهش السباحة فى نهر الدبلوماسية الدولية ، وان الرجال الذى خططوا فى نوفمبر عام ١٩١٧ وتوقعوا ثورة عالمية خلال أسابيع فانهم مع نهاية عام ١٩٢٠ قد قبلوا وقائع الموقف الدولى ، الا أنه مع هذا الاقتراب والرغبة

ان التكتيك هو تحويل خط السلوك للبلوريتاريا خلال فترة معاصره قصيرة من المد والجذر للحركة ، ولصعود وهبوط الثورة والحرب لاتباع هذا الخط بوسائل لاحلال الاشكال القديمة للنضال باشكال جديدة والشعارات القديمة بشعارارت جديدة أو بمزج هذه الأشكال ٠٠ الخ ٠ وفى الوقت الذي يكون فيه الهدف من الاستراتيجية هو كسب الحرب ضد القيصرية أو ضد البرجوازية ، فان التكتيك يهتم باهداف إقل هدفها لا كسب لحرب ككل ولكن كسب جولة ما أو معركة معينة وان يتغير النجاح حملة ناجحة أو عمل ناجح يتصل بالظروف المحددة أو بفترة معينة من صعود وهبوط الثورة ان التكتيك هو جزء من الاستراتيجية ويخضع لها ٠

(Kohler, « Soviet strategies for the seventies, » op. cit., pp. 19-20).

(١) — Trush, M, « Soviet-American Relations as viewed by lenin ». Inter Affairs, MoscoW, No. 7. 1974. p. 13.

(٢) — Ibid, p. 14.

فى التصالح مع العالم المحيط الى الحد الذى بدا فيه كما حدث مع المانيـا انه نوع من الخضوع كان ثمة شيئا واحدا رفض السوفيت ان يعدوا به فى اشد لحظات ضعفهم وهو : وقف الدعاية الثورية ، حقيقة ان شيشيرين سوف يقرر انهم على استعداد بان يعدوا بعدم التدخل فى الشئون الداخلية للاقطار الأخرى الا انه سيقرر فى نفس الوقت انهم لا يستطيعون ان يمنعوا أشخاص من ان ينشروا او يوجهوا نداءات الى البروليتاريا الانجليزية أو الألمانية (١) ٠

ب ـ عند ستالين

عندما تولى ستالين السلطة بعد لينين واستمر فى اتباع سياسة السلام اللينينية أكد على الاعتبـارات التى كان لينين يركز عليهـا : « اننا لا ننسى قول لينين بان قدرا كبيرا من بنائنـا يعتمد عمـا اذا كنـا سننجح فى تأخير الحرب مع الرأسماليين الأمر الذى لا مفر منه وان كان يمكن تأخيره سواء الى ان تنضـج البروليتاريا فى أوربا أو حتى نكتمل ثورات المستعمرات أو فى النهاية حين يحارب الرأسماليين بعضهم بعضا حول تقسيم المستعمرات فحتى يتحقق هذا فان الابقاء على علاقات سلمية مع الأقطار الرأسمالية هو هدف أجبارى بالنسبة لنا » (٢) ٠

ويعكس قول ستالين هذا بعضـا من مفاهيم حـول علاقات روسـيا السوفيتية بالغرب بوجه عام وعلاقات القوى الغربية بعضها بعض ، فهو يعنى اعتقاد ستالين بحتمية الحرب بين الاتحاد السوفيتى وبين الغرب وان كانت ظروف الاتحـاد السوفيتى تحتم عليـه أيضا العمل على تأجيل هذه المواجهة حتى تتم عمليات بنائه الداخلى من ناحية وتتحقق من ناحية أخرى ظروف تضعف من موقف القوى الرأسمالية فى هذه المواجهة ، ومن بين هذه الظروف تحرر المستعمرات التى تمثل رصيدا ماديا للرأسـمالية او حدوث حرب بين القوى الراسمالية ذاتها نتيجة للتناقضات فيما بينها ، كذلك يعكس اعتقاد ستالين بان الحرب بين الأقطـار الرأسـمالية بعضها بالبعض هى أقرب للحدوث من الحرب بينها وبين الاتحاد السوفيتى ٠

غير ان ستالين مع تركيزه على أهمية الابقاء على علاقات سلمية مع الأقطار الراسمالية الا أنه كان حريصـا جدا على ان يوضـح حـدود هذه

---

(١) — ulam, « Expansion and coexistence) », op. cit., pp. 110-112.

(٢) Stalin, « P.oblems of leninism », Moscow, 1932, p. 280.

العلاقات فقال فى اجابة على أسئلة لوفد من العمال الأمريكيين فى سبتمبر سنة ١٩٢٧ حول علاقات التعايش السلمى « ان الأمر يتعلق بالاتفاقات المؤقته مع الدول الرأسمالية فى مجال الصناعة والتجارة وربما فى مجال العلاقات الدبلوماسية · واعتقد ان وجود النظامين المتناقضين لايستبعد مثل هذه الاتفاقيات الممكنة واللازمة لظروف التطور السلمى » ·· ثم تساءل ستالين عن حدود هذه الاتفاقيات « ·· ان هذه الحدود يحددها تناقض النظامين وما بينهما من خصومة ونضال فهى تقع فى الحدود التى يسمح بها النظامين وفى نطاق هذه الحدود فقط فان الاتفاقيات ممكنة بشكل كامل ·· » ثم تساءل عن مدى هذه الاتفاقيات وهل هى ذات طابع دائم أم مؤقت ·· « ان هذا لا يعتمد علينا وحدنا وانما يعتمد على هؤلاء الذين يتعاقدون معنا ·· انه يعتمد على الموقف العام ، ان الحرب يمكن ان تلغى أى اتفاقية أيا كانت » (١) ·

ويوضح اهتمام ستالين بتعيين حدود ما يمكن ان يقوم بين الاتحاد السوفيتى وبين الراسمالية ما سوف تتمسك به السياسة السوفينية فى كل مراحلها وهو ان ما يمكن ان يقوم من تعاون وعلاقات بين الاتحاد السوفيتى والدول الرأسمالية لايمكن ان يلغى أو يستبعد التناقض الايديلوجى بين النظامين ·

يفسر هذا قول ستالين لنفس الوفد العمالى الأمريكى فيما يتعلق بالتطور الطويل الأجل للعلاقات بين النظامين الاجتماعيين « ·· فى التقدم الأكثر لتطور الثورة العالمية سوف يتكون مركزين عالميين : المركز الاشتراكى والذى يجذب كل الاقطار المتجهة الى الاشتراكية ، والمركز الرأسمالى ويجذب اليه كل الأقطار المتجهة الى الرأسمالية · وسوف تقرر الحرب بين هذين المركزين للسيطرة على اقتصاد العالم مصير الرأسمالية والشيوعية فى كل العالم » (٢) ·

وقد حققت السياسة اللينينية الستالينية فى التعايش السلمى حتى عام ١٩٢٨ نتائج كبيرة للاتحاد السوفيتى رغم قصر المدة التى تضمنتها ، فالاتحاد السوفيتى لم ينجو من التدخل المسلح ضده فحسب وانما كسب قبوله فى العائلة الدولية ، وذلك بحصوله على الاعتراف الرسمى من كل القوى الكبرى فيما عدا الولايات المتحدة ، كما استفاد بشكل كبير من

---

(١) — Ibid.

(٢) — Kohler, Foy, « Understanding the Russians », op. cit., p. 89.

تجدد العلاقات الاقتصادية مع العالم الرأسمالي وخاصة التي أخذت شكل امتيازات واتفاقيات جلبت الالات والمهندسين المهره والمديرين . وهي العناصر التي ساعدت في استعادة الاقتصاد السوفيتي لقوته . وهو الوضع الذي دفع ستالين لأن يؤكد بقوة خلال المؤتمر ١٥ للحزب في ديسمبر سنة ١٩٢٧ ان الاحتفاظ بعلاقات سلمية بالاقطار الرأسمالية هو هدف ملزم للاتحاد السوفيتي بل وذهب الى ما يمكن ان يشكك في اعتقاده بحتمية الحرب بين النظامين فقال « ان أساس علاقتنا بالأقطار الاشتراكية تتكون من افتراض التعايش السلمي بين النظامين المتعارضين » (١) .

على انه بعد عام ١٩٢٨ ، ورغم استمرار التأكيد على ان الاتحاد السوفيتي سوف يستمر في « اتباع السياسة السلمية بشكل ثابت وصارم » ، فان ستالين بدأ يتحدث عن التهديد بالحرب من جانب القوى الغربية ، وعن تجمع أزمة جديدة في الرأسمالية العالمية وبدأ يتحدث عن تهديد وشيك لحرب رأسمالية ضد الاتحاد السوفيتي «انه واضح بما لا يدع مجالا للشك ان المسألة الرئيسيه المعاصرة هي التهديد بحرب امبريالية جديدة . انها ليست مسألة خطر غير محددة من حرب جديدة أنها مسألة تهديد حقيقي ومادي بحرب جديدة بوجه عام وضد الاتحاد السوفيتي بوجه خاص » (٢) .

وسواء كان ستالين هذا مدفوعا باعتبارات داخلية مثل رغبته في تجميع الجهود حول سياساته الداخلية الحيوية مثل المزارع الجماعية - وخاصة في وجه ما ظهر من مقاومة لها - والتصنيع بالثمن والتضحيات التي كان يتطلبها ، فان التطورات الدولية اتخذت مجرى يمكن حقا ان يبرر تنبؤات ستالين ، فقد حدث ما عرف بالركود العظيم في اقتصاديات الغرب ابتداء من عام ١٩٢٩ واستمر للاعوام التالية بكل ما ترتب عليه من نتائج مرعية ، كما بدأ التوغل الياباني في منشوريا كعلامة على جولة جديدة في الحروب الرأسمالية ثم توج هذه التطورات تولى هتلر السلطة في ألمانيا في يناير سنة ١٩٣٣ ، هذه التطورات كان من شأنها ان تجعل ستالين يشعر بأن توقعاته عن موجة جديدة من التوترات كان لها ما يبررها .

وهكذا دخلت السياسة السوفيتية حول التعايش السلمي مرحلة جديدة ابتداء من ١٩٢٨ - ١٩٣٤ . غير ان هذا لا يعنى ان موسكو توقفت

---

(١) Hoffman, « The conduct of soviet foreign policy », op. cit., p. 125.

(٢) Kohler, « Soviet strategies for the seventies », op. cti., p. 25.

عن الحديث عن رغبتها في السلام بل قدمت في الواقع كل دليل على انها تريد بأى ثمن تجنب التورط في أى حرب يمكن ان تشتعل . غير ان انشغالها بالنمو المتزايد للازمة الاقتصادية والسياسية داخل المعسكر الرأسمالي وبالدلالات المتزايدة ان امكانيات حروب جديدة بين القوى الرأسمالية تتشكل ومراقبة التطورات فى الظروف الدولية وظروف العالم الرأسمالي وبالشكل الذى فهمه ستالين ، كل هذا ساهم فى ان يخفف بعض الشيء من القلق الذى بدأ ستالين يعبر عنه عام ١٩٢٨ حول أخطار وشيكة ضد الاتحاد السوفيتي بل ربما بدأت موسكو تشعر بالرضا عن الشكل الذى يتطور به الوضع الدولى وما آثاره من احتمال مكاسب للاتحاد السوفيتي وبثمن قليل نسبيا .

ومن أبرز المكاسب التي تحققت للاتحاد السوفيتي فى هذه الفترة هو اقدام الولايات المتحدة على الاعتراف بالدولة السوفيتية واقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها بعد ١٦ عاما من التجاهل وانكار هذا الاعتراف . والواقع انه حين تقلد الرئيس فرانكلين روزفلت الحكم فى نوفمبر عام ١٩٣٢ كانت الولايات المتحدة على حافة الانهيار الاقتصادى ، ومن ناحية أخرى ترك تركيز ستالين ووزير خارجيته ليتفينوف على الأهداف السلمية لروسيا السوفيتية أثره ، وضاعف من ذلك تركيز ستالين على اعتبارات البناء الداخلي وتغليبها على اعتبارات الثورة العالمية بما عرف بسياسة الاشتراكية فى وطن واحد (*) ، وادى هذا الى تقليل المخاوف

(★) فى منتصف العشرينات أصبح واضحا بشكل متزايد أن الثورة العالمية التى توقعها القادة البلاشفة بعد الثورة مباشرة لن تحدث فى المستقبل القريب وادى هذا الادراك الى نزاع داخل القيادة السوفيتية ، فهؤلاء الذين ظلوا يعتقدون أن الثورة العالمية وشيكه الوقوع اعتبروا أن الثورة الروسية ليست الا الحلقة الأول فى سلسلة طويلة من الثورات التى ستهدد كل دول العالم ، وبالنسبة لهؤلاء كان الهدف الأول للدولة السوفيتية الجديدة هى ان تدفع بهذه الثورات فى كل مكان وبكل ـ الوسائل ، أما هؤلاء الذين تحققوا بأن الثورة العالمية ليست وشيكة الوقوع اعتبروا أن الهدف الأول هو تحقيق الاشتراكية فى بلد واحد وهو ما كان يعنى تحويل الاتحاد السوفيتي الى قلعة للشيوعية قوية ومذدهرة ومكتفية بذاتها ، ورغم هذا الاختلاف الحاد فان الجانبين قد اتفقا على أن الهدف النهائى هو الشيوعية العالمية . وقد تركز أصحاب الفريق الأول حول تروتسكى ، والتقى الفريق الثانى حول ستالين الذى كسب فى النهاية صراعه السياسى من أجل السلطة مع تروتسكى وبذلك سيطرت نظرية الاشتراكية فى وطن واحد وقد طور ستالين النظرية بحيث أصبحت متضمناتها تعنى تغليب مصالح بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتي على مصالح الحركات الشيوعية فى الأقطار الأخرى وهى بهذا المعنى

الأمريكية التى ارتبطت بقيام النظام السوفيتى ، يضاف الى هذا اقتناع روزفلت الشخصى الذى جاء به الى الحكم بعدم جدوى ان تظل الامتين الكبار بدون علاقات طبيعيه ، وكان يعتقد ان عدم الاعتراف كوسيله دبلوماسية أصبحت غير عصريه فى تطبيقها على حكومة مستقرة ومؤثرة فى العلاقات الدولية ، واتفق مع الرئيس فى هذا الرأى وزير خارجيته Hull الذى اتخذ هذا الموقف رغم معارضة الخارجيه الأمريكيه ، وقال للرئيس ان روسيا قد أظهرت ميلها للسلام فى وقت يتحرك فيه العالم نحو فترة خطيرة فى كل من أوربا وآسيا الأمر الذى يمكن معه ان تكون علاقات طيبة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى دعما عظيما للسلام فى وقت يتهدد فيه السلام أكثر فأكثر » ووافقه الرئيس روزفلت على هذا تماما (١) ٠

غير انه من المهم فى هذا المجال التعرف على الدوافع الرئيسية وراء اتجاه الاعتراف ٠ فالواقع انه عندما اتخذت هذه الخطوة - نوفمبر ١٩٣٣ - أيدها معظم الأمريكيين على أساس انها سوف تنمى التجارة وستساعد على استعادة قوة الاقتصاد الأمريكى ، الا أن الوثائق التى نشرت عن هذه الفترة قد أظهرت ان أسبابا واعتبارات أخرى كان لها الأولوية ٠ وليس من شك ان روزفلت كان يأمل بان قيام العلاقات سوف يساعد التجارة وان هذا كان من أسباب السير فى الاعتراف ، الا أن زيادة التجارة لم تكن هدفه الأول ، وكما عبر أحد المتفاوضين فيما بعد ان التجارة كانت العباءة اللازمة للاعتراف والتى سهلت على الادارة ضمان التأييد الشعبى لهذه الخطوة ، اما الأسباب الفعلية فقد سجلها وزير الخارجية هل فى مذكراته حين أكد أثر الموقف الدولى على الاتجاه الى الاعتراف والمشكلات القائمة فى أوربا وآسيا وما يمكن ان تحققه علاقات طبيعية مع روسيا فى المحافظة على السلام ، وقد شارك روزفلت وزير خارجيته فى هذا الرأى معتبرا « أن استمرار عزله روسيا يمكن ان تدمر آماله فى منع الحرب من خلال الاحساس المعنوى الجماعى لأمن العالم (٢) ٠ كما كتب وليم W. Bullet

---

لم تكن تعنى نبذا للشيوعية العالمية أو ترك الشيوعية لخططهم الخاصة وانما وجوب أن توجه الحركات الشيوعية جهودها لخدمة مصالح روسيا - السوفيتية

Trisk, and Fin:ly « Soviet Foreign policy », The macmilan comp., 1768, p. 2.

— Hill, christopher, « Lenin and the Russian Revolution », Penguin B.okg, 1971. pp. 122-123. 140-145.

(١) — (Ulam «Expansion and coexistence» op. cit., p. 129).

— Broweden, Robert, «The origins of soviety American Diplomacy» Pricton Unversity press, 1953, pp. 83, 107.

(٢) — Ibid, p. 108.

عام ١٩٥٠ والذى كان من أكبر دعاة الاعتراف بعد روزفلت ، » أنه مع هذا الوقت ، نهاية عام ١٩٣٣ كنا الرئيس وأنا ، متفقين تماما ان هتلر سوف يثير الحرب مالم تقف انجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتى معاضد العدوان النازى ٠٠ ولهذا فانه يجب اقامة علاقات مع روسيا بهدف أولى هو منع شن هتلر لحرب أخرى (١) ٠

والواقع ان هذا التطور الأساسى الذى حدث فى العلاقات الأمريكية السوفيتية كان يتطلع اليه القادة السوفيت منذ زمن طويـل فايـا كان ظنهم فى الولايات المتحدة من وجهة النظر السياسية فان الشيوعيين ، وقد كان هذا يصدق على لينين وسـتالين ، لم يخفوا أبدا اعجابهـم بالكفـاءة الأمريكية وان كان لينين قد عبر يـوما عن « افتقار أمريكا للحضارة » ، وبالنسبة له كانت ألمانيا هى النموذج الذى يجب ان يحتذى فيما يتعلق بالشئون الفنية والحضارية ، ولكن بالنسبة لستالين واتباعه كانت أمريكا هى المكان لتعلم أكثر الأساليب تقدما فى الانتاج ومن هنا كانت العلاقات الرسمية بين الولايات المتحدة سوف تزيد بالتأكيد التعاون بين البلدين فى المجالات الاقتصادية والصناعية كما ستكون مكسبا خاصة للاقتصاد السوفيتى ان تشارك الولايات المتحدة فى خطتها الاقتصادية الثانية ٠ على انه ورغم أهمية العامل الاقتصادى والفنى الا أنه وبسبب ظروف المرحلة كان العنصر السياسى فى اعتراف الولايات المتحدة بالاتحـــاد السوفيتى أكثر أهمية ، فقد كانت الولايات المتحدة آخر القوى الكبرى التى تعترف بالاتحاد السوفيتى والذى أصبح الآن عضوا معترفا به بالكامل بين الجماعة الدولية ، اما ما هو أهم فهو رغبة القيادة السوفيتية فى علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة لأسباب تتعلق بالسياسة الدولية العليا وبشكل خاص خلال الثلاثينات وفى أن تصبح الولايات المتحدة قوة مضادة لليابان ٠

لهذه الاعتبارات رحب بأول سفير أمريكى فى موسكو باعتبار ذلك أعظم انقلاب دبلوماسى منذ تأسيس الاتحاد السوفيتى كمـا اسـتقبل بحفاوة لم يسبق لها مثيل ، وفى لفته خاصة غير عادية فان ستالين ، الذى كان حتى الآن يعتبر نفسه رئيسا للحزب ولم يكن يستقبل الدبلوماسيين بهذه الصفة ، استقبل السفير الأمريكى وأكد له تقديره وأعطاه الحق فى ان يلقاه فى أى وقت (٢) ٠

---

(١) Ulam, « Expansion and coexistence », op. cit., p. 211.

(٢) Ibid, p. 213.

على ان نجاحات المانيا النازية وبشكل أخص ما بدا من فشل الديموقراطيات الغربية فى مقاومة هذا النجاح قد خلق قلقا جديدا لدى السوفيت ودفعهم الى اجراء تقييمات جديده وسرعان ما فقدت موسكو حماسها وسط تدهور الموقف الدولى بدأت تبحث بيأس متزايد عن الوسائل التى يمكن ان تبقى الاتحاد السوفيتي بمنأى عن أى حرب ليست من اختياره وسجل هذا بدايه فترة جديده ومختلفه من التعايش السلمى . فى هذه الفترة كان الاتحاد السوفيتي أكثر نشاطا وموضوعيا فى السعى نحو علاقات سلمية ، وكان الهدف الاول هو القوى الغربية والهدف الملح هو خلق نظام جديد يعى الاخطار التى يفرضها هتلر ، وارادة أكبر لمقاومته ولكن بدون التزام صارم من جانب الاتحاد السوفيتي للاشتراك فى أى عمل مشترك . وهكذا صدرت التعليمات للأحزاب الشيوعية العالمية للتخلى عن البرامج الثوريه والدخول فى جبهات متحدة ، واتخذ الاسلوب الدبلوماسى مع الحكومات الديموقراطيه مفهوما جديدا يقوم على تقديم الاتحاد السوفيتي باعتباره القوة التى تريد الحفاظ على الوضع الراهن وتناسى العداوات والاقدام على التقارب كما بدت موسكو مهتمة بالدخول فى سلسلة من المعاهدات تهدف الى انهاء عزلة الاتحاد السوفيتي وتقليل فرص أى اتفاقيات بين الديمقراطيات وهتلر يكون فيها أى اضرار بالاتحاد السوفيتي وفى نفس الوقت كان اهتمام موسكو مماثلا فى ان لا تتخذ اى خطوات يمكن ان تثير استفزاز أو حذر برلين وسارت دعايتها بالقدر الذى التزمت به الدعاية الألمانية ضد الاتحاد السوفيتي . وهكذا فان ما يسمى بالجولة الثانية فى جهد الاتحاد السوفيتي فى تحقيق التعايش السلمى كان نوعا من السير على حبل مشدود قام على أساس توازنات دقيقة يدرك انها يمكن ان تتغير فى أى لحظة وتتحول ، وكان هدفها الاساسى هو عدم الزج بالاتحاد السوفيتي فى حرب امبريالية كان يراها وشيكة الحدوث . وقد انتهت هذه السياسة بنجاح مؤقت عندما استجاب النازى للاشارات السوفيتية وتم توقيع التحالف النازى السوفيتي فى أغسطس عام ١٩٣٩ .

ويفسر المؤرخين السوفيت هذا التطور بان الاتحاد السوفيتي قد اضطر اليه بعد ان فشلت جهوده فى دفع الديموقراطيات الغربية لخلق جبهة متحدة فى أوربا وروسيا تمثل حاجزا لا يمكن عبوره فى طريق الالمان واليابانيين والايطاليين ، وحين أصبح من الواضح ان بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة غير مستعدين للتعاون بشكل فعال مع الاتحاد السوفيتي بل وعقدا صفقة مع المانيا تمثلت فى اتفاقية ميونخ التى كانت فى الواقع فتحا للبوابة الجنوبية للاتحاد السوفيتي أمام هتلر . واتجهت

الدبلوماسية السوفيتية الى احباط محاولات خلق جبهة معادية للسوفيت يعقدها اتفاق التحالف مع النازى • وتعتبر التفسيرات السوفيتية ان هذا الاتفاق لم يحل فحسب دون عزل الاتحاد السوفيتى وانما كان نقطة انطلاق لتكوين التحالف المعادى لهتلر (١) •

ولكن عندما عاد الاتحاد السوفيتى والديموقراطيات الغربية نتيجة لتصرفات المانيا واليابان الى تحالفهما العظيم اطلق البعض عليه « التحالف الغريب » (٢) •

وكان السؤال الرئيسى هو ما اذا كان هذا التحالف سوف يصمد ويستمر أو ان العداوات القديمة سوف تتجدد عندما تنتهى الحرب • وقد اعترض المؤرخون السوفيت أيضا على مفهوم التحالف الغريب هذا واعتبروا ان التحالف المعادى لهتلر كان ظاهرة طبيعية فى العلاقات الدولية وقتها وفى غاية التعقيد فى نفس الوقت ، وانه فى داخل هذا التحالف الذى ضم دولا ذات نظم اجتماعية مختلفة برزت خلافات وصلت فى بعض الاحيان الى نقطة حادة جدا مثل الخلاف حول فتح جبهة ثانية فى أوربا ، وكذلك حول المبادىء الديموقراطية لترتيبات ما بعد الحرب • وترجع التقديرات السوفيتية ذلك لا الى اختلاف النظم الاجتماعية وانما لما اعتبرته عجزا من الغرب على فهم قدرة الاتحاد السوفيتى وامكانياته على صد العدوان النازى (٣) •

ويستوقف النظر فى السياسات التى لجأ اليها ستالين عندما بدء تحالفه مع الديموقراطيات الغربية لجوئه الى حل الكومنترن والذى كانت مهمته فى نظر ستالين : هو القيام بمهمة الطليعة السياسية للدولة البروليتارية الوحيدة حتى لا يتأثر بناء الاشتراكية فيها بالضغوط التى قد تتعرض لها من بقية العالم الرأسمالى (٤) ، الا أنه خلال الحرب وفى ضوء تحالف الاتحاد السوفيتى مع الاقطار الرأسمالية أصبح « هناك

---

(١) — Rozanov, G. « Soviet Diplomacy during the great partriotic war », Inter. Affairs, Moscow, No. 3, 1975, pp. 100-101.

(٢) — Dean, John, « The strange alliance », New York, Viking press 1947.

(٣) Rozanow « Soviet diplomacy during the great patriotic war » op. cit.,

(٤) Deutcher, Iscac, « Russia after stalin » Indianopalis, merill, 1969. p. 90.

شيئا غير طبيعي وغير عادى فى قيام هذا المنبر الشيوعى فى الوقت الذى كان على الاحزاب الشيوعية فيه أن تبحث عن لغة قومية وان تحارب تحت الظروف القائمة فى مجتمعاتها » (١) ٠

على انه عقب انتهاء الحرب بل حتى وخلال مراحلها النهائية بدأت تطفو عناصر التناقض في المصالح والغايات بين الاتحاد السـوفيتى وشركاء الحرب الغربيين ، وعاد الاتحاد السوفيتى عقب الحرب مباشره الى التعبير عن نظرية « النظاميين غير المتصالحين » واتخذ مثلا بارزا على ذلك خطاب ستالين الشهير بالخطبة الانتخابية عام ١٩٤٦ « سيكون من الخطأ الاعتقاد ان الحرب العالمية الثانية كانت نتيجة لخطأ سياسى ما ، ان كان الخطأ بالفعل قد حدث ، وعمليا فان الحرب كانت نتيجة حتميه لتطور القوى الاقتصادية والسياسية للعالم على أساس من الرأسماليه الاحتكارية الحديثة ٠ ان الماركسيين قد اعلنوا أكثر من مرة ان النظام الرأسمالى العالمى يفرخ عناصر الأزمة العامة والصراعات المسلحة ومن ثم فان تطور الرأسمالية العالمية فى عصرنا لا يتقدم فى شكل تقدم سوى ومتوازى ولكن من خلال أزمات وكوارث عسكرية ٠٠٠ وعلى عكس الحرب العالمية الأولى فان الحرب الثانية ضد المحـور اتخذت منذ بدايتها طابع لحرب ضد الغاشية وحرب تحرير واستعادة الحريات ، ان دخول الاتحاد السوفيتى فى الحرب ضد المحور قد دعم الطابع التحررى المعادى للغاشية، وان انتصارنا يعنى فى المقام الأول ان النظام الاجتماعى السوفيتى قد أظهر انه أكثر استقرارا وقدرة على الاحتمال وكشكل للتنظيم ومجتمع أرفع من أى نظام اجتماعى آخر » (٢) ٠

وقد استقبل هذا الخطاب فى الولايات المتحدة على أنه صـورة واضحة من العداء السوفيتى للغرب والولايات المتحدة بل واعتبره البعض « اعلانا للحرب العالمية الثالثة (٣) » ٠ على انه بغض النظر عن هـذا الفهم المتطرف لخطاب ستالين فانه يؤكد المفهوم الماركسى اللينلنى بـأن النظام الرأسمالى انما يولد الأزمات التى تولد الحروب بل ويعيش عليهـا كما يركز على تميز النظام الاشتراكى على غيره ويتخذ من ادائه خلال تجربة الحرب الثانية دليلا على حيويته وقدرته على الصمود ، غير ان هذا لا يعنى فى رأينا ان ستالين فى هذه المرحلة على الأقل كان مستعدا

---

(١) Dilas, Milovan, « Conversations with Stalin », op. cit., p. 77.

(٢) Kohler, « Soviet strategies for the seventies », op. cit., p. 103.

(٣) Gaddis, « The u.s. and the origins of the cold war », op cit., p. 300.

لمواجهـة مع الولايات المتحدة والغرب خاصـة اذا ما أخذنا فى الاعتبار الانهاك الاقتصادى والبشرى الذى أصاب الاتحاد السـوفيتى من الحرب ، وانه انهى خطابه هذا بدعوة شعبه الى تركيز الجهود لأول خطة خمسية بعد الحرب • وقد يكون موقف ستالين من الحرب الأهلية اليونانية وعدم تأييده للجانب الشيوعى فيها من العلامات الدالة على حرصه على الابتعاد عن ما يمكن أن يثير صداما بينه وبين الولايات المتحدة ، فقـد تحدث عن الثورة فى اليونان ودور الشيوعيين فيها بقوله « ان الثـورة فى اليونان يجب ان تنتهى • هل نعتقد فى نجاحها ؟ انه ليس لديهم امل فى النجاح على الاطلاق ، هل تعتقـد ان بريطانيا العظمى والولايات المتحدة – أكبر القوى فى العالم – سوف تسمح لك بأن تقطع خطـوط مواصلاتهم فى البحر المتوسط ، كلام فارغ ونحن ليس لدينا موارد • ان الانتفاضه فى اليونان يجب ان تنتهى وباسرع ما يمكن « (١) •

كذلك يشك بعض المؤرخين فى ان المشكلات التى ثارت بعد الحرب مثل الحرب الكورية ومحاولة ادخال الشيوعية فيها كان لستالين المبادرة فيها وانما جاءت من ماوتس تونج ، ويعتبرون ان ستالين كان قلقا من القدر الذى ابتلعه الاتحاد السـوفيتى بعد الحرب وبأكثر مما اراد ، وان عليه أن يكسب الوقت اللازم لهضم هذا ، وقدر ان حقبتين أو أكثر لازمتين للسـماح لروسـيا بأن تلحق وان تتفوق على الولايات المتحدة صناعيا وللحصول على مستوى المعيشه الذى يكفل رضـاء شعبها ولرفع اوربا الشرقية الى مستوى صناعى اعلى من مستوى اوربا الغربية والسماح للصين الشيوعية بتطوير مواردها الخاصة ، واعتقد انه بتحقيق هـذه الأهداف فان جاذبية الشيوعية لن تقاوم ، وان شيئا لن يوقف كل أوربا من ان تتحول الى الشيوعية ، كما كان له رؤياه الخاصه وتصوره للاعوام ١٩٦٠ – ١٩٧٠ من تكوين كتلة مكتفية ذاتيا من ٨٠٠ مليون وكتلة متكاملة اقتصادية ، وهى الافكار التى بزغت من بين سطور كتاب ستالين الاخير (المشاكل الاقتصادية للاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى) ، فى هذا الكتاب هاجم ستالين بشده المتطرفين واصحاب النظريات المثاليه ، واصر على ان كل المشكلات الاقتصادية الرئيسية التى تواجه الاتحاد السوفيتى هى مشكلات ذات مدى زمنى طويل وعلى هذا فان الخلاصة الاساسية لمنطق

---

(١) Dejilas ,« Conversations with stalin », op., cit., 164.

ستالين هى انه فى سياسته الخارجية فان الاتحــاد السوفيتى يجب ان يساوم من أجل التقاط نفس طويل وطويل جدا (١) ٠

جـ ـ عهد خروشوف :

يرتبط مؤتمر الحزب الشيوعى السوفيتى العشرين ـ فبراير سنة ١٩٥٦ ـ وما صدر عنه من سياسات ونظريات عدت تحولا فى السياسة الخارجية السوفيتية ومواضع تركيزها ومراجعة لعدد من النظريات والأفكار التقليدية فى الفكر الشيوعى ، يرتبط هذا المؤتمر باســم وشخصيــة خروشــوف ، وباكتمال صعود شخصيته ودوره فى الحيــاة السياسية للاتحاد السوفيتى ٠ وقد كان مفهوم التعايش السلمى هو اهم ما خرج عن المؤتمر العشرين فى مجال السياسة الخارجية ، وهو المفهوم الذى كان موجها اساسا للولايات المتحدة وبقية اقطار العالم الرأســمالى ، غير ان هذا المفهوم لم يكن يعنى تخليا عن الاعتقاد الماركسى الاساسى بان الرأسمالية مقضى عليها بالفشل والفناء ، ذلك ان خروشوف ، ربما أكثر من ستالين ، كان يعتقد فى الانتصار النهائى للشيوعية ، ولكن المشكلة التى حاول ان يطرحها بشكل معاصر هو كيفية تسهيل هذا الهدف خاصة بعد أن أصبح واضحا ان أساليب الحرب الجديدة وخاصة النووية منها تحتم استبعاد الحرب بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة كأداة لحل خلافاتهم الايديلوجية والسياسية ، وعلى هذا فان الصراع الرئيسى سوف ينتقل الى جهة أخرى هى جبهة الاقتصاد ، وكما قال دويتشر تعقيبا على المؤتمر العشرين وموقفه من التعايش السلمى « انه بعد أن كسر الاتحــاد السوفيتى الاحتكار الأمريكى حول الاسلحة الــذرية والهيدروجينية فانه يخطط الآن لكسر احتكار آخر لايقل حسما وهو الاحتكار الذى مارســه الغرب طويلا وهو احتكار المستوى المعيشى العالى ، ولما كان على الغــرب ان يدافع عن هذا الامتياز بكل قوته الاقتصادية وانه من الشرعى للاتحاد السوفيتى ان يتحدى الغرب فى هذا المجال ان من الممكن ان يأخذ هذا شكل التنافس السلمى وفى اطار من التعايش السلمى » (٢) ٠

فى هذا الاطار ، فان المؤتمر العشرين قد سجل علامة بارزه فى اتجاه السياسة السوفيتية منذ وفاة ســتالين وفى علامات التحرر والتخلى عن عدد من المسلمات فى السياسة السوفيتية ، وبلغ هذا القمه حين اعلن

---

(١) Deuteher, « Rusgia after stalin » op. .cit pp. 90-91.

(٢) Deuther, « Russia, china, and the west » op. cit., p. 58.

خروشوف امام المؤتمر تعديل عدد من المفاهيم والتصورات الشيوعية فضلا على اعلانه عن تصور واخطار سياسة ستالين .

وقد كان اول هذه المفاهيم وابعدها خطرا هو الاعلان عن عدم حتمية الحرب ، فمن المعروف ان لينين وستالين قد اعتبرا انه لن يكون هناك نهاية للحروب مادامت الرأسمالية قائمة فى عدد من البلدان الكبيرة فى العالم، الان خروشوف قد خاطب المؤتمر بقوله « ان ملايين الناس فى العالم تتساءل عما اذا كانت الحرب لامفر منها حقا ؟ ان الماركسيين يجب ان يجيبوا على هذا السؤال اخذين فى الاعتبار التغيرات التى حدثت خلال الحقب الماضية ، ان هناك بالطبع مفهوما ماركسيا لينينيا بأن الحروب ستشكل حتمية ما دامت الرأسمالية قائمة ولكن هذا المفهوم قد صيغ فى وقت كانت فيه : —

أ — الامبريالية نظاما يضم العالم .

ب — وحين كانت القوى السياسية والاجتماعية فى العالم التى تعارض الحرب ضعيفة وتفتقر الى التنظيم ، ومن ثم غير قادرة على ارغام الامبرياليين على التخلى عن الحرب .. فى هذا الوقت كان هذا المفهوم صحيحا بشكل مطلق ، أما فى الوقت الحاضر فان الأمر قد تغير بشكل جذرى ، فثمه معسكرا للاشتراكية اصبح قوة قوية لا تجد فيه قوىالسلام للتأييد المعنوىفحسب وانما كذلكالوسائل المادية لمنع العدوان « (١) .

وقد أكد خروشوف مفهومه الجديد حول عدم حتمية الحرب باشارته الى « المبدأ اللينينى فى التعايش السلمى » « لقد قيل أن الاتحاد السوفيتى انما ينادى بالتعايش السلمى من قبيل المناوره التكتيكية ولاعتبارات مؤقته ، ومع هذا فان من المعروف والشائع اننا منذ السنوات الأولى للسلطة السوفيتية وقفنا بتصميم مماثل لموقفنا اليوم من اجل التعايش السلمى . ومن هنا فانه ليس حركة تكتيكية ولكنه من المبادىء الأساسية للسياسة السوفيتية الخارجية » (٢) .

وبالاضافة الى خروشوف فان ميكويان فى خطابه أمام المؤتمر هاجم النظرية الستالينية فى « تحلل الرأسمالية » ، دون أن يشير الى ان

---

(١) Rupinstien, « The soviet foreign Policy and the soviet union », op. cit., p. 698.

(٢) — Ibid, p. 269.

ستالين قد ورث هذه النظرية عن لينين ، فقال ان تصريح ستالين المشهور من ان حجم الانتاج فى الاقطار الرأسمالية سوف يتناقص بعد انقسام السوق العالمى » لن يساعدنا فى تحليلنا للظروف المعاصرة للرأسمالية كما انه مفهوم غير صحيح فهو لا يفسر الظـــاهرة المعقدة والمتناقضـــة للرأسمالية المعاصرة وحقيقة ان الانتـاج الرأسمالى قد نما فى عدد من الأقطار منذ الحرب » (١) ٠

وعلى هذا فانه اذا كان اللينينيين الستالينيين يحددون «طبيعة العصر» أو طبيعة المرحلة الامبريالية Imperialist Epoch فان من سماتها الرئيسية ان التطورات التاريخية انما تتقدم عبر حروب دولية دورية والتى تتجه الى ان تصبح حروبا عالمية وتؤدى كما حدث فى روسيا عام ١٩١٧ الى الثورة والى انتشار الشيوعية ، فان الفكر الذى صدر عن المؤتمر العشرين قد اعلن الحاجة الى تعديل فى مفهوم « طبيعة المرحله » بالنظر الى التغيرات التاريخية التى حدثت بعد الحرب مثل تكوين النظام الاشتراكى العالمى من الدول الاشتراكية ، وبروز « منطقة السلام » التى تحدث عنها تقرير خروشوف الى المؤتمر العشرين حين أعلن ان منطقة كبرى للسلام Immense Peace Zone انما تتشـــكل فى العالم بما فى ذلك دولا اشتراكية وغير اشتراكية وتضم اراضى يعيش فيها واحد ونصف بليون انسان (الدول الاشتراكية الآسيوية ــ اقطار مثل الهند ومصر وسوريا وأندونيسيا تحكم فيها البرجوازية الوطنية ــ دولا مثل السودان ، مراكش وليبيا ، وتونس التى نالت استقلالها ولكنها تحتاج الى تدعيمه » (٢)

بذلك كانت معانى المؤتمر العشرين بالنسبة لعلاقة الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة والغرب عامه واضحة ٠ ان الحرب ليست امرا لامفر منه وان كانت ممكنة ، وان امكانيات تفادى الحرب أصبحت تنبع لا من موقف الضعف وانما من « القوى الجبارة » للمعسكر الاشتراكى ، وهو المفهوم الذى سيتطور فيما بعد الى ما سيعرف « بالتغير الجذرى فى علاقات القوى بين الرأسمالية والاشتراكية » والذى سيكون أساس التفسـير السوفيتى لسياسة الوفاق ٠ وهكذا فانه منذ المؤتمر العشرين فان شعار التعايش السلمى بين البلدان ذات النظم الاجتماعية المختلفة أصبح أحد أعمدة السياسة الخارجية السوفيتية وطريق التقارب مع الأقطار الأخرى ورغم هذا فان مفهوم التعايش الذى برز وتأكد كخط اساسى للسياسة الخارجية السوفيتية خـلال وبعد المؤتمر العشرين لم يغير أساسا من

(١) — Dallin, « Soviet foreign policy after stalin », op. cit., p. 323.

(٢) Tucker, Robert « The soviet political mind.. », op. cit., p. 274-275.

النظرة السوفيتية الى الولايات المتحـدة ، فقد ظلت أمريكا فى النظـرة السوفيتية قلعة الرجعية والاستغلال وحب لحروب ، فظلت أمريكا تحلق فوق أوربا وجزء من الشرق الاقصى ، بل انه بعـــد نعقاد المؤتمر ظل خروشوف يعتقد « ان الولايات المتحدة تفكك السوق العالمى باتباعها تجارة فرديه وتمنع الاتجار مـــع الشرق وتعوق الحاصلات الزراعية وتلجأ الى الاجراءات التى تؤثر بشكل خطير على اقطار اخرى » (١) •

وفى المؤتمر الواحـد والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ـ ٢٧ يناير سنة ١٩٥٩ ـ ذهب خروشوف الى ان العوامل الجديدة التى ستدخل على الموقف الدولى بعد تحقق الخطط الاقتصـــادية للاتحاد السوفيتى والاقطار الاشتراكية فى اوربا وآسيا سوف تخلق امكانية حقيقية لتصفية الحرب » ان ميزان القوى الجديد سيكون غاية فى الوضوح لدرجة ان اكثر الامبرياليين تطرفا سيرى بوضوح عقم اى محاولة لشن الحرب ضـــد معسكرنا وهكذا ستنشأ امكانية حقيقية لاستبعاد حرب عالمية من حياة الجميع حتى قبل الانتصار النهائى للشيوعية وحتى لو كانت الرأسمالية قائمة فى جزء من العالم » (١) •

ومع زيارته للولايات المتحدة ـ ســـبتمبر سنة ١٩٥٩ ـ كتب خروشوف مقالا فى مجلة الشئون الخارجية الامريكية حدد فية العناصر التى يتصورها لسياسة التعايش السلمى واعتبر ان « التعايش السلمى فى ابسط تعبيراته يعنى نبذ الحرب كوسيلة لحل المسائل المتنازع عليها•• على انه الى جانب هذا الاطار العام حـــدد خروشوف عددا من المبادىء والالتزامات التى تفرضها هذه السياسة ومن اهم هذه المبادىء « نبذ التدخل فى الشئون الداخلية للاقطار الاخرى بهدف تغيير الحكومات او نظام الحياة فيها أو لأى دوافع أخرى » واتصالا بهذا أثار خروشوف الجدل القائل بصعوبة تحقيق التعايش السلمى مع الاتحاد السوفيتى الذى يحارب من اجل الشيوعية بقولة « ان من يتعاملون مع المساله بهذا الشكل انما يخلطون بين الأمور بخلطهم مشاكل النضال الايديلوجى بمشاكل العلاقات بين الدول ، ومما لاحاجة الى ذكره اننا نحن الشيوعيين ليس بيننا من يناصر الرأسمالية ولكن هذا لايعنى اننا تدخلنا او نعمل على ان نتدخل فى المسائل الداخلية للاقطار التى ما زالت رأسمالية ، انه مما يثير السخرية تصور ان الثورة يمكن ان تصدر او ان « تتحقق بالامر » غير ان مفهوم

---

(١) Han'k, H. «Soviet foreign police since the death of stalin» London 1972, pp. 62-63.

التعايش السلمي عند خروشوف « لايعنى مجرد العيش جنبا الى جنب فى ظل الحرب التى يظل هناك دائما تهديدا باشتعالها فى المستقبل ، ان التعايش السلمى يمكن ويجب ان يتطور الى تنافس سلمى من اجل اشباع رغبات الانسان بأفضل طريقة ممكنة٠٠» ، ويصور خروشوف حدود التعايش السلمى التى لا تتعدى العلاقات بين الدول ولا تعنى توقف التناقضات بين النظم والايديولوجيات « وان مبدا التعايش السلمى لا يتطلب من دولة أو أخرى أن تتخلى عن النظم او ـ الايديولوجيه التى تتبناها ، كما ان قبول المبدأ لا يصفى المشاكل والتناقضات بين الاقطار ذات النظم الاجتماعيه المختلفه ٠٠ » (١) ٠

وقد حدد مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية ٨١ الذى عقد فى موسكو فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ مفهوم التعايش السلمى بشكل أكثر تفصيلا بقوله « ان السياسة والتعايش السلمى هى سياسة تجنيد الجماهير وشن عمل قوى ضد أعداء السلام ، ان التعايش السلمى بين الدول لا يعنى نبذ الصراع الطبقى ٠٠ ففى ظروف التعايش السلمى تتوفر ظروف ملائمة لتطوير الصراع الطبقى فى الاقطار الرأسمالية وحركات التحرر الوطنى للشعوب والاقطار المستعمرة ، وبدوره فان نجاح الطبقة الثورية ونضال التحرر الوطنى ينمى التعايش السلمى » (٢) ٠

وقد تأكدت نظرية التعايش السلمى ، وأدخلت فى البرنامج الرسمى للحزب فى مؤتمره الثانى والعشرين ـ أكتوبر سنة ١٩٦١ ـ غير أن هذا لم يجر دون نقاش داخل الحزب وصراع بين صفوفه وانعكس هذا فى مقاومة مولوتوف لبرنامج الحزب الجديد ووصفه للتعايش السلمى بأنه معادى للثورة وقضاء على تعاليم لينين الذى ادعى مولوتوف انه لم يستعمل أبدا عبارة التعايش السلمى « ولم ينظر أبدا الى التعايش السلمى باعتباره الخط العام لسياسة الدولة السوفيتية » ٠ أما المدافعين عن النظرية الجديدة فقد قالوا ان لينين قد تحدث عن Peacful Cohabitation وفى عبارات ميكويان فان مولوتوف هو من أنصار الحرب الباردة الذين « يلفظون خط التعايش السلمى ويخفضون هذا المفهوم الى مجرد غياب الحرب فى لحظة ما وانكار امكانية تفادى الحرب » وأضاف « ان هذا

---

(١) — Khruschev, Nikita « on Peacful coexistance », foriegn Affairs, O tob r, 1959, pp. 3-7.

(٢) — Lassing and trave (eds.) «Detente cold war stratigies in transition », G rorge Town university, Fr-drick, Prager, New York, London, pp. 27-28.

الموقف يتفق مع موقف المعارضين الأجانب للتعايش السلمى والذين يفسرونه كشكل من اشكال الحرب الباردة وكحالة من السلام المسلح » (١) ٠

وقد دافع خروشوف عن تجديداته فى مفهوم التعايش السلمى ضد الاتهامات القائلة بانه خان «الثورة الماركسيه اللينينيه» فقال انه الى جانب « الماركسية اللينينية الخلاقة » التى تلائم التعاليم الماركسية مع الظروف المتغيرة للعالم والتى تختلف بشكل كبير عن ما ساد خلال عصر لينين « فان المرء لا يستطيع أن يردد بشكل آلى ما سبق أن قاله فلاديمير لينين منذ عدة حقب حول الامبريالية أو الاستمرار فى تأكيد أن الحرب لا محالة منها حتى تنتصر الشيوعية فى جميع أنحاء العالم (٢) ٠

وفى مناسبة أخرى اعترف خروشوف بصراحة أن مفهوم التعايش السلمى قد يتغير فى مضمونه فقال انه فى وقت ما فان سياسة التعايش السلمى قد استخدمت لكسب الوقت وكفرصة لالتقاط الأنفاس للدولة السوفيتية المنعزلة ، أما الآن « فانه فيما يتعلق بالتغير فى طابع الحرب وميزان القوى الجديد فى الساحة العالمية فى صالح قوى السلام والاشتراكية فان سياسة التعايش السلمى لها أهداف أكثر معنى وهى ذات مضمون جديد وهدفها النهائى هو ضمان أكثر الظروف ملاءمة لانتصار الشيوعية على الرأسمالية فى منافسة اقتصادية سلمية » (٣) ٠

ويمثل الخطاب الذى ألقاه خروشوف فى ١٩ يوليو سنة ١٩٦٣ أكثر بياناته تعقيدا فى فهمه وتفسيره لسياسة التعايش السلمى ، فقد توافق هذا الخطاب مع تصاعد تأكيد الصين لموقفها من الأسلحة النووية ونظرتها لأثرها بشكل يناقض النظر السوفيتى كما توافق مع التاريخ الذى توقفت فيه المحادثات الصينية السوفيتية التى كانت تستهدف التصالح بين البلدين ، كما توافق تقريبا مع التوقيع فى موسكو على معاهدة حظر التجارب الذرية ـ ٢٥ يوليو سنة ١٩٦٣ ـ وفى هذا الخطاب قال خروشوف فى رفضه للمنطق الصينى للحرب النووية « حين يقال ان الشعب الذى خاض غمار الثورة يجب أن يستعد لحرب ستكون حربا نووية وانه يجب أن يشن هذه الحرب من أجل أن يبنى مجتمعا أكثر رخاء على أجساد الملايين فوق الملايين من الناس الذين قتلوا فى الحرب وعلى

(١) Tucker, « The soviet political mind.. », op. cit., p. 242.

(٢) — Ibid p. 243.

(٣) — Ibid.

حطام العالم فان هذا لا يمكن فهمه ، فمن الذى سيبقى على هـــذه الأرض المزدهرة اننا لا نستطيع أن نوافق على هذه الادعاءات » (١) .. على أن نبذ خروشوف للحرب لا يعنى التصالح بين النظامين « ففى الوقت الذى مازال فيه النظامان الاشتراكى والرأسمالى قائمين فان حـرب حيـــاة أو موت ستستمر بينهما ، ولكننا نحن معشر الشيوعيين نريد أن نكسب هـــذا النضال بأقل الخسائر .. » بل ويرتد خروشوف الى مفهوم قيـام خطر الحرب باستمرار قيام الامبريالية وبالتالى وجوب تأكيد القوة الدفاعيـــة والنووية والاتحاد السوفتيتى « فى نفس الوقت فان الشيوعيين يدركون انه طالما ان الامبريالية قائمة فان خطر الحرب باق ان الاتحاد السوفيتى والأقطار الاشتراكية يدعمون قدراتهم الدفاعية ونحتفظ بصواريخنا المذودة بأقوى الأسلحة النووية وفى حالة استعداد دائم للقتـال » (٢) . كذلك لا يعنى اتباع الاتحاد السوفيتى لسياسة التعايش الســـلمى تخليه عن تأييد حركات التحرر الوطنى « اننا شيوعيو الاقطار الاشتراكية نرى ان من واجبنا أن نقدم كل مساعدة لنضال الشعوب فى نضالها الوطنى واليوم فاننا نعتبره عملا كبير الأهمية ان نقدم كل المساعدة وبـكل الوســـائل للشعوب التى تحارب من أجل التحرر من القهر » (٣) .

كذلك نلحظ انه فى أعقاب الاتفاق على بعض الاجراءات التى تساهم فى استقرار العلاقات بين القوتين كان خروشوف يحرص على تأكيد حدود هذه الاجراءات وتأكيد النتائج التى يراها تتفق مـــع مفهوم السوفيتى للتعايش السلمى ، فعقب توقيع اتفاق الحظر الجزئى للتجارب النوويـــة ولكى لا يعرض نتائج بعيدة المدى مغايرة لهذا المفهوم ذكر خروشوف « ان جوهر سياسة التعايش السلمى بين البلدان ذات النظم الاجتماعية المختلفة انما تكمن على وجه التحديد فى اجبار القوى الغربية الكبرى على نبذ الحرب كأداة لسياستهم واحترام الأساليب السلمية لا الحربيـــة فى تســوية المنازعات الدولية من خلال تفوق الامم المحبة للسلام على قوى العـــدوان والعسكرية » (٤) .

ويؤكد خروشوف ما بدأه فى المؤتمـر العشرين من الاشـــارة الى

---

(١) — Hanak, « Soviet foreign policy since the death of stalin », op. cit., p. 64.

(٢) — Ibid, pp. 69. 70.

(٣) — Ibid.

(٤)

الأوضاع المتغيرة لعلاقات القوى بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي ، وهو التغير الذى فسر به عدم حتمية الحرب وهو نفس التفسير الذى ستواصل النظرية السوفيتية من بعد خروشوف قبول ، أو اضطرار الولايات المتحدة والغرب الى قبول ، مبدأ التعايش السلمى ، فى هذا قال خروشوف فى يونيو سنة ١٩٦٣ « ان الحياة قد أكدت بالكامل صحة سياسة التعايش السلمى . وحين كنت فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا كان الشرح المستميت مطلوبا لما يعنيه التعايش السلمى ، كما كان واضحا أن رجالا مثل وزير الخارجية هارتر لا يمكنهم ترديد عبارة التعايش السلمى (×) فماذا حدث الآن — ان الكلمات هى الكلمات ومعانيها لم تتغير ان ما تغير هى علاقات القوى فى الساحة العالمية » (١).

عهد برجينيف — كوسيجين :

تبلورت بشكل أكثر المفاهيم السوفيتية حول الوفاق ومقاصدها منه وذلك فى عهد قيادة برجينيف وان ظلت فى جوهرها هى المفاهيم التى برزت مع الحملة السوفيتية من أجل التعايش السلمى خلال عهد خروشوف . وقد اكتسبت هذه المفاهيم معنى أكثر تحديدا ومضمونا وذلك بفعل بروز عوامل أكثر موضوعية تتعلق بقضية الحرب والسلام بوجه عام وكذا من خلال تطورات داخل معسكر كلا القوتين بل وفى مجتمعاتهما . فاذا كان خروشوف قد أقام حملته من أجل التعايش السلمى وبررها على أساس « التغير الجذرى فى علاقات القوى بين الرأسمالية والاشتراكية » فان هذا العنصر سوف يتأكد بشكل أكثر مع نهاية الستينات حين سيحقق الاتحاد السوفيتى مرتبة التعادل — ان لم يكن التفوق فى بعض الوجوه كما عبر الرئيس الأمريكى نيكسون — فى القوى النووية الاستراتيجية مع الولايات المتحدة ، وهو العنصر الذى سيصبح القوة الموجهة بشكل أكثر تأثيرا لجهود القوتين نحو الوفاق والتصالح .

(×) يروى خروسوف هذه الواقعة فى مذكراته انه خلال اجتماعه مع ايزنهاور وعندما كان يتحدث عن التعايش السلمى سأله أحد مساعدى الرئيس الأمريكى وهو ديللون : وما هذا التعايش السلمى الذى تتحدث عنه ؟ ورد عليه خروشوف ان لم تكن تفهم ما هو التعايش السلمى بين النظامين ، اذن فاننى آسف ، ان الوقت سيجيء الذى سيتعين عليك فيه أن تتعلم ، انه مما لا معنى له أن أحاول شرحه لك الآن .

Khrrushchev Rememberg, the last testament op.c it., pp. 378-379.

(١) — Lasing and Crave, « Detente, Cold war strategies », op. cit., p p.42-43.

ولذلك فسوف يدور المفهوم السوفيتي خلال هذه المرحلة لعناصر الوفاق السوفيتي الامريكي حول هذا المركز وهو : ـ أثر التحول في علاقات القوى على دفع الولايات المتحدة على تقبل علاقات الوفاق • على انه اذا كانت هذه العلاقات تفرضها الحاجة الى تفادى صدام نووى وربما ابادة متبادلة الا انها لاتعنى فى نفس الوقت انتفاء عنصر الصراع الايديلوجي بين النظامين بل على العكس فان ساحة الصراع سوف تنتقل بشكل أوسع الى منطقة هذا الصراع • كذلك سيركز المفهوم السوفيتي على عدم تعارض علاقات الوفاق الجديدة مع تأييد ودعم الاتحاد السوفيتي لحروب التحرير ولحركات التحرر الوطنى أو أن تمثل علاقات الوفق قيدا عليه فى هذا الخصوص • وعلى الرغم من أن قيادة برجينيف سوف ترى ضرورة الربط بين الوفاق فى وجهه السياسى وبين الوفاق وتحقيق الاسترخاء أيضا فى الجانب العسكرى فى علاقات القوتين ، الا انها سوف تشدد على أهمية زيادة ودعم كفاءة القوى المسلحة للاتحاد السوفيتي وتزويدها بأكفأ الأدوات وأكثرها عصرية وذلك لمواجهة أى تقلبات فى الموقف الدولى ولحين تحقيق اجراءات أكثر ضمانا فى عملية الوفاق العسكرى •

على أن المفهوم السوفيتي فى هذه المرحلة سيبرز بشكل أكثر الاعتبارات التى تتعلق بمتطلبات المراحل المتطورة لنموه•ان عمليه الوفاق لا يجب أن تتضمن مجرد غياب الحرب أو التهديد بها أو مجرد اجراءات سياسية لضمان ذلك وانما لها جانب لا يقل اهميه عن ذلك وهو الجانب الذى يتضمن علاقات تعاونية فى المجالات الاقتصادية والتجارية والعلمية والفنية وهى المجالات التى سيراها الاتحاد السوفيتي ضرورة فى تقديم أساس مادى لتقدم وتطور الجانب السياسى فى علاقات الوفاق •

ويربط المحللون السوفيت بين اتجاه العلاقات الدولية فى نهاية الستينات وبداية السبعينات واتجاه الولايات المتحدة نحو الاتحاد السوفيتي ، وبين التطورات والأوضاع التى واجهتها الولايات المتحدة سواء داخل مجتمعها أو على المستوى الدولى واعتبروا انه « من الواضح تماما أن حكومة نيكسون قد جاءت الى الحكم فى فترة وصلت فيها ، ولأول مرة خلال سنوات ما بعد الحرب ، الخلافات فيما يتعلق بالسياسة الداخلية فى الولايات المتحدة الى مستوى يمثل خطرا على الدوائر الحاكمة ذاتها ، وفى المناقشة التى تطورت بين الرأى العام الأمريكى فان ما وضع موضع الشك لم يكن فحسب العلاقات الخارجية وانما أيضا عددا من القيم التقليدية المتعارف عليها للمجتمع الامريكى » كذلك « فان نمو حركة معاداة

الحزب فى الولايات المتحدة تشهد على أن الأغلبية الأمريكية تريد وقف مغامرات البنتاجون العسكرية وتناضل من أجل وقف العبء فى الميزانيات العسكرية بشكل أصبحت مطالب الدوائر العريضة للرأى العام الامريكى هى تعديل أولويات السياسة الخارجية » (١) ·

ويعنى هذا التحليل لما أصبحت الولايات المتحدة تجابهه انها لم تعد تستطيع التصرف بالطرق القديمة وانه بالنظر الى « الظروف العالمية الجديدة » فان الولايات المتحدة ليس لديها خيارا الا ان تعيد من جديد تقييم محتوى واولويات سياستها الخارجية ·

وقد كان من الطبيعى ان تكون اول مجالات اعادة تقييم الولايات المتحدة لسياستها الخارجية هي العلاقة مع الاتحاد السوفيتى والاقطار الاشتراكية وكانت القوة الرئيسية الدافعة للولايات المتحدة الى احداث تغيير فى اطار مضمون هذه العلاقة هو « النتائج المتبادلة للتغيرات الموضوعية الكبيرة التى جرت فى العالم فى السنوات الماضية والى التحول الكبير فى علاقات القوى فى العالم لصالح الاشتراكية (٢) · ويفصل صاحب هذا الرأى ما يعتبره اسباب التحول فى السياسة الامريكية تجاه الوفاق والاتحاد السوفيتى بانه « عند نهاية الخمسينات والستينات انتهت اكثر العقول المفكرة فى الولايات المتحدة الى النتيجة القائلة بأن الاعتماد على النصر العسكرى على الاقطار الاشتراكية امر لا أساس له وان الحرب النوويه فى الحقيقة تعنى الانتحار للولايات المتحدة ·· كما ان اتجاه ونتيجة العدوان الأمريكى فى فيتنام واتجاه الأحداث فى نهاية الستينات وبداية السبعينات وضعت المبادىء الرئيسية للسياسة الامريكية بالشكل الذى أخذته خلال سنوات الحرب البارده موضع التساؤل ·· » (٣) · غير ان ثمة عناصر تتعلق بشكل ومضمون علاقة الولايات المتحدة بحلفائها كان لها تأثير فى اعادة توجيه السياسات الأمريكية « فقد واجهت الامبريالية الأمريكية أخطارا جديدة وتحديات جديدة وارتبط هذا بزيادة حده التناقضات بين الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين واليابان وهو الامر الذى نشأ عن زيادة خطر المنافسة بينهم فى

---

(١) — Svetlau, « The USSR and the US. possipilities and realities », Inter, Affairs Moscow, No. 1. January 1972, p. 20.

(٢) — Arbatov, George « on soviet-American Rela ions », Commurist, N. 3, 1973, reprinted, » in survival, isg London, May-June 1973. p. 124.

(٣) — Ibid, p. 124.

الاسواق العالمية وفى مجال الصفقات التجارية » ، يضاف الى هذا عناصر أخرى نشأت عن الوضع الداخلى فى الولايات المتحدة مثل « التضخم والبطالة والعجز فى ميزان المدفوعات وتدهور قيمة الدولار والصعاب فى السوق العالمى ومشكلة الفقر فى أغنى البلدان الرأسمالية ومشاكل السكان السود فى أمريكا والمعدل الرهيب للجريمة وتدهور الاخلاقيات وتزايد عداء الأجيال الجديدة للقيم البرجوازية .. » (١) .

ويعطى المحللون السوفييت أهمية أساسية لامتلاك الاتحاد السوفيتى لقوة ردع شاملة فى جعل الولايات المتحدة تتقبل مبدأ التعايش السلمى « ان ظهور الصواريخ عابرة القارات فى الاتحاد السوفيتى قد بدل الأمر بشكل كامل فى الاستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة التى خسرت قبل ذلك احتكارها للسلاح الذرى وخسرت احتكار عدم التعرض للخطر Invulnerability وهكذا نشأ موقف استراتيجى جديد أمام الولايات المتحدة أصبح معه محاولة لطلاق حرب بالصواريخ النووية فى ظل التوازن الراهن فى القوى سيكون محملا بالكارثة .. » (٢) .

ويضيف محللون سوفييت آخرون عناصر جديدة فى القوى التى يرونها وراء اتجاه الولايات المتحدة الى تقبل مبدأ التعايش السلمى مع الاتحاد السوفيتى ، فيقولون ان نمو قوة المجموعة الاشتراكية ونجاح حركات التحرر الوطنى وتأثير الثورة العلمية التكنولوجية على العلاقات الدولية انما يجبر الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة على التعامل مع هذا الموقف وملاءمة أنفسهم معه ويعتبرون انه ثمة محاولات بذلت فى أمريكا لصياغة استراتيجية عاقلة للسياسة الخارجية وان هذا كان ملحوظا بوجه خاص خلال ادارة كنيدى وان كانت أكثر الخطوات أهمية نحو تطوير وتعديل هذه الاستراتيجية قد اتخذت مع بداية السبعينات (٣) ، ويرون انه مع هذا الوقت وبالاضافة الى انخفاض نصيب الولايات المتحدة من الانتاج الصناعى العالمى وفى التجارة الخارجية للبلدان الرأسمالية فقد حدثت ظاهرة غير مسبوقة فى تاريخ الولايات المتحدة وهى ظهور عجز فى ميزان المدفوعات والخفض المتكرر للدولار وتوازى مع هذا أن الثورة العلمية والتكنولوجية قد أثارت ودفعت الى المقدمة مشكلات دولية لا يمكن حلها

---

(١) — Ibid.

(٢) — Kulski, « The soviet union in world Affairs », op. cit., p. 85

(٣) Gromyko, A, Akokothiu, u.s. foreign policy, strategy for the 1970s, Inter. Affairs, Moscow, No. 10, 1973, pp. 67-69

عند مرحلة معينة بشكل منفرد حتى بواسطة قوة قوية مثل الولايات المتحدة (١) • كذلك اعتبر المفهوم السوفيتي أن القادة السياسيين للولايات المتحدة بدءوا يقيمون علاقات القوى فى العالم على أساس ان العالم ينتقل من حالة الثنائية التى ظلت من الملامح الأساسية لفترة ما بعد الحرب الثانية الى حالة التعدد التى نشأت نتيجة للسياسات الخارجية المستقلة لأقطار غرب أوربا واليابان ولسياسات القادة الصينيين المعادية للسوفيت ، كل هذا دفع رجال الدولة الأمريكيين الى تبنى نظرة أكثر اتزانا لعلاقات القوى الجديدة ولمصالح بلادهم الدولية وان هذه النظرة قد بنيت على الأسس التالية : —

١ — ان علاقات القوى بين الاتحاد السوفيتى وخاصة فى المجالات العسكرية والسياسية قد أعيد تقييمها بشكل واقعى ، ومسجل اعتراف الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة للتعادل النووى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى الوثائق الصادرة عن مؤتمر قمة موسكو فى مايو سنة ١٩٧٢ •

٢ — تيقن عدد من قادة الولايات المتحدة ان مصالح بلادهم ليست مهددة باسطورة المؤامرة الشيوعية •

٣ — ان تغيرات بعيدة المدى تجرى فى الحياة السياسية والاقتصادية فى آسيا وأمريكا اللاتينية •

٤ — انه فى اتباع سياسة المواجهة مع الاتحاد السوفيتى فان الولايات المتحدة تضعف من وضعها ازاء الاقطار الرأسمالية الأخرى وفى نفس الوقت تخسر منافستها مع الاشتراكية (٢) •

ويحرص المفهوم السوفيتى على أن يوضح انه اذا كان يعتقد أن من العوامل الأساسية فى تحول الولايات المتحدة الى قبول التعايش السلمى هو التغير الذى وقع فى علاقات القوى بين القوتين وفى العالم ، فان علاقات القوى تلك هى شىء أكبر من ميزان القوى « وهى ليست محصورة فقط كما يصورها المفهوم الغربى فى الجوانب العسكرية من المعادلة ، وانما هى أشمل من ذلك وتضم الجوانب العسكرية والاقتصادية والسياسية (٣) •

---

(١)

(٢) — ibid

(٣) — Deane, Michel, « The soviet assessment of correlation of world forces, implications for American Foreign Policy », ORBIS, No. 3, Fall 1976, p. 360.

ويأخذ التفـــكير الســـوفيتي مفهوم توازن القوى Balance of power على انه يهدف لا الى اقامة السلام وانما الى المحافظه على الوضع الراهن ومنع تدعيم مواقع الاشتراكية ونمو حركات التحرر الوطني والحيـــلوله دون تغير أكثـــر فى علاقات القـــوى Correlation of power لصالح الاشتراكية والديموقراطية (١) •• والمتغير الذى حدث فى علاقات القوى كما يتصـــوره الفكر السوفيتي لم يحدث فحسب نتيجـة لنمو القـدرات العسكرية والاقتصادية والدولية للاتحاد السوفيتي ، وانما أيضـا نتيجة للانعكاسات التي تحدث فى المعسكر الرأسمالى ، فالازمة الرأسمالية ذاتها وتفاقم تناقضاتها الداخلية الاجتماعية والاقتصادية أصبحت عند المفهوم السوفيتي عنصرا دائما فى تغير علاقات القوى وكذلك نمو حركات التحرر القومى والنضال ضد العلاقات الاستغلالية ، كل هذه التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الدائمه هى عناصر تؤثر بشكل مباشر فى القوى الاقتصادية والعسكرية والداخلية والخارجية للاقطار الرأسمالية كمجموع وكدول منفردة (٢) •

ووفقا لوجهة النظر السوفيتية التاريخية فان علاقات القوى العالمية قد مرت منذ عام ١٩١٧ بثلاثة تحولات جذرية نتج عن كل منهـا تحالف جـديد أكثر ملاءمة للجانب الشيوعى ، فالتحول الأول كان عـام ١٩١٧ بظهور الدولة الشيوعية الأولى وجرى التحول الثانى فى عام ١٩٤٥ بهزيمة النازى وظهور دول شيوعية جديدة فى شرق أوربا ، أما التحول الثالث فقد حدث بين ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ ويرتبط بشـــكل وثيق بتحقق التعادل الاستراتيجى ، وفى الوقت الذى يرفض فيه السوفيت اعتبار ان القوة العسكرية هى أساس أو حتى العنصر المتفوق فى علاقات القوى وتقييمهم لها ، فانهم يعتبرون ان وصـــولهم الى التعادل فى المجـال العسـكرى الاستراتيجى قد أتاح للمنافسة أن تتحول بين النظامين بعيدا عن المواجهة العسكرية الى المجالات الاقتصادية والسياسية والايديلوجية (٣) •

---

(١) — Karevism A, « Detente and new Variants of old doctrines » Inter Affairs, Moscow, No. 8, 1974, p. 103.

(٢) Sankoyev, «The world today, problems of the correlation of forces» Inter. Affairs, Moscow, No. 11, 1974, p. 46-48.

(٣) — Deane, michel, «The soviet assessment of correlation of World forces ». op. cit. p. 630.

ونتيجة لهذا التحول الجديد بمفهومه الشامل فان الولايات المتحدة قد اجبرت على اعادة تقييم سيستها والعمل من « موطن القوة » والدخول الى « عهد التفاوض » ، وهو ما عبر عنه كتب سوفيتى « ان ميزان القوى العالمى قد تحول بشكل اكثر فى صالح الاشتراكيه مع اوائل السبعينات كما اتضح مثلا بالوصول الى التعادل النووى والصاروخى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، قد جعل هذه الدوائر الحاكمة الأمريكية تبدأ فى « اعادة تقييم القيم » واعترفت بالحاجة « الى اصلاح واقع المنافسة بين النظامين وضرورة التعايش السلمى ونتيجة لهذا التقييم تحولت الولايات المتحدة من سياسة المواجهة الى سياسة التفاوض مع الاتحاد السوفيتى والاقطار الاشتراكية الأخرى » (١) ·

التعايش السلمى لايعنى التصالح الايديلوجى :

من أهم ما يحرص عليه المفهوم السوفيتى فى تفسيره التعايش السلمى هو تأكيد ان مبدأ التعايش السلمى وان كان يسمح ويشجع على التعايش بين الدول والحكومات الا أن هذا لا ينطبق بأى حال على النظامين الاجتماعيين الاشتراكى والرأسمالى ولا يصفى بأية حال التناقض بينهما الذى يمثل حتمية تاريخية ولا ينتهى الا حين يثبت نظام منهما فى النهايه أيهما أجدر بالبقاء ، وفضيلة التعايش السلمى هى انه يوجه هذا الصراع وجهة سلمية ويستبعد الحرب من أدواته وعلى هذا وكما يقول مؤلف سوفيتى « ان التعايش السلمى لا يعنى وقف أو اضعاف النضال الطبقى بين الاشتراكية والرأسمالية وانه لا يعنى ان الخلافات بينهما ستختفى أو ان جوهر النظامين الاجتماعيين يتغير · ان الصراع الطبقى بين الرأسمالية والاشتراكية مستمر وسوف يستمر · والشىء الوحيد هو تحويل النضال التاريخى الحتمى بين الاشتراكية والراسمالية الى قنوات ليست محملة بالحروب والصراعات الخطيرة وسباق التسلح » (٢) ، فالتعايش السلمى من وجهة النظر السوفيتية لا يعيق الصراعات بين النظم وانما فقط يحولها الى مناطق غير المواجهة العسكرية المباشرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وعلى هذا فالتعايش السلمى فى نظر المعلق السوفيتى « هى أساسا سياسة طبقية تؤدى الى دعم موقف ومكانة

---

(١) Trofiminko, G. « from confrontation to Coexistence », Inter. Affair, M scow, Octobr 1975. p. 38.

(٢) — Karionov, v, « The policy of peacful coexistence in action », op. cit., p. 33.

الأقطار الاشتراكية في الوقت الذي تحبط فيه القوى الامبريالية العدوانية وتضييق نطـــاق الفرص أمامهـــا للتآمر ضــــد قضية السلام والتقدم الاجتماعي » (١) ·

ويقول برجينيف في الاحتفال بالعيد الخمسين للاتحـاد السوفيتي « ان الحزب السوفيتي قد اعتبر دائما ومازال يتمسك بأن النزاع الطبقي بين النظامين في المجالات السياسية والاقتصادية وبطبيعة الحال الايديلوجية سوف يستمر وهذا ما يجب توقعه مادامت النظرة العالمية للاهداف الطبقية للرأسمالية والاشتراكية متعارضة ولا يمكن التوفيق بينهما ولكننا سوف نناضل لتحويل هذا النضال الحتمي تاريخيا الى طريق خال من أخطـار الحرب والصراعات الخطيرة وسباق التسلح غير المقيد » (٢) · ولا يتضمن التعايش السلمي في النظر السوفيتي وجوب استمرار النضال الايديلوجي فحسب وانما يتطلب أكثر التشديد عليه وتكثيفه كلما تحقق تقدم في تطبيق مبادىء التعايش السلمي بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة ، وهو ما جعل برجينيف يقول على أثر مؤتمـر القمة الأول في موســكو عام ١٩٧٢ « انه في العمل من أجل تدعيم مبدأ التعايش السلمي فاننـا على وعي ان النجاح في هذا الأمر الهام لايعني بأى حال امكانية تخفيف النضال الايديلوجي ، على العكس فاننا يجب ان نكون مستعدين لتكثيف هذا النضــال وان يصـــبح صورة أكثر حدة للمواجهـــة بين النظامين الاجتماعيين » (٣) · ومعاني هذه النظرة التي تذهب الى التشـــديد على النضال الايديلوجي بالتوازى مع تقدم علاقات التعايش السلمي واضحة من حيث ان متضمنات هذه العلاقات وخاصة في الجوانب الاقتصادية والثقافية واتصال المجتمعات يمكن ان تحمل تأثيرا ضـــارا على درجة نقاء الالتزام الايديلوجي في المجتمعات الاشتراكية وتفتح الطريق الى أساليب الحيــاة البرجوازية ، بل ان وجهة النظر السوفيتية تنطلق من زاوية ان السياسات الرأسمالية تريد ان تســـتخدم هذه العلاقات أســـاسا لتخريب النظم الاشتراكية من الداخــل بعد ان فشلت أساليبها العسكرية والسياسية التقليدية ، ويستخدم الكتــاب السوفيت للتدليـل على ذلك بما يظهر في الغرب من نظريات مثل نظرية بناء الجسور ، وما يدعو اليه كتاب الغرب

---

(١) — Kapchenko, « Socialist foreign policy and restructuring of International relations », Inter. Affairs, Moscow, April, 1975, p. 8.

(٢) — Malchanov. Y, « The leninist policy of peace » Inter. Affairs, No. 2, 1974, p. 8.

(٣) — Daily Review, (NPA), June, 29, 1972.

من ان « سياسة القوى الغربية نحو الأقطار الاشتراكية يجب ان تكون مصقولة ومستعينة بضبط النفس وتفادى الدعايات الصاخبه وتهديدات التدخل وتشجيع التطور السلمى للشيوعيه » وبما يصدر عن المؤتمرات العلمية من المفكرين الغربيين من ان « السياسة الغربية السليمة تجاه الشرق الأوسط أوربا فى المرحلة الراهنة هى الارتباط السلمى Peachul engagement والاستخدام المنسق للتبادل الثقافى والقروض المالية والمناورات الدبلوماسية لدفع قوى التفتيت لتعمل عملها » (١) . وتعتبر وجهة النظر السوفيتية ان مثل هذه الأساليب يمكن ان يكون لها تأثيرها وتلحق الضرر بالبناء الاشتراكى اذا ما كانت قيادة الحزب فى حالة استرخاء وان لم تستعمل التناول الطبقى فى علاج ذلك فى كافة القطاعات ، غير ان الحزب الشيوعى « انما يمتلك نظرية علمية للتطور الاجتماعى تنظم وتعلم الجماهير وتضع نماذج للاتجاهات الشيوعيه فى العمل وتواصل نضالا ضد أى مظاهر للايديلوجية البرجوازية أو احياء الماضى ولكى توصل نظرة الشعب العامل للشيوعية لتساعد هؤلاء الذين يتخلفون لكى يتغلبوا على ترددهم وتصيغ بشكل خلاق المشكلات الملحة لزماننا » (٢) . ومع ذلك فثمة مطالبة مستمرة « باليقظة » من جانب مؤسسات الحزب التعليمية والدعائية مثلما دعت اللجنة المركزية فى الذكرى المئوية لوفاة لينين فى ٢٣ ديسمبر عام ١٩٦٩ الى انه « .. ليس هناك مجال للحياد أو المساومة فى النضال الايديلوجى . ان الماركسية اللينينية ترفض النظرية الانتهازية حول التعايش السلمى للايديلوجيات وهذا يتطلب خطا طبقيا متماسكا فى التعليم وتصحيح الاتجاهات الايديلوجية وتوضيحها ومزيد من التدعيم لليقظة الايديلوجية الثورية والنضال المستمر ضد اللامبالاة السياسية والاتجاهات السطحية ومظاهر الاتجاهات العدمية نحو الانجازات الاشتراكية وظهور وجهات النظر البرجوازية والتحريفية » (٣) . كما دعا سوسلوف الى « اننا يجب أن لا ننسى أبدا الحاجة الى شن نضال عنيد ضد الايديلوجية البرجوازية وان نربى فى الشباب السوفيتى عدم الرحمة تجاه أى مظهر من مظاهرها ،

---

(١) Moderzkinskaya, Yelena, «Leninism and the Battles of ideas» Prog rss pu.l.s.ers, Moscow, 1972, p. 83.

(٢) — Ibid.

(٣) — Kulski, v, « The soviet union in world Affairs ».

وان الهدف الرئيسى الذى يجب ان تتجه اليه اللجنة المركزية لحزبنا هو تشديد دعايتنا وزيادة فعاليتها » (١) ٠

وهكذا يملى الحذر والشك من الايديلوجية الغربية وما يمكن ان تخلفه من آثار سلبية فى المجتمعات الاشـــــتراكية وامكان تسربها الى صفوف مواطنيها حذرا من جانب الحكومة الســـــوفيتية تجاه العلاقات الثقافية الاجنبية مع الاقطار الرأسمالية وهى فى هذا تقول انها لا ترفض هذه العلاقات على اطلاقها وانما تقبلها فقط فى نطاق القوانين السوفيتية والحدود التى تسمح بها معايير الايديلوجية الاشتراكية وبالشكل الذى لا تؤثر على التماسك الايديلوجى للمجتمعات الاشتراكية ، وتعتبر ان ما يتضمنه هذا الموضوع أساسا ليس مجرد رفض لثقافة معينة أو جوانب ثقافية معينة أو انه سياسة ثقافية وانما هو دفاع عن أمن النظام ذاته ــ سواء فى الاتحاد السوفيتى أو فى الاقطار الاشتراكية الاخرى ــ باعتبار ان السماح للاتجاهات الثقافية الغربية ، والتى يرونها مرادفة للتحلـــل والفردية والعدمية، محاولة « لغرس العقلية البرجوازية فى عقول المواطنين فى الأقطار الاشتراكية وغرس عدم المبالاة تجاه أهداف وغايات الاحزاب الشيوعية والاشتراكية وبث الكراهية للنظام الاشتراكى ٠٠ » (٢) ٠

وتعطى عبارة النضال الايديلوجى معنى خاصا لدى القادة السوفيت، فهم يضمنونه كل أشكال النضال ويوضحون انهم يعنون به أكثر من مجرد الخلافات النظرية بين النظم الاشتراكية والرأسمالية فالايديلوجية كما يتصورها الشيوعيون هى تبرير موجـــه للعمل ، وهى عنصر حرج فى النضال الطبقى العالمى ، وهى لا تحدد الأهداف السوفيتية فحسب وانما أيضا الأساليب والاستراتيجيات التى تنبع منها هذه الأهداف ، ونتيجة لهذا فان اللفظ يعنى ما يقصده الغربيون فحسب ٠ من النضال من أجل « عقول وأفكار الناس » وانما كذلك كل الأشكال وأســـــاليب النضال الأخرى » ان الأهداف المحددة للنضال الايديلوجى من حيث شـــــدتها واختبار الأساليب تعبر فى كل مرحلة أساسا عن التنافس بين النظامين فى المجالات الاقتصادية والسياسية وكشكل من أشـــكال المواجهة بين

---

(١) Kohler, « Soviet strategies for the seventies » op. cit., p. 75.

(٢) Kulski, « The sovietunion world Affairs », op. cit., p. 75.

الرأسمالية والاشتراكية فالنضال الايديلوجي يرتبط بشـــكل عضوى مع الاشكال الأخرى » (١) •

وثمة نقطة يحاول المفكرون السوفيت تفسيرها وهى التى تثور مع ما قد يبدو من تناقض فى المفهوم السوفيتي الذى يقول بامكانية قيام علاقات من التعايش السلمى مع استمرار النضال والصراع الايديلوجى، فيقولون انه على مستوى العلاقات بين الدول فان « أكثر المشـــــاكل السياسية الحاحا لهذا العصر » هو منع اشتعال الحرب النووية ومن ثم الحاجة الى توجيــه اتجاه المواجهة بين النظامين الى قنوات التنـــافس السلمى ، وفى نفس الوقت فان « المشكلة الاجتماعية الرئيسية للعصر هى الانتقال بالمجتمع الدولى من الرأسمالية الى الشيوعية وهو الأمر الذى لا يتحقق بالنضال الطبقى ، ونتيجة لهذا فان مبادىء التعايش السلمى « والتى تخضع عددا من قواعد السلوك فى الساحة الدولية فى مجال العلاقات المتبادلة بين الدول انما تفقد قوتها خارج هذه الدائرة وخارج هذه العلاقات » (٢) •

كمــا يفسرها كاتب سوفيتى آخــر بقوله « ان الماركسية اللينينية تعلمنا ان سياسة الدول لا تنبع تلقائيا من نظامها الاقتصادى ، ان لها استقلالا نسبيا ، وفى ظل ظروف معينة (مثـــــل الاعتراف بالطبيعة الانتحارية للحرب النووية) يمكن ان تنفصل عن قاعدتها الاقتصادية لفترة معينة من الزمن ، وهكذا فانه فى ظل الظروف المعـــــاصرة فان الدول البرجوازية رغم عدم تغير مصالحها الاقتصادية وعدم تغير الطابع غير الشعبى للرأسمالية فهى مكرهة على بناء علاقات مع الاقطار الاشتراكية على أساس من التعايش السلمى » (٣) •

ويحدد التفكير السوفيتى ان السياسة السوفيتية انما تتبع منهجا ديالكتيكيا يقوم على أساس « الصد الحازم للعدوان الامبريالى والدفاع عن التسوية البناءة للمشكلات الدولية الكبرى •• » (٤) •

---

(١) Zakharov, Y, « The present state of ideological struggle between socialist and Capitalism », Inter. Affairs, Moscow, No, 3. March, 1972. pp. 28-83.

(٢) — Bovein, A, « Peace and Social Progress » Daily Review, (NPA) Septe, 1973.

(٣) — Petrov, v, «The Internationalism of the CPS foreign policy » Daily Review, (NPA), december 22, 1973.

(٤) — Lvov, M, « Policy of constructive goals, » New Times, Moscow, No. 24, 1972 p. 4-5.

وان هذين المبدءين لا تعارض بينهما ، ولهذا فليس هناك مجال للتساؤل أيهما يسبق الآخر فهما مبدءان متساويان فى الأهمية ويكملان بعضهما البعض ، ويستشهد بمواقف محـــــددة من بينها « المضى فى محادثات الحد من انتشار الأسلحة النووية والتى كانت قد دخلت فى مرحلة حاسمة ، أو تأييد للدول العربية التى تعرضـــت للعدوان عام ١٩٦٧ ، ووفقا للفكر السوفيتى فان كلا الأمرين كان غاية فى الأهمية وكانت مصالح السلام والاشتراكية وحركة التحرر الوطنى تقتضى الاصرار على كلا الخطين وقد تصرف الاتحاد السوفيتى وفقا لهما » (١) ٠

ويقول مفكر سوفيتى آخر فى هذا الشأن « ان السياسة الخارجية السوفيتية تمزج بشكل عضوى مبدأ الدولة الاشتراكية للبلوريتاريا مع مبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتمـــاعية المختلفة مع النضال من أجل السلام وتفادى حرب جديدة ٠٠ » (٢) ٠

وهكذا يوضح التفكير السوفيتى فهمه للتعايش السلمى تفسيرا دياليكتيكيا يعتبر بمقتضاه ان الصراع والتعاون يتداخلان فيه ويصبح التعايش السلمى وحدة متناقضة يمكن للصراع الذى يجرى تحت السطح ان يأخذ مظهرا تعاونيا (الا فى الحقل الايديلوجى) ، كما يعطى للتعاون مظهرا تنافسيا « فالتعاون والصراع لا يمكن الفصل بينهما فى عملية التعايش السلمى ، فالتعاون الاقتصـــــادى هو فى نفس الوقت تنافس اقتصادى ، والتعاون السياسى هو فى نفس الوقت صراع سياسى ولكن بالوسائل السلمية ٠ ونفس الاطار من الثنـــــائية يظل فى العلاقات السياسية بين الدول ذات النظم المتعارضة ٠ فاذا تم التوصل الى تسوية فسوف تمثل تنازلا مقبولا من الجانبين وهذا هو منطق التعايش السلمى من وجهة النظر الدياليكتيكية » (٣) ٠

وكاستمرار للرفض السوفيتى لامكانية ان يتضمن التعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة تعايشا وتصالحا بين هـــذه النظم ، فان الفكر السوفيتى يرفض بشدة النظرية التى يروج لها بعض المفكرين الأمريكيين والغربيين والتى تتضمن اتجاه المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية الى التلاقى ولتقابل عند أسس مشتركة وذلك بفعل ماتتطور

---

(١) — Ibid.

(٢) Current digest of soveit press, No. 23, July 5, 1972, pp. 1-2.

(٣) — Tucker, « Soviet political mind.. », op. cit., p. 257.

اليه أسسها الاقتصادية والاجتماعية وهى النظرية التى ترمز الى امكانية تقارب النظامين : Convergence

وبداية فان ظهور نظرية التقارب بين المجتمعين والايديلوجيتين قد ارتبطت ببدء انحسار الشكل الحاد للحرب الباردة وهو الشكل الذى سادت فيه صورتين متناقضتين تماما وبعيدتين عن أى التقاء لكل من المجتمعين الأمريكى والسوفيتى ، ومع بداية الستينات بدأ يحل محلهـــا مفهــوم أكثر ديناميكية يدور حــول امكانيات التقـــارب والالتقاء بين المجتمعين • وقد دارت هذه النظرية حول فكرة أساسية وهى ان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة يتجهان أكثر فأكثر الى التشابه وان امكانيات هذا التحول تكمن فى عملية التصنيع وما تحمله من امكانيات التوحد الحضارى والتنوع والتعقيد فى المجتمع وما هو أكثر من هذا تفتيت للنظم الصارمة والايديلوجيات بما تخلفه من أوضاع الوفرة الاقتصادية (١) ••

ولعل من أهم من روج لهذه النظرية المفكر الاقتصادى الأمريكى جالبريت والذى ركز على عنصر التكنولوجيا من حيث ان خصائصـــها واحدة سواء فى الاقتصاد الرأسمالى أو الاشتراكى ، واعتباره ان الاشتراكية أو الرأسمالية هى مجرد اشكال للمجتمع الصناعى الجديد ، وان تطـور المجتمع يتحـــدد بالتطور التكنولوجى وليس بالايديلوجية ، ذلك ان الاستخدام المتزايد للتكنولوجيا انما يفرض تخطيطا كثيفـــا على كل المجتمعات الصناعية » (٢) ، ويخلص جالبريت من هذا الى ان « احـد النتائج التى يمكن استخلاصها من هذا التحليل هو ان هناك تلاقيـــا واسعا بين النظم الاقتصادية • ان ضرورات التكنولوجيا والتنظيم وليس صور الايديلوجية هى التى تحدد شكل المجتمع الاقتصادى » (٣) • كذلك نجدها عند والت روستو وبشكل خاص فى نظريته عن تطور المجتمعات والتى حدد مراحلها بخمس مـــراحل واعتبر ان البلدان لا تختلف عن بعضها البعض بسبب نظمها الاقتصادية والاجتماعية وانما لان تطورها يمر عبر مراحل مختلفة • (٤) ••

---

(١) — Brzezinski, Zbigniew and Huntington, « Political power — USA /USSR », op ct., pp. 9-12.

(٢) — Galbraith, J.K. « The new industrial state, » Boston, 1976, p. 6.

(٣) — Ibid, pp. 6-7.

(٤) Rostow, walt, « The stages of economic growth », Cambridge, 1960, p. 4.

وعلى المستوى الأوربى نجد انه من ابرز المروجين لنظرية التقاء الايديولوجيات الاستاذ موريس دوفرجيه الذى يعتبر انه على الرغم من الاختلافات الواسعة بين المفكرين الغربيين والماركسيين فان مفاهيمهم فى السياسة بها من الامور المشتركة أكثر مما يدركون ، فقد تخلى المفكرون الغربيون غالبا عن المثالية والتى لم تكن الا قناعا رقيقا للسلوك الذى كان أبعد ما يكون عن المثالية ، وهم اليوم مستعدون للاعتراف بأن العوامل الاقتصادية والاجتماعية انما تلعب دورا أساسيا فى تطـــور الصراع السـياسى ، ومن ناحية أخرى فان المفكرين الماركسيين بدءوا يرجعون أهمية أكبر للعوامل الثقافية والحضارية وان كانوا ما زالوا يصرون على الفارق بين الأساس والبناء القومى ، ويضيف دوفرجيه ان هناك تشابها ضخما بين النظريات المتعلقة بالانتقال من الصراع الى التكامل كما ان النظر فى برنامج خروشوف للشيوعية عام ١٩٨٠ انما يظهر تشابها كبيرا مع « طريقة الحياة الأمريكية » ، والصورة الغربية لمجتمع الوفرة وثيقه الصلة بالصورة السوفيتية عن المرحلة العليا للشيوعيه وتقلص الدولة ، ومن هنا فان فى رأى دوفرجيه انه على ارغم من أن المفكرين الغربيين والماركسيين لا يشتركون فى نظرة شاملة واحدة فى السياسة فانهم لم يعودوا يمثلون عالمين مختلفين تماما لا سبيل الى الوصل بينهما ، كذلك فانه رغم ما قد يبدو ان السوفيت والغرب يتمســـك كلا منهم بموافقة بما لا يبـــدو معه أى امكانية للتغير على أى جانب ، الا انه في الحقيقة فان تغيرا عميقا يجمعهم ببطء مع بعضهم البعض ، ويواصـــل دوفرجيه هذا التصور بقوله ان الاتحاد السوفيتى والديموقراطيات لن يصبحوا أبدا رأسماليين كما ان الولايات المتحدة والبلدان الرأسمالية لن تصبح شيوعية ، ولكن كلا الجانبين يبدو انهما يتحركان نحو الاشتراكية باشكال مختلفة : من خلال الليبرالية فى الشرق ومن خلال الاشتراكية فى الغرب ، ومن المحتمل ان تلقى هذه الحركة المزدوجة عقبات أكبر وقد تاخذ وقتا طويلا وقد تعانى نكسات ولكن يبـــدو انه فى النهاية انه لا مفر منها • (١) •

ويرد المفكرون السوفيت على هذه النظرية معتبرين بداءة ان ظهورها انما هو نتيجة لافلاس الاشكال الأولى من معاداة الشيوعية والتى سقطت وانهارت تحت تأثير انجازات الاشتراكية ونمو قوة الدول الاشتراكية،

---

(١) — Duverge, M-urice, « The idea of politics », Methuen, London, 1967, pp. 211-223.

ومن هنا وجهت الدعايات البرجوازية بالحاجة الى ايجاد أسلحة ايديلوجية جديدة فخرجت نظريه التقارب بين الايديلوجيات لكى تخدم مصالح الدوائر الحاكمة فى العالم الراسمالى ومساعدتها على تفادى الاجابه المباشره على السؤال الرئيسي : اشتراكيه ام راسماليه ؟ (١) ، ويذهب هذا الرد الى اعتبار ان نظريه التقارب قد صممت لكى تجتذب العناصر المترددة فى الطبقة العاملة والحركة الشيوعية والتى يمكن ان تكون مستعدة لتقبل الاتجاهات والأفكار الجديدة الآتية من الغرب والتى تدعو الى تجديد الماركسية بشكل ينتهى الى ان تسقط هذه العناصر فى أيدى المذاهب البرجوازية الحديثة وينتهى بها الى هجر البروليتاريا (٢) .

ويتطور المفكرين السوفيت فى الرد على نظرية التقارب بين النظم بالتعرض للاساس الذى تستند اليه وهو ان التطور العلمى والصناعى والتكنولوجى والادارى للمجتمعات الرأسمالية والاشتراكية يجعلها تتطور على أسس مشتركة ومتشابهة ، بالقول ان هذا المنهج الرئيسى انما يعتمد على المبالغة فى نسب واحجام الملامح المصطنعة المشتركة فى كلا النظامين، واهمال العناصر الاساسيه العميقه والتى تحكمها القوانين التى تميز فى النهاية النظامين عن بعضهما البعض . (٣) . ويفصل النظر السوفيتى لنظرية التقارب القول بان ما تدعيه النظرية من ظهور نظام مختلط ومركب Synthesis لن يكون نتيجته الا استعادة الرأسمالية فى الاقطار الاشتراكية وسيطرة العناصر الأساسية للرأسمالية على النظام الاقتصادى الناشىء وأساسا فكيف يمكن لنظام يقوم على الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ان يتحد مع نظام يقوم على الملكية الخاصة أو الاستغلال (٤) . وفيما يتعلق بقول النظرية ان علاقات الملكية القديمة لوسائل الانتاج قد استبدلت شكلا جديدا من أشكال الملكية يوسع من نطاق ملكية الدولة وتوزيع الثروة ، فان المنظرين السوفيت يقولون ان الماركسية لا تنكر انه قد حدث بعض التعديلات فى شكل الملكية الرأسمالية ، ولكن القضية هى أن هذه الأشكال الجديدة للملكية الخاصة لم تفعل شيئا على الاطلاق لتغيير النظام الرأسمالى ، فهى ليست الا شكلا جديدا من أشكال

---

(١) — « Socialim, Capitalism are they dragging together » ? Novosty Agency publishing House, Moscow, 1972, pp. 8-9.

(٢) — Ibd, p. 14.

(٣) — Mo'rzhinskoya, « Leninism and the battles of ideas », op. cit., p. 100.

(٤) — Ibid, 107.

الملكية الرأسمالية ، وليس لها علاقة على الاطلاق بالملكية العامة طالما ان الجزء الأكبر من وسائل الانتاج يبقى فى أيدى الطبقة الرأسمالية (١) .

وردا على القول بان كلا من النظامين الرأسمالى والاشتراكى أصبح يأخذ بمبدأ التخطيط ، فان هناك اختلافا نوعيا أســاسيا بين التنظيم المخطط للاقتصاد فى ظل الاشتراكية وتدخل الدولة فى الحيـــاة الاقتصادية فى ظل الرأسمالية ، فالطبيعة المخططة للاقتصاد الاشتراكى لا تتخلص فحسب من المنافسة المدمرة والأزمات والبطاله التى تنبع من طبيعة النظام الرأسمالى وانما تفتح أيضا امكانيات أخرى لنشاط الدولة وهى الامكانيات التى لا يمكن ان يحصل عليها مجتمع رأسمالى (٢) . أما عنصرى تطور التكنولوجيا وأساليب الادارة والتى تجعل منهما نظرية التحول فى النظامين من الأسس الرئيسية لهذا التحول ، فيرد عليهما الفكر السوفيتى بالقول ان النقص الرئيسى عند أصحاب هذه النظرية هو فصلهم عملية التطور التكنولوجى عن النظام الاجتماعى وعن الترتيب الطبقى للمجتمع بحيث انه فى التحليل النهائى فان التنظيم الاقتصادى والاجتماعى هو الذى يحدد طبيعة وطابع ونتائج التقدم التكنولوجى فى اتجاهاته وأشكاله ، أما عن اتخاذ الادارة فى رأى أصحاب النظرية للطابع المهنى . Professionalization of management

والتى سوف تذهب فى ظله ادارة الأمور الاجتماعية سواء فى الاشتراكية أو الرأسمالية الى أيدى الاخصائيين والتكنولوقراط والبيروقراطيين ، فان محاولة تقديم الادارة فى المجتمع كعمل فنى بحت هو أمر لا يمكن الدفاع عنه لانه يتجه الى التغير بشكل أساسى بتغير العلاقات الاجتماعية ففى ظل الرأسمالية فان نشاط المديرين يتحدد بالمصـــالح الطبقية للطبقات الحاكمة ولا يمكن ان يكون الا كذلك (٣) .

التعايش السلمى وحروب التحرير :

كما يصر السوفيت على تحديد النطاق الذى يمكن ان تسود فيه علاقات التعايش السلمى ، ويحددون ذلك بشكل حازم بالعلاقات بين الحكومات والدول فقط دون الايديلوجيات والنظم الاجتمـــاعية ، وهم

---

(١) — « Socialigm, Capitalism.. », op. cit., pp. 16-17.

(٢) — Ibid, p. 23.

(٣) Modrchinskaya, « Leninism and the battles of ideas », op. cit., p. 107.

يحرصون وبشكل خاص عند تقديم موقفهم من التعايش الســـلمي الى شعوب العالم الثالث وحركات وقوى التحرير فيه ، الى التأكيد على ان مأخذهم للتعايش السلمي لا يتضمن انه يحول بينهم وبين تأييد حروب التحرير ودعمها المادى والمعنوى أو انه يعنى قبولهم للوضع الراهن فى العالم على المستوى السياسى والاجتماعى ، كما يوضحون وخاصة فى الجدل مع الولايات المتحدة والغرب ان تأييد حركات التحـــرر الوطنى لا يتناقض مع مبدأ التعايش السلمي طالما ان هذا المبدأ له مناطقه المحددة والمعترف بها فى علاقات الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة وهى مناطق استبعاد المواجهة العسكرية وتحقيق الاتصال المتبادل والمنافع فى المجالات الاقتصادية والعلمية والفنية .

ويؤصل الاتحاد السوفيتى لموقفه من حروب التحرير بتقييمه لاشكال الحروب على أساس من أساسها الطبقى حيث يميز فى هذا بين الحروب العادلة وغير العادلة ويعلن أنه الى جانب الشكل الأول ومعارض للشكل الثـانى « ... فى نفس الوقت الذى يعارض فيه الشيوعيون الحروب الامبريالية الطفيلية فانهم يؤيدون ــ ويعتبرون انها حروب عادلة تلك التى تشنها الشعوب ضد الامبريالية والعدوان وحروب التحرر القومى التى تشنها الطبقات الثورية لوقف محاولات القوى الرجعية لاطالة أو اعادة اقامة حكمها بقوة السلاح » (١) .. وبعبارة أخرى فان الحروب يجب أن تصنف رفقا لطابعها الطبقى الذى تأخذه ، فعدالة الحرب وعدم عدالتها تتحدد بأهدافها الطبقية ، فى هذا يقول كوسيجين « ان السياسة التى يتبعها الاتحاد السوفيتى فى العلاقة مع الاقطار ذات النظم الاجتماعية الأخرى تبدأ من عدم قبول استخدام القوة فى حل المشاكل المتنازع عليها بين الدول ، ولكن هذا لا يؤثر بأى حال فى حق الشعوب فى أن تحمل السلاح لمعارضة العدوان وفى ان يساعد الاتحاد السوفيتى وبدون أى تاخير الشعوب التى تثور ضد الاستعماريين أو التى أصبحت ضحايا العدوان » (٢) .

كذلك يمكن ، من وجهة النظر السوفيتية ، تحقيق أهداف التحرر الوطنى بالطرق السلمية يصبح بعدها حمل السلاح أمرا لا مفر منه اذا ما فشلت المحاولات السلمية « ان الماركسيين مقتنعون أن أهداف التحرر

---

(١) — Daily Review, (NPA), August, 23, 1970.

(٢) — Ibid, Julys, 1972.

من أى شكل من أشكال السيطرة قد يسوى بالطرق السلمية وبدون اراقة دماء وبالطرق غير العسكرية للنضال ، ولكن ان لم يكن هناك مخرج فان للشعوب الحق فى أن تحمل السلاح ، وسيكون نضالها مشروعا وعادلا وبمعنى اخر فان الوفاق من أجل تحقيق وفاق عسكرى لا يجب أن يؤخذ بأى حال على انه رفض من الماركسيين والقوى الاشتراكية لتأييد نضال التحرر الوطنى » (١) •

وباعتبار ما ارتبط بخطوات التقـــــارب بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وتزايد علاقات الوفاق بينهما ، من أن ذلك سوف يعنى التاثير على تأييد الاتحاد السوفيتى لحركات التحرير الوطنية ، فقـد أصبح الاتحاد السوفيتى حساسا ازاء هذه النقطة وأصبحت بيانات قادته وكتابات معلقيه ومفكريه حول علاقات الوفاق تتجه الى نفى ذلك « ان الايديلوجيين المعاديين للاشتراكية يحاولون ان يبثوا فى أذهان الناس البسطاء فكرة ان اتباع سياسة التعايش السلمى ستحول بين الاتحاد السوفيتى وبين مبادئه الثورية وسوف تفقده اهتمامه بحركة تحـــرر الشعوب وتقلل من مساعدته لهذه الحركة •• ، ان الحزب الشـــيوعى فى الاتحاد السوفيتى والاحزاب الماركسية اللينينية الأخرى قد وضعت خطا واضحا فى التمييز بين المنطقة التى تعمل فيها مبادىء التعايش السلمى ومنطقة صراع الشعوب من أجل التحرر الوطنى » (٢) •

وهكذا فانه فى النظر الماركسى فان « التعايش السلمى ينطبق فقط على العلاقات بين الدول الاشتراكية والرأسمالية لا على نضال الشعوب ضد الهجمات العدوانية الرجعية العالمية ، فهذا النضال يحكمه قوانين أخرى رغم انه قد يأخذ أشكالا مختلفة عسكرية وكذلك سلمية اعتمادا على الظروف » (٣) •

ثم تقرر اللجنة المركزية للحزب السوفيتى فى المناسبة المئوية لمولد لينين بشكل قاطع « انه ليس هناك حركة ثورية ولن تكون هناك حركة أو عمل من جانب جماهير الشعب من أجل التحرر القومى والاجتماعى لم

---

(١) — Pzhilin, « The military aspects of detente », Inter. Affairs, Moscow, No. 12, 1973, pp. 24-27.

(٢) — Svetov, A. « Peacful co-xistence, Areal factor in International relati ng » Inter. Affairs, Moscow, No. 9 Septe. 1972, pp. 9-17.

(٣) — G-ulakallia, « Main force of the revolutionary process » world Masxist Review, Prague, No. 11, Nov. 72.

تتلقى المساعدة الفعالة من جانب حزب لينين وبلد آكتوبر » (١) ٠

ويدلل الاتحاد السوفيتى على ذلك بانه فى الوقت الذى كانت تتطور فيه علاقاته بالولايات المتحدة فان هذا لم يمنعه من تقديم الدعم لحركات التحرر الوطنى فى فيتنام والدول العربية فى ذلك بقول المارشال جريشكو فى نوفمبر سنة ١٩٧٢ « انه وفاء لواجبه الدولى فان الاتحاد السوفيتى قد قدم وسوف يستمر فى تقديم المساعدة الشاملة لشعوب فيتنام والدول العربية التقدمية والأقطار الأخرى التى تناضل من أجل التحرر القومى والتقدم الاجتماعى » ٠

ويذهب الكتاب السوفيت الى نفى ان التعايش السلمى سوف يعيق دعم الاتحاد السوفيتى لحركة التحرر الوطنى أو الاجتماعى اينما قامت بل انه سوف يخلق ظروفا أفضل أمام انتصار هذه الحركات « ان الاتحاد السوفيتى يعتبر ان التعايش السلمى ليس فقط أبعد ما يكون عن اضعاف النضال الطبقى والتحرر القومى بل انه يساعد تطوره ويسهل نجاحه ويخلق ظروفا أكثر مواتاة لحركته بزيادة حدة التناقضات داخل المجتمعات الرأسمالية ومنع الغرب من ان يملى ارادته على اقطار العالم الثالث » (٢) ٠

وتعالج الكتابات السوفيتية الموقف من حركات التحرير الوطنى فى ظل التعايش السلمى من وجهة نظر قبول أو رفض الوضع الراهن Status Quo فى العالم سياسيا واجتماعيا فتقول ان الموقف السوفيتى فى هذا يرفض قبول الوضع الراهن أو المحافظة عليه (٣) ، وتعتبر أن قبوله مشابه للسماح للامبرياليين باستمرار سيطرتهم واستغلالهم للشعوب الضعيفة ومقاومة الحركات الثورية وحركات التحرر الوطنى ، وكما عبر جورج ارباتوف « الحقيقة انه فى شننا حملة سلام عريضة من أجل الوفاق فان الاتحاد السوفيتى لا يقدم التزاما لضمان الوضع الاجتماعى الراهن فى العالم ولمنع أو لوقف عملية التحرر الوطنى والطبقى المتولدة عن القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى » (٤) ٠ كما

---

(١) — Dail" Review, (NPA), December, 24 1969.

(٢) — Gafurov, B. « The soviet union and the National ationvement « Inter-Affairs, Moscow, No. 7, July 1971 p. 21.

(٣) — Kor'nov, « The policy of peacful coexistence in action », op. cit., p. 32.

(٤) — Curren digest of soviet press, No. 36, 1975, pp. 1-2.

حدد برجينيف في خطابه أمام مؤتمر قوى السلام في موسكو ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٧٣ الموقف السوفيتي بقوله « ان الجماهير تريد تغيير العالم وسوف تغيره وفيما يخص الاتحاد السوفيتي فانه سيكون في جانب قوى التقدم • وفي نفس الوقت الذى تعارض فيه تصدير الثورة فاننا نعبر عن تضامننا مع كل رفاق الطبقة الذين يناضلون في البلدان الأجنبية ومع حركات التحرر والحركات المعادية للاستعمار • ان هذا الموقف لا يتعارض بحال مع تدعيم السلام والتعاون بين الدول » (١) •

وفي المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي في ٢٤ فبراير سنة ١٩٧٦ أكد برجينيف هذا المفهوم بقوله « ان حزبنا يؤيد وسوف يستمر في تأييد الشعوب المحاربة من أجل حريتها وهو اذ يفعل هذا فان الاتحاد السوفيتي لا يتطلع الى مزايا ولا الى سيطرة سياسية أو قواعد عسكرية • اننا نتصرف وفقا لضميرنا الثورى ومعتقداتنا الشيوعية •• ان بعض القادة البرجوازيين يندهشون ويثيرون ضجة حول تضامن الشعب السوفيتي مع نضال الشعوب الأخرى من اجل الحرية والتقدم ان هذا اما سذاجة مباشرة أو مجرد تشويه متعمد للعقول • انه ليس سرا حقيقة اننا نرى الوفاق كطريق لخلق ظروف اكثر ملاءمة للبناء الاشتراكى والشيوعى السلمى » (٢) •

التعايش السلمى لا يعنى تخفيض القدرة والاستعداد العسكرى السوفيتى :

يؤكد المفهوم السوفيتى للتعايش السلمى على ضرورة ان يصاحب الوفاق السياسى وفاق عسكرى Military Detente

وعملية الوفاق العسكرى تلك في المفهوم السوفيتى تتضمن التقييم الكمى والكيفى لسباق التسلح والخفض التدريجى للقوات المسلحة يليه التوصل الى نزع السلاح العام الشامل (٣) • وهو ما أكده تقرير المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى من أن « النضال لتدعيم مبادىء التعايش السلمى وضمان السلام الدائم وخفض وتصفية خطر حرب عالمية أخرى كانت وستظل العنصر الرئيسى لسياستنا نحو الدول

(١) — Ibid, No. 34. Nove 21. 1973, p. 6.

(٢) — N.w York Times, Feb. 25, 1976.

(٣) — Proektar, dimitry, «Military detente, primary Task» Survivial, iss, London, November-December. 1976, p. 261.

الرأسمالية » وفى هذا الشأن فان التقرير قد لاحظ ان الوفاق السياسى يحتاج الى ان يدعم بالوفاق العسكرى بحيث تصبح المهمة الأولى هى « العمل على انهاء سباق الأسلحة الذى يهدد السلام ، والانتقال لخفض أكوام الأسلحة المتراكمة ، ونزع السلاح » (١) · ويعتبر المفهوم السوفيتى ان الحاجة الى الوفاق العسكرى تمليها اعتبارين أولهما انه مازالت تقوم فى الدول الامبريالية الأسس الاقتصادية للحروب (وحتى تصفى من خلال الانتقال للاشتراكية) سوف تغذى كل أشكال التطلعات العدوانية ، وثانيهما انه رغم ان بعض الخطوات قد اتخذت نحو الوفاق العسكرى وخاصة فى الهند الصينية فان الحروب الصغيرة والصراعات العسكرية مازالت مستمرة فى العالم بدون توقف تقريبا وقد اثبت التاريخ ان كل الصراعات الاقليمية المسلحة الصغيرة انما تحتوى على امكانية حروب كبيرة (٢) ·

على الرغم من هذا التأكيد السوفيتى على ضرورة ان يقترن الوفاق فى جانبه السياسى بوفاق عسكرى يخفض من سباق التسلح ويؤدى فى النهاية الى نزع السلاح والاقتناع بالتأثير المتبادل لكل جانب على الآخر فان المفهوم السوفيتى يركز فى نفس الوقت على ضرورة اليقظة العسكرية ودعم القدرات القتالية للقوات المسلحة السوفيتية واقطار المجموعة الاشتراكية ·

وقد برر التفكير السوفيتى هذه المتطلبات على عدة أسس : الحاجة المستمرة لصيانة أمن الاتحاد السوفيتى فى وجه خطر المواجهة مع الولايات المتحدة والغرب والالتزام السوفيتى بحماية الدول الشيوعية الأخرى والحاجة الى الحد من فرص الغرب لتصدير الثورة والتدخل ضد حركات التحرر القومى والدولى التقدمية واجبار الغرب على قبول مبادىء التعايش السلمى ·

يعكس هذا قول برجينيف فى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب « ان الاتحاد السوفيتى مستعد لتأييد اجراءات نزع السلاح وتدعيم السلام ولكن فى نفس الوقت لعدم الاضرار بأمننا فاننا يجب أن نكون مستعدين فى المستقبل لأى تطورات عكسية للأحداث » (٣) · ويقول برجينيف

---

(١) — Ibid, p. 261.
(٢) — pzhilin, « The military aspects of detente », op. cit., pp. 24-25.
(٣) 24th Congress of the cpsu, Inforation Bulletin No. 7-8. 1971, Moscaw, p. 56.

أيضا أمام نفس المؤتمر « ان المرء لا يجب ان يعتبر ان التهديد بحرب عالمية جديدة قد صفى نهائيا ونتيجة لذلك ولاننا نعيش فى عالم غير مستقر فانه من الضرورى زيادة القدرة الدفاعية لبلدنا بكل الطرق » (١) ٠

وعلى هذا فان الاعتقاد السوفيتي بامكانية قيام حرب عالمية جديدة وبان قوى المعسكر الآخر « والدوائر الرجعية والانتقامية » فيها مازالت غير قادرة على التكييف والتواؤم مع اتجاه التعايش السلمى ونطنعها الى اعادة اقامة سيطرتها هو الذى يجعل الماريشال جريشكو يقول « ان طريق التطور الاجتماعى الحديث يؤكد الفكرة التى أكدها لينين بانه كلما تحقق تقدم للاشتراكية كلما ازدادت حدة وعناد ومقاومة الامبريالية البرجوازية، واذا أخذنا بدروس التاريخ فان الرجعية الامبريالية تتطلع دائما الى المغامرات والاستفزازات والى الاستخدام المباشر للقوة العسكرية » (٢) ٠

وقد راينا ان الاتحاد السوفيتي قد توصل مع نهاية الستينات الى تحقيق التعادل فى القوى العسكرية الاستراتيجية مع الولايات المتحده وهو ما اعترفت به واقرته فى اتفاقيات السولت الأولى عام ١٩٧٢ ، الا ان الانجاز العسكرى وخاصة فى مجال الاسلحة الاستراتيجية والذى كان مفروضا ان يولد معه الاحساس بالامن لم يغير على ما يبدو وبشكل اساسى من النظره السوفيتية عن خطر الحرب فى المستقبل ولا عن نوايا القوة الاخرى وسياساتها النهائية تجاه الاتحاد السوفيتي ، ويفسر هذا قول برجينيف فى يونيو عام ١٩٧٢ ، وفى أعقاب قمة موسكو ، من ان الشيوعيين ليس لديهم اوهام حول « النوايا العدوانية » للامبريالية ، كما حذرت افتتاحية مجلة الحزب ، الكومنيست ، فى نفس الشهر من ان « تطور الموقف الدولى الجديد والأكثر مواءمة لقضية السلام لا يعنى بأى حال توقف فى النضال الحاد الذى تشنه السياسة الخارجية السوفيتية ، انه ليس هناك توقف فى العلاقات الدولية ، مثلما ليس هناك راحه فى النضال الذى يصاحب تطورها ٠ ان الدوائر الرجعية والعدوانية فى المعسكر الامبريالى نريد ان تستخدم الموقف الجديد لاعادة التحضير لهجوم ضد قوى السلام والاشتراكية » (٣) ٠ كما أكدت عدد من المقالات فى كبرى

---

(١) — Ibid.

(٢) Grechko, A. « Thruimp of leninist docctrine on the defense of the of the achievement of socialism », Daily Review (NPA) April 19, 1970.

(٣) — The Leninist corse of the CP su. s Forei-npolicy », Communist, reprinted in Daily Review, (NPA), June 10, 1972.

الصحف السوفيتية ان « تحديد الاسلحة الاستراتيجية لم يضعف خطر الحرب رغم انها تشكل خطوة هامه اولى فى هذا الاتجاه ، ونتيجة لـــذلك فطالما استمر تهديد السلام فان الاتحاد السوفيتى وحلفائه سيتخـــذون كل الاجراءات الضرورية لدعم قدراتهم الدفاعية وحماية الامن الدولى ضد كل مؤامرة من اعداء السلام وهو ما لا يناقص اتفاقيات موسكو » (١) ٠

وفى نطاق استمرار دعم القوة العسكرية الســـوفيتية يقع تحقيق التعادل مع الولايات المتحده فى القوى النووية والاستراتيجية والمحافظة الدائمة عليه فى صميم الاهتمام السوفيتى ، ويقـول برجينيف فى هـذا الشأن « اننا سوف نجيب على اية محاولات من اى جانب لتحقيق تفوق عسكرى على الاتحـــاد السوفيتى باجراء الزياده الضرورية فى قوتنا العسكرية ٠٠ » (٢) ٠

وفى التدليل على رأيهم بان خطر الحرب العامة مازال قائما ، استخدم المعلقون السوفيت العديد من الحجج حيث اشار البعض الى التوترات القائمة فى العالم ولبرامج الدفاع والميزانيات العسكرية الأمريكية ، كما نبه البعض وخاصة العسكريين ــ الى ان الطبيعة العدوانية للامبريالية لم تتغير ولا يمكن تغييرها ، وفى هذا تحدث الماريشال جريشكو فى يونيو عام ١٩٧٢ محذرا انه « فى الوقت الذى ندافع فيه بشكل متماسك وحازم عن مبادىء التعايش السلمى ، فان الحزب فى نفس الوقت يعلمنا ان لا ننسى ان الطبيعة الامبريالية وجوهرها العدوانى باقية لم تتغير ، فالامبريالية تحمل معها التهديد بالحرب » (٣) ٠٠ وعلى هذا فان النتيجة التى يبدو ان السوفيت قد استخلصوها من تقييمهم للموقف وكما قال جريشكو أيضا « ان الدعم الدائم للقوات المسلحة هو ضرورة موضوعية للبناء الناجح للاشتراكية والشيوعية ٠٠ ان خبرة ما يزيد على خمسين عاما فى البناء الاشتراكى فى بلدنا قد أيدت بحزم صحة الســـياسة العسكرية وأسلوب بناء القوات المســـلحة الذى اتبعه بحزم الحزب الشيوعى » ونتيجة لهذا « فان هؤلاء فقط الذين يتميزون بعدم النضج وقصر النظر سوف يقترحون سياسيا انه كلما تحقق نجاح فى تأكيد

---

(١) — Sviatev, G. « SALT, the Principle of equal security », Daily Rvi w (NPA), July 29, 1972.

(٢) — Griffth, « The Soviet Empire, Expansion 8 Detente » op. cit., p. 155.

(٣) — Kohler, « Soviet Strategies for the seventies », op. ci.t, p. 85.

مبادیء التعايش السلمي بين الدول فان يقظتنا يمكن أن تقل بالنسبة لاستعدادنا العسكرى (١) ·

ونتيجة للاصرار السوفيتي على القدرة على كسب الحرب فان الأولوية الكبرى تعطى للاستثمارات الكبيرة والتى توجه للبحوث العلمية والعسكرية لمسايرته ، وحتى التفوق على الولايات المتحدة فى الأسلحه الحديثة كما وكيفا · ويساير تعبير القادة السوفيت عن الثقة فيما يمتلكه الاتحاد السوفيتي من أسلحة متقدمة اصرارهم أيضا على الحاجة الى تفادى التخلف فى البحوث العسكرية والعلمية مع الغرب وهو ما عبر عنه برجينيف فى مارس عام ١٩٧٠ بقوله « اننا الآن نمتلك أروع الأسلحة والمعدات ولكن كما هو معلوم فاننا نعيش فى عصر التقدم العلمى والتكنولوجى حيث تحسن الأسلحة بشكل سريع وبحيث ان أشكال ونظم جديدة تخلق لا فى خلال عام وانما فى فترة أقل ، فالركود فى هذا المجال يمكن ان يكون محملا بأخطر الاحتمالات ، ان علمائنا المدنيين والعسكريين يجب ان يفكروا فى هذا ويتذكروه » (٢) ، كما أكدت مجلة الحزب الرئيسية للقوات المسلحة فى مايو سنة ١٩٧٢ « ان الاتحاد السوفيتي يمتلك الآن قوة ضخمة فى المجالات العسكرية والاقتصادية ، والثورة الفنية والتكنولوجية التى تجرى الآن انما تؤثر بشكل أساسى فى تطور الأمور العسكرية ، فى هذه الظروف فان السياسة العسكرية والتكنولوجية للحزب انما توجه نحو خلق والاحتفاظ بالتفوق العسكرى للاقطار الاشتراكية على قوى الحرب والعدوان (٣) ·

ويلخص أحد الكتاب السوفيت هذا المفهوم متسائلا عن كيفية التوفيق بين الدعوة الى الوفاق العسكرى والاستعداد لليقظة العسكرية بقوله ان التحليل الموجز وتقييم الجوانب العسكرية للوفاق الدولى يكشف انه رغم ضرورة أن يلحق الوفاق السياسى وفاقا عسكريا فانه ليس من حق الاتحاد السوفيتى أن يخفف من اليقظة الطبقية فى مسائل حماية أمن الدولة السوفيتية والمجموعة الاشتراكية بأسرها ويعتبر ان الدفاع عن المكاسب الثورية للاقطار هى المهمة الرئيسية والتى لا يمكن ان تتحقق بنجاح لا على أساس السياسة الخارجية النشطة وعلى أساس من تقوية

---

(١) — Ibid.

(٢) — Ibid, p. 88.

(٣) — Ibid, p. 89.

القدرات الدفاعية ، ثم استعان الكاتب بقوله لينين بانه فقط « بعد ان تنزع الاشـــتراكية سلاح البرجوازية فانها ستكون قادرة بدون خيانة رسالتها التاريخية أن تحيل كل الأسلحة الى كوم من الخردة وســـوف تفعل البروليتاريا هذا بدون شك ولكن فقط بعد ان يتحقق هذا الشرط وليس قبله » (١) .

على أنه من المهم ان ننبه الى انه رغم مركزية الاعتبار العسكرى بالنسبة للامن والسيكلوجية السوفيتية الا أن هـــذا لا يعنى انه يؤخذ بشكل مطلق ودون مراعاة للحدود ولما أصبح واضحا خاصة فى العصر النووى أن أى اضافة الى القوة العسكرية لم تعد تعنى بالضرورة قدرا مماثلا من الأمن أو المزايا السياسية ، فى هذا الشـــأن يقول ارباتوف « ان ثمة موقفا قد نشأ أصبحت فيه أى زيادة فى القوة العســـكرية لا يتبعها زيادة فى القوة السياسية » (٢) .

دور العلاقات الاقتصادية والتكنولوجية فى التعايش السلمى :

يعتبر المفهوم السوفيتى ان أحد العناصر الرئيسية فى التعـــايش السلمى هو توسيع التعاون الاقتصادى على أسس من المساواة الكاملة والفائدة المتبادلة ، وانه لذلك « فان الاقطار الاشتراكية تعمل من أجل تعاون شامل وواسع مع الاقطار الأخرى وكلما اتسعت قاعدة هذا التعاون كلما كان أكثر دواما ، وقد أظهرت التجربة ان جميع البلدان انما تكسب من اتساع التعاون التجارى والاقتصادى والعلمى والثقافى وان التعايش السلمى بشكل أساسى يعتمد عليه فى هذا » (٣) .

وعلى الرغم من ان النظام السوفيتى منذ بدايته لم يخف اهتمامه بل وتقديره لأهمية الاستفادة وقيام علاقات اقتصادية وتـــكنولوجية مع الغرب ، فان العهد الستالينى بوجه عام قد تميز بما عرف بســـياسة الاستكفاء الذاتى Autarky فى مجالات الاتصال الاقتصادى والعلمى والتكنولوجى مع الاقطار الرأسمالية وهى السياسة التى يفسرها الفكر السوفيتى بانها لم تكن من اختيار الاتحاد الســـوفيتى وانما فرضتها

---

(١) Pzhilin, « The miliatry aspecetg of detente », op. cit., p. 27.

(٢) — A-chatov, G. ; « On soviet American relations » op. cit.

(٣) — Karingv, «The policy of peacful coexistence in Action» op. cit., pp. 29-30.

سياسة الحرب الباردة والتي « شـــــنتها القوة الرجعية ضد الاتحاد السوفيتي بهدف اعاقة تقدمه الاقتصـــادى والعلمي والفني والاحتفاظ بالتفوق الذرى والتحدث الى الاتحاد السوفيتي من موضع القوة » وهو الأمر الذى واجهه الاتحاد السوفيتي « بالاعتماد على موارده الخاصــــة والتعاون مع الاقطار الاشتراكيه فى الاتحاد السوفيتي وبنجاح فقد تم اعادة بناء ما بعد الحرب وخطط التنمية محققـا نجاحا بارزا فى العـــلوم والتكنولوجيا وفى تطويع الطاقة الذرية واستكشاف الفضاء الخارجي وبناء قدراته الدفاعية » (١) ٠

على انه مع بداية الستينات بدأ من البوادر على ان تغيرا كبيرا فى السياسة الاقتصاديه الخارجيه للاتحاد السوفيتي كانت موضع النظر وهو التعديل العلنى للنظرية القائلة بان الكومنولث الاشتراكى يجب أن ينتج كل متطلباته الاقتصادية الأمر الذى ورد فى فقرات المؤتمر ٢٣ للحزب عام ١٩٦٦ ــ من « انه يصبح بشكل أوضح وأوضح ان الثورة العلمية التى تجرى فى العالم المعاصر انما تدعو الى صلات حرة دولية وتخلق الظروف لتغيرات اقتصادية واسعة بين الاقطار الاشتراكية والرأسمالية (٢) » وقد أيد وزير التجارة السوفيتي هذا المفهوم فقال عام ١٩٧٠ « ان أفكار لينين بان تحسين العلاقات السياسية انما يسهل التحقيق الكامل لفرص التجارة والتعاون الاقتصادى بين الاقطار ذات النظم الاجتمـــاعية والاقتصادية المختلفة وفى نفس الوقت فان تقدم العلاقات الاقتصـــادية المتبادلة النفع هى وسائل هامة لتطبيع الموقف السياسى الدولى ٠ (٣) ويرد التفسير السوفيتي هذا الاتجاه الى « أنه فى الولايات المتحدة أيضا بدأ اتجاه أكثر نضجا يسود ، وتميزت نهاية الستينات بادراك واضح من جـــانب دوائر رجـــال الأعمـــال انه بقطع الروابط بالســـوق الاشتراكية الواسع ، فان الولايات المتحـدة لا تنزل أى ضرر خطـير الا بنفسها » (٤) ٠٠ كذلك لم يكن غريبـا أن تتضمن المبادىء الرئيسية للعلاقات التى ارتبط بها الجانبين الأمريكى والسوفيتي فى محادثات قمة موسكو عام ١٩٧٢ النص فى المبدأ السابع على ان « الولايات المتحدة

---

(١) — Shershnev, Y, « Soviet American economic relations, present stage and prospects », Daily Review (NPA) Feb. 6, 1973 p. 2.

(٢) — B own, « New forces in world politics », op. cit., pp. 69-79.

(٣) — Ibid.

(٤) — Shershnev, « Soviet American economic relations » op. cit.,

والاتحاد السوفيتي تنظران الى الروابط التجارية والاقتصادية كعنصر هام ورئيسي في تدعيم علاقاتهما الثنائية وهو ما سينمى بنشاط هـذه الروابط ، ويسهل التعاون بين المنظمات المتشابهة والمشروعات فى كلا البلدين وعقد الاتفاقيات الملائمة والعقود بما فيها الطويلة الأمد » (١) ٠
بل ان برجينيف ذهب الى اعتبار ان العلاقات الاقتصادية والتجارية هى التى تضمن بقـــاء واستمرار ما أنجزته البلدان فى المجالات السياسيه فذكر عام ١٩٧٤ « اننى اتذكر كلمات لينين منذ ٥٥ عاما » اننا نفضل بكل قوة تفاهما اقتصاديا مع أمريكا ومع كل الاقطار ولكن خاصة مع أمريكا « غير ان برجينيف رفض ان تربط هذه العلاقات الاقتصـــــادية بأى شروط سياسية او بمحاولة للتدخل فى الشـــئون الداخلية » ان محاولات وضع شروط على تطور التجارة والعلاقات الاقتصادية بتقديم مطالب الى الاتحاد السوفيتي تتعلق بمسائل ليس لها علاقة بحقـــل الاقتصاد والتجارة وتقع كلية فى الاختصاص التشريعى للدول هى أمور غير مناسبة وغير مقبولة وقد حان الوقت لكى نتحقق بوضوح ان مثـــل هذه المحاولات فى التدخل فى الشئون الداخلية لا يحقق الا الضرر للتجارة والعلاقات الاقتصادية بين بلدينا ٠٠ « وينتهى برجينيف الى انه » بدون التقدم فى هذا الحقل والذى يمثل الأساس المادى للتعايش الســـلمى الأمريكى السوفيتي فان ما تحقق خلال سنوات ٧٢ ، ٧٣ ، ١٩٧٤ يقف معرضا للخطر » (٢) ٠

ولكن ما هى الاعتبارات التى يرى التفكير الســـوفيتى انها تبرر وتشجع على قيام علاقات اقتصادية ذات وزن بين الاتحـــاد السوفيتي والولايات المتحدة ؟ فى هذا الشأن تورد الكتابات الســـــوفيتية أربع اعتبارات أولها أن الأمر يتعلق بالدولتين اللتين تملكان أكبر امكانية اقتصادية مثل المستوى الرفيع جدا من التطور الاقتصادى ووجود أسواق داخلية واسعة وهيكل متعدد الجوانب لعمليات الاستيراد والتصدير وكل هذا يمثل المتطلبات الأولى لعمليات اقتصادية شاملة ومؤثرة ، والاعتبار الثانى هو ان مصالح كلا البلدين فى استخدام مزايا تقسيم العمل الدولى وفى المقام الأول فى العلاقات المتبادلة والتى ستثمر الى درجة ان مركز الخطورة فى النضال بين النظامين سوف يتحول الى مجال المنافســـــة الاقتصادية ، والاعتبار الثالث يتمثل فى امكانيات ومصـــالح كلا البلدين

---

(١) — Kissing's Archive, 1972, p. 25314.

(٢) Current digest of soviet Press, No. 35, sep. 25, 1974, p. 20.

فى استخدام أشكال التعاون المالى الطويل المدى ، ويبدو أهميـــة هذا الاعتبار ان عددا من المشروعات الأولى لعلاقاتهم الاقتصادية والمالية قد فتحت السبيل أمام عقد صفقات غير مسبوقة واشترك عدد من المؤسسات الأمريكية فى عدد من مشروعات الخطة التاسعة (الاتفاقات التى عقدتها مؤسسات Windller, Dressler وتعاقد مؤسسات أخرى لتوريد معدات بناء مشروع Kamo Auto لانتاج الجرارات وسيارات النقل واشتراك مؤسسة Ococcidental Petrolium فى بناء مشروع صناعى ضخم لانتاج المخصبات المعدنية) ٠ أما الاعتبار الرابع فيتمثل فيما تمتلكه البلدان من مركز علمى وتكنولوجى قيادى وفى ان توسيع تعاونهم فى مجالات مثل مشكلة الطاقة ودراسات الفضاء وحماية البيئة واستكشاف المحيطات وهزيمة المرض لن يعنى فحسب توفير مبالغ ضخمة وانما سيمتد اثره الى أبعد من هذا حيث سيصبح مبدأ التعاون أمرا لا غنى عنه فى التغلب عليه وحل عدد من المعضلات المعقدة ، بالاضافة الى هذه الاعتبارات والمجالات التقليدية لامكانيات العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، يطرق هذا التصور مجالا جديدا وحرجا بالنسبة للاقتصاد والانتاج بل والمجتمع السوفيتى وهو مجال الصناعات الخفيفة فيقول انه بالاضافة الى خبرات المؤسسات الأمريـــكية لتزويد المعدات لمشروعات الصناعة الثقيلة التى يجرى بناؤها فى الاتحاد السوفيتى فان الآمال تبدو أيضا فى فروع الصناعة الخفيفة خاصـــة وان خبرة السنوات الأخيرة تظهر النمو الثابت لمستوى المعيشة للشعب السوفيتى وارتفاع نصيب السلع الاستهلاكية ، فى هذا الخصـــوص فان الخبرة الأمريكية فى الانتاج الواسع لمثل هذه السلع وتنظيم الخدمات هو أمر لا يمكن الشك فى فائدته (وقد استخدم الكاتب فى هذا المجـــال الاتفاق مع مؤسسة Tool and Pye لتوريد مشروع كامل لانتـــاج الأدوات المنزلية) ، اما بالنسبة للجانب الأمريكى فان اشتراك المؤسسات الأمريكية فى المشروعات الكبيرة فى خطط الاتحاد السوفيتى انما يمثل مجالات مربحة تساعد على حل مشاكل عاجلة للاقتصاد الأمريكى وتقدم عملا لمئات الآلاف من العمال ٠ (١)

بالاضافة الى العلاقات الاقتصادية والتجارية البحتة فان التقـدم العلمى والتكنولوجى ومسايرة الثورة العلمية وتطوراتها والاشتراك فيها

(١) Shershnev, Y. « Sov'et US economic relatio-g at a new stage » stage » D ily Review, (NPA), June 13. 1973.

تمثل جانبا هاما من التفكير السوفيتي في سياسة التعايش السلمي ، واحدي مكوناته الايجابية . لذلك فان استعراض خطب القادة السوفيت خلال مؤتمرات الحزب الأربعة الأخيرة وخاصة كوسيجين وبرجينيف سوف يظهران الاهتمام بتطوير التكنولوجيا السوفيتية قد أصبح مرتبطا بالاهتمام بتوسيع العلاقات التجارية بين الشرق والغرب وتوضح ان تطور بيانات القيادة السوفيتية عن التجارة بين الشرق والغرب انما تتأسس على التقدير الخطير لدور الصفقات الدولية في تحسين التكنولوجيا السوفيتية ومن هنا ظهرت النظرية القائلة بان دولة واحدة أيا كانت قوتها في المعنى الاقتصادي والسياسي لا تقوى بمفردها على ضمان أساليب الوصول الى التقدم على كل الجبهات الاقتصادية والعلمية (١) .

ومن هنا نستطيع ان نفهم ما يعلنه القادة السوفيت الحاليين من اهتمامهم بان يستفيدوا بأكبر قدر ممكن من العالم الرأسمالي في جهودهم المستمرة للارتفاع بالتطور التكنولوجي في الاتحاد السوفيتي ، فقد أكد أحد الشخصيات السوفيتية المعنية بالعلوم عام ١٩٦٦ انه لم يكن ممكنا للاتحاد السوفيتي « ان ينمي بشكل ناجح حياة جديدة بدون استخدام الانجازات المتقدمة للعلم الحديث والتكنولوجيا ، ولهذا فان الحكومة السوفيتية تسعى بشكل نشط الى استخدام الخبرة الأجنبية ولهذا الهدف زار عدد كبير من العاملين السوفيت في العالم والتكنولوجيا الاقطار الأجنبية ودعى الاخصائيين من هذه الاقطار لزيارة الاتحاد السوفيتي » (٢) .

وفي الاعوام الاخيرة ورغم التقدم الكبير للاتحاد السوفيتي في تطوير قدراته التكنولوجية الخاصة ، فقد ازداد السعي السوفيتي من أجل ضمان الخبرة الأجنبية في هذا المجال ، وقرر المؤتمر الرابع والعشرين « ان تحسين الصلات الأجنبية الاقتصادية والتكنولوجية سوف يساعد على مزيد من الارتفاع بالكفاءة الاقتصادية لاقتصادنا القومي » . من أجل ذلك انشأ الاتحاد السوفيتي شبكة من العلاقات الخارجية في مجال العلوم والتكنولوجيا وعقدت أكاديمية العلوم السوفيتية اتفاقيات في التعاون العلمي مع جميع اكاديميات العلوم تقريبا هذا الى جانب الاتفاقيات

---

(١) — Edmonds, « Soviet foreign policy.. », op. cit, pp. 158-159.

(٢) — Ibid.

التى تعقدها الدولة ذاتها مع معظم الدول المتقدمة فى هذا السباق فان من المفهوم ان يعطى المعلقين السوفيت اهتماما خاصا لاتفـــاقيات القمة مع الولايات المتحدة المتعلقة بالعلم والتكنولوجيا والاتفاقيات الملحقة المتعلقه بالتعاون فى الفضاء وحماية البيئة والعلم الطبى والصحة العامة وكذلك فيما يتعلق بمزيد من الاتفاقيات التى يمكن ان تنتج تدفق مصـــــادر التكنولوجيا الأمريكية الى الاتحاد السوفيتى ٠

على انه مع هذا الاهتمام من جانب القادة الســـــوفيت بتطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية والتكنولوجية مع الولايات المتحدة الأمريكية فانهم فى نفس الوقت يحرصون على اظهار ان الاتحاد السوفيتى ليس أسيرا لهذه الاشكال من التعاون وانهم فى غياب هذا التعاون خلال فترة الحرب الباردة قد استطاعوا أن يطوروا اقتصادهم ومستوياتهم العلمية والتكنولوجية ويدللون على ذلك بالقول انه مع بداية عام ١٩٢١ كان نصيب الاتحاد السوفيتى فى الانتاج الصناعى العالمى ٥ر٥٪ بينما كان نصيب الولايات المتحدة ٥٠٪ ولكن مع عام ١٩٣٧ حصـــل الاتحـــاد السوفيتى على المكان الأول فى أوربا والثانى فى العالم بعد الولايات المتحدة فى مجموع انتاجه الصناعى وارتفع نصيبه فى الانتاج الصناعى العالمى الى ١٠٪ ، ورغم الخسائر التى منى بها الاقتصاد الســـوفيتى خلال الحرب الثانية فقد ارتفع نصيبه فى الانتاج الصناعى العالمى من ١٠٪ عام ١٩٣٧ الى ٢٣ ٪ عام ١٩٥٧ وبينما كان الاتحاد السوفيتى ينتج عام ١٩٥٠ أقل من ٣٠٪ من انتاج الولايات المتحدة الصناعى فقد وصـــل انتاجه عام ١٩٧٠ الى ٧٠٪ (١) ٠

من هذا العرض للمفهوم السوفيتى للتعايش السلمى ندرك مغزى ما يكرره الفكر السوفيتى وخاصة فى الســـنوات الأخيرة ، من ان مبدأ التعايش السلمى ليس شيئا عارضا على السياسة السوفيتية بل ان أصوله تمتد الى قيام الدولة والنظام السوفيتى ، وقد رأينا بالفعل كيف ان العهود السوفيتية المختلفة قد تبنت هذا المبدأ بدرجات مختلفة ودوافع تجاوبت مع الظروف الدولية القائمة ومع نمو قدرات الاتحاد السوفيتى وبشكل أخص فى مجال التسلح النووى والأسلحة الاستراتيجية ، على انه أيا كانت اختلاف درجات التركيز فى تطور المفهوم السوفيتى للتعايش السلمى ، فان ثمة خطا متصلا يربط هذا المفهوم عبر العهود السوفيتية

---

(١) Razere-ava, V, « The prese-t stage in the economic competition of the two systems » Daily Review, (NPA), November 29, 1973.

المختلفة الا وهو قيامه على أساس اتمايز التام بين النظامين الاجتماعيين الراسمالى والاشتراكى ، واستبعاد ان يسرى مفهوم التعايش السلمى على النظم والايديلوجيات ·

كذلك يوضح هذا العرض للمفهوم السوفيتى للوفاق - أو التعايش السلمى - التأييد الرسمى لهذه السياسة حيث تعتبر فى كل وثائق الحزب والحكومة السوفيتية الخط الأساسى للسياسة الخارجية السوفيتية ، ومع هذا فان المرء لا يستطيع ان يعتبر انه فى داخل النظام السوفيتى ومؤسساته ليس هناك معارضة للوفاق ، على الأقل بالشكل الذى يتبع به حاليا مع الولايات المتحدة والغرب · فمن الممكن أن نتصور نقاشا داخل الاتحاد السوفيتى وبين مؤسساته يظهر فيها من يشكك فى سياسة الوفاق ويتساءل عن مدى امكانية الوثوق بالولايات المتحدة أو يتساءل عن أخلاقية التعامل مع الرأسمالية التى يستغل عمالها او حول حكومة بيع المواد الأولية للولايات المتحدة والغرب لمساعدتها على محاربة التضخم (١) ·

فى هذا الشأن فقد كان واضحا بين ١٩٧١ - ١٩٧٣ ان النظام السوفيتى يواجهه عدة مشاكل ومعارضة عليه ان يتغلب عليها · فمنذ عام ١٩١٨ لم يحدث ان انشغلت اللجنة المركزية للحزب بمثل هذا القدر بمسائل السياسة الخارجية ، فبدلا من المسائل الداخلية والاقتصادية المعتادة ، اجتمعت اللجنة المركزية مرتين فى نوفمبر سنة ١٩٧١ ومارس سنة ١٩٧٢ قبل زيارة نيكسون الى موسكو ولكى تعالج فقط مسائل السياسة الخارجية · وخلال الاجتماع الثانى فى مايو سنة ١٩٧٢ أعفى عضو المكتب السياسى شلست من منصبه كسكرتير أول للحزب الشيوعى الاوكرانى وكذلك فورونوف من منصبه ومع هذا فقد احتفظ الاثنان بمنصبهما فى المكتب السياسى وهو وضع كان يوحى بان المسائل لم تحسم بشكل نهائى (٢) · وبعد هذا الاجتماع باسبوعين ذهبت البرافدا الى أبعد من هذا الى الاعتراف بان خلافا قد وقع فى المكتب السياسى « ان الحوار قد دار رغم تعقد الموقف الدولى فى مواجهة المعارضة المباشرة فى بعض الأحيان من هؤلاء الذين يريدون ان يدفئوا أيديهم باشعال العداء » (٣) ·

---

(١) Detente, Herrings; op. cit., p. 329.

(٢) Leonhard, wolfgan, « The domestic politics of the soviet foreign policy » Foreign Affairs, october, 1973, p. 71.

وقد بدا هـذا الحوار واضحا بينما كان العسكريون يضغطون من أجل مزيد من الأسلحة الأكثر تقدما باعتبارها الضـمان الوحيد للامن السوفيتي وكان مؤيدو برجينيف يقدمون حججا عكسيه « ان اقامه الامن على ترسانات تنمو بشكل متزايد من الأسلحة والصواريخ النووية انما يعنى اطالة التهديد بالحرب » •

كما اجتمعت اللجنة المركزية مرة ثالثة فى نهاية عام ١٩٧٣ وذلك قبل سفر برجينيف الى الولايات المتحدة بوقت قصير لحضـور مؤتمر القمة السوفيتي الامريكي الثاني وذلك لمناقشة المسائل الخارجيه فى المحل الأول • فى هذه الفترة أحيل كل من شلست وفرنوف الى المعاش وأرجىء اقصاؤهما الى موقفهما من السياسة الخارجية حيث كان شلست فيها من أنصار الخط المتشدد • ومن ناحية أخرى فقد اعطت الشخصيات التى حلت محلهم فى المكتب السياسى دلالة على الرغبة فى تقـوية مركز برجينيف وقدرته على تناول سياسة الوفاق ، فقد كان الاعضاء الجدد فى المكتب السياسى هم : الماريشال جرشـكو وزير الدفاع منذ عام ١٩٥٧ ، يورى اندربوف رئيس لجنة أمن الدولة منذ عام ١٩٦٧ ، وأندريه جروميكو وزير الخارجية (١) • والمناصب الثلاثة التى يشـغلونها الدفاع والأمن والسياسة الخارجية تمثل أعمدة رئيسية فى السـياسة السوفيتية •

وعلى الرغم من صعوبة التمييز بشكل محدد قوى المعارضة داخل النظام السوفيتى لسياسة الوفاق ، الا أن المرء يستطيع ان يستنتج ان أساس هذه المعارضة تأتى ممن يطلق عليهم « الستالنيين الجدد » الذين يتمسكون بالخط المتشدد ويعتبرون ان الاتحاد السوفيتى استطاع بناء صناعاته وقدراته الاقتصادية بما فيه الكفاية بدون مساعدة الرأسماليين فى الماضى ويشكون فيما اذا كان التعامل الاقتصادى مع الولايات المتحدة والغرب سيكون مثمرا بالشكل الذى يتوقعه القادة السوفيت الحاليين • وفى المجال الايديلوجى فان أصحاب الخط المتشدد ربما يتمسكون بوجهة النظر القائلة بان الوفاق فى المجال الاقتصادى والسياسى لا بد ان ينسحب الى المجال الايديلوجى حيث يمكن للنظام السوفيتى ان يتعرض للتخريب من الداخل وان يشوه نقاء الايديلوجية السوفيتية ، وفى المجال الايديلوجى فان المرء لا يستطيع ان يستبعد امكانية وجود معارضة داخل المؤسسة

---

(١) Brandon, «The Retreat of American Power», op. cit., p. 228.

العسكرية فى الاتحاد السوفيتي لاتفاقيات السولت وللوفاق العسكرى بوجه عام مع الولايات المتحدة والغرب ، والاعتقاد بان الأسلوب الوحيد الذى اقنع الولايات المتحدة بالاصغاء للاتحاد السوفيتي هو القوة العسكرية السوفيتية وخاصة فى مجال التسلح الاستراتيجى ، وان استمرار دعم هذه القوة هو الكفيل بتثبت هذا الاتجاه الأمريكى ، وكما عبر الخبير الامريكى فى الشئون السوفيتية ماريشال شولمان « ان العسكريين فى الاتحاد السوفيتي - مثل نظرائهم فى الولايات المتحدة ، يطابقون بين مطالبهم فى الميزانية وبين الأمن القومى وبعدم الثقة فى عملية السولت وفى المقاصد الشريرة لخصومهم ‥ » وبشكل عام يقدر شولمان مصادر المعارضة السوفيتية للوفاق فى أن « المصدر الرئيسى للمعارضة يأتى من الجناح المتشدد من الحزب وجهازه الايديلوجى الواسع ومن جهاز البوليس السياسى الواسع وبالنسبة لهؤلاء فان التعايش السلمى يعنى القلاقل واضعاف الحمية الايديلوجية والتى هى مصدر بضاعتهم وانفتاح روسيا وتأثير ما يعتبرونه مخربا ، والقلاقل المتزايدة مع المثقفين والقوميات وتفتت مفهوم « التهديد الامبريالى » الذى يعطى الشرعية لسلطتهم ويعتمد عليه تاريخهم الرسمى » (١) ‥

ويؤيد هذا التقدير ما رواه السناتور الأمريكى ادوارد كنيدى عن ما قاله له برجينيف خلال زيارته لموسكو عام ١٩٧٤ من أن هناك معركة بيروقراطية مستمرة فكلا منا لديه « بنتاجون » (٢) ‥

---

(١) Shulman, Marshall, « Towards western philosophy of coexistence » foreign Affairs, October, 1973, 74.

(٢) Cox, « The Dinamics of detente », op. cit., p. 75.

المبحث الثــــانى

المفهوم الأمريكى للوفاق

تسود في الولايات المتحدة صورتان عن الاتحاد السوفيتي : عن طبيعة النظام فيه والاتجاه الذى يتطور اليه ، وعن خطط النظام وأهداف قادته ونواياهم النهائية وعلى وجه أخص تجاه الولايات المتحدة الأمريكية وقد انعكست هاتان الصورتان وحددت موقفان من مفهوم الوفاق الأمريكى السوفيتى وجوانب علاقاته السياسية والاقتصادية والعسكرية ٠

وتتصور الصــورة الأولى الاتحــاد الســوفيتى كدولة ثورية تتجه مباشرة وبتصميم نحو التوسع والسيطرة ، وترى هذه النظرة الاتحــاد السوفيتى كخصم دائم ورئيسى للولايات المتحــدة ، وعلى هذا فهى ترى الوفاق كخطر يتهدد الولايات المتحدة ويدفعها الى الاسترخاء والتقليل من يقظتها ، وبذلك يستفيد الاتحاد السوفيتى من حسن النية الامريكية ٠ وواضح ان هذه النظرة كانت هى أساس السياسة الامريكية واتجاهاتها خلال الحرب الباردة ٠ اما الصورة الثانية فهى ترى الاتحاد السوفيتى كقوة تقليدية عظمى اكثر منها قوة ثورية عالمية ، ورغم امتلاكها الواضح لقوى عسكرية واسعة وعدم افتقارها الى الدوافع الامبريالية ، فانها مازالت قوة حذرة معنية بالمحافظة وحماية ما تملكه ولديها الكثير لتكسبه من الاستقرار ، اما ايديلوجيتها فهى ليست الا نوعا من البلاغة اكثر منها مرشد للعمل ، وعلى هذا فهذه النظرة تركز بشــكل أقل على الجانب الايديلوجى ولا ترى كثيرا من الترابط المنطقى أو التماسك فى السياسة السوفيتية ، وأكثر من هذا فهى تعتبر ان القيادة السوفيتية انما تواجه بالحاجة الى التوفيق بين مصالح ومتطلبات متنافسة وتواجه مشاكل داخلية كبيرة ، وعلى هذا فانه وفقا لهذه النظرة ، فان النقطة الجوهرية هى ان الاتحاد السوفيتى لا يتحرك فى اتجاه واحد وانما فى مقدور قادته التحرك فى اتجاهات مختلفة الأمر الذى يمكن معه للولايات المتحدة تقديم

دوافع فى المجالات الاقتصادية والعسكرية تشجع وتفتح أمام القـــادة السوفيت اختبارات رغم انها فى صالحهم الا انها فى صـــالح الولايات المتحدة أيضا • (١)

وقد طبق كل من هاتين النظريتين تصورها على ما تتضمنه علاقات الوفاق من صلات اقتصادية وتجارية وتكنولوجية ، فاعتبر التصور الأول ان التجارة مع الاتحاد السوفيتي لن تكون الا اتجاها ذا طريق واحد ، وتردد فى هذا قول لينين بان الرأسماليين سوف يبيعون للاتحاد السوفيتي الحبل الذى سيشنقون به ، فقيام علاقات اقتصادية وتجــارية عندهم ستمكن الاتحاد السوفيتي من استغلال الغرب والتخلص من متاعبه بثمن ضئيل وتحويل موارده الى القطاع العسكرى ، وسيكون هذا كله فى النهاية تدعيما للنظام واتجاهاته الداخلية والخارجية • أما الذين يرون الاتحاد السوفيتي على الصورة الثانية فانهم يعتبرون التجارة هى أحد الأساليب الرئيسية لتشجيع الوفاق وبناء علاقات متبادلة مفيدة وزيادة حاجة السوفيت الى الاستقرار الدولى ، وباعتبار ما يراه أصحاب هذا الاتجاه من ان قادة الاتحاد السوفيتي قد اظهروا مرونة غير متوقعة ، فان على الولايات المتحدة ان لا تترك هذا الطريق دون أن تستكشفه بشكل أوسع، وفى هذا المجال فان العلاقات الاقتصادية هى الوســـيلة الأولى لهذا الاستكشاف (٢) •

سنعرض فيما يلى بشكل مفصل لهذين الموقفين من الوفاق الأمريكى السوفيتى ، وسنبدأ بحجج ووجهات نظر منتقدى ســـياسة الوفاق فى الولايات المتحدة ثم نورد دفاع وتبرير من يؤيدون هذه السياسة •

آراء منتقدى الوفاق :

واجهت سياسة الوفاق مع الاتحاد السوفيتى ، وبشكل خاص كما مورست منذ عام ١٩٧٢ وقننت فى عدد من الاتفاقيات والمبادىء ، واجهت معارضة شديدة فى كل من الولايات المتحدة بوجه خاص والعالم الغربى بوجه عام • ويقيم معارضى الوفاق حججهم على أساس من اعتقادهم بان الوفاق وبالشكل الذى تم به حتى الآن انما يقوم على أساس التنازلات

(١) Yergin, Daniel, « Shattered peace », Boston.

(٢) — Yergin, Daniel « Politics and soviet American trade », foreign Affairs, April, 1971, pp. 538. 29.

الأمريكية ولصالح الاتحاد السوفيتي (١) ، وهم يقولون ان ما يعنيه الاتحاد السوفيتي من الوفاق هو ان يكون بديلا استراتيجيا للعداء العسكري المكشوف ضد الاقطار الرأسمالية وهو بذلك لا يعني تخلي الاتحاد السوفيتي عن الصراع مع الولايات المتحدة والاقطار الغربية الرأسمالية بل ولا توقف شعارات الحرب الطبقية والصراع الايديلوجي بين النظامين (٢) ٠

ويعتبر نقاد سياسة الوفاق في الولايات المتحدة ان الاتحاد السوفيتي يمارس الوفاق بشروطه الخاصة وانه يعني به نوع من العلاقة مع الولايات المتحدة لا تضع الاتحاد السوفيتي بشكل تلقائي تحت التزام اتباع سياسات توافق عليها الأمريكيين أو وضع أي قيود على سياساتهم حتى لو شعروا ان هذه السياسة قد وضعت قيودا على سياسة الولايات المتحدة (٣) ٠

ويقدر عدد من الباحثين الأمريكيين في انتقادهم لسياسة الوفاق ان الاتحاد السوفيتي يبغي تحقيق الأهداف التالية من وراء هذه السياسة : ـ

١ ـ اضعاف التحالف الغربي باظهار انه لم يعد ضروريا بل انه خطر على السلام ٠

٢ ـ تخفيف مجهود الدفاع الأمريكي وتصفية الوجود الأمريكي في أوربا ٠

٣ ـ الحصول من الولايات المتحدة والغرب على مساعدات مالية وتكنولوجية والتي سوف تدعم بشكل مباشر القوة العسكرية السوفيتية بان تجعل من السهل استمرار بناء القطاع العسكري في الاقتصاد ٠

٤ ـ عزل الصين وتفادي النتائج التي قد تترتب على مواجهة عدائية مع كل من الصين والغرب ٠

---

(١) — Kin'ner william, « The US and the USSR, conflict and co-operation » ORBIS, Fall 1973 No. 3, p. 719.

(٢) — « Detente, an evaluation » survey, spring summer 1974, p. 1.

— Ulam, Adam, « Detente under soviet Eyes », Foreign policy, No. 24, Fall 1976, p. 147.

الغربية أو الاستماع الي اذاعاتها عمل من أعمال الخيانة ، وحين يمكن توحيد العائلات عبر الحدود الوطنية ، وحين تتحرر الهجرة ، عندئذ سوف يـكون لدينا وفاق حقيقي بين الشـــعوب وليس مجـــرد صيغة بين الحكومات » (١) ٠

كذلك يتعرض الوفاق للانتقاد على أساس مما يلاحظ من تزايد البناء العسكرى السـوفيتي ٠ ويعتبر من يلاحظون ذلك ان الاتحـــاد السوفيتي قد انفق خلال الخمسة عشر عاما الماضية من ١١ ــ ١٣٪ من مجموع ناتجه القومي على التسلح وفي بعض السنوات ١٥٪ ، وهو ما يزيد مرتين على الولايات المتحدة ٠ وانه خلال الحقبة الأخيرة بينما كان الاتحاد السوفيتي يزيد انفاقه العسكري سيـــنويا بنسبة ٤ ــ ٥٪ كانت الولايات المتحدة تخفضه بنفس القيمة ، وأيا كان الإختلاف حول النسبة فان أصحاب هذا الرأى يعتقدون ان الاتجاه ذاته لا اختلاف عليه وانه اذا ما سمح له ان يستمر فان الولايات المتحدة ستجد نفسها فى موقف أدنى سوءا فى الأسلحة التقليدية والاستراتيجية ، وعلى أساس من هذا التقدير يعتبر أصحابه ان ماتحقق هو Psudo Detente لانه خلق توقعات زائفة حول السلوك السوفيتي كما دفع الغرب إلى شعور غير حقيقى بالأمن فى الوقت الذى يعمل فيه الاتحاد السوفيتي على تحويل ميزان القوى الى جانبه (٢) ٠

ويشكك بعض الدارسين فى المفهوم السوفيتي للأمن ، وفى اتجاهه نحو التعادل الاستراتيجى مع الولايات المتحـــدة ، ويعتبرون ان الذكرى الدرامية للحرب العالمية الثانية لها اثر حاسم على المفاهيم الســـوفيتية حول مدى ما يكفي للدفاع بشكل يجعل القادة السوفيت فى تحديدهم للامن يرتكز على الاعتقاد بوجوب امتلاكهم لرادع قوى ضد كل التهديدات المتصورة وهو التصور الذى لا يجعلهم يهتمون كثيرا بما يقوله هنرى كيسنجر من ان الأمن المطلق بالنسبة لاحدى القوتين الأعظم أمر لا يمكن تحقيقه وغير مرغوب فيه لأن هذا يعنى عدم الأمن المطلق للقوة الأخرى ، ويجعلهم يعتقدون ان لا شيء يشبع حاجتهم فى الأمن الا تفوق حاسم على خصومهم (٣) ٠

---

(١) Interration-l Herld Tribuire, Ma. 12, 1973.

(٢) — Lebeds, Leoobold Enounter, Sptember 1971. and. 36-38.

(٣) — Smes, Dimtri, « Detent, Russianstyle ». Forein policy fall 1978, p. 49.

٥ ـ ان يضفى الشرعية على سيطرته على شرق أوربا بان تجعل هذه السيطرة غير قابلة للتغيير تاريخيا (١) ٠

ويتعرض أحد المهتمين البارزين بالشئون السوفيتية Z. Brsezinski بالنقد لمفهوم ادارة نيكسون وكيسنجر للوفاق وتطبيقاته له بقوله ان مفهوم كيسنجر للوفاق يتفق فى بعض الوجوه مع مفهوم برجينيف الأمر الذى ساعد على تحقيق الوفاق بعض النجاح فى مراحله الاولى من حيث ان برجينيف يفضل وفاقا محدودا غير أساسى وخاصة فى المجـــالات الاقتصادية ، كما ان برجينيف وكيسنجر يتفقان على ان مطالب التغير الداخلى فى الاتحاد الســـوفيتى يجب ان لا يكون مطلبا أوليا لتخفيف التوتر (٢) ، وحول هذه النقطة يقول برجنسكى ان كيسنجر ونيكسون قد نبذا تماما العنصر الاخلاقى الأمر الذى أصبح عنصرا كامنا فى فلسفة سياستهم الخارجية وجعلوا تجنب الاخلاقيات فى مستوى المبدأ الأمر الذى يتنافى مع أساسيات التقاليد الأمريكية (٣) ، ويلقى باللوم على نيكسون وكيسنجر فى قبولهم تضمين البلاغات المشتركة عبارة التعايش السلمى كأساس لعلاقات الشرق والغرب وهى عبارات سوفيتية بما يعنى ان الروس يملون الاطار اللغوى للعلاقة فى عصر أصبحت فيه الكلمات تمثل وتعبر عن السياسات (٤) ٠

كما قد صدر نقد حاد لسياسة الوفاق داخل الكونجرس الأمريكى وهو النقد الذى تبلور فى الموقف الذى تزعمه السناتور جاكسون وأدى الى اعاقة منح الاتحاد السوفيتى حق الدولة الأولى بالرعاية ودفع بالاتحاد السوفيتى الى الغـاء اتفاقية التجارة ، فقد اعتبر جاكسون أن ما يجرى هو « مظهر » الوفاق ، وعنده انه لن يتم التحرك من المظهر الى حقيقة الوفاق الا « حين يستطيع ابناء أوربا الشرقية ان يزوروا غربها ، وحين يستطيع الطلاب السوفيت باعداد كبيرة وليس ٢٥ طالبا كما يحـــدث الآن ـ المجىء الى الولايات المتحدة ، وحين يستطيع الطلاب الأمريكيون باعداد كبيرة السفر الى الاتحاد السوفيتى ، وحين لا يصبح قراءة الصحف

---

(١) — Detenter, an evaluation, survey, op. cit.

(×) تم شغل منصب مستشار الأمن القومى فى ادارة الرئيس كارتر ٠

(٢) — Brzezinski, Z., « From cold War to cold peace », in, Detente. op. cit, pp. 264.

(٣) — ibid, 268,

(٤) — ibid, 266.

وبنفس هذا المنطق ترى مجموعة أخرى من الباحثين الأمريكيين ان السوفيت لن يشعروا أبدا بان لديهم الكفايه ومن هنا فانهم يرون التعادل كمرحلة فى لعبة مستمرة ، ويعتقد هؤلاء الباحثــون ان الازمه الكوبيه قد دفعت بالاتحاد السوفيتى الى التصميم على ان لا يصبح فى موقف عسكرى يجعله يتراجع مرة أخرى ولهذا فقد صممت قيادته على ان تعطى الأولوية لتصعيد القوة العسكرية وتحقيق تفوق عسكرى شامل تصبح معه الولايات المتحدة وليس الاتحــاد السوفيتى هى التى تتراجــع فى مواقف الصراع ، وينتهى أصحاب هذا الرأى الى ان ما يريده الاتجاه السوفيتى هو ان يكون من القوة بحيث لن يكون أحدا قادرا على مساءلته وأن يكون فى مقدوره ان يملى أو يؤثر على الأحداث فى العــالم كله وان يصــادر بشــكل فعال أى تصرفات من الآخرين لا يوافق عليها (١) ٠

كما يعبر عن هذا الاتجاه السناتور بارى جوله ووتر المرشح السابق للرئاسة فى تقديراته عن ما ستكون عليه السـياسة السوفيتية خــلال السبعينات فيعتبر ان ميزان النوى يتحول بشكل جذرى بعيدا عن الولايات المتحدة وفى صالح الاتحاد السوفيتي وينتقد « هؤلاء الذين يتعلقون بأمل الوصول الى وفاق مع الاتحاد السوفيتى ويبدون مغلقى العيون عن واقع العدوان السوفيتى وسعيه وراء سياسة شاملة ودائمة تهدف الى جعل الاتحــاد السوفيتى قوة عالية مســيطرة » (٢) ، وهو رغــم تفضيله للمفاوضات الا ان ما يخشاه منها هو ما قد تثيره من آمال زائفة بين الشعب الأمريكي ، ولاعتقاده ان السوفيت يعتبرون المفاوضات كتكتيك فى ممارسة سياسة القوة ، وعلى هذا « فيجب ان لانأمل فى اتفاق ذا مدى طويل حتى يتحقق تغيرا أساسيا فى اتجاه الإتحاد السوفيتى نحو مشكلات الشرق والغرب ، كمــا انه لن يكون هناك تغير أو مرونة فى السياسة الخارجية السوفيتية خلال السبعينات بل ان موسكو ســوف تكثف ضغطها ضد الولايات المتحــدة عنــد كل توتر وفى كل نقطــة استراتيجية فى العالم » (٣) ٠

وقد كان من أبرز من تعرض لمعالجة الجانب العســكرى فى علاقات الوفاق وطالب بالربط الكامل بين الوفاق وبين ابقــاء الولايات المتحــدة

Kohler, « The soviet union, : Yesterday, Today, Tomorrow » op. cit., 89.
— Go'dater, B··rv, « The perlio··s conqu··iture : sovi··t ascendency and American isolation » ORRIS Spring 1971, N. 1. p. 53.
— ibid, (٣)

على قوة ردع كافية هو جيمس شلزنجر وزير الدفاع الامريكي • ففى بيان ألقاه أمام الكونجرس الامريكى فى ٥ فبراير عام ١٩٧٥ ، اعتبر انه رغم قيام علاقات الوفاق وما تتيحها من فرص الا أن الحاجة الى موقف حازم وثابت من الولايات المتحدة ليست أقل مما كانت عليه من حقبه مضت ، وفسر شلزنجر رأيه هذا بظروف الوضع الدولى وما ينعرض له من قلق وغليان « فالشرق الأوسط مكان غير مستقر وحلفاؤنا فى أوربا واسيا يجدون أنفسهم فى درجات متفاوتة من المصاعب السياسية والاقتصادية ، فمن الازورس الى أوربا ومن البحر المتوسط حتى اليابان فان ثمة سياسات مشتركة وأهداف يجب ان تصاغ كما ان المياه الدولية يحيط بها المتاعب » (١) ويذهب شلزنجر انه « ليس هناك صراع بين الوفاق وبين الردع فهما مرتبطان ببعضهما البعض بشكل لا ينفصم ، وفى مجتمع مغلق مثل الاتحاد السوفيتى فانه ليس من الصعوبة بالنسبة له ان يتبع سياسة الوفاق وان يدعم قواه الدفاعية فى نفس الوقت ، ان هذه الأمة يجب ان لايتملكها أى وهم حول الحاجة الى الابقاء على توازن عسكرى وكل القدرات التى تتفق مع هذا فاذا كنا حقا نريد وضعا عسكريا لا نقل فيه عن أحد فليس هناك بديل عن جهد صعب مكلف لا يتوقف » (٢) •

كذلك يتشكك رأى آخر فيما يذهب اليه البعض فى تبرير سياسة الوفاق بأن الاتحاد السوفيتى قد أصبح قوة يهمها ان تحافظ على الوضع الراهن فيعتبر انه من السذاجة الركون الى ذلك وانه رغم ادراك القيادة السوفيتية لعدم قدرتها على الاشتراك وتوجه كل تغير فى العالم سواء بشكل مباشر أو غير مباشر الا أن هذا لا يعنى تغييرا فى الاتجاه السوفيتى ، ويبرر هذا الرأى ذلك بالدرجة العالية من النشاط الدولى والبناء العسكرى بما فى ذلك ادخال القوة البحرية فى البحر المتوسط والمحيط الهندى والاهتمام المستمر بالعلاقة بالأقطار الشيوعية الأخرى • أما على المستوى الايديلوجى فان الماركسية اللينينية تنظر الى العملية الثورية العالمية باعتبارها قوة ذاتية وان دور الأحزاب الشيوعية والدول هو دور مشجع فقط ومضاعف لهذه العملية التى ستحدث بدون تدخلهم وان كانت ستتطلب مدى زمنيا واسعا (٣) • وعلى هذا فان هذا الرأى يعتقد ان دور الاتحاد السوفيتى ينمو رغم ما يبدو من خفوت التشدد الثورى وأن هذا

---

(١) — Survival, iss london, may - -June, 1975, p. 134.

(٢) — Ibid,

(٣) Swanson, John, «The super powers and multipolarity from pax, Americana to Pax sovitica ? « ORBIS, No. 4n winter 1972, p. 1040.

النمو يعتمد على عناصر ملموسة للقوة يزيد من خطرها احتمال ان تصبح أقوى بالنسبة للولايات المتحدة التى سيواجه اقتصادها ضغوطا متزايدة بينما قد يكون من الممكن استطاعة الاتحاد السوفيتي توسيع كل من قطاعه الاستهلاكي وقدراته الدفاعية ، وينتهى هذا الرأى الى اعتبار ان أهم الأسئلة التى ستواجه السياسة الامريكية خلال الجزء المتبقى من القرن العشرين هو مدى قدرتها على ان تتعايش مع سلام متعدد الأقطاب يسيطر عليه الاتحاد السوفيتي (*) .

ويعالج البعض سياسة الوفاق من زاوية سياسة السوفيت نحو أوربا الغربية ويتخوفون من ان تصبح علاقة دول أوربا الغربية بالاتحاد السوفيتي على غرار علاقته بفنلندا أو بولندا من حيث ان تجد نفسها فى

(×) يقابل هذا منطق آخر يعتبر ان ما يسيطر على العلاقات الدولية فى الحال والمستقبل هو السلام الأمريكي **Pax Americana** ويسوقون فى هذا الاعتبارات الآتية : ـ

١ ـ ان الولايات المتحدة لها التفوق النووى على الاتحاد السوفيتي يفسر هذا حرصه فى كل أزمة على تفادى المواجهة مع الولايات المتحدة .

(٢) انه رغم طموح التوسع السوفيتي فانه باستثناء كوبا ليس هناك دولة واحدة ابطت نفسها بالمعسكر الشيوعى منذ الحرب الباردة .

٣ ـ ضعف السيطرة السوفيتية داخل معسكرة وتعرضه للمقاومة الصينية بما خفض وضع الاتحاد السوفيتي الدولى .

٤ ـ فى مواقف الصراع المحتمل بين الشرق والغرب والتى استخدمت فيها الأسلحة التقليدية فقد امتنع الاتحاد السوفيتي عن استخدام قواته بشكل مباشر خارج شرق أوربا أما الولايات المتحدة فانها لم تضع على نفسها مثل هذه الحدود فى أى قارة .

٥ ـ ان الوضع الجيوبولتيكى للولايات المتحدة أكثر ملاءمة من وضع الاتحاد السوفيتي نتيجة لانفصالها الجغرافى عن منافسيها وخصومها ولا يتمتع الاتحاد السوفيتي بهذا الوضع حيث أنه مواجه باقطار أعضاء تحالف الناتو وبالصين .

٦ ـ ان مستوى التقدم الاقتصادى للولايات المتحدة يسمح لها بالاحتفاظ بمستوى عالى من المعيشة لسكانها وبنطاق واسع من برامج المساعدة وأكثر من هذا فان الاتحاد السوفيتي والأقطار الاشتراكية قد تجد نفسها من بعض الوجوه فى حاجة الى الولايات المتحدة .

٧ ـ ان نظام الحكم الشمولى لم ينجح فى خلق اجماع واسع داخل الاتحاد السوفيتي على العكس فان الافتقار الى مثل هذا الاجماع يحد من نطاق العمل فى مجالات السياسة الخارجية وقد يضعفها فى المدة الطويل بل وقد يؤدى الى تغير النظام .

٨ ـ ان نفوذ الثقافة الأمريكية يمكن أن يوجد فى كل العالم حتى فى الأقطار التى تحت الحكم الشيوعى كما أصبحت طريقه الحياة الأمريكية طريقة تحتذى وينظر اليها كرمز للتقدم .

راجع **(Kaufman** Edy, « The superpowers and their spheres : of influence cit, p. 18).

موقف لا تستطيع فيه لن تقرر طريقها الخاص فى علاقاتها الخارجية بل ربما فى شئونها الداخلية دون موافقة الاتحـاد السوفيتى ، ويزداد تخوفهـم بما يسود الأقطار الغربية من ضعف فى المعنويات وتفكك ويربط أنصـار هذا الرأى بين ذلك وبين ما يعتقدون فيه من ان السوفيت لديهم تقـدير دقيق للقوة العسكرية وانهم قد لمسوا دائما الظل السـياسى لهذه القوة ورغم ما يردده بعض الاكاديميين من انه لم يعد هناك فائدة أو اسـتعمال سياسى للقوة العسكرية ، فان عنـد هؤلاء ان الاتفاقات التى عقـدت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى تظهر بدقة ان السوفيت كانوا قادرين على استغلال قدرتهم العسكرية واستثمار البعد السياسى لهذه القدرة (١)٠

ويرفض منتقدى الوفاق القول بأنه سـوف يترك آثارا داخلية فى الاتحاد السوفيتى فى اتجاه تقايل النظام لضغوطه ضد القوى الليبراليه ، وانه قد تحقق بعض التقدم فى هذا الاتجاه وسوف يزداد فى ظـل مناخ دولى تقل فيه التوترات ويرددون بان سـنوات ما بعد عام ١٩٧٢ والتى اندفعت منها علاقات الوفاق الرسمية هى نفس السنوات التى شـهدت أكثر مظاهر القسر ضد المنشقين السوفيت (٢) ٠

ومن أهم المواضع التى يتعرض لها نقاد الوفاق فى الولايات المتحدة هى ما يترتب عليه من عمليات اقتصادية وتجارية ونقل للتكنولوجيا ، فهم يعتبرون ان مثل هذه العلاقات ستكون فى صالح الاتحاد السوفيتى أكثر من الولايات المتحدة ذلك ان السوفيت سـوف يشترون آلات ومعـدات حديثة وليس سلعا استهلاكية كمـا سيشترون مشروعات بأكملهـا ويحصلون على التكنولوجيا الحديثة بأسعار تنافسـية وسيطورون بهـا مواردهم الأولية ويوسعون صناعاتهـم البتروكيماوية ويزيدون ولو فى موعد متأخر قدرتهم التنافسية فى الأسواق العالمية وسيتحقق معظم هذا من قروض يمولها بشكل جزئى دافع الضرائب الأمريكى (٣) ، ويواصل هذا النقد قوله انه فى مقابـل هذا فان الفوائد التى سـتجنبها الولايات المتحدة ستكون هامشية فليس آكيدا ان مثل هذه العلاقات والاتفاقيـات التجارية سوف تزيد من العمالة فى الولايات المتحدة كما انه ليس صحيحا انها ستحسن من ميزان المدفوعات الأمريـكى ما دامت معظـم المبيعـات ستكون وفقا لقروض ٠

Kohler, «The soviet union — «Yesterday, Today, Tomorrow», op. cit pp. 205-206. Spigel, Steven, « At issue : politics in the world Arena», op. cit., p. 197.

Spiegel, « At issue -2» op. cit., p. 186. (٣)

وينتقد أصحاب هذا الرأى ما يذهب إليه الرسميون الأمريكيون من لن الولايات المتحدة سوف تهزم الأوربيين فى لعبة التجـارة بين الشرق والغرب ويعتبرون من الوهم الاعتقاد فى ان الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية وكل الأقطار التى تأخذ بالتخطيط المركزى يمكن ان تقدم بديلا للصادرات الأمريكية عن شركائها الأساسـيين فى التجارة وهم اليابان وأوربا وكندا والأقطار الأساسية فى العالم المتقدم ولا ينظر هذا النقد الى التجارة مع القوى الشيوعية الا باعتبارها تمثل فقط جزءا من الصادرات الأمريكية أو لاستخدامها لأحداث عملية توازن مع أوربا واليابان وان كان هذا لايتحقق الا فى وقت متأخر وبعد استشارات أمريكية (١) ٠

كما ركزت هذه الانتقادات على ان السوفيت ليس لديهم ولن يكون لديهم فى المستقبل القريب سلعا تصـديرية لكى يرفعوا من وارداتهـم وأضاف النقاد ان الوعد بمشروعات مشتركة فى تطوير موارد الاتحـاد السوفيتى الطبيعية هو شىء غير ثابت أو أكيد ولا يبرر تورطا أمريكيا ثقيلا (٢) ٠

ويعتقد نقاد الوفاق ان التجارة مع الولايات المتحدة هى أهم الجوانب التى تهم الاتحاد السوفيتى فى الوفاق وان القوة الدافعـة الرئيسية وراء هذه السياسة هى الحصول على منافذ للتكنولوجيا المتقدمة ، ويعتبرون ان القول بان فى أمكان الاتحاد السوفيتى الحصول على هذه التكنولوجيا من بلدان غربية أخرى أو من اليابان قد يـكون سليما من حيث المبـدأ الا أن خبرة السنوات الأخيرة قد أحبطت مهـام عدد من البعثات التجارية حول العالم ، ذلك ابعاد نطاق الاقتصاد السوفيتى هى من الاتساع بحيث تقف القدرات الصناعية للدول الغربيـة صغيرة بالمقارنة بها الأمر الذى يجعـل الولايات المتحدة هى البلد الوحيد القادر على تقديم الطاقات الواسعة التى يحتاجها الاتجاه السوفيتى (٣) ، ويعتقـد هذا الاتجـاه ان ذلك ينطبق كذلك على القروض التى لو توفرت فى بلدان غـرب أوربا واليابان فان هذه البلدان تنأى عن المخاطرة أبعد من حد معين ، وانه خلال عام ١٩٧٣

---

(١) — Buchan, Alstair, « The end of the war era », weirndenfield Sniclson, london, 1973, pp. 186 - 187.

(٢) — Petrov, « U S — Soviet detente » op. cit., pp. 16-17.

(٣) — International Herald Tribuine, « Detente », September 27, 1974.

حاول السوفيت بغير نجاح الحصول على ٣٠٠ مليون دولار كقرض غرب أوربا واليابان (١) ٠

على انه أيا كانت العناصر الاقتصادية التى يركز عليها منتقدى الاتفاقيات التجارية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فانه من الواضح ان الاعتبارات السياسية وليست الاقتصادية تلعب دورا هاما فى معارضة هذه الاتفاقيات ، وان الشاغل الرئيسى لهذه المعارضة هو ان الولايات المتحدة سوف تساعد عمليا فى بناء القوة الاقتصادية لخصمها الرئيسى بالاضافة الى ان بعض المعدات التي سيشتريها السوفيت قد تزيد من قدرتهم العسكرية أيضا (×) ٠

ومن وجهة النظر العامة ينظر نقاد الوفاق فى الولايات المتحدة الى ما يتضمنه من تلقى الاتحاد السوفيتي للتكنولوجيا الأمريكية بانه « قرار بانقاذ القادة السوفيت من قرار صعب وهو الاختيار بين الانتاج للحرب والانتاج من أجل الشعب » (٢) ٠

وهكذا اعتبر ان التحفظ الرئيسى لهؤلاء النقاد على سياسة الوفاق وخاصة فى جانبها التجارى والاقتصادى هو ان الولايات المتحدة قد تجد نفسها مكتفية بمزايا ملموسة قليلة القيمة بحثا عن شيء مجرد في الوقت الذى تحصل فيه القيادة السوفيتية على تنازلات حقيقية ، وعلى ذلك فان الخطر الحقيقي في رأيهم من سياسة الوفاق وبالشكل الذي اتبعته ادارتي نيكسون وفورد هو ان ما ستجنيه الولايات المتحدة لن يكون الا الحديث البليغ عن تزاوج العلاقات بينما ستحصل الاتحاد السوفيتي على جيل جديد من الكومبيوترز (٣) ٠

هذا وقد انضم الى نقاد الوفاق فى الولايات المتحدة الجماعات المعروفة

— Lequer, walter, «New Isolationism and the world of the Seventies». The washingtion paper, N ? 5, George town university, 1972.

(×) ساعد انتقاد قيام علاقات اقتصادية واسعة مع الاتحاد السوفيتي مبيعات القمح الكبيرة التى تمت عام ١٩٧٢ عقب مؤتمر قمة موسكو الأول ونتج عنها زيادة فى أسعار القمح الأمريكى وصورها المنتقدين على أنها معادية للمستهلك الأمريكى واتهموا الادارة الأمريكية بانها تضع الوفاق قبل واجبها تجاه الشعب الأمريكى حيث ارتفع جوال القمح الأمريكى من ١٫٣٢ دولار الى ١٧٫٠ دولار) ٠

(٢) — Cox «The Dynamics of datente» op. cit., p. 160.

— B ll, Coral, « Kissinger Concert »,nter. Affairs, London, April 197- ppp. 212 - 214.

ب جماعات الضغط Lobies في الحياة السياسية الأمريكية مثـل : اللوبى اليهودى أو ما يعرف بأصدقاء اسرائيل • والذين يعتقدون انه اذا نجح الوفاق فان الانفاق العسـكرى يمـكن ان يخفض بشكل ينتج عنـه نتائج خطيرة لمستقبل حاجات اسرائيل الدفاعية ، كما انه اذا حدث خفض للتوتر الدولى فسوف يؤثر على احساس الولايات المتحدة بالخطر وبالتالى على التزاماتها الدولية ومن بينها التزاماتها تجاه اسرائيـل (١) واللوبى اليونانى الذى انتقد كيسنجر لفشـلـه فى منـع تركيا من غزو قبرص ثم أصدقاء الهند نتيجة لتناوله لأزمة بانجالاديش عام ١٩٧١ ثم من جانب مايعرف بأصدقاء أوربا وأصدقاء اليابان الذى عارضوا سياسة أمريكا تجاه الصـين (٢) •

واذا كانت المؤسسة العسكرية الصناعية من أكثر القوى معارضـة للوفاق فى الولايات المتحدة فان القوة الثانية لها مباشرة من حيث القوة والنفوذ فى معارضة الوفاق هو اتحـاد العمل الأمريكى ومؤتمر المنظمات الصناعية AFL-Cio, وزعيمه جورج مينى (٣) Meany الذى يشن حملة عنيفة على الوفاق ويعتبر فى شهادة له أمام لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس الأمريكى « ان الرأى العام الأمريكى له مفهوم طيب عن الوفاق ولكنه يختلف عن المفهوم السوفيتى اختلافا جذريا وهذا هو أصل المشكلة •• ان المفهوم السوفيتى يعتمد على ما سبق للينين ان قاله منذ خمسـين عاما من ان الغرب بتقديمه المواد الضرورية والتكنولوجيا للاتحاد السوفيتى فانه بهذا يهيىء لانتحاره، كما يعتمد المفهوم السوفيتى على ما قاله برجينيف وما يعنى ان الوفاق هو أسلوب جديد وأداة جديدة نحو الهدف النهائى للتقدم والنصر العالمى للشيوعية وهكذا فانه بينما يثير الوفاق النشوة فى الولايات المتحدة فانه ينظر اليـه بحسابات دقيقة وباردة فى الاتحـاد السوفيتى » (٤) (*) •

---

(١) — Cox, « The Dynamix of Detente » op. cit., p. 160.

(٢) — Bell, Coral, Kissinger concert » Inter. Affairs, London, A pril, 1977, pp. 212-214.

(٣) — Cox, « The dynamics of d tente » op. cit, p. 165.

(٤) Detente, Hearings, op. cit, pp, 376 - 379.

(*) وتجعلنا موجة الانتقاد التى يتعرض لها الوفاق الأمريكى مع الاتحاد السوفيتى فى الولايات المتحدة نتساءل عن سبب ذلك فى الوقت الذى يلاقى فيه الوفاق مع الصين انتقادا أقل أن لم يكن ترحيبا » ويزيد من ضرورة هذا التساؤل انه كان من المفترض — اذا ما حكمنا الاعتبارات الأيديلوجية — أن يكون الأمر هو العكس باعتبار أن النظام

مؤيدى الوفاق فى الولايات المتحدة :

كان من الطبيعى ان يصبح الدكتور هنرى كيسنجر وبشكل أخص فى الفترة التى تولى فيها الحكم سواء كمستشار للامن القومى ١٩٦٩ ــ ١٩٧٣ أو وزيرا للخارجية ١٩٧٣ ــ ١٩٧٦ ، من أخلص المدافعين عن الوفاق والشارحين لمفهومه والمحللين لجوانبه الفلسفية والسياسية والعسكرية والاقتصادية ، ولا غرو ففى هذه الفترة التى شارك فيها فى الحكم وفى توجيه السياسة الخارجية الأمريكية اكتسب الوفاق مفهوما عمليا وأساسا ماديا وقانونيا بعدد من المبادىء وقواعد السلوك والاتفاقيات التى شملت نظاما عريضا من علاقات البلدين ، وجمع هنرى كيسنجر فى هذا دور المنظر الذى قدم المفهوم الفلسفى والتاريخى والمفاوض والدبلوماسى الذى باشر هذه السياسة ونفذها ٠

وثمة عدد من المقدمات يوردها كيسنجر فى تقديم مفهومه للوفاق ودفاعه عنه وهى مقدمات تقوم على تصور وتقييم مكانه وقوة القوة الدولية المنافسة للولايات المتحدة كما وصلت اليها مع نهاية الستينات وأوائل السبعينات ٠ فهو يعتبر ، « ان المشكلة الأساسية مع الاتحاد السوفيتى هى بروزه وتقلده مكانة القوة الأعظم Super Power وهى الحقيقة التى أصبحت واضحة فقط فى السبعينات ، فبعد وقوع أزمة الصواريخ الكوبية كان الاختلاف فى القوة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى صالح الولايات المتحدة بشكل واضح ، ولكن فى السبعينات والثمانينات فان الاتحاد السوفيتى قد امتلك وهو فى طريقه ان يمتلك

= فى الصين هو أكثر سيطرة على حياة مجتمعه ، وعباده شخصية ماو التى كانت سائدة وقت بداية التقارب مع الصين ، بل أن الماوية فى هذا الوقت كانت أكثر راد يكالية من الاتجاهات السوفيتية ، على أنه يبدو أن ثمة عوامل أخرى كانت أكثر تأثيرا فى تحديد نظره القوى المختلفة فى الولايات المتحدة الى سوفاق مع كل من الصين والاتحاد السوفيتى ٠

(أ) وجود جماعات ضغط فى الولايات المتحدة من المهاجرين من أوربا الشرقية الذين يحملون عداء مريرا للاتحاد السوفيتى وصحيح أن ثمة مهاجرين من الصين ، الا أن جماعات أوربا الشرقية أكثر نفوذا وتأثيرا ٠

(ب) ان الاتحاد السوفيتى يمثل القوة الأكثر خطورة والاقوى معارضه للولايات المتحدة من الصين ٠

(جـ) أن الصين تسلك بشكل أفضل بالنسبة لجيرانها فليس هناك مقابل صينى لشعوب شرق اوربا ٠

راجع :

Bell, Cororl, « The diplomocy of Detente », op. cit, pp. 211 215.

تعادلا استراتيجيا فعالا وهو ما يعنى انه أيا من كان سباقا فى الحق الضرر بالآخر فان هذا الآخر يستطيع الحاق الضرر ذاته ، وفى حرب ذرية شاملة فان هذا الضرر سيكون ذا طبيعة إنتحارية وتلك هى حقيقة العصر الذى نعيشه والذى يتعين معه على أى إدارة أو أى معارض لها ان يواجهها اذا كان يريد ان يتحمل المسئولية » فكيف تواجه بروز القوة السوفيتية دون تضحية بالمصالح الأساسية ، تلك هى المشكلة الاولى لعصرنا » (١) .

ويقول « ان بروز روسيا كقوة عسكرية كبرى قادرة على معارضة المصالح الغربية فى أى مكان فى العالم وشن حرب نووية ضد الولايات المتحدة نفسها هى حقيقة يجب أن نتعامل معها وهى لا يمكن منعها كما لا يمكن ردعها بالوسائل العسكرية وحدها » (٢) .. وبوجه عام فهو يعتبر « ان الاتحاد السوفيتى قد عوفى من خراب الحرب الثانية واندفع قدما الى الأمام على طريق النمو الصناعى بامتلاكه موارد على نطاق قارى وفرضا لتضحيات ضخمة على شعبه باسم الايديلوجية ، وهكذا فقد طور قوته الاقتصادية والتكنولوجية الى الحد الذى يستطيع أن يجارى الغرب فى عدد من القطاعات الحربية والصناعية » (٣) .

على أساس من هذه المقدمات يستخلص كيسنجر انه « لا يمكن ان يكون هناك نظام دولى سلمى بدون علاقة بناءة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وعالم يمارسا علاقاتهما بضبط النفس » ، ووفقا لهذا يصبح الوفاق « سعيا وراء علاقة أكثر ايجابية مع الاتحاد السوفيتى تعكس واقع علاقاتهما وهو عملية مستمرة وليس وضعا نهائيا يمكن أن يتحقق عند نقطة محددة أو وقت معين » (٣) .

غير انه فى ممارسة سياسة الوفاق فان كيسنجر يورد عددا من المبادىء العامة التى توجهها وتحدد مفهومها لهذه السياسة : ـ

« فالولايات المتحدة لايمكن ان تؤسس سياستها فقط على النوايا الطيبة للاتحاد السوفيتى ، فنحن ننشد ـ بغض النظر عن النوايا السوفيتية، أن تخدم السلام من خلال المقاومة المنتظمة للضغوط والإستجابة الصحيحة للسلوك المعتدل ، اننا يجب ان نقاوم سلوك العدوان وعدم المسئولية » .

---

(١) Departement of State Bulletin, No. 1908, January, 1975, p. 70.

(٢) — The Economist, Nove. 6, 1976.

(٣) — Suibvival, iss, London, sept - october 1976 p. 196.

(٤) — Survival, iss, February' 1975, pp. 3-42.

غير ان هذه لا يعنى الاستجابة السريعة أو اللجوء للسياسات العنيفة، « ذلك اننا يجب ان لاننشد المواجهة بشكل متسرع ٠٠ اننا يجب ان نحتفظ بدفاع وطنى قوى يدرك انه في العصر الذرى فان العلاقة بين القوى العسكرية والاستخدام السياسى للقوة هى أكثر المواقف تعقيدا فى التاريخ » والولايات المتحدة وهى تتبع سياسة الوفاق لن تكون محايدة بين العبودية والحرية ، غير ان هذا لا يجب ان يؤخذ على اطلاقه « فثمة ضرورات تضع حدودا على قدرتنا على أحداث تغيرات داخلية فى الأقطار الأجنبية كما ان المحافظة على الحياة البشرية والمجتمع البشرى هى كذلك قيم أخلاقية ٠٠»، وعند كيسنجر فان النظرة الناضجه تنبع من الحاجه الى التعرف على هذه العلاقة المستقرة التى يجب ان تقدم « فوائد لكلا الجانبين ، ذلك ان أكثر العلاقات الدولية ايجابية هى تلك التى يحصل خلالها كل من الطرفين على عنصر من الكسب » ، وهو يعتبر انه بالنظر الى علاقات القوى الأعظم فان كلا من النظريتين المتفائلة والمتشائمة خطيرة وغير واقعية ذلك ان « النظرة المتفائلة تتجاهل اننا نحن والسوفيت قدر علينا أن نتنافس حتى الى مستقبل بعيد ، اما النظرة المتشائمة فتتجاهل ان لدينا نفس المصالح المتوازية ، وننا مضطرون لأن نعيش سويا » (١) ٠

بالاضافة الى هذه العناصر العامة لمفهوم الوفاق عند كيسنجر فانه يتناول بالتفصيل جوانب الوفاق المختلفة الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية فضلا عن أدواته ووسائله الدبلوماسية ، فيعتبر كيسنجر ان اسلوب المشاورات والاتصال بين قادة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى هو من الملامح الأساسية للمرحلة الحالية من الوفاق « ان أحد ملامح المرحلة الجارية للوفاق السوفيتى الامريكى هو المشاورات التى لم يسبق ان تحققت بين البلدين سواء وجها لوجه أو من خلال القنوات الدبلوماسية ٠٠ انها تمثل جهازا لحل الخلافات قبل ان تتصاعد الى مرحلة المواجهة العامة ويزج بمكانة كل جانب ، ان الاتصال بين البلدين قد أثبت جدواه فى عدد من الازمات ، فقد خفف من الاخطار التى قد يشعر بها أحد الجانبين ، أو يدفعه الى التصرف أو التصرف المضاد على أساس من معلومات غير كاملة أو مشوشة » كما ان من ملامح هذه الفترة طابع الاستمرار الذى اكتسبه الوفاق « ففى فترة ما بعد الحرب تكررت المحاولات لتحسين علاقاتنا بموسكو، والجديد فى الوقت الحاضر فى تخفيف التوتر

---

(١) — ibid

الدولى هـو عنصر الدوام والاستمرار ونطـاق العلاقات التى تطورت واستمراريتها وكثافة المشاورات التى سبقتها » (١) ٠

وتمثل علاقات القوى الاستـراتيجية والنووية بين القوتين عند كيسنجر العنصر الحاسم فى تحديد اتجاه وشكل مجمل العلاقات بينهما ، ولهذا فان الجهود التى تبذل للحد من التنافس الذرى والاستـراتيجى تمثل حجر الزاوية فى علاقات الوفاق عنده « اننا لا نستطيع ان نتوقع تخفيفا للتوتر الدولى ، أو الوصول الى نظام دولى أكثر استقرارا ان لم تمارس أقوى دولتين نوويتين ضبطا لسباق التسلح الاسـتراتيجى ، فالمنافسة التى نجد أنفسنا ازاءها ، هى منافسة فريدة تاريخيا ، فكل جانب لديه القدرة على تدمير المدنية ، والفشل فى الاحتفاظ بالتعادل قد يدمر بقاءنا » ويعتبر كيسنجر انه فى ضوء مسـتويات التسلح الاستراتيجى فان التسابق فى هذا المجال يصبح عقيما « فحين تصـل الترسانات الذرية الى مستويات تتضمن آلافا من القاذفات وعشرات من الرءوس الذرية فانه يصبح من الصعب تحـديد أى مجموعة أو عدد من الأسلحة الاستراتيجية سوف تعطى أى من الجانبين تفوقا عسـكريا وسياسيا » ويضيف ان سباق التسلح الاستراتيجى لو اطلق فسـوف يمثل اتجاها مستمرا لن يتوقف أمام تحقيق كل جانب تقدما على الآخر « فاحتمال تحقيق احد الجانبين تفوقا عسكريا حتى لو كان ممكنا نظريا فان الطرف الآخر لن يتسامح معه سياسيا ولن يسـمح أى الجانبين بحدوث تحول شامل فى الميزان النووى ، ولهـذا فان النتيجة المحتملة لكل جولة ناجحة فى التنافس هى استعادة التوازن الاستراتيجى ولكن على مستويات متزايدة من القوى وهو ما يعنى بشكل عملى ان كل جانب يشكل المؤسسة العسكرية للجانب الآخر ٠٠ » وفى مواجهة الرأى العام الأمريكى « فاننـا لا نستـطيع ان نطلب منه ان يتحمـل تكاليف عدم الاستقرار السياسى لسباق التسـلح النووى والمحكوم عليه بالتجمد ، الا اذا كان واضحا ان كل جهد قد بذل لمنع هذا السباق ، وهذا السبب فى ان كل رئيس منذ ايزنهاور قد أجرى مفاوضات للحد من الأسلحة الاستراتيجية مع الاحتفاظ بالبرامج العسـكرية الجوهرية للميزان الاستراتيجى » (٢) ٠

---

(١) — Ibid

(٢) — Ibid

ويعتبر كيسنجر ان علاقات القوى الاستراتيجية بين القوتين هي من الخطورة والحساسية بحيث لا يمكن اخضاعها للذبذبات التى تطرأ على العلاقات اليومية للبلدين ولهذا فحين سئل عما اذا كانت التطورات فى أنجولا سوف تؤثر على استمرار محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية قال إنه يود ان يوضح نقطتين فى هذا الخصوص : الاولى ، ان الولايات المتحـدة لم تعتبر أبدا ان الحـد من الأسلحة الاستراتيجية ، هو تصل تضفيه على الاتحـاد السوفيتي وبشكل يمكننا أن ندبره او نطريه وفقا للمد والجزر فى علاقاتنا ، ذلك إنه من الواضح ان استمرار سباق التسلح الاستراتيجى بشكل غير مقيد لن يؤدى الى ميزة اسـ‍ـــــتراتيجية أو سياسية فاذا ما استمر هذا السباق فسوف تكون له آثار عميقة على رفاهية البشرية ، ولذلك فان الحد من الأسلحة الاستراتيجية هو مشكلة عالمية دائمة لا يمكن اخضاعها للتغيرات اليومية فى العلاقات السـ‍ـوفيتية الأمريكية » (١) • وعلى هذا الأساس يعطى كيسنجر لمحادثات الحد من الأسلحة الاســـــتراتيجية مكانا هاما فى عملية الوفاق « فحين يرتبط الوفاق بمثل هذه المشروعات العريضة والتى لم يسبق لها مثيل ، مثل محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، فانه يأخذ بعدا اضافيا ويفتح آفاقا لمزيد من السلام المستقر • ان اتفاقيات الحد من الأســـــلحة الاستراتيجية يجب ان تؤخذ كخطوات عملية تؤدى الى استقرار عظيم ، فى هذا الصدد فان اتفاقيات الحد من الأسلحة الاستراتيجية والمشروعات المتصلة بها سوف يحكم عليها التاريخ » • ويناشد كيسنجر خلال احدى زياراته لوسكو للتباحث حول الحد من الأسلحة الاستراتيجية الزعماء السوفيت ان يزنوا مواقفهم النهائية على ضوء الاخطار التى يمكن ان تنتج عن التشدد حول نقاط فرعية وقتية وضيقة « ان كلا منا اذا فشلنا، يجب ان يجيب أمام شعبه وأمام العالم كله وأمام التـــــاريخ على هذا السؤال : هل تبرر هذه المشكلة أو تلك والتى قد تكون مسالة فنيـــة الفشل أو استمرار التأخير فى الجهد كله ؟ هل فعلنا كل ما فى طاقتنا لكى ننقذ البشرية من أعباء وأخطار سباق التسلح النووى » (٢) •

كذلك يعتبر كيسنجر العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الاتحاد السوفيتى كأحد العناصر الهامة فى دفع عملية الوفاق وهو لا ينظر الى هذه العلاقات كعمل اقتصادى وانما كعمل سياسى وكجزء من سياسة خلق

— Departement of state Bulletin, N. 1910, Feb., 2, 1976 pp. 125-126. (١)

The Guardian, March 22, 1976. (١)

شبكة من المصالح المتبادلة قد يجد الاتحاد السوفيتي من الصعب التضحية بها . فالعلاقات الاقتصادية لا يمكن ان تعزل عن المجال السياسي . ومن الواضح انه لا يمكن ان نطالب بمجازاة السلوك المعادي بمزايا اقتصادية حتى لو حرمنا أنفسنا من بعض الفرص الاقتصادية . ومن ناحية اخرى فانه حين تبدأ العلاقات السياسية في التطبع فانه يكون من الصعب ان يوضح لماذا لا تطبع العلاقات الاقتصادية كذلك . » ومزايا مثل هذه العلاقات تتعدي اثارها الاقتصادية الى الآثار السياسية التى يمكن ان تمارسها وخاصة في وقت الأزمات « ... انه مع هذه العلاقات الاقتصادية والتجارية التى تتكون مع الاتحاد السوفيتى يمكن أن تتكون علاقة جديدة ذات فائدة للبشرية كلها وهى علاقة يصبح معها انه فى الوقت الذى تلوح فيه امكانية أزمة جديدة فسوف يكون هناك من الأشخاص والمؤسسات بما فيه الكفاية وممن لهم ارتباطات ببرامج بناءة بشكل يمكنهم من ممارسة نفوذ من ضبط النفس » (١) .

وفي الوقت الذى يعتبر فيه كيسنجر ان سياسة سوفيتية معتدلة فى الشئون الدولية كانت وستظل الشرط الضرورى للوفاق فى معنيه السياسى والاقتصادى .. » (٢) الا انه يرى أن عملية الوفاق كعملية متكاملة لا يخدمها ربط العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي بشروط تتعلق بأوضاعه الداخلية « لقد تناولنا مسالة العلاقات الاقتصادية بحيطة وحذر ، وكعمل سياسى وليس عملا اقتصاديا في المحل الأول ، وحين تحسنت العلاقات السياسية على أساس عريض فان المشكلات الاقتصادية قد عولجت على نطاق واسع مماثل واعتبر هذا بمثابة نمو طبيعى للتقدم السياسى ، غير انه لم يحدث من قبل ان اثيرت مسائل تتعلق بالنظام السياسى الداخلى للاتحاد السوفيتي ولم يحدث الا بعد الوصول الى اتفاقيات عام ١٩٧٢ ان اثير النظام الداخلى كسبب لوقف التقدم الذى تم تحقيقه بصعوبة .. ان مثل هذا الربط المفاجىء يثير عدة أسئلة ، فبالنسبة للاتحاد السوفيتي فانه يلقى الشكوك حول امكان الاعتماد علينا كشريك مفاوض . ومن ناحية أخرى فانه على الرغم من اعترافنا العميق ، وصلاحية اهتمامات من يعارضون او يضعون الشروط على توسيع التجارة مع الاتحاد السوفيتى ، الا اننا يجب أن نحتفظ بالتناسب حول ما يمكن

---

(١) — Brown, «New forces in world politics», op. cit., pp. 69-78.

(٢) — Ibid.

ان تزودنا به العلاقات الاقتصادية من قوة ضغط على الاتحاد السوفيتى ، ويذكر كيسنجر بأن التحفظ فى اقامة علاقات اقتصادية واسعة مع الاتحاد السوفيتي وحجب شرط الدولة الأكثر رعاية عنه قد فشل فى الماضى « فانكار العلاقات الاقتصادية لا يمكن فى حد ذاته تحقيق مافشلت فى تحقيقه حين كانت جزءا من سياسة المواجهة السياسية والعسكرية . والقدرة على المساومة التى تقدمها سياسة الدولة الأكثر رعاية طفيفة فهذا المبدأ لا يمنح امتيازا خاصا للاتحاد السوفيتي وتطبيقه لا يعنى الا ازالة تمييز قام منذ الحرب الباردة والاستمرار فى انكاره انما يمثل تصرفا سياسيا أكثر منه اقتصاديا والمزايا الاقتصادية ليست طريقا ذا اتجاه واحد فلا بد أن تعمل قوانين المزايا المتبادلة والا فلن تكون هناك تجارة » (١) .

وينظر كيسنجر الى الوفاق كعملية مستمرة ومتصلة وان تقدمه انما يشترط باعتبارات يجب مراعاتها وشروط يجب ان تتحقق أهمها ان الوفاق يجب ان لا يؤخذ كأمر مضمون والا فقد يصيبه الشلل « .. فكلما انطوت الحرب الباردة من الذاكرة فقد يصبح الوفاق أمرا طبيعيا وبشكل قد يبدو انه من الممكن تحميله بمطالب متزايدة . ان اغراء ربط الوفاق بمزيد من الضغط على الاتحاد السوفيتي سوف يستمر ، مثل هذا الاتجاه سيكون كارثة ، انه لن تقبله لا موسكو وموسكو لن تقبله منا وسوف تتحول فى النهاية الى الحرب الباردة وستفشل فى تحقيق سلام أو أى هدف انسانى » ، والاعتبار الثانى هو ضرورة ادراك ان الوفاق عملية مستمرة وليست انجازا نهائيا وان جدول أعمالها ملىء ومستمر والاهتمام الأساسى فيه يجب أن يكون « خفض مصادر الصراع المحتمل وهو ما يتطلب جهودا فى عدد من المناطق المتداخلة : ـ

ـ فالمنافسة العسكرية فى كل مظاهرها يجب أن تخضع لضبط متزايد وصارم من كلا الجانبين .

ـ والمنافسة السياسية وخاصة في أوقات الأزمات يجب أن تسترشد بمبادىء ضبط النفس التى صيغت فى مبادىء العلاقات ، ان ضبط النفس خلال الأزمة يجب أن يقوى للتعاون فى ازالة أسبابها » (٢) .

---

(١) Survival, Feb. op. cit.,

(٢) — Ibid.

ويركز كيسنجر بشكل خاص على ضرورة مراعاة القوتين لضبط النفس خلال الأزمات « ان الوفاق يتطلب تفاديا لمواقف الأزمات ويفرض على كلا القوتين الأعظم مسئولية ضبط النفس ومقاومة الاغراء بتحقيق فائدة منفردة على حساب الآخر . فنحن نعلم من التاريخ ان القوى العظمى لن تقبل انتقاص أمنها أو اعتراض مصالحها وذلك ان عاجلا أو آجلا فان انتقامها سيحل ، وتبدأ سلسلة من الفعل ورد الفعل والتى كانت بالتحديد سبب الكارثة فى الماضي .. » (1)

الى جانب هذا التوضيح والتحليل الشامل لمفهوم الوفاق وعناصره يدافع كيسنجر عن الوفاق وبالشكل الذي مورس به خلال ادارتى نيكسون وفورد ويرد على ما يثيره منتقدي هذه السياسة .

وكما رأينا فان الأساس الذى يرتكز عليه منتقدو الوفاق انها سياسة تسير في اتجاه واحد تحقق فيه مصلحة الاتحاد السوفيتى فقط وانه يستغل هذه السياسة لمد نفوذه وتثبيت مصالحه . ويرد كيسنجر على ذلك بقوله :

« ان الوفاق لم يكن يوما طريقا ذا اتجاه واحد ، بل اننى واثق انهم فى موسكو يواجهون نفس هذا النقد . ان الاتفاقيات التى تمت مع الاتحاد السوفيتي قامت على أساس من المصلحة المتبادلة فكل جانب قد استفاد منها وبعض الأحداث التى وقعت فى العالم وجاءت ضد مصلحتنا كان سببها السوفيت وبعضها الآخر لم يكونوا سببا لها وانما حدثت لفشلنا فى ان نتخذ الاجراء المناسب ازاء هذه الأحداث ولهذا فانه يجب أن نلوم أنفسنا » ويفسر كيسنجر هذه فى ضوء عدد من المواضيع والأزمات العالمية التى تصادمت فيها مصالح الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة « .. ان فيتنام لم يتسبب فيها الروس . ان لها أسبابا عديدة تعتبر التصرفات السوفيتية جانبا منها . وفى البرتغال فان السوفيت لم يتسببوا فى الموقف هناك وانما تسبب فيه التطور الداخلى للبرتغال . فاذا لم نكن قد ساعدنا القوى الديموقراطية بما فيه الكفاية ، فان هذا يكمن فى نظامنا الداخلى لا عند الاتحاد السوفيتى . أما فى الشرق الأوسط ، فاننى لن اندهش اذا كان هناك فى موسكو أصواتا تعتقد اننا نستخدم الوفاق لتحسين موقفنا . وعلى أى حال فانه ليس واضحا لى

---

(1) [illegible] Ibid —

علي العكس فيما يتعلق بنا ان الاتحاد السوفيتي قد حسن موقفه فى الشرق الاوسط فى العامين الاخيرين (×) ان العكس قد يبدو ... (١).

ويوافق كيسنجر بداءة على القول بان مفهوم الاتحاد السوفيتي للوفاق يخالف مفهوم الولايات المتحدة ، وان السياسة السوفيتية تستهدف من الوفاق دفع الأهداف السوفيتية ، الا انه لا يعتبر ان هذا يبرر التخلي عن سياسة الوفاق « ففى عالم فى مقدور الأسلحة الذرية فيه تدمير البشرية ، وحيث فى قرن واحد لجأت البشرية مرتين الى القوة الوحشية وعلى نطاق لم يسبق له مثيل ، وفى عصر تحولت فيه الايديلوجية السياسية الداخلية للامم الى مشكلات ونزاع دولى ، فى ضوء هذا فان مشكلة السلام تتضمن صعابا معنوية وعملية عميقة وتظل المشكلة بالتأكيد ما اذا كان السلام والاستقرار يضمن الأهداف السوفيتية او أنه يخدم كذلك أهدافنا » (٢) . وبالنسبة لكيسنجر فانه ايا كانت الأسباب التى دفعت القادة السوفيت الى الارتباط بسياسة التعايش السلمي وتأكيدها فانه كدارس للتاريخ يدرك ان أي مجتمع ليس محصنا ضد قوانين التغير والحركة ، كما كان يعتقد ان الافتقار الى المبادرة كانت هي نقطة الضعف الرئيسية في الدبلوماسية الأمريكية في الحقبة الأخيرة وكان يتساءل : ماذا حتى لو اعتبر القادة السوفيت التعايش السلمى كمرحلة تكتيكية فى استراتيجاتهم النهائية لتوسيع نفوذهم وقوتهم السياسية ؟ أليس من الممكن ان فترة طويلة من التعايش السلمي سوف تحرك اتجاهات داخلية لا يمكن الرجوع عنها فى النظام السوفيتى ، ليس هبعا فى عام أو عامين وانما فى منظور حقبة عدة ؟ واليس من الصحيح ان القيادة السوفيتية قد أصبحت بيروقراطية الى الى حد بعيد توجهها السياسة العملية والضرورة والمصلحة الذاتية المتنورة ؟ ألا يمكن للسياسة الأمريكية ان تؤثر فى السياسة السوفيتية بتدعيمها وتقويتها للعناصر

(×) يشير كيسنجر فى هذا الى التطورات التى حدثت فى الشرق الاوسط عقب حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ وبشكل خاص فيما يتعلق بتحول علاقة مصر بكل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وكذلك بالدور الرئيسى الذى قامت به الولايات المتحدة فى خطوات التسوية السياسية التى تمت عقب حرب اكتوبر فيما عرف بعملية فض الاشتباك على كل من الجبهتين المصرية والسورية مع اسرائيل .

(١) — Depatcmet of state Bulltien No. 1890, July 7, p. 17.

(٢) — Ibid, No. 1884, August 4, 1975, p. 166.

والقوى البرجمانية فى هذه السياسة ضد القـــوى المنـــاوئة لها من الدوجماطيتين ؟ (١) ٠

وفى الجانب الذى يتعرض له منتقدو الوفاق فيما ســيعود على الاتحاد السوفيتى من فوائد اقتصادية وتكنولوجية نتيجة العلاقات التجارية والتكنولوجية التى ستصاحب الوفاق يرد كيسنجر على ذلك بقوله « ان التكنولوجيا التى سيتلقاها الاتحاد السوفيتى نتيجة لتوسيع التجارة بين البلدين قد يكون لها استعمالات غير مباشرة فى الانتاج العسكرى ، ولكن بالقيود التى نفرضها على الصادرات الاستراتيجية نستطيع ان نحتفظ بتحكم مناسب ٠ وزيادة على ذلك فان نفس التكنولوجيا قد أصبحت متاحة للاتحاد السوفيتى من مصادر غير شيوعيه ، فالمقاطعه اذن ستحرمنا من وسيلة للتأثير ومن مكسب اقتصادى ممكن ولكنها لن تجرد الاتحاد السوفيتى من التكنولوجيا » ويستخدم كيسنجر نفس المنطق فى الرد على ما سيعود على الاتحاد السوفيتى من القروض المالية الأمريكية « فهى تمثل جزءا ضئيلا من رأس المال المتاح للاتحاد السوفيتى داخليا ومن الخارج بما فى ذلك غ ب أوربا واليابان ، الا أن هذا يسمح لنا أن نمارس بعض النفوذ من خلال قدرتنا على التحكم فى نطاق علاقات التجارة ٠ وبمرور الزمن ، فان التجارة والاستثمار قد يخفضان من الاتجاهات الاستكفائية للنظام السوفيتى ويمهدان للارتباط العضوى للاقتصـــاد الســـوفيتى بالاقتصاد العالمى ، ويضيفان درجة من الارتباط التى تضيف عنصرا من الاستقرار للمعادلة السياسية » (٢) ٠

وفى المجال الاوربى فان الاتحاد السوفيتى فيما يقـــول منتقدو سياسة الوفاق قد استخدم هذه السياسة فى دفع الولايات المتحدة الى الموافقة على ما انتهى اليه مؤتمر الأمن والتعاون الأوربى من اتفاقات حول الأوضاع فى شرق أوربا ووسطها وهى الاتفاقات التى اعتبروها تثبيتا نهائيا لما انتهت اليه الحرب العالمية الثـانية من وجود سوفيتى فى شرق أوربا ٠

ويجيب كيسنجر على هذا بان « ما نطلق عليه مشكلة هلسنكى يجب ان تؤخذ فى اطار تطور العلاقات بين الشرق والغـــرب ، فقد استخدمناها للوصول الى اتفاق برلين وجعلنا الوصول الى هذا الاتفاق

---

(١) Laquer, Walter, «Confrontation», op. cit., pp. 134-135.

(٢) Survival, Feb. 1975, op. cit.

شرطا للبدء في محادثات الخفض المتبادل للقوات فى أوربا الأمر الذى أدى الى تهدئة موقف متفجر ، وفيما يتعلق بالحدود فان هلسنكى لم تصدق على شيء لم يصدق عليه من قبل في يالتا اوبوتسدام وفى معاهدات السلام » (١) ويضيف « ان الموقف السوفيتى فى شرق أوربا يعتمد على السيطرة العسكرية التامة وعلى التاريخ منذ عام ١٩٥٠ وهو التاريخ الذى جعل من الواضح ان الاتحاد السوفيتى لن يتسامح مع أي تصدع لشكل الحكومات فيه وان الغرب لن يتدخل اذا ما أكد الاتحاد السوفيتى هذا الموقف عسكريا » (*) . ويرد كيسنجر على الكاتب الروسى الكسندر سولجنتسين الذى يهاجم سياسة الوفاق (*) ويعتبرها تهديدا للغرب

---

(١) Departement of state Bulletin, No. 1899, Nov. 17 1975, p. 693.

(×) ذهبت سياسة كيسنجر فى هذه النقطة الى أبعد من هذا ، ففى بيان القاه مستشاره ويده اليمنى لشئون الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا ، سونتفيلدت أمام اجتماع للسفراء الأمريكيين فى لندن تعرض لطابع العلاقة التى اقامها الاتحاد السوفيتى مع اقطار أوربا الشرقية فقال انه لأن دول شرق أوربا تقع فى نطاق المصالح الطبيعية للاتحاد السوفيتى ، لذلك فان السياسة الأمريكية يجب أن تقوم على الاستجابة لامانى شعوب شرق أوربا فى مزيد من الذاتية ولكن فى نطاق النفوذ السياسى والجغرافى للاتحاد السوفيتى . International Herald Tribune, April 2, 1976.

(×) الكسندر سولجنتسين هو الكاتب الروسى والذى يعتبر من أبرز جماعات المنشقين Dissidents على النظام السوفيتى وقد نفته الحكومة السوفيتية عام ١٩٧٤ وراح يطوف بلدان غرب أوربا والولايات المتحدة محذرا ومهاجما سياستها فى الوفاق مع الاتحاد السوفيتى ومعتبرا أن تقبل أمريكا ـ والغرب لهذه السياسة هى افلاس منهما وهى شبيهه بسياسة التهدئة التى اتبعت مع هتلر ، ويعتبر سولجنتسين ان سياسة الوفاق سوف تؤدى الى تدعيم النظام السوفيتى واتجاهاته الشمولية : راجع فى هذا احاديث سولجنتسين خلال زيارته لانجلترا عام ١٩٧٦ : ـ
« Alexa-d r-a-l-zhe-itsyn : on the brink of Ctaslysm », The Listener, March 25, 1976, p. 357.

غير أن عددا من المنشقين السوفيت البارزين لا يشاركون سولجنتسين هذا ـ الموقف من الوفاق ، يعتبر روى مديفديف Roy Medevedev ان الوفاق سيكون له فى النهاية تاثير حسن على الوضع والتطورات الداخلية فى الاتحاد السوفيتى ويعتبر آن «الستالينيين الجدد» فى الاتحاد السوفيى هم الذين يعارضون الوفاق ويحاولون تعديل قرارات المؤتمر العشرين واحياء السالينية وقيام قيادة صارمة ونظام قوى وقطع كل الصلات من كل نوع مع الغرب ويريدون فى الواقع استئناف الحرب الباردة .
Medevedev, Roy, « On Soviet Democracy », pp. XI, 52.

أما العالم السوفيتى المنشق أندريه زخاروف فهو يعتبر « انه لا يجب نسيان أن الوفاق فقط هو الذى خلق الظروف على الاقل لأثر ضعيف على سياسات الاقطار الشيوعية. ان المراجع عن الوفاق سيكون كارثة » . (Newsweek, March 14, 1977).

بقوله « ان الأخذ بتحذيرات سولجنتسين يعنى ان الولايات المتحدة يجب ان تتبع سياسة عدوانية لقلب النظام السوفيتي وتصبح فى مواجهة تهديد بصراع عسكرى » (١) ٠

كما يرد على من يدعون بان الولايات المتحدة قد تخلت فى اتباعها سياسة الوفاق بين الاتحاد السوفيتى عن الجانب الاخلاقى بقوله « اننا أمة واحدة بين عديد من الأمم ، وفى هذا يجب ان نتخلى عن الوهم القائل ان السياسة الخارجية تستطيع ان تختار بين الاخلاقية والعملية ٠٠ ان اى أمة ليس لديها احتكار للفضيلة والعدالة وفى العصر النووى خاصة فان الدبلوماسية انما تتضمن التنازلات المتبادلة والحلول الوسط للمبادىء المتصادمة » (٢) ٠

ويعتبر كيسنجر ان عددا من المفاهيم الخاطئة تحيط بسياسة الوفاق وتثير التشويش حول عناصرها ودوافعها « ان الوفاق يعانى من عدد من المفاهيم السيئة ، ومن التبسيطات ، احدها هو الاعتقاد بان الوفاق هو فضل منا نضفيه على الاتحاد السوفيتى ، واننانستطيع ان نسحبه عقابا له ٠ والحقيقة هى اننا نحاول ان نمارس سياسة خارجية متجهة نحو وقائع العصر واحدى هذه الوقائع ان الاتحاد السوفيتى هو احدى الدولتين الأعظم التى لا يمكن لامكانياتها العسكرية ان تزال بشكل فعال وبهجوم مفاجىء شأنه شأن الوضع معنا تماما ٠ ومادام الأمر كذلك فان اشتعال حرب بيننا سوفيتضمن خطرا انتحاريا جسيما ٠ هذا بالاضافة الى ان الولايات المتحدة لم تعد قوة مسيطرة بشكل ساحق ، رغم انها قد تكون أغنى دولة ٠ ثم ان منع التوسع السوفيتى الذى ظل هدفا أساسيا لنا يجب ان يمارس الآن بشكل أكثر تعقيدا عما كانت عليه الحال فى الاربعينات أو الخمسينات فلم يعد العالم متماسكا متجانسا وهو ليس العالم الذى نستطيع فيه ان نسيطر على المدنيـــة الأوربية مثلا (٣) ٠ وأخيرا فان علينا أن نراعى ما مر به هـذا البلد فى فيتنام ووترجيت » (*) ٠

---

(١) — Departement of state Bulletin, No. 1899, Nov 17. 1975, p. 993.

(٢) — Sergfatg, Simon, « The Kissinger legacy, old obsession and new Look », The world today, March 1977, p. 82.

(٣) Departement of state Bulletin, No. 1886, July 7, 1975. p. 100.

(×) كان كيسنجر يبدو قلقا من أثر التطورات الداخلية والتاثيرات التى تحدثها عدد من المؤسسات الأمريكية على قدرة رئيس الجمهورية ووزير خارجيته على ـ ممارسة =

ثم يواجه كيسنجر منتقدى الوفاق بالسؤال الحاسم الذى لا يكف عن طرحه وهو : ما هو البديل ؟ « .. ان على منتقدى الوفاق ان يجيبوا ما هو البديل الذى يقترحونه .. ؟ ما هى السياسات المحددة التى يريدون منا ان نغيرها ؟ هل هم مستعدون للعودة للازمات المستمرة ولميزانيات الحرب الباردة ؟ هل شجع الوفاق القهر أم ان الوفاق هو الذى حرك المطالبة بالانفتاح الذى نشهده الآن ؟ هل يمكن أن نطالب شعبنا بان يؤيد المواجهة دون ان نتأكد من ان كل بديل معقول قد استكشف » (١) .

ولا يقف هنرى كيسنجر وحيدا فى الدفاع عن الوفاق الأمريكى السوفيتى وشرح جوانبه وعناصره الايجابية حيث يشاركه عدد من الساسة والشخصيات المرموقة فى السياسة والدبلوماسية الامريكية .. ومن أبرز هؤلاء الدبلوماسى والمؤرخ الامريكى جورج كينان وأبرز من درسوا وكتبوا عن التاريخ والسياسة الروسية منذ الثلاثينات وشاركوا فى صياغة السياسة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفيتى فى أدق مراحلها (*) ..

= سياسة خارجية فعالة وكان يقصد بهذا التحريات التى تقوم بها وكالة المخابرات المركزية وما كشفت عنه ومطالبة الكونجرس بالمسئولية والسلطة والشئون الخارجية والتى كانت حقا محتفظا به للسلطة التنفيذية ثم أخيرا تدهور سلطة شخصيات الحكم الذى أعقب ووترجيت وفيتنام ، راجع : ـ

Osporne, John, « White house Watch : the Ford Years », New R.public books, washington, 1977, p. 270.

— Departement of state Bulletin, N. 1886, July 7, 1975, p. 27.

(×) من المفارقات التاريخية ذات الدلالة البليغة على تطور علاقات القوى بين القوتين الأعظم وتطور المفاهيم حول الأسلوب والشكل الذى تاخذه علاقاتهما أن يصبح كلا من جورج كينان وهنرى كيسنجر من دعاة الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والمدافعين عنه .

وقد أشرنا من قبل الى أن كينان منذ شبابه وكما كتب عام ١٩٣١ ، كان يرى النظام الحالى فى روسيا « معارضا بشكل لا يتغير لنظامنا التقليدى وانه لا يمكن أن يكون هناك ارض مشتركة او مساومة بيننا وبينه » .

كما انه كان من أبرز المنظرين لسياسة الاحتواء التى كانت دعامة الحرب الباردة وتطوراتها . غير أن كينان بدأ يراجع مواقفه ويعيد تقييمها فى ضوء التطورات التى جرت فى عناصر قوة الخصم ، فقد كتب عام ١٩٥٨ ـ « منذ عشر سنوات حين كتبت مقالتى التى عرفت بـ X Article (يقصد بذلك مقالته عن مصادر السلوك السوفيتى . والتى نشرها فى فبراير عام ١٩٤٧ فى مجلة الـ foreign Affairs تحت اسم مستعار هو ×) ، كنت مجبرا أن الفت النظر الى مظاهر القصور التى كانت تكتنف فى =

ويعتبر جورج كينان ان من المقدمات التي تجعله اليوم يؤيد اقامة علاقات عمليه ومتوازنه بين كل من القوتين الأعظم هو حدوث بعض التغيرات ــ وان لم تكن واسعة ــ فى طبيعة النظام والسلطة السوفيتية ،

= هذا الوقت التطور الاقتصادى السوفيتي : ضخامة التدمير خلال الحرب ، الأعياء الروحى والمادى لشعب السوفيتى ، عدم التطور المتوازى للاقتصاد السوفيتى وحالته المحزنة . واليوم أجدنى مضطرا لأن اعترف أن التطور الاقتصادى السوفيتى فى السنوات التالية وفى وجهة كل هذه الوفيات قد تعدى كل شيىء فكرت عندئذ انه ممكن . فعلى مدى ١٢ عاما نجح الشعب السوفيتى لا فى الشفاء من خراب الحرب ولكن فى السير قدما فى برنامج تصنيع جعل روسيا الدولة التالية للولايات المتحدة فى الانتاج الصناعى بوجه عام ومساوية لها تقريبا فى انتاج السلع الحربية وقد جاء الاطلاق الأخير للاقمار الصناعية كاشفا فى بعض الوجوه عن هذا النجاح الاقتصادى المؤثر .. راجع فى هذا :
Kennan, George, « Rugsia, The Atom and the west », Harber, 1958, p. 1-2.
كذلك تعرض كينان فى مذكراته لدوره فى سياسة الاحتواء فانتقد فهم الرئاسيين لها ان جانب من الفشل الذى أصاب نظرية الاحتواء يرجع الى عجز الحكومة الأمريكية عن أن تدرك التهديد السياسى فى حد ذاته ولجوئها الى معاملته بالوسائل العسكرية ، ولسيطرة هذه الاعتبارات العسكرية عليها فقد واصلت تقسيم أوربا الأمر الذى كان يجب أن تهتم بازالته وحين استعملت عبارة Soviet power فى مقالة X . كان فى ذهنى طبعا نظام الثورة الذى أقامه وسيطر عليه ستالين والذى كان نظاما متلاحما Monolithic يقوم على شبكة من الأحزاب الشيوعية المنظمة فى كل بلد فى العالم .. غير أن خروج تيتو من المعسكر ، وبروز الصراع الصينى السوفيتى جعل الموقف داخل الحركة الشيوعية العالمية مختلفا بشكل جذرى .. هذا التطور غير بشكل جذرى الافتراضات التى ميزت مفهوم الاحتواء كما عبرت عنه فى مقالة X .. فليس هناك اليوم مثل هذه الشيوعية بالمعنى الذى كان قائما عام ١٩٤٧ . ان هناك فقط عدد من الأحزاب القومية التى تغلف نفسها بازياء الماركسية المتطرفة وتتبع سياسات داخلية متأثرة بدرجة أو باخرى بالمفاهيم الماركسية ، ويختتم كينان مراجعته تلك بقوله .. فاذا كنت اذن صاحب نظرية الاحتواء عام ١٤٩٧ ، فان هذه النظرية قد فقدت معظم منطقها بموت ستالين وبتطور النزاع السوفيتى الصينى . اننى انكر بشدة أبوتى لأى جهود لاثارة هذه النظرية اليوم فى مواقف ليس لى بها أى علاقة » على أنه كما عاود كينان تقييم مواقفه وآرائه فى ضوء الظروف التى طرأت
Kennan, « Memorirs, 1925-1950, » op. cit., pp. 364-367.
على علاقات القوتين وعلى قوة الاتحاد السوفيتى وتغير طابع العلاقات داخل المعسكر الشيوعى والذى جعله يقول انه حين استخدمت عبارة Containment منذ ٣٢ عاما فقد فعلت ذلك اشارة الى سياق محدد من الظروف التى لا يقوم منها الا القليل فى الموقف الذى نواجهه اليوم . كذلك يفسر كسينجر موقفه وهو رجل دولة وممارس لسياسة الوفاق وداعيه له « ببروز الاتحاد السوفيتي وتقلده مكانه الدولة الأعظم Superpower وهى الحقيقة التى أصبحت واضحة فقط فى السبعينات والتى يتعين علينا التعامل معها » .
راجع : ــ
Departement of state Bulletin, No. 1908, January 19, 1975, p. 70.

ويعتقد بان من لا يستطيع ان يرى ويقدر المدى الحقيقي للخلاف بين روسيا اليوم وروسيا في أعلى مراحل الحكم الستاليني يعني ان لديه فكرة فقيرة جدا عن هذه الظاهرة (١) • ويفصل كينان هذا بقوله انه منذ ثلاثين عاما كان المسرح السوفيتي يسيطر عليه شخصية واحــدة عظيمة هي شخصية ستالين الذى أقام نظاما من أكثر النظم شــمولية في عصرنا ولم يتوقف هذا النظام عند حدود روسيا ولكنه امتد بالموافقة الضمنية للولايات المتحدة — الى النصف الباقي من القارة الاوربية ولم يكن أحدا متأكدا عام ١٩٤٧ ان هذا سيتوقف ، ويحدد كينان ان هذا الموقف لم يكن يمثل خطر غزو عسكرى وان المشكلة الرئيسية كانت في حالة الاهتزاز وانعدام الثقة التى سيطرت على أوربا الغربية عقب الحرب وجعلتها مستعدة لان تندفع نحو الاحزاب الشيوعية اذا ما تأكد لديها الانطباع ان هذه الاحزاب تمثل موجة المستقبل ، ويضيف كينان الى هذا ان موسكو وستالين شخصيا كان يمتلك السيطرة والاحتكار على الحركة الشيوعية العالمية وهى السيطرة التى كانت تعنى ان أى نجاح لأى حزب شيوعى فى أى مكان للاستيلاء على السلطة يجب ان ينظر اليه كمعادل فى أثره لغزو عسكرى من جانب الاتحاد السوفيتى (٢) •

ويورد كينان هذه الظروف لكى يوضح ما يعتبره تغيرات ضخمة وقعت خلال الثلاثين عاما حيث رغم ان الاتحاد السوفيتى قد بقى نظاما شموليا ،لا ان ثمة القليل جدا مما يرى اليوم من مظاهر الحكم الستالينى، بل ويعتبر ان النظام يرأسه اليوم « رجل معتدل ومحافظ وهو رجل الوسط وموازن ماهر بين القوى السياسية• بل ان كينان يذهب الى انه رجل « ينظر اليه بثقة من جميع من عرفوه كرجل سلام » (٣) •

ويعتقد كينان ان ضرورة ادراك حدوث هذا التغير فى طبيعة السلطة السوفيتية وممارساتها الداخلية انما تأتى من الخطورة التى تأتى من انكار حدوث مثل هذا التغيير ، وان هذا الانكار في حد ذاته يشــكل حاجزا فعالا ضد تحقيق أى اتفاق مع هذه السلطة فى الحقل السياسى والعسكرى ، واعتبار أنه سيكون من الخطأ أو العقم البحث عن مثل هذا الاتفاق مع مثل هذا النظام الشرير ، وبالتالى فان المشكلات معه يجب أن

---

(١) — Kennan, «A Last warning», Encounter July 78, p. 15.

(٢) — Kennan, « Mr. X reconsider, Acurrent assessement of soviet American Relations» Encounter, March, 1978, p. 8.

(٣) — Ibid.

تحسم فقط عن طريق المنافسة العسكرية التي لا تتوقف والتي لا نهاية لها الا المواجهة العسكرية والسياسية ٠ (١) ٠

ويرى كينان ان مواجهة الولايات المتحدة والغرب للمشكلة التي تمثلها روسيا السوفيتية يجب ان يعتمد على ادراك ان طبيعة النظام السوفيتي يجب أن يؤخذ كشيء جوهرى ومن معطيات المشكلة نفسها وان يكون الهدف لا محاولة فرض ثغرات مفاجئة وجذرية فى النظام ـ العميق الجذور والتقاليد والعادات ـ الروسية ـ وانما لايجاد وسائل للتعايش السلمى معه مما يعفي العالم من أهوال صراع نووى (٢) ٠

على أنه على الرغم مما يتمسك به كينان من تحقق تغيرات فى طبيعة السلطة السوفيتية وفى انتهاء سيطرة واحتكار موسكو على الحركة الشيوعية الدولية واحياء أوربا من جديد ، وهى التغيرات التى اتجهت الى تحسين الامكانيات الموضوعية لاقامة علاقات أفضل بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، الا انه يعتبر ان هذا لا يعنى امكانيات التطبيع الكامل لهذه العلاقات حيث يقف أمام ذلك عقبات تاريخية وسيكلوجية وايديلوجية ، وانه قد كان هناك دائما وما زال حتى اليوم منطقة لا يمكن ان يتحقق فيها صداقة سياسية كاملة بحيث تظل المصالح متنافسة بل ومتصارعة فى جزء منها ٠ غير ان قيام منطقة التنافس تلك لا يلغى وجود منطقة تتوافق فيها المصالح بشكل كبير ويصبح فيها التعاون المحدود ممكنا ، وان فى ضوء التطورات التى حدثت فان هذه المنطقة قد اتجهت الى النمو ببطء ولكن بثبات (٣) ٠

وهكذا يعتبر كينان ان مشكلة المعارضين للوفاق السوفيتى الامريكى هى فى انهم غير مدركين للتغيرات التى حدثت فى العلاقات السوفيتية الأمريكية ما بين ١٩٤٧ ـ ١٩٧٧ ، وفى تناولهم لمشكلات العلاقات الأمريكية السوفيتية بنفس المنطق الذى كان مستخدما في قمة الحرب الباردة ، أو فى رغبتهم فى ان يروا السياسة الأمريكية متجهة لا الى التكيف مع السلطة السوفيتية كما هى وملاءمة العلاقات معها وانما الى تغيير طبيعة النظام السوفيتى ، وما هو أكثر أهمية فى رؤيتهم للعلاقة الامريكية السوفيتية كعلاقة منافسة عسكرية ولا يرون فيها أى قيم ذات أهمية

---

(١) Kennan « A last warni-g, Encounter, op. cit., p. 15.

(٢) — Ibid, p. 15-16.

(٣) — Ibid, p. 8.

أو امكانيات أكثر من تلك المتعلقة بافتراض تصميم القيادة السوفيتية على الوصول الى نوع ما من التفوق العسكرى على التحالف مع الناتو (١) .

أما الشخصية الأمريكية الثانية ذات التاريخ الدبلوماسى الطويل فى التعامل مع الاتحاد السوفيتى والتى تقف اليوم مؤيدة لسياسة الوفاق فهو السفير الامريكى السابق افريل هاريمان (*) ، ففى شهادته أمام لجنة استماع فى الكونجرس الأمريكى اعتبر هاريمان « إن هدفنا الرئيسى يجب أن يكون اتخاذ خطوات الخفض الى أدنى مستوى ان لم تكن تصفيه امكانية حرب نووية . اننا يجب ان لا ندع اعتبارات أخرى ان تحولنا عن هذا الهدف ايا كان أهميتها وايا كانت العواطف التى تحملها عن ممارساتهم فى داخل بلدهم .. » (٢) وواضح ان هاريمان انما يشير الى الاعتبارات التى يثيرها معارضو الوفاق مع الاتحاد السوفيتى حول طبيعة النظام السوفيتى بوجه عام وممارساته التى يرونها ماسة بحقوق الانسان .

الى جانب هذه الشخصيات الامريكية ذات التاريخ الدبلوماسى الطويل فى التعامل مع الاتحاد السوفيتى والتى قامت بدور بارز فى العلاقات السوفيتية الامريكيه ، نجد ايضا شخصيات فى مجال آخر وهو المعاهد الدراسيه المتخصصه فى الشئون السوفيتيه تتبنى موقفا مؤيدا لسياسة الوفاق وان كانت بدرجات مختلفة من حيث نقاط التركيز واسلوب التناول .

ومن ابرز هذه الشخصيات ماريشال شولمان مدير المعهد الروسى فى جامعه كولومبيا ، و Adam Ulam مدير مركز البحوث الروسية فى جامعة هارفارد . ويقول البروفيسور شولمان « انه فى صالح الولايات المتحدة بشكل أكثر أن يكون الاتحاد السوفيتى على طريق الوفاق بكل ما يعتريه من غموض وأخطار أكثر من أن يتبع سياسة أكثر نشاطا واستغلالا لمناطق الاضطراب فى العالم . وفى علاقاتنا بالاتحاد السوفيتى

(١) Kennan, « Mr. —. Reconsider », op. cit., p. 10. —

(×) تعامل السفير هاريمان مع القادة السوفيت على مدى خمسين عاما والتقى بمعظمهم ابتداء من ترونسكى ، كما اجتمع لمرات عديدة مع ستالين خلال الحرب وتفاوض مع خروشوف حول اتفاقية خطر التجارب النووية كما عرف كوسيجين منذ عام ١٩٤٢ والتقى مؤخرا ببرجينيف .

(٢) Detente, Hearings, op. cit., p. 7. —

فان أكثر الأخطار خطورة والحاحا هى امكانية الحرب النووية ولهذا فان الاولويه الاولى وأيا كانت طبيعيه النظام السوفيتى يجب أن تكون وقف الانحدار الحالى الى تكنولوجيا عسكريه غير مستقره وغير متحكما فيها والى ترسانات عسكرية أوسع ٠٠ » (١) ٠ وهو فى الوقت الذى يعترف فيه بالطبيعة التنافسيه فى العلاقة السوفيتية الامريكيه الا انه يعتبر ان هذا التنافس « يمكن أن يتم بشكل فعال تحت ظروف من التوتر المنخفض والعمل فى نفس الوقت على دعم الضمانات ضد وقوع كارثة ذرية وفى هذا المجال الحاسم فان مصالح الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ليست متصارعة » (٢) ٠

أما البروفيسور Ulam فهو يحبذ ما يسميه بالوفاق الضرورى Necesseray Detente وهو الحاجة المطلقة للقوتين الاعظم فى صياغة أساليب لا لتفادى الصراع النووى فحسب وانما أيضا المواقف الدولية التى يمكن أن تؤدى اليها » (٢)

ويتبنى السناتور الأمريكى الراحل روبرت همفرى مفهوما للوفاق عبر عنه فى أوائل السبعينات ، يعتمد على اعتقاده ان التغيرات فى الموقف الدولى من المحتمل ان تؤدى الى خفض للتوتر بين واشنطون وموسكو ، كما ان ثمة ضغوطا داخلية وعوامل خارجية جديدة تتيح معا مزيدا من التكيف بين البلدين وهو تكيف يراه ممكن الحدوث من تلازم فى مصالح ، وان كانت هذه المصالح ليست متوافقة ولن تكون كذلك باعتبار ما للقوتين الأعظم من حضارات وتقاليد مختلفة وكذا ايديلوجيات متنافسة (٤) ويعتبر السناتور همفرى ان تطور مثل هذا الاطار من العلاقة بين البلدين يعتمد على انفتاح عقول القادة السوفيت والامريكيين واستعدادهم لخفض التوتر ومن ثم تقليل فرص المواجهة ، وفى هذا يرى انه ليس من الضرورى لصناع السياسة فى موسكو وواشنطون ان يحبوا بعضهم بعضا أو أن يقدموا تضحيات غير عالية ولكن المهم هو أن يتصرفوا بشكل عقلانى وان لا يفقدوا رؤيتهم لصالح بلادهم ومن ثم مصالح المجتمع الدولى (٥) ٠

(١) — Cox, « The dynamics of detente », op. cit., p. 168.

(٢) — Detente, Hearings, op. cit., p. 103.

(٣) — Ibid, p. 115.

(٤) — Humphrey, Hubert, « The course of soviet foreign Policy and soviet-American relations in the 1970 », ORBIS, Spring, 1979,

(٥) p. 71.

كما يعتقد السناتور فولبرايت ، الذى رأس لجنة العلاقات الخارجية فى الكونجرس الامريكي لفترة طويلة ، ان كلا من خروشوف وحسانه كانوا محقصين فيما عبروا عنه من ان الحرب الايديلوجية يمكن ان تدار من خلال التنافس الاقتصادى السلمى ، كما يرى ان التصالح بين الشرق والغرب هو أولا قضية سيكلوجية وان بناء الجسور الاقتصادية والثقافية يمكن ان يمهد الطريق نحو توحيد أوربا حيث أصبح واضحا لكل جانب انه من الأكثر أمنا وكسبا التعامل مع الجانب الآخر وانه يمكن توقع تصدع الحواجز الايديوجية (١) ٠

وحول مفهوم العلاقات الاقتصادية والتجارية بين القوتين فى ظل علاقات الوفاق عبر وزير التجارة الامريكى بترسون بقوله « ان العلاقات الاقتصادية الوثيقة تحمل كلا من السبب والنتيجة فيما يتعلق بتخفيف التوتر السياسى ، ان التحسن فى العلاقات السياسية هو شرط أولى لعلاقات اقتصادية متحسنة ولكن حينما تقوم فان العلاقات الاقتصادية تخلق وحدة من المصالح التى تحسن بدورها البيئة اللازمة لمزيد من التقدم على الجانب السياسى (٢) ٠

كما يعتبر مساعد وزير التجارة الامريكى ادوارد آلن انه على عكس العلاقات الاقتصادية والتجارية الطبيعية فان لجوء الولايات المتحدة الى فرض قيود على التجارة مع الاتحاد السوفيتى كان ضارا بالولايات المتحدة وليس بالاقتصاد السوفيتى ، كما عبرت جريدة نيويورك تايمز عن أن حقبتين من قيود التجارة قد فشلت فى ان توقف التوسع السريع فى القوة السوفيتية العسكرية والاقتصادية والأثر الواضح الذى يمكن تمييزه لهذه القيود هو وضع رجال الأعمال الامريكيين فى موقف تنافس خطير وغير ملائم مع رجال الصناعة الغربيين واليابانيين الذين لم تقم حكوماتهم أى حواجز على ان تبيع للدول الشيوعية معظم السلع الموجودة على قائمة الممنوعات التى وضعتها واشنطون (٣) ٠

وهكذا يتضمن المفهوم الأمريكى للوفاق موقفين ووجهتى نظر ، تراه الاولى ـ وخاصة فى ضوء تطبيقاته منذ عام ١٩٧٢ ـ كتكتيك مرحلى من جانب الاتحاد السوفيتى وكسياسة يحقق بها كسبا سياسيا واقتصاديا

---

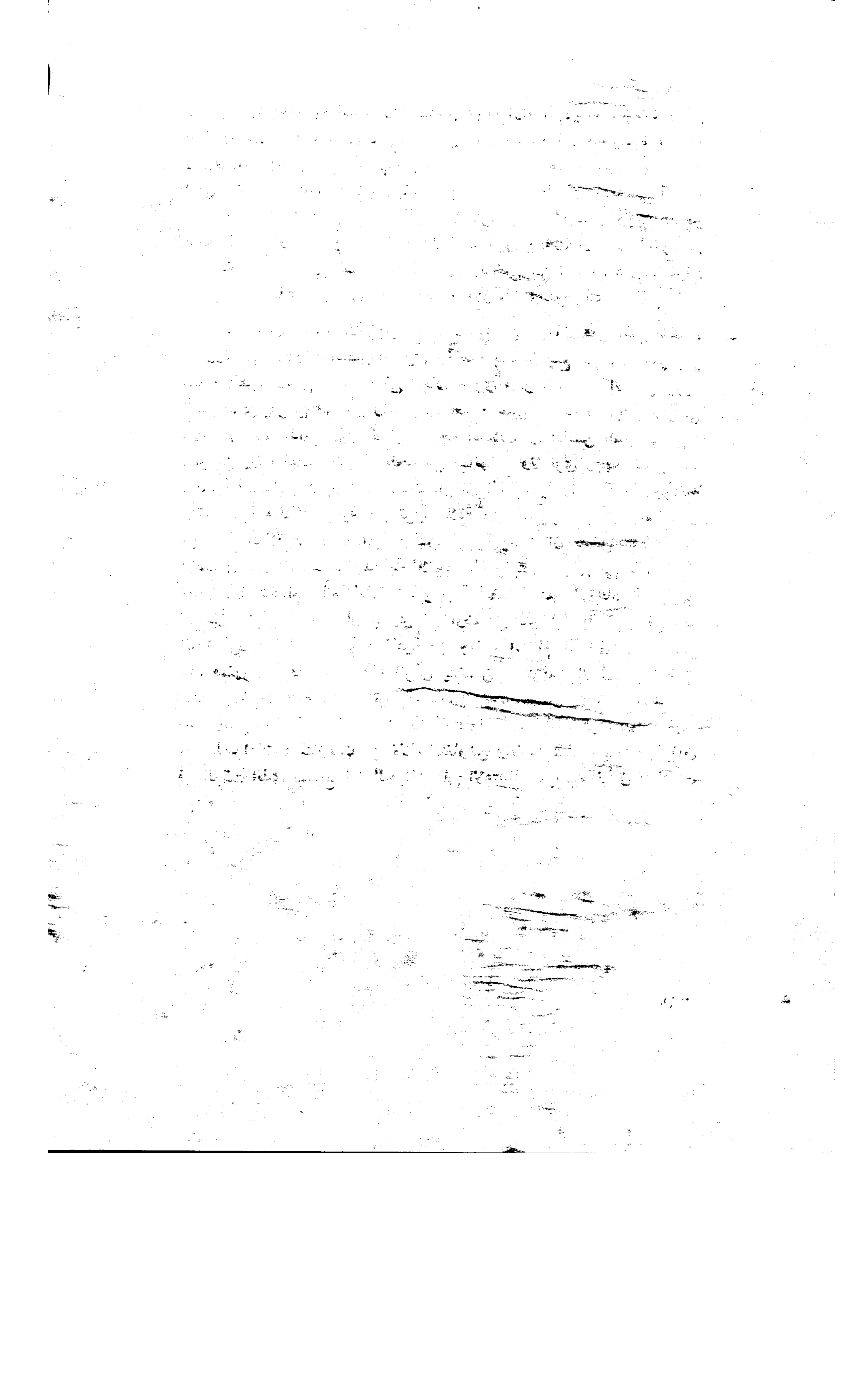
(١) — Laquer, walter, « New Igolationism.. », op. cit., p. 4.

(٢) — Browwn, « New Forces in world politics », op. cit., p. 69-70.

(٣) — Korinov, « The policy of peacful coexistence in action », op. cit., p. 90.

وتكنولوجيا يدعم به نظامه وعناصر قوته ازاء الولايات المتحدة وعلى حسابها في الوقت الذى لا يتخلى فيه عن خططه فى السيطرة العالمية وحربه الايديلوجية مع العالم الراسمالى وزيادة قواه العسكريه بمعدلات أعلى من الولايات المتحدة ، ويضحي بالوفاق وعلاقاته ومبادئه في أوقات الأزمات حين يتعارض مع مصالحه الاستراتيجية ، وتقدر وجهة النظر تلك ان الوفاق انما يصبح ذا معنى فقط حين يحدث الاتحاد السوفيتي تغيرات أساسية فى نظامه الداخلى ويتخلى عن اصراره على الصراع الايديلوجى الذى هو فى النهاية مصدر الأزمات والتوترات ٠

أما وجهة النظر الأمريكية الثانية من الوفاق فهى التي تعتبره ضرورة من ضرورات العصر النووى وخاصة بعد ان بلغ الاتحاد السوفيتي مكانة القوة الأعظم وخاصة في مجال حيوى وهو الأسلحة الاستراتيجية الأمر الذى يفرض التعامل والتعايش معه ٠ غير ان هذا التعايش لا يعنى عند أصحاب هذا المفهوم تصفية أوجه الخلاف والتنافس السياسى بين القوتين وانما فقط حصرها والحد من نطاقها ٠ ولا ترى وجهة النظر تلك امكانية الفصل بين جوانب علاقات الوفاق السياسية والعسكرية وجوانبه الاقتصادية والتكنولوجية بل ترى علاقة من التأثير المتبادل وتعتقد ان مجموعة العلاقات الاقتصادية والتكنولوجية يمكن ان تدخل عنصرا من الاعتدال على الممارسات الدولية للاتحاد السوفيتي ، وهي فى هذا المجال تعارض استخدام هذه العلاقات كوسيلة للضغط على الاتحاد السوفيتي لتحقيق تغيير مفاجىء أو جذرى فى أوضاعه الداخلية بل ترى فى هذا اثارة لردود فعل عكسية ودفاعية من جانب النظام السوفيتي ٠ وعلى هذا فمفهوم الوفاق عند هذا الرأى يتضمن مستويين الأول هو تحقيق استقرار فى العلاقة الاستراتيجية النووية بين القوتين بشكل يحد من تفاقم السباق حولها ويفرغه من امكانية المواجهة ، أما المستوى الثانى فهو حل الصراعات والمنازعات من خلال التفاوض والاسترشاد بمبادىء الوفاق فى الوقت الذى تشجع فيه الحوافز على الاعتدال بتوسيع نطاق العلاقات البناءة ٠



الخاتمة

تدفعنا دراساتنا لتطور وعناصر علاقة الوفاق الأمريكى السوفيتى أن نستخلص ان أفضل وصف وتحديد لهذه العلاقة هى انها تمثل اطارا من المنافسة والمشاركة ٠

وتاتى دقة هذا التحديد من حقيقة ان كلا منهما لهما مصالح مشتركة تتمثل أساسا فى مواجهة واقع العصر النووى ، وهو الواقع الذى يفرض عليهما تفادى واستبعاد أى صدام تستخدم فيه الأسلحة النووية لان مثل هذا الصدام سيكون مميتا للجانبين وبدرجات متساوية ، ومثل هـذا الوضع ذاته هو الذى يمثل عنصر المشاركة أو التعاون أو المصلحة المشتركة فى هذه العلاقة ، أما عنصر المنافسة فهو الذى يمليه ان القوتين تمثلان نظامين اجتماعيين مختلفين ، بل انهما يجسدان هذه النظم ، وان هذا الاختلاف فى النظم ينجم عنه تنافس على النفوذ الدولى ، وعلى اكتساب « عقول وقلوب البشر » فى مناطق العالم المختلفة ٠ وقيام هذين العنصرين فى هذه العلاقة هو الذى يسمها بصفة الغموض والتناقض فى بعض الاحيان ويجعل القوتان ترقبان ــ وحتى وهما يتعاونان أو يقيمان علاقات تعاونية ــ مصاعب كلا منهما الداخلية والدولية بارتياح ، وأن يقيم كلا منهما قواه قياسا على ما حققه الآخر بل ويرى كل انجاز حققه الآخر على انه تم على حسابه ٠

على ان ابرز السمات ــ وربما أخطر الثغرات ــ التى تتميز بها علاقات الوفاق كما تحققت حتى الآن ، هو اقتصارها تقريبا ، أو أن المركز الرئيسى الذى تدور حوله ــ هو انها « اتفاق على عدم جعل الخلافات بين القوتين الأعظم تتفجر الى حرب نووية » ، الأمر الذى يجعلهـــا مرادفا لما كانت تقوم به الحرب الباردة كبديل للحرب الساخنة ، ويدفع الى

القول ان ما ينسب من فضل الى الوفاق ، اذ ما اقتصر على هذا الجانب ، قد تحقق ضمينا فى غياب علاقات الوفاق نتيجة لمستوى التدمير المتبادل للاسلحة النووية والخوف من الدمار المتبادل ، ويشـــهد على ذلك ان مواجهات حول أزمات خطيرة خلال الحرب الباردة مثل برلين والشرق الأوسط وكوريا وكوبا قد تم تفادى الصدام المباشر حولها بفضل عنصر الدمار النووى وليس بفعل علاقات الوفاق التى لم تكن قائمة • يضاف الى هذا انه حتى بعد عام ١٩٧٢ وهو العام الذى يفترض انه سجل بداية الالتزام والارتباط بمبادىء وقواعد الوفاق فى ضبط النفس وتهيئـــة ظروف وأوضاع لخفض التنافس بينهما ، فان الاتجاه الى زيادة قدراتهما العسكرية لم يقل بل أنهما يعلنان صراحة ان تدعيم قدرة الردع لكل منهما بشكل لا يغرى احداهما بالهجوم على الأخرى ليس بديلا عن الوفاق، هذا فضلا عن استمرار نشوء التوتر بينهما حول منـــــاطق النفوذ السياسى •

وارتباطا بذلك ومنذ ان بدأ الوفاق السوفيتى الامريكى يأخذ ملامحه العملية مع بدايات الستينات (معاهدة الحظر الجزئى للتجارب) » ، فان علاقات القوتين الاستراتيجية قد أصبحت مركز البحث والعمل على استقرار مجموع علاقاتهما وأصبحت محـــادثات الحد من الأســـلحة الاستراتيجية ـ السولت ـ تشكل المركز الرئيسى لكل العلاقات السوفيتية الأمريكية بحيث أصبح بالتالى ان انهيار هذا المجال المركزى للعلاقات يعنى ان العلاقات فى جملتها سوف تعانى من ذلك ومعها بطبيعة الحال فرص الوصول الى اتفاقات حول مشكلات أخرى ، وبذلك أصبحت محادثات الحد من الأسلحة الاســـــتراتيجية بحق انما ترمز على حالة الوفاق بين القوتين •

على انه رغم هذه الحقيقة والتى تجعل من عنصر الخوف من الدمار المتبادل هو الموجه الأساسى لعلاقات الوفاق والمركز الذى تدور حوله وهو نفس الأمر الذى حكم علاقات القوتين خلال فترة الحرب الباردة ووقى تحولها الى حرب ساخنة ، الا انه من الممكن أن نقول انه فى نطاق علاقات الوفاق الجديدة فان الأزمات التى ثارت منذ تطورها أو التى ستثور ربما كانت ستكون أسوأ بدون قيام علاقات الوفاق ، وانه اذا كانت القوتين قد استطاعتا تفادى حدوث مواجهة نووية بينهما فى غياب علاقات الوفاق وتعديا أزمات كبيرة ، فان هذا كان متروكا بشكل أكثر لاعتبارات الحظ وللادراك العام أكثر منه لاجراءات مقننة لتفادى مثل هذا الخطر ، ومثل

هذا الأسلوب الذى اتبع لتفادى علاقاتهما الخطرة فى الماضى قد لا يمكن الركون اليه الآن مع النمو الكبير والمعقد فى الترسانات النووية لكلا القوتين والتى ضاعف بشكل غير مسبوق من اخطارها ، يضاف الى هذا امتلاك بلدان أخرى بالفعل واتجاه غيرها الى امتلاك أسلحة نووية (١) ٠

هذا الوضع خلق بيئة دولية محملة بالخطورة لم تكن قائمة بهذا الشكل خلال فترة الحرب الباردة ٠ ورغم ما يقال عن محدودية الوفاق وانجازاته الفعلية فى الانتقال بعلاقات القوتين بشكل متميز عن علاقاتهما فى الحرب الباردة ، الا انه من غير المناسب اساءة تقدير المسافة التى قطعتها القوتين خلال الفترة موضع الدراسة ، فان كانت مسافة محدودة الا أنها ذات اهمية فى اقامة قنوات اتصال وبشكل منتظم كانت مستحيلة منذ سنوات قليلة مضت ، والاتجاه نحو تفاقم حول امكانية وجدوى تفادى أخطار وتكاليف منافسة سياسية وعسكرية يتحكم فيها نتيجة لمرحلة المفاوضات التى تمت عبر مؤتمرات القمة وقيام علاقات على مستويات متعددة بين البلدين ٠ وقد يمكن القول وبحق ان الخطوات التى تحققت خلال الفترة موضوع هذه الدراسة من علاقات الوفاق مثل الاتفاق حول برلين ، ومؤتمر الأمن الأوربى ، وتصفية أزمة فيتنام واتفاقيات الحد من الأسلحة الاستراتيجية وهى خطوات لا تمثل ضمانا مطلقا وأكيدا للسلام ولا تقيم اطارا نهائيا ومختلفا كلية عن اطار علاقات القوتين الماضية ، الا انها قد خففت فعلا من جمود الماضى وقدمت أملا وأساسا للبناء عليه لعهد أفضل ٠ وما يمكن قوله أكثر من هذا انه فى ظروف وفاق حقيقى فانه سيكون من الممكن علاج مشكلة جادة من خلال محادثات مباشرة ووثيقة وصريحة بين واشنطون وموسكو يوفرها مناخ الوفاق ٠

على انه من الواقعية القول ان مثل هذا المستوى من التوقع لا يمكن أن يتحقق بشكله الكامل المؤمن بدون أن يكتسب الوفاق معنى حقيقيا والا اذا اتسع وتدعم الجانب الخاص بالتعاون والمشاركة بين القوتين بحيث لا تظل علاقات الوفاق مقصورة على مجرد الخوف من الحرب أو الحرص على تفاديها أو يجعلها مهددة بما قد تتطور اليه أزمة ما ، الأمر الذى لا يتحقق الا اذا امتد جانب التعاون الى مجالات تمثل وتشكل مصالح متداخلة وبعيدة الأثر فى الحياة اليومية للامتين وتربطهما بعمليات طويلة الأجل من المصلحة المشتركة ٠ فالاهتمام السوفيتى بالتكنولوجيا الأمريكية

(١) Cox, « The Dynamics of detente », op. cit., p. 166.

مثلا انما يقدم دافعا ايجابيا يجب الاستفادة منه بشكل ايجابي ، كذلك اشتراك الولايات المتحدة في استكشاف واستغلال الثروات المعدنية الكامنة في سيبريا والشرق الأقصى السوفيتي ، كما ان ما حققه ويحققه العلم من تقدم واضح انما يقدم فرصا هامة للتعاون السوفيتي الأمريكي مثل مشروعات تحلية المياه والتحكم في المناخ وتلوث البيئة ، وبحوث المحيطات والاتصالات بالأقمار الصناعية وباختصار فان المجالات العامة التي يمكن ان يقوم فيها اعتماد متبادل بين البلدين هي بالتحديد تلك الأهداف التي وضعها انسان القرن العشرين لنفسه :

- في تطلعه الى فهم العالم من حوله ٠
- واتجاهه الى التوغل في الفضاء الخارجي ٠
- في سعيه الى التنبؤ والسيطرة على البيئة الطبيعية ٠
- ان يحصل على مستوى متقدم من التكنولوجيا في الانتاج ٠
- كما انه في الوقت الذي يخطط فيه للمستقبل فانه ينشد الاستمتاع بالحياة بشكل أكمل ٠
- ان يساعد في نشر التكنولوجيا وتقوية التطور الاجتماعي والسياسي لكل شعوب العالم (١) ٠

وواضح ان الاشتراك في هذه المجالات البناءة سيخلق ادراكا ملموسا بحيوية هذا التعاون يجعله يعلو في اهميته حين يثير الجانب التنافسي في علاقاتهما موقفا يهدد هذه العلاقة وسيكون عاملا هاما ومهدئا في حسابات القوتين في مثل هذه المواقف يجعل من الصعب التضحية بها ٠

ويرتبط ذلك بشكل وثيق بمدى رؤية القوتين لدور هذه العوامل والتي تملك فيها الولايات المتحدة على وجه خاص مفتاح السبق والتفوق امكانيات هذا التعاون وأدواته ٠ وقد رأينا كيف ان الحرب الباردة قد ارتبطت بالتعاون المحدود ان لم يكن المعدوم في هذه المجالات ، واتخذت الولايات المتحدة موقف الرفض الكامل من تطوير أي تعاون فيها ووضعت عليها قيودا مانعة بل وحثت حلفاءها على ذلك باعتبار ان امكانية الحرب بين المعسكرين قائمة ٠ ويؤكد هذا ما يتجه اليه من اعتبار انه اذا أريد

---

(١) Rock, « The Strategy of Interdependence », op. cit., p. 178.

حقا بناء علاقات وفاق ذات معنى ترتكز على أساس يعطيها صفة الدوام والاستقرار ، فانه يجب النظر الى مثل هذه العلاقات وفى مقدمتها العلاقات الاقتصادية والتجارية والتكنولوجية نظرة جديدة تستهدف دعم عنصر الثقة أكثر من التمسك بشكوك الماضى التى تعمل القوتان على تجاوزه . على انه من الواقعية ان لا نتوقع ان يفصل جانب مثل الولايات المتحدة بين استعداده للتعاون الاقتصادى والعلمى والفنى مع الاتحاد السوفيتى وبين ما يتوقعه من سلوك سوفيتى أكثر اعتدالا وتعاونا فى الشئون الدولية .

غير انه فى نفس الوقت فان تاريخ العلاقات السوفيتية الأمريكية منذ بداية الحرب الباردة (رفض مشروع ماريشال) حتى فترة نمو علاقات الوفاق (الغاء اتفاقية التجارة) ، يظهر ان الاستخدام المتغطرس للعامل الاقتصادى (١) انما يثير الشكوك أكثر مما يبنى الثقة ، وان اثر مثل هذا الأسلوب كان دفع الاتحاد السوفيتى الى أسلوب الدفاع والارتداد الى سياسات الاستكفاء والاعتماد على النفس وهى السياسات التى تتعارض مع علاقات الوفاق التى تستند وتزدهر على تداخل المصالح والاهتمامات ، ولهذا فانه اذا أرادت الولايات المتحدة استخدام العلاقات الاقتصادية كدافع للاعتدال فى السياسة السوفيتية فان هذا يجب أن يكون بشكل حصيف وحذر .

وما هو أكثر من هذا ، وما اثبته الغاء الاتحاد السوفيتى لاتفاق التجارة ، ان أى محاولة لربط الوفاق بشكل مباشر بتنازلات تتعلق بنظامه الداخلى سوف ينظر اليها على انها تمس « روحه السياسية » والنقطة التى يستعد معها الى التضحية حتى بأى تقدم تم فى العلاقات السياسية أو جوانب أخرى وتقوى من ساعد وحجج قوى التشدد فى الحكم السوفيتى ، بينما يصبح من الممكن ان تؤدى علاقات متحررة من أى قيود بما سيصاحبها من توفر حياة مادية وحضارية أكثر وفرة للمجتمع السوفيتى ان تثبت ويقوى الاتجاهات السلمية فيه ويشجع القوى التى تعمل على بناء بيئة دولية مسالمة .

على اننا نعتبر فى نفس الوقت انه مع الأهمية التى علقناها على قيام روابط اقتصادية وتجارية وتكنولوجية لدعم الجانب التعاونى فى

---

(١) Huntington, Samuel, « Trade, Technology, and leverage, economic diplomacy », Foreign Policy, Fall 1978, p. 72.

علاقات الوفاق فاننا يجب ان نكون على حذر من ان نحمل علاقات الوفاق فى هذه المجالات أكثر مما تحتمل طبيعتها وحدودها الفعلية ، أو ان نتوقع أو نطالب مع البعض بان يكون الوفاق « تبادليا وشاملا بشكل أكثر » وان يتضمن « روابط عضوية » (١) ، فان مثل هذا التوقع انما يتجاهل الاختلافات الأساسية فى نظم البلدين .

ويكشف تاريخ العلاقات بين القوتين ليس فقط منذ تبلور علاقات الخصومة والمنافسة بينهما بعد الحرب العالمية الثانية ، وانما أيضا منذ بداياتها وأصولها الأولى عقب قيام النظام البولشفى فى روسيا عام ١٩١٧، يكشف عن ان عنصر الايديلوجية انما يمثل عنصرا بارزا فى العلاقات المتشابكة للقوتين .

فمن الحقائق التاريخية انه منذ تأسيس العلاقات بين روسيا القيصرية والولايات المتحدة عام ١٨٠٨ ، لم يكن هناك صراعات أو أى سبب للخلافات بين الولايات المتحدة والامبراطورية الروسية .. بل أنه فى لحظة من اللحظات فان الامبراطورية الروسية وبناء على طلب الولايات المتحدة حاولت ان تتصرف كوسيط بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى فى حرب عام ١٨١٢ ، بل ان بعض الدبلوماسيين الروس اقترحوا عام ١٨٢٧ ان تحتفظ الولايات المتحدة ببعض الوحدات البحرية فى البحر المتوسط . وفى خلال الحرب الأهلية أظهر القيصر اتجاها متعاطفا نحو الحكومة الفدرالية وقضية الاتحاد ، ثم اشترت الولايات المتحدة الاسكا بهذا المبلغ الرمزى ٥ر٨٠٠ر٠٠٠ دولار (٢) .

يضاف الى ذلك ان الولايات المتحدة قد اعترفت على الفور عند قيام الثورة الروسية الأولى عام ١٩١٧ بحكومة كيرينسكى المؤقتة ، وهو ما يدلل على ان الولايات المتحدة لم تكن تعارض الثورة فى ذاتها ، وان الاتجاه النقدى الذى اتخذته بعد هذا انما كان للمضمون الايديلوجى الذى طورته الثورة وقيام النظام السوفيتى وكان فى مركزه ـ قرار السلام الذى أصدرته الثورة حين اتخذت الاتجاه البولشفي فى ٨ نوفمبر سنة ١٩١٧ والذى دعا ـ جنبا الى جنب مع عقد سلام عاجل ـ البروليتاريا الثورية فى العالم لكى تهب وتطيح بحكوماتها . وبسبب هذه الفلسفة

---

(١) Brzeznski, « From Cold war to Cold Peace », op. cit., p. 254.

(٢) Bohlen, Charles, « The transformation of American Foreign policy » w.w. Norton comp, New York, 1969, pp. 50-51.

السياسية لم تقم الولايات المتحدة علاقات مع النظام الجديد حتى عام ۱۹٤٣ حيث اعتبرت ان النظام البولشفي بمبادئه المعلنة انما يشجع ويوجه الحركات الثورية ضد كل الحكومات تقريبا فى العالم ولهذا السبب كان الشرط أو المبدأ الأساسى من المبادىء التى اقيمت عليها العلاقات هو تخلى الحكومة السوفيتية عن تأييدها للنشاطات الثورية ضد الولايات المتحدة (١) •

وفى قلب الحرب الباردة بمركزها الرئيسى الذى دار حول وسط وشرق أوربا لم يكن اعتراض الولايات المتحدة على قيام حكومات «صديقه» للاتحاد السوفيتى فى هذه المنطقة الأمر الذى وجدته منطقيا مع المصالح الحيوية والاستراتيجية بالنسبة له ، وانما كان ينصب على الطبيعـــة الاجتماعية التى فرضها الاتحاد السوفيتى على هذه الدول ••

أما فى قلب عملية الوفاق فقد لمســـنا ان عنصر الايديلوجية هو الأساس فى المصاعب التى واجهتها من حيث ان اختلاف مفهوم ورؤية القوتين لسياسة الوفاق انما يقوم فى النهـاية على أســاس ايديلوجى ، فالولايات المتحدة تعتبر ان الوفاق انما يجب ان ينسحب على علاقات النظم مثلما يقوم بين الحكومات وان يكون هذا من شأنه ان يؤثر فى سلوك الاتحاد السوفيتى تجاه المنازعات الدولية وخاصة ازاء مناطق الاضطراب والحركات الثورية فى العالم الثالث ، كما ان مثل هذا المفهوم يستتبع ان تتفتح الحدود وتقام الجسور بين مجتمعى القوتين وبشكل غير مقيد، وهو نقيض المفهوم السوفيتى الذى يصر ان علاقات الوفاق انما تقتصر على علاقات الدول وانها لا تمس الجـــانب الايديلوجى فى العلاقة بين القوتين والذى سيظل على ما هو عليه من تناقض بل وسيزداد حدة • بهذا المعنى وحتى فى ظل علاقات الوفاق ، ستظل الايديلوجية أداة من أدوات المنافسة السياسية بين القوتين وستظل القوتان تضعان خلافاتهما فى اطار ايديلوجى يجعل منه مصدرا من مصادر التوتر الرئيسية بينهما ، فليس ثمة سبيل لازالة أو تخفيف حدة هذا المصدر مادامت الولايات المتحدة مقتنعة بان من أهداف الاتحاد السوفيتى الرئيسية والنهائية هو تحطيم نظام الحياة الامريكى وتحقيق الثورة العالمية بنموذجها الاشتراكى والشيوعى ، ولا ينفى من هذا ظهور مدرسة أو مدارس فى الفكر الامريكى ترى ان الاتحاد السوفيتى قد تخلى عن هذا الهدف لا عن عدم اقتناع به وانما لادراك قادته استحالة تحقيقه•• ونفس الوضع نجده على الجانب

---

(١) Ibid, p. 55.

السوفيتي الذي يسيطر عليه ان الولايات المتحدة هي رأس الحربة في النظام الامبريالي العالمي الذي استهدف منذ قيام النظام السوفيتي في روسيا ومازال يستهدف تحطيم النظام الاشتراكي مستخدما الحصار والحرب من قبل وهو اليوم يحاول ان يستخدم سلاح التخريب الايديلوجي .

ورغم هذا فلا يعني ان للايديلوجية دورا مسيطرا أو حاسما في توجيه سياسات القوتين في كافة المواقف ، وانه في بعض الحالات قد تكون الايديلوجية هي آخر دوافع القوتين في ممارساتهما الدولية أو على أحسن الافتراضات تمثل دافعا من مجموعة دوافع لا تحتل فيها الايديلوجية مكان الصدارة ، وقد رأينا كيف ان النظام السوفيتي حتى وهو في بداية نشوئه وتملك روح الايديلوجية لقادته قد انحنى مرارا أمام الاعتبارات العملية والواقعية ، كذلك فان الولايات المتحدة قد اتجهت الى تأييد نظم تتنافى مع عقيدتها السياسية وذلك خدمة لاعتبارات عملية ، وقد جعل هذا البعض يذهب الى اعتبار ان الدوافع القومية والوطنية وسياسات القوى هي الموجهة الرئيسية للقوتين ، وانه حتى لو تغير الحكم السوفيتي فان علاقة التنافس والقوة مع الولايات المتحدة لن تتحسن الى الأفضل وسوف تظل الولايات المتحدة تواجه قوة أعظم بطموحها ودوافعها القومية (١) ، ونفس الافتراض صحيح بالنسبة للولايات المتحدة .

غير انه رغم ظهور مثل هذه الاولويات العملية في مواقف للقوتين فان هذا لا يلغى ان التيار الرئيسي الذي ينظم علاقاتهما هو روح الخصومة الايديلوجية والتي تكيف وفقا لها القوتين غاياتها النهائية ، وقد تخفت هذه الروح بل وقد تتلاشى أحيانا الا ان هذا ربما يحدث لخدمة أهداف استراتيجية أبعد تقع في نطاق الايديلوجية .

ومن هنا فان اختلاف النظامين اجتماعيا وسياسيا سوف يفرض على خطواتهما نحو الوفاق حدودا ملموسة تبعده عن ان يكون تلاقيا شاملا ، وسيظل يدفعهما نحو ايقاعات مختلفة ويقف مثلا وراء انفاق المبالغ الضخمة على التسلح (*) والتي رغم ما اتخذ من علاقات الوفاق من خطوات

(١) Brezezenski, « From Cold war to Cold Peace », op. cit., p. 278.

(×) على سبيل المثال انفقت الولايات المتحدة في الثلاثين عاما الماضية ١٥٠٠ بليون دولار على التسلح . (Detente, Hearings, op. cit., p. 310). الأمر الذي كان يكمن وراءه وما يزال بشكل مباشر الخوف من الشيوعية مجسدة في الاتحاد السوفيتي ونظامه .

للحد منها لا يبدو ان لها قيمة فى تحقيق خفض ملموس فيها ، ونتيجة لهذا الوضع فان كل مظاهر التنافس بين القوتين كانت يمكن أن تكون موضع تفاوض أكثر يسرا ، وكان يمكن لصورة العالم ان تكون انصع لو لم يكن هناك خلافات عميقة بين المجتمعين والفلسفة السياسية لاقوى قوتين ».

فى ضوء هذه الاعتبارات الموضوعية المميزة والكامنة فى علاقات الوفاق يصبح من المهم ادراك حدود هذه السياسة التى يمكن أن تذهب اليها وتتوقف عندها ، فمعرفة هذه الحدود تصبح على جانب كبير من الأهمية من حيث تقييمنا المتواصل ونظرتنا الى علاقات الوفاق وبشكل لا يفرط فى التشاؤم أو التفاؤل وعدم الادراك الواضح لهذه الحدود أو تجاهلها ربما كان وراء الانتقادات المتعددة أو خيبة الأمل التى تعرض لها البعض ازاء هذه السياسة وخاصة بعد مؤتمرى القمة الأول والثانى وبشكل اخص بعد حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط والمعانى التى أبرزتها حول مدلولات الوفاق ، فهذه الانتقادات أو الاحباطات كانت فى الواقع نتيجة التصور الخاطىء لحدود وامكانيات الوفاق والتفاؤل أو التوقعات المبالغ فيها ، فقد تصور البعض الوفاق على انه انهاء للخصومة بين القوتين وانتفاء مصادر الصراع والتنافس ومن ثم مظاهرها ، وحين ظهر أن هذا غير صحيح اعتبروا ان ذلك فشل للوفاق . ومن هنا أهمية التقييم الحقيقى لعلاقات الوفاق وقياسها وفقا لحقائقها الرئيسية وابرزها انه لا يعنى ازالة عناصر الخصومة والصراع الكامنة فى بناء القوتين وأهدافهما النهائية ، وأكثر من هذا على أساس من أهدافه المحدودة التى لا تتعدى كونه وسيلة للتحكم فى الصراع وعدم تحوله الى مجابهة عسكرية ، وخلق ظروف تملى فيها المصالح المشتركة والمتشابكة ضبط النفس والحث على تسوية المشكلات أكثر من اثارتها أو زيادة اشتعالها .

وباستخدام هذا المعيار الواقعى فى تقييم علاقات الوفاق وخاصة منذ أن اكتسبت شكلها الجاد والعملى منذ عام ١٩٧٢ وامتدت عبر مؤتمرات القمة الأربعة حتى نهاية عام ١٩٧٤ سنجد انه كان مقدرا له تحقيق الأهداف التالية :ـ

١ ـ ان يخفض من اخطار الحرب النووية . وكان هذا هو الحد الأدنى من الأهداف .

٢ ـ أن يخفض من الصراع المباشر فى المناطق ذات الأهمية الحيوية لكلا القوتين مثل وسط أوروبا .

٣ ـ خلق الروابط التى تقدم حوافز للاعتدال فى السلوك والعلاقات المتبادلة ٠

٤ ـ خفض الصراع فى المناطق الجانبية ٠

فى نطاق هذه الأهداف سنجد انه فى الوقت الذى حققت فيه القوتان بعض التقدم فى الهدفين الأول والثانى (اتفاقيات الحد من الأسلحة الاستراتيجية الاتفاقيات حول برلين ووسط أوربا) فان التقدم نحو الأهداف الأخرى لم يكن مشجعا ٠

وفى نطاق حدود الوفاق العملية سنجد انه بغض النظر عن الحاجة المتبادلة والمعترف بها لتفادى المواجهات وما يلازمها من رغبة فى تخفيف مستوى الصراع بين القوتين ، فان لا شىء فى الوفاق يمكن ان يؤخذ بشكل مسلم به ، وحين ستواجه القوتان بالاختيار بين اتباع مصالحهم الخاصة او بين التعاون باسم الوفاق فانهما لن يترددا فى الاختيار الأول، ولانهما يريا الصراع الرئيسى بين النظامين السياسيين كصراع لا يمكن تحقيق مصالحه حوله ، فان المصلحة القومية التى تهدف الى تركيز القوة الاقتصادية والعسكرية والنفوذ الدولى من المحتمل ان تظل فى قلب سياسات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ٠

كذلك فانه من متضمنات الحدود التى تفرضها طبيعة علاقات الوفاق انه رغم ما اقامه الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وما سوف يطورانه من تفاهمات لكى يحققا الاستقرار لعلاقاتهما الاستراتيجية ولمحاولة التحكم فى الصراعات والمناطق التى لا مفر من اختلاف مصالحهم حولها وخاصة فى أوربا والشرق الأوسط ، فاننا لا نعتقد ان وفاق القوتين الأعظم يمكن ان يذهبا أبعد من التفاهم المحدود الذى يتحدد فى نطاقه مصالح كلا منهما ٠

وباعتبار ان للوفاق وجه جيوبولتيكى ، فان موضع التركيز الدولى لكلا القوتين الاعظم انما يكمن حول وسط أوربا ، بحيث انه كلما ابتعدنا جغرافيا عن وسط أوربا فان المصلحة ومن ثم الاهتمام بتطبيق مفاهيم التعاون والتفاوض تتقلص ويزداد التنافس ٠ فى هذا الشأن فان اتجاه التنافس سوف يتجه بشكل أكثر نحو اقطار العالم الثالث ٠ وتبدو تجربة أنجولا مؤشرا على هذا الاتجاه ، وعلى ان الاتحاد السوفيتى ربما سيتبع استراتيجية جديدة فى بناء نفوذه فى العالم الثالث يعتمد فيها بشكل أكثر على دعم النظم التى تنتمى بشكل حاسم للايديلوجية الماركسية بعد

ان فشلت تقريبـــا تجربة خروشـــوف فى تأييد « الديموقراطيات الوطنية (١) » ، والتأثير السلبى لمثل هذا الاتجاه على العلاقات بين القوتين يأتي من انه يؤكد عنصر الايديلوجية فى عملية التنافس وهو كما رأينا من أكثر العناصر خطورة على بناء علاقات وفاق مستقرة بين القوتين ، ومن ناحية أخرى فانه سوف ينظر الى أى موضع نفوذ جديد يكتسبه الاتحاد السوفيتى فى اقطار العالم الثالث أو تدعيمه لموضع سابق فى ظل علاقات الوفاق بالنسبة لما سيثيره من عدم استقرار على النطاق الاقليمى وتأثيره على الاحساس بالأمن والثقة لدول حليفة أو صديقة للولايات المتحدة فى هذا النطاق .

وعلى هذا فرغم تحذيرات هنرى كيسنجر للسوفيت بان الوفاق لا يتجزأ جغرافيا ولا يمكن أن يطبق بشكل انتقائى فى منطقة ما أو مجموعة من الأقطار الا انه ، وفى نطاق حدود الوفاق وامكانياته ، فان الوفاق لا ينطبق بشكل متساو على كل المناطق ، الأمر الذى سوف يظل يهدد ما تتطلع اليه شعوب العالم وتظريات الفكر السياسى من علاقات وفاق حقيقية تقوم على الشمول والعاطفة .

واذا كانت الحقيقة الاساسية فى علاقات القوتين اليوم وكما بدأت فى البروز منذ نهاية الستينات وأوائل السبعينات هى انتقال الاتحاد السوفيتى نهائيا من دولة كبرى Great Power اهتماماتها تتحدد فى النهاية فى النطاق القارى Continental الى دولة أعظم Super Power ذات اهتمامات عالمية Global بحكم ما تحقق لها مع الولايات المتحدة من تعادل فى الأسلحة الاستراتيجية والنووية ، فان من أخطر نتائج هذه الحقيقة هى أنها أضافت بمستوى جديد الى أولويات الســياسة السوفيتية ، فبعد ان كانت الأولويات السوفيتية تنحصر خلال الفترة التى شغلت فيها مكانة القوة الكبرى القارية فى حماية أمن روســيا القومى كما ورثته عن القيصرية ، وحماية مكاسب الحرب العالمية الثانية فى وسط وشرق أوربا ، وهى الاولويات التى لم تعد الولايات المتحدة وخاصة فى المرحلة الأخيرة من تطور الحرب البـــاردة تنازع الاتحاد السوفيتى فيها ، أصبحت الاولويات السوفيتية تتضمن بعد ان اكتسبت مكانة القوة الأعظم شعورها ان هذه المكانة تؤهلها لأن تمارس نفوذا

---

(١) Zagoria, Donald, « Into the Breach : new Soviet alliance in the World » Foreign Affairs, Spring, 1979, pp. 737-738.

على نطاق عالمى وبشكل يوازى الولايات المتحدة ، وان يكون لها قول ومشاركة كامله فى حل المشكلات الدوليه اينما تنشأ ٠

هذه الأولوية الجديدة ، هى مركز الخطـــورة اليوم فى علاقات القوتين ، وهى المصدر الذى ستنشأ عنه من وقت لآخر عناصر عدم الاستقرار خلال محاولتهما بناء علاقات مستقرة ٠

هذه الحقائق الملازمة لعلاقات الوفاق هى التى ستجعل اتجـــاهه لا يتسم بالثبات ويتضمن التقدم والانتكاس معا بل وربما النكسات ، الأمر الذى يحدد صورة الوفاق بانه ليس وضعا أو علاقة نهائية مستقرة انما هو عملية مستمرة جدول أعمالها ملىء ومتجدد وانها مع تحقيقها لتقـدم هنا يمكن أن تعانى انتكاسا هناك ، وفى نطاقها ســوف تتبادل القوتين المواقع ومعادلة الخسارة فى منطقة يكسب فى أخرى ، فانحسار النفوذ الامريكى من فيتنام قد قابله شبه انحسار للوجود السوفيتى فى الشرق الأوسط ، كما ان المكسب الأمريكى فى شيلى واسقاط نظام اللندى تابله خسارة لصالح الاتحاد السوفيتى فى أنجولا ، على ان الثابت فى هذه السياسة هو ما تشكله من إطار عام تصر عليه القوتين وتلتزم به لكى تحقق من خلاله على الأقل « ضرورة الوفاق » وهو حل خلافاتهم بأساليب غير الأساليب الحربية ٠

ويمكننا القول بدون اللجوء الى التنبؤات أو التوقعات فى علاقة تتسم بالغموض وأحيانا بالتناقض ، ان علاقات الوفاق سوف تعتمد فى مسارها المقبل على تصرفات كل قوة تجاه الأخرى وتجاه قضايا أساسية بالنسبة لكل منهما ، فسوف تضار حتما هذه العلاقة اذا ما اتجهت احدى القوتين الى احداث تحول فى الميزان الاستراتيجى وتحقيق نوع من السيطرة أو حتى التفوق لاستراتيجى على الأخـــرى مهددة بذلك الاساس الذى أمكن التحرك منه نحو بناء علاقات مستقرة وهو أساس التعادل أو الأمن المتساوى ، أو ان يحاول احداها التدخل فى النظــام الداخلى للأخرى بقصد احداث تغيير أو خلخلة فيه ، أو اذا ما حاولت احداها تحقيق مكاسب سياسية أو مناطق نفوذ على حساب الأخرى ٠

وفى النهاية فان القوتان بينهما خلافات عميقة فى القيم والأساليب وفى رؤية المستقبل ، الا ان هذه الخلافات ذاتها هى التى تملى ضرورة احتوائها وضمان عدم اطلاقها لقوى الصدام المسلح ، وهى التى يجب ان تزيد لديهما عنصر المسئولية لصياغة مستوى من العلاقة تحد من هذه الخلافات ـ ولا نقول تصفيتها ، وتحـــول دون تحولها الى صـدامات مسلحة ٠

الفهرس

الباب الثالث :

الفصل الثانى :

الفصل الثالث :

الباب الرابع

الفصل الأول :

الفصل الثانى :

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨١/٥٠٧٣

ISBN ٩٧٧ ٧٣٥٦ ٧ ٢